كتاب أخبار المهدي

ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين

لأبي بكر الصنهاجي المكنى البيذق

اعتنى باخراجه من الخزانة الاسكريالية
وتصحيحه وترجمته خديم العلم ومحبّه الاستاذ

إ. لافي بروفنسال



سنة ١٩٢٨

بولس كُتْنَر الكتبيّ بباريز

كتاب أخبار المهدي

ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين

كتاب أخبار المهدي

ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين

لأبي بكر الصنهاجي المكنى البيذق

اعتنى باخراجه من الخزانة الاسكريالية

وتصحيحه وترجمته خديم العلم ومحبه الاستاذ

إ . لافي بروفنسال



سنـــــة ١٩٢٨

بولس كُتْنَر الكتبي بباريز

كتاب أخبار المهدي
ابن تومرت وابتداء دولة الموحّدين

القسم الاوّل

رسائل للامام المهدي والخليفة عبد المؤمن

. . . .

. . . . [fo 7 ro] وهذا الوعيد العظيم والعذاب الاليم فيمن ركن اليهم فكيف بمن اعانهم بنفسه وماله على سفك دماء المسلمين واخذ اموالهم ومعونتهم على ظلمهم ولو بدرهم واحد ، لما رواه كعب بن عُجْرة عن النبي صلّعم قال اعيذك بالله يا كعب بن عجرة من امراء يكونون بعدي فمن غشي ابوابهم وصدّقهم على كذبهم واعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه ولا يَرِد عليَّ الحوض ومن لم يغْشَ ابوابهم ومن لم يصدّقهم على كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منّي وانا منه وسيَرِد عليّ الحوض ،

واجمعت الامّة قاطبةً خلفُها وسلفُها ان الظالم لا يعان على ظلمه ولا يجوز طاعةُ فى معصية الله ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، لما رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلّعم انه قال على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فان أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة الى غير ذلك من الاخبار الصحيحة ممّا يطول تتبّعها ، وتحريم طاعة المخلوق في معصية الله معلوم من دين الامّة ضرورةً ولا يحتاج فيه الى بسط الادلّة ، فكلّ من اطاعهم في معصية الله واعانهم على ظلمهم في سفك دماء المسلمين وأخذ اموالهم وكلّ من اعانهم من القبائل فادعوهم الى التوبة والانابة والرجوع الى الكتاب والسنّة وترك معونة المجسّمين والمرتدّين والمعتدين فان قبلوا منكم ورجعوا الى السنّة واعانوكم على جهاد الكفرة فخلّوا سبيلهم وهم اخوانكم في دين الله وسنّة رسوله ، وان عاندوا الحقّ واصرّوا على معونة اهل الباطل والفساد فَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ، وكلّ من [fo 7 vo] امتنع من الرجوع الى السنّة فهو عدوّكم الى الممات ، وكلّ من قُتِل من الكفرة والمجسّمين فهو مخلّد في نار جهنّم وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ، وكلّ من قُتِل من المؤمنين فهو من اهل الجنّة لقول رسول الله صلّعم من قُتِل دون دينه فهو شهيد ومن قُتِل دون ماله فهو شهيد وهذا ما لا شكّ ولا ريب فيه ، واعلموا وفّقكم الله انكم في قتال الكفرة على الحقّ المبين لا ترتابوا في ذلك لأنّكم انّما قاتلتم على دين الله الذي قاتل عليه الرسول عليه السلام واصحابه فاجتهدوا في قتال الكفرة واعوانهم ، واطلبوا غرّتهم بالليل والنهار وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ فاذا

صبر الكفرة على القتال على الظلم والفساد فكيف نحن لا نصبر على ديننا وتمسّك بسنّة نبينا ونصبر كما صبر الرسول واصحابه ولنا اسوة حسنة في الاقتداء بهم واتّباع سبيلهم في صبرهم على البأساء والضرّاء وجهادهم على دين الله باموالهم وانفسهم محتسبين حتى انمحت بهم آثار الكفر وانطمست بهم مراسم الباطل والعاطل حتى اجلى الله بهم الحقّ واعزّ بهم الدين ففازوا بذلك عند الله فوزا عظيما وبقى بعدهم [الذكر[a]] الجميل والثناء الحسن فكانوا لمن بعدهم نجوما يهتدون بها ، فاهتدوا بهديهم واقتدوا بفعلهم رضي الله عنهم اجمعين ،

واعلموا وفّقكم الله ان الدين الذي جاهدوا عليه هو هذا الدين لا تبديل له ولا تحويل حتى ينفخ في الصور ، والصبر على احياء هذا الدين فرضٌ علينا كما صبروا والاجتهاد في المسارعة الى الخيرات فرضٌ علينا كما اجتهدوا ، والله يسلك بنا سبيلهم [fº 6 rº] ويحشرنا معهم ، فاخلصوا نيّاتكم وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ولا تقاتلوا للدنيا الفانية والاغراض الزائلة ، فانه من قتل على ذلك فقد بطل جهادهُ وذهب اجرُه ولاكن من قتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر على الله اجرُه ،

واعلموا وفّقكم الله ان العدوّ لا يغلَبُ بالعَدَد ولا بالعُدَد وانّما يغلب بحسن النيّة والتقوى والاعمال الصالحة والتوكّل على الله ، كما قال ابو الدرداء انّما تقاتلون باعمالكم يعني اذا صلحت الا عمال انهزم الاعداء ولايستقرّ لهم قدمٌ في مقابلة الحقّ ، فاتّقوا الله وسارعوا الى مغفرة من ربّكم وبادروا الى الاعمال الصالحة وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ،

a) Le mot rétabli entre crochets a été omis par le copiste.

واعلموا وفّقكم الله ان المجسّمين والمكّارين وكلّ من نُسِب الى العلم اشدّ في الصدّ عن سبيل الله من ابليس اللعين فلا تلتفتوا الى ما يقولون فانه كذبٌ وبهتان وافتراء على الله ورسوله ، وما نسبوكم اليه من الخلاف لله والرسول فذلك خِبٌّ وغشّ للمسلمين وخيانة لله ورسوله ، يابى الله ورسوله ان يكون من تمسّك بالحقّ واتّبع سنّة رسول الله صلّعم واناب الى الله مخالفا لله ورسوله ، بل المخالف لله ورسوله من اتّبع الباطل وخطوات الشيطان ،

فانتبهوا وفّقكم الله لهذه الحيل التي يحتالون بها على عيشهم ودنياهم حتى حملهم ذلك على الافتراء على الله ورسوله حتى عكسوا الحقائق وقلبوها وحرّفوا الكلام عن مواضعه ونسبوا من دعا الى التوبة والتوحيد واتّباع السنّة الى الخلاف وسمّوه مخالفا بغيهم ، وسمّوا من اتّبع الباطل وخطوات الشيطان من اتّباع عادات الجهل والمداهنة وأكل الحرام وارتكاب [f° 6 v°] الآثام والاصرار على الكبائر والفجور وأكل الدنيا بالدين وأكل اموال الناس بالباطل وسمّوا هؤلاء كلّهم مطيعين ، وسمّوا اتّباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة افتراء على الله ورسوله ، فلا تلتفتوا الى تلبيسهم ولا تنظروا الى تدليسهم فانه ظهرت اباطيلهم وتعاضدهم على اخماد الدين وتعاونهم على الاثم والعدوان فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ، وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ، فاجتهدوا في تعليم ما يلزمكم من فرائضكم واشتغلوا بتعليم التوحيد فانه اساس دينكم حتى تنفوا عن الخالق التشبيه والتشريك والنقائص والآفات والحدود والجهات ولا تجعلوه في مكان ولا في جهة فانه تعالى موجود قبل الامكنة

والجهات ، فمن جعله في جهة ومكان فقد جسّمه ومن جسّمه فقد جعله مخلوقا ومن جعله مخلوقا فهو كعابد وثن ، فمن مات على هذا فهو مخلّد في النار ، ومن تعلّم توحيده خرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه فان مات على ذلك فهو من اهل الجنّة ، وتعلّموا ما لا تصحّ الصلاة الّا به مثل فاتحة الكتاب وسورة معها ، وحافظوا على الصلوات في اوقاتها واعمروا مساجدكم ومروا بها اولادكم وعبيدكم واماءكم وكلّ من تعلّق بكم واجتنبوا المحارم وردّوا المظالم وتحالّلوا وتغافروا فيما بينكم يغفر الله لكم واصلحوا ذات بينكم ولا تفسدوا في الارض ولا تبذّروا ولا تُسرفوا ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تخونوا ولا تغدروا ولا تحسدوا ولا تغلّوا [fº 5 rº] ولا تمثّلوا وتولّوا الادبار عند لقاء العدوّ فمن فعل ذلك فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ،

وايّاكم والغلول فان الغلول عار ونار وشنار على اهله يوم القيامة ، واقسموها على موافقة الكتاب والسنّة ولا تغيّبوا منها قليلا ولا كثيرا ، للراجل[a] سهمٌ وللفارس ثلاثة اسهم بعد اخراج الخمس من رأس الغنيمة والغنيمة لمن شهد الوقيعة ،

واجتنبوا الخمر فانها امّ الفواحش ولا تشربوها ولا تسقوها ولا تعصروها ولا تبيعوها ولا تبتاعوها فانها رجس من عمل الشيطان وشاربها ملعون لما رواه عبد الله بن عمر عن النبيّ صلّعم انه قال رسول الله صلّعم لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه ،

a) Ms. للرّجُل.

وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ ، وَمُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ ، وَٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَى وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ،

واعلموا وفّقكم الله ان الموحّدين في الامن والامان ونصر من الله وعافية وفضل منه واحسان ، تتابعت عليهم النعم ، وترادفت عليهم المنن ، لله الحمد على ذلك ، اشتغلوا بتعليم ما يلزمهم والاهتمام في دينهم والقيام بفرائضهم والاستعداد للقاء ربّهم ، فالله يتمّ علينا[a] وعليهم ويوزّعنا شكر انعمه ، اذلّ الله لهم عدوّهم وقذف في قلوبهم الرعب وزلزل اقدامهم وانتقم منهم بجورهم واخذهم بسوء افعالهم اخذهم الله في كلّ ناحية وقطع الله لهم كلّ حيلة ، هم في خزيٍ وخسران ، ورعب وخذلان ، وذلك كلّه من حول الله وقوّته لا منّا [fº 5 vº] ولا من افعالنا ، انّما هو من وعد الله الذي لا يخلفه لاوليائه ، وخزيٍ من حادّ الله ورسوله من اعدائه ، ارسل عليهم جنودا لا قبل لهم بها واظهر عورتهم وذلّتهم لاوليائه ، وكلّ من استند اليهم من حزب الشيطان من اوليائهم لا شك فيه ولا ريب أن من اعتصم بغير الله تعالى ضلّ سعيه ، ومن اتّكل على غيره خسر دنياه وآخرته ، لا عاصم لمن اراد الله هلاكه ولا حيلة لمن اراد الله فتنته ،

والكفرة اليوم قد تبيّن للناس ما هم عليه من تبديل الدين وعكس الامور وايثار الضلال على الهدى وايثار العناد والطغيان على العدل والاحسان وايثار الاستنكاف والاستكبار على الاستسلام للامر والانقياد

a) En marge dans le ms.

للحُكْم وايثار الفساد في الارض على الاصلاح فيها وقطع ما امر الله به أنْ يُوصَل من حسن الزاد وحسن الاستعداد للمعاد ، وحملهم الغيّ والبغي على ان جعلوا الحقّ باطلا والباطل حقّا والكفر ايمانا والايمان كفرا والهدى ضلالا والضلال هدًى والعدل جورا والجور عدلا ، من يَهْدِ[a] الله فلا مضلَّ له ومَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ ، فقد كشف الله لعباده المؤمنين تلبيسهم واظهر كيدهم ، الآن لا خفاء به قد وضح سبيله ، وكذلك الباطل الّا لمن سبقت عليه شقوته من الله ، قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى لَا ٱنْفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، وَمَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ، اعاذنا الله من الزيغ والزلل وعصمنا من المحن والفتن ،

كتبنا اليكم هذا الكتاب اعلاما لكم بان فضل الله علينا يتزيّد واحسانه لدينا يتضاعف ويتجدّد ولم نزل منه في زيادة وستر ورحمة ونصر ونِعَم اسبغها ظاهرة وباطنة حتى زادنا بذلك بصيرة وتِبْيانا ، ورأينا مواهبه [fº 4 rº] لا يسعها شكرنا ، وعجزت عن القيام بحقّه قوانا ، وقصرت على احصاء ذلك كلّه عقولنا والسنتنا ، منّ الله علينا بالاعتصام بدينه في زمن عمّ هوله ، وشرّب قلوبنا الحقّ رغبة في دينه واليقين بوعده ونصره مصدّقين لا يضرّنا من ناوانا او عادانا او خالفنا او خذلنا ما دامت ارواحنا في اجسادنا ، وما دامت السموات والارض ونحن لذلك معتقدون ، وعليه ثابتون لا نملّه ولا نيأس منه حتى نلقى ربّنا غير مبدّلين ولا مغيّرين

a) Ms. يهدي.

ان شاء الله ، نسأل الله تمام النعمة التى انعم بها علينا والمزيد فيما به احسن الينا ، فمن كان على هذا فهو منّا ومن حزبنا وعند الصباح يحمد القوم السرى ، اعانكم الله على طاعته وامدّنا واياكم بمعونته وزوّدنا واياكم بالتقوى وختم لنا ولكم بالحسنى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

***

بسملة تصلية

رسالة اخرى للامام المهدي رضه الى جماعة[a] الموحّدين

اعزّهم الله في اوّل هذا الامر العزيز ايّده الله وخلّده ، وهي هذه

الى جماعة الموحّدين وفّقهم الله لما يحبّه ويرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، امّا بعد فانّا نحمد اليكم الله الذي لا اله الّا هو ونشكره على آلائه ونِعَمه ، ونصلّي على محمّد نبيّه ورسوله ، والذي نوصّيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكّل عليه واتّباع الكتاب والسنّة وتعليم التوحيد فانه اصل دينكم وبه تصلح اعمالكم والمحافظة على الصلوات في اوقاتها فانها عماد الاسلام ، مُروا بها اهاليكم ونساءكم واولادكم وعبيدكم وكلّ من تعلّق بكم [fº 4 vº] وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر واقطعوا المداهنة و[سوء] السيرة وجميع عوائد الجاهلية واللهو والنياحة والسخط عند المصائب ولا تخالطوا

a) Le ms. ajoute من.

اهل الفساد ولا تعاملوهم ولا تنظروا في وجوههم وتواصلوا فيما بينكم ولا تقاطعوا وتحابّوا ولا تدابروا واتّفقوا ولا تختلفوا وتطاوعوا ولا تنازعوا ولا تغترّوا بالدنيا فانها فانية وكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، فانّما هي كاحلام نائم تطمئنّوا اليها فانها اصل كلّ بليّة ورأس كلّ خطئية ، بها هلكت الامم السالفة والقرون الماضية ، عليها تعادوا وعليها تفانوا ، واحذروا من مكرها وتقلّب احوالها لا تدوم على حالها تكدّر نعيمها وتنغّص لذّاتها بصّرنا الله وايّاكم عيوبها ويعيدنا من فتنتها ، فتزوّدوا منها بالتقوى الى دار الآخرة واستعدّوا منها بالعمل الصالح تفوزوا بذلك عند الله فوزا عظيما ،

واحذروا من سُمومها فانها فضيعة واحذروا من سُموم اهلها فانها سهام قاتلة وتفطّنوا لمكرهم وحيلهم واتركوا اخوّتهم ، تركوا دينهم واعرضوا عن آخرتهم واستكبروا عن اشغالهم وصنائعهم وتفرّغوا لهلاك المسلمين والاعتداء عليهم ، مكّن الله منهم واستحلّوا الحرام حتى صار مطعمهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم ومركبهم واستحلوا ذلك كلّه فزادوا به كفرا على تجسيمهم ،

واعلموا وفّقكم الله ان جهادهم فرض على الاعيان على كلّ من فيه طاقة على القتال واجتهدوا في جهاد الكفرة الملثّمين فجهادهم اعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة باضعاف كثيرة لانّهم جسّموا الخالق سبحانه وانكروا التوحيد وعاندوا الحقّ. . . . . [fº 3 rº] . . . .
. . . . .اصبروا على دينكم في الباساء والضرّاء فانّكم على الحقّ. . . .
. . . . بالفوز وعليه تقاتلون فايقنوا بثواب الله وصدّقوا بما ورد في

الجهاد وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ، جعلنا الله وايّاكم من عبادة المخلصين ، ومن حزبه المفلحين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

***

بسملة تصلية

ويتّصل هذه الرسالة المباركة من كلام الخليفة رضّه

فاذا وصل اليكم كتابنا هذا فتأمّلوه وتفهّموه فانّ كلام المهدي رضّه نور وضياء ورحمة وشفاء لما في الصدور وهو كلّه حكمة وعلم وموعظة فاذا تأمّلتموه وقبلتموه ينفعكم الله به وتجدون بركته ان شاء الله عزّ وجلّ فاشكروا الله الذي خصّكم به واعرفوا نعمة الله عليكم فقد خصصناكم به لقوّة رجائنا فيكم وطمعنا لكم في الانتفاع به في الدنيا والآخرة ولم نخصّ به احدا قبلكم ، فتأمّلوه فانّ معانيه عظيمة وحكمته بليغة فاقبلوا عليه بافهامكم وتأمّلوا حكمته بعقولكم فانكم لا تخيبون من بركته ان شاء الله بفضله ورحمته ، ونرجو لكم خير هذا الكتاب والانتفاع به ونحن نحبّ لكم ما نحبّ لانفسنا من الخير ولا نريد لكم الّا الخير والعزّ الدائم في الدنيا والآخرة ان شاء الله عزّ وجلّ فكونوا عند الظنّ بكم وانظروا لانفسكم واعلموا ما يراد بكم ولا تتركوا حظّكم من الخير ، وهذه تذكرة ونصيحة فقد ذكّرناكم فتذكّروا ونبّهناكم فانتبهوا ونصحناكم فاقبلوا ودعوناكم فاجيبوا زوّدنا الله وايّاكم بالتقوى وختم لنا ولكم بالحسنى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

***

بسملة تصلية

من القائم بدين الله العامل بسنّة رسول الله محمّد بن عبد الله وفّقه الله، الى المغرور بدنياه عليّ بن يوسف ، امّا بعد فانّا مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِكُمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَكُمْ لَفَاسِقِينَ ، لم تخشوا عقوبة ربّ العالمين ، ولم تتفكّروا فيمن حولكم من الظالمين ، الذين غووا فاصبحوا نادمين ، فتبعهم الناس اجمعين ، فاذا هم اخسر الخاسرين ، قد امرني الله بادحاض حجّة الظالمين ، ودعاء الناس الى اليقين ، ونسأل من الله اجر المحسنين ، لاتغترّوا فانّ المسلمين اليكم . . . . . [fº 3 vº] . . . .
. . . . فلا بدّ ان نجيش ونفوز[a] . . . .
. . . . لقتال من زاغ وجنف وكفر بنعمة الله ، وقد جاء في التنزيل انكم لستم بمؤمنين ولا تؤمنون بلا اله الاّ الله وانّها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجّب ، وتارك واحدة من السنّة كتاركها كلّها ، ومن اجل ذلك دماؤكم حلال ومالكم فيء وقد بيّنّا لكم واوضحنا السبيل وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَاتُ وَٱلنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى وخشي الرحمن

***

بسملة تصلية

من محمّد بن عبد الله العربيّ القرشيّ الهاشميّ الحسنيّ الفاطميّ

a) Ms. نجيشوا ونفوزوا.

المحمّديّ ، الى الفئة الباغية والشرذمة الطاغية ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِي ٱلْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَاد ، الذين استزلّهم الشيطان ، وغضب عليهم الرحمان ، جماعة الملثّمين الزراجنة الساكنين بالسوس دمّرهم الله ،

امّا بعد وجدت اكثركم فاسقين ، وقد رايناكم عن الحقّ نازحين ، ولم تذكروا عواقب ربّ العالمين ، اشتكى بكم الناس فاذا انتم اخسر الخاسرين ، لا محالة باثرهم ماضين ، وقد امر الله تعالى بادحاض حجّة الظالمين ، ودعائهم الى صراط مستقيم ، انّ الموحّدين اليكم قادمون ، على الله متوكّلون ، بايديهم سيوف قاطعة ورماح نافذة سمهريّة وردينيّة قد تقلّد بها الموحّدون ليقطعوا بها صولتكم كما قُطِعت بها صولة اصحاب بدر يضربون بها ويطعنون في سبيل الله لا بدّ من جيش العرب يقوده الامر الالهي يفور عليكم فورة البرمة المحماة بالنار ، فويل لاهل الغرب يبيدهم اشرارهم بعد ذلك وويل لاهل السوس وجيرانهم كُزُولة الكُسْت ولَمْطة واهل القبلة كافّة ، وعسى ان يكون ذلك ان شاء الله في سبع وتسعين او ثمان وتسعين او تسع وتسعين اوّله غبار ، ووسطه استبشار ، وآخره عبرة كبيرة في الروم غظيمة ، واسأل الله العصمة ولا يعلم الغيب الّا الله ، امرُ الله حتمٌ يُمتثل ، من خالفه يقتَل ، والحمد لله ربّ العالمين كثيرا الذي بنعمته تتمّ الصالحات ، والسلام عليكم سلام السنّة لا سلام الرضى

***

بسملة تصلية

من محمد بن عبد الله. . . . . [fº 1 rº] . . . .

فعرِّفونا بشرح ذلك وايضاحه ليتبيّن الف[اسد بفساده] والصالح بصلاحه ، ولتصل منكم جماعة فيها شيوخكم واعيانكم النبهاء وفّقهم الله ليتّبين عندهم ما تضمّنه كتابكم المذكور من تلك العلامات [يبحثون] عنها بحثا بالغا على اوفى الحالات ويعرّفونا بذلك لننظر فيما هنالك . . . . . والله يتوب على من تاب واصلح وتبيّن ويعيننا جميعا على القيام بما وجب [بفضل]ه وكرمه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

***

بسملة تصلية

[رسال]ة للخليفة رضه في التنبيه والتعليم والنصح والامر بالمعروف [والن]هى عن المنكر

تعرف برسالة الفصول وهي هذه والحمد لله وحده ،

[من امير] المؤمنين ايّده الله بنصره ، وامدّه بمعونته ، الى الطلبة الذين بجبل النصر والفتح والهدى فانّا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ونشكره على آلائه ونعمه ونصلّي على [نبيه] ورسوله والحمد لله على ما امدّ به هذه الدعوة العظيمة ، والكلمة العل[ية ال]كريمة ، من الاضواء

والانوار ، وقرن بعزائم اوليائها من الاخذ بحجز اهل التهافت في النار ، واحكم باعيانهم معاقد الهدى التي من استمسك بها [فاز] بعقبى الدار ، وابان بهم معالم السنّة المستبينة الضوّ [الهاد]ية من سلك جددها فقد آمن من العثار ، ووقف هممهم لديه من . . . . امور الدين في الناهي والداني من الاقطار ، نحمده بحمد من اهتدى الى الوجود المطلق الذي لا يتقيّد بالامكنة والاعصار ، الواحد الفرد الصمد المنزّه عن الشركاء والانصار ، المتعالي عن صفات التحيّز والانتقال والعجز وال. . المحيط بجميع الموجودات الحادثة آثارها حدّة الاذهان ولا تمحقها الافكار ، لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ،

ونصلّي على [النبي. . . . .] المؤيّد بالمعجزات الباهرة التي . . . . . [f° 1 v°] . . . . من بها صدّقه على الاضطرار ، . . . . ماضي الغرار ، وعلى آله وصحبه السالكين في ذلك المضمار ، ونواصل الرضى عن الامام المعصوم القائم بدين الله تعالى ،

لما ارتفع العلم بقبض العلماء الاخيار ، واعجب كلّ ذي [جهل] يعظّم البكم الرعاع الاغمار ، وقامت خطباؤهم بافانين التضليل والاغترار ، وقلبوا الحقائق فظهر من التبديل والتغيير ما اخفى دين الله الذي تكفّل له بالاظهار ، وانبسط في البسيطة من المناكر ما لا يحتاج لتأييده مع الوضوح والاشتهار ، فتجلّى بضياء حكمه ما استولى على [العباد] من الظلم المشتدّة الاعتكار ، وابان بمعجز علمه من العلم بالله تعالى وما [جاء] به رسله ما كان في طيّ الخفاء والاستتار ، وعلّم طرق العلم الذي انتفع به اولو التبيين والاستبصار ، وطرح عن موارد الادب ما شملها من الشوائب والاكدار ،

وامدّه بالطائفة المنصورة المقتدية بصريح الوحي وصحيح الاخبار ، كلّ دان وشاسع من الامصار ، بال. . . . والعاملين به والمصرّفين له ليبقى امره العظيم على الدوام والاستمرار ، الى قيام الساعة وانقضاء هذه الدار ،

فانّ كتابنا هذا اليكم [كتب الله] لكم كلّ خير جزيل ، واعانكم على امتثال اوامر التنزيل ، وجعلكم نا[هجين] الكتاب والسنّة في الدقيق من الامور والجليل ، من رباط الفتح عمّرها [الله بجنوده] المنصورة محفوفةً من حفظ الله وكلاءته ، ومكفوفة مرضية وحمى ممنوحة من اظهاره واعلائه ، مخصوصة من ارقائه واسمائه ، ومما اضأت زندها وايرائه ، في تسنية مرامها واسنائه ، بما ارزق الله به الى احياء معالم السنّة واحكام امراسها ، وتثبيت اركان الدين على وثيق اساسها ، تطهير الامّة من ادرانها وادناسها ،

. . . . [fº 2 rº] . . . . ذلك المسارح ما امكنه ويستمرّ في سراه ليخطيء . . . . اوامر لا يرعاها ، ويغشي تلك المألوفات المودية ولا يخشاها ، . . . . بالسؤ ولا ينهاها ، ويغفل مآلها فلا يخاف عقباها ، ومن كانت [هذه حاله] هو ممّن لم يؤمن بالله ولا برسله ولا بما جأت به الرسل ، ولا بالامام المهدي الذي قامت عليه البراهين واتّضحت في امره السبل ، بل هو متمادٍ على كفره وتجسيمه ، غير منتفع بفقهه ولا مستبصر بتعليمه ، وبحكم ما ناطه الله تعالى بنا من امور عباده ، وسدّه الينا من نصر دينه وانجاده وقلّدنا ايّاه من الوقوف على حماية باطنه وظاهره في اغوار العالم وانجاده ،

لم نزل نتعاهد احوال الانام ، ونصل تصفّحها على مرّ الليالي

والايّام ، ونقصد هذا القصد بقوّة واعتزام ، وناخذ في الكشف عنه بمواظبة والتزام ، متّبعين في العمل بالعلم اثر الامام ، المعصوم المهدي المعلوم الذي احتذى فيه حَذْوَ جدّه عليه السلام ، راغبين اليه تعالى في اعظام الاجر واجزال المثوبة على القيام بهذا المقام ، وانّ الناس مع مواظبتهم بالتذكير ، وملازمتهم بالتنبيه والتبصير ، لم يتركوا تلك الافعال التي رسخت في الصدور ولا فارقوا المهلكات التي استقرّت في القلوب ولا صارموا العادات التي انطوت على إلفها احناء الضلوع وابوا الّا ارتطاما في الغيّ وارتباكا ، وانكشافا في طواعية الشهوات وانهماكا ، وخلعا لعذار النهي وانهتاكا ، واجراء في مهامه البطالة واستنانا ، وتحليقا في جوّ الغواية وطيرانا ، واغفالا لما اخفق بهم من امر الله تعالى ونسيانا ،

فنهضنا الى معاهدة التفقّد بعزم فُرِعت له الطنابيب ، وجُري فيه الى امد تقصر عن شأوه الجرد السراجيب ، وجعلناه تعهّدا عامّا في البعد [والقر]ب ، ونظرا شاملا ينتظم حاشيتَيِ الشرق والغرب ، لتاخذ الجهات [حقّها] من الضبط ، وتتّزن الجنبات بميزان العدل والقسط ، . . . .

. . . . [fº 2 vº] . . . .

فيقولون نؤمِنُ ببعضٍ ونَكْفُرُ بِبعضٍ ليتّخذوا بين الرشد والغيّ الصحيح الثابت تغييرا وتبديلا الى ان تخلص قلوبهم من الريْن ، ويكون العلم والعمل متلازميْن ، والباطن والظاهر متطابقيْن ، والقول والفعل غير متعارضيْن ، ولا متنافييْن ، والله المعين على اكمال هذا المقصد واتمامه ، والمليء على امداده في جميع الجهات والاكناف على ما نؤثره من اتّصاله وانتظامه ،

ولما كان هذا الامر العظيم انّما جاء في زمن الفترة وشمول الحيرة

وارتفاع العلم وتحاول الجمع وانبساط الجور وانقباض العدل وتملّك الهمج الرعاع ، واتّباع الهوى المضلّ المطاع ، وقام به الامام المعصوم المهدي المعلوم رضه عندما ازبد بحر الضلال وطمى ، واعتلى سلطان الكفر واستمى ، وتطاير شرر الاشرار وارتمى ، وتفرّقت في انواع الاباطيل الاراء وغيّرت معالم السنن البدعُ والاهواء ، والدين اجتنّه غريب ، لا مناسب له ولا قريب ، لا داعي اليه ولا مجيب ، وقد قنع اهل الوقت في معارفهم بمسودّ الصحائف ، بمسطور الزخارف ، باماطة المعارف ، وتطميس العوارف ، وجرّ المطارف ، في صون التاليد وجلب الطارف ، فبصّر وعلّم ، وثقّف وقوّم ، واتقن واحكم ، ونوّر ما اظلم ، واظهر ما استبهم ، وانجد في تعليم العلم واتهم ، ثمّ اورث علمه طائفته فبثّوه في البلاد ، وافاضوا نوره على العباد ، طورا باللين وطورا بالاشتداد ، وحالا بالسياسة وحالا بالجهاد ، واونة بالمواعظ الحسنة واونةً بالسيوف الحداد ، الى ان القى الناس يد الاستلام ، واظهروا الاجابة على دعاية الاسلام ، فمن آمن منهم بهذا الامر العظيم عن علم ودين ، واخلاص مستبين ، فهو يتقيّد بقيوده ، ويقف عند حدوده ، ويجرى على معهوده ، ويبدو على ظواهره ، ما اكلناه من صرائره ، ويلوح على. . . . .

القسم الثاني

المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب

.... [fº 8 rº] الآية وغير هذا
من الآي في الكتاب كثير وانما اتيت بهذه الادلّة من كتاب الله تعالى لئلا
يتّكل احد على النسب لانّ الجنّة لا تُدخل به وانّما تدخل بما قدّمناه
التقاة والعمل الصالح وفضل الله تعالى ، وقد جاء في الخبر عن السلف
رضي الله عنهم انهم قالوا ابوكم آدم وامّكم حوّاء والهكم واحد إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللّٰهِ أَتْقَاكُمْ ، ولقد ادّعت قريش حين بعث الله عزّ وجلّ
نبيّنا محمّدا صلّعم ان يدخلوا الجنّة بالنسب دون الايمان فقالوا ان كان ما
يقول محمّد حقّا انه فَرْعٌ منّا ونحن اصله يكون عزّه عزّنا وفخره فخرنا
وشرفه شرفنا ندخل[a] الجنّة بانسابنا فلما نزلت هذه الآية عليه صلّعم فَلَا
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ قالوا بماذا تدخل الجنّة وفسّر الله
تعالى ذلك فقال فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَائِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَائِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ
الآية فحينئذ علموا ان الجنّة لا تدخل الّا بما قدّمناه ،
ويدلّ على ما قلناه قصّة اولاد آدم عليه السلام هابل وقابل ابوهما

a) Ms. ندخلوا.

آدم وامّهما حواء صار احدها الى النار والآخر الى الرحمة وقصّتهما معلومة في قوله تعالى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ آدَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللّٰهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ الى قوله تعالى فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ،

ويدلّ ايضا على هذا قصّة نوح عليه السلام مع ابنه وهي في قوله تعالى يَا بُنَيَّ ٱرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ ٱلْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَاءِ الى قوله وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فهلك فلم ينفعه نسبه وهو ابن [fº 8 vº] نبيّ الله ورسوله ،

ويدلّ ايضا على هذا قصّة موسى عليه السلام مع قارون وهو من قرابته وهي في قوله تعالى فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنْتَصِرِينَ ،

ويدلّ ايضا عليه قصّة ابراهيم الخليل عليه السلام مع ابيه آزر وهي في قوله تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وقوله ايضا وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً الى قوله تعالى قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا فهلك آزر وابنه خليل الله ولم تنفعه قرابته منه ،

ويدلّ ايضا على هذا قصّة ابي طالب عمّ النبيّ صلّعم روى سعيد ابن المسيّب عن ابيه قال لمّا حضرت ابا طالب الوفاة وعنده ابو جهل لعنه الله وعبيد الله بن ابي اميّة فدخل عليه رسول الله صلّعم فقال يا عمّ قل لا اله الّا الله كلمة احاجّ لك بها عند الله عزّ وجلّ قال ابو جهل وعبيد الله بن ابي اميّة اترغب عن ملّة عبد المطّلب فمكث ثمّ قال آخر كلّ شئ على ملّة عبد المطّلب فقال النبي عليه السلام لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت مَا كَانَ لِلنَّبِيّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، [وعن] ابي هريرة عن النبي صلّعم انه قال لعمّه ابي طالب قل لا اله الّا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرني بها قريش اقررتُ بها عينك فانزل الله تعالى إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ، [وعن] ابن عبّاس ان رسول الله صلّعم قال ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب وانه ينتعل بنعلين من نار يغلي منها دماغه ، [وعن] العبّاس بن عبد المطّلب قال قلت لرسول الله صلّعم [fº 9 rº] هل نفعتَ عمّك ابا طالب فانه قد كان يحوطك ويمنعك ويفعل ويفعل فقال رسول الله صلّعم هو في ضحضاح من النار ولو لا انا لكان في الدرك الاسفل من النار ،

ولو ان الجنّة تدخل بالنسب لدخلها من قدّمناه به جعلنا الله واياّكم من المهتدين الثابتين على دينه وعلى سنّه نبيّه عليه السلام واماتنا واياّكم على ملّته وحشرنا في زمرته انه سميع عليم ، تأمّل ما قدّمناه من الادلّة وقصص السلف يتبيّن لك خسران من رام دخول الجنّة بالنسب والرفعة

والعزّة به في الآخرة وانما الفائدة فيه تعريف القبائل بعضها ببعض لقوله تعالى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا وهذا ممّا لا خفاء فيه لذوي العقلاء جعلنا الله منهم بمنّه لا ربّ سواه ،

نسب الامام المعصوم المهدي المعلوم رضه

بنقل من يوثق بنقله من قرابته وغيرهم ، محمد بن عبد الله بن وكلّيد ابن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلعم ، هذا نسبه الصحيح ،

وامّا ما يروى في نسبه رضه انه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن رباح بن عطاء بن يسار بن العبّاس بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلعم فان قرابته واهل العناية بهذا الشأن لا يعرفونه والله اعلم بذلك ،

نسب الخليفة عبد المؤمن بن علي رضه

فهو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن حسن بن كنّونة بنت ادريس بن ادريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب بن عبد المطّلب رضه ،

ويذكر ايضا ان نسبه عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن علي بن حسن [fº 9 vº] بن نصر بن الامير ابي نصر بن مقاتل بن

كومي بن عون الله بن ورجايغ بن ينفر بن مَرَاو بن مطماط بن صطفور بن نفور بن رجيك بن يحي بن هزرج بن قيس بن عيلان ، والصحّة ان هذا النسب ينتهي الى مُقاتل بن كومي بن عون الله والاسماء من بعد عون الله الى قيس بن عيلان فيها اختلاف وتصحيف وتقديم وتأخير وانظرها في انساب مطماطة وصطفورة من كتابَيْ انساب البربر لمحمد بن يوسف الورّاق القروي وعبد الحقّ بن ابراهيم الصنهاجي ،

والخليفة رضَه من ولد سُلَيْم بن منصور بن قيس بن عيلان بن مُضَر جِذْم النبي صلّعم لا شكّ في ذلك نزل جدّ اجداده بساحل تلمسان فارًّا من بعض الفتن بالاندلس وجاور بعض مطماطة اخوة زناتة فنُسِب ولده اليهم بالجوار والحلف هذا ما لا شكّ فيه عند اهل العناية بهذا الشأن ، والنسب بين عوّن الله وبين سليم منقطع مجهول مع القطع بأن عون الله من ولد سليم كما يوجد انقطاع النسب بين عدنان وبين اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام مع القطع بان عدنان من ولد اسماعيل عمَ ، والخليفة رضَه قسيم المهدي رضَه في النسب الكريم وذلك ان بعض جدّاته تنتسب الى فاطمة بنت رسول الله صلّعم وبعض جدّاته تنتسب الى العبّاس عمّ النبي صلّعم وبهذا يدخل في قول النبي صلّعم كلّهم من قريش كما دخل عيسى بن مريم عمَ بأمّه في ذرّية ابراهيم عمَ وكما دخل المهدي رضَه في ذرّية النبي صلّعم بجدّته فاطمة الزهراء دون جدّه علي رضهما ،

ويُذكَر ايضا ان نسبه رضَه الى جدّته كَنُّونة ابو محمد عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن مَرَاو بن علي بن حسن بن كنّونة بنت ادريس ابن ادريس [fo 10 ro] بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن

علي بن ابي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن معدّ [ابن عدنان] بن أُدَد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب ابن نالت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن أزر بن ناحور بن ساروح بن راعو بن فَالِخ بن عيبر بن شَالِخ بن ارْفَخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس النبي صلّعم بن يود ابن مهليل بن قينن بن يانش بن شيت بن آدم صلّعم

نسب أمّ الخليفة الامام امير المؤمنين

ابي[a] محمد عبد المؤمن بن علي رضّه الى كنّونة ايضا ، تَعلُو بنت عطيّة ابن الخير بن خليفة بن موسى بن علي بن حسن بن كنّونة بنت ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أُدَد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن أَزر بن ناحور بن ساروخ بن راغو بن فَالِخ بن عيبو بن شَالِخ بن ارْفَخشد بن سام بن نوح بن

a) Ms. ابو.

لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس النبي صلعم بن يود بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلعم

اخوته رضه

اثنان يوسف ومحمد وثلاثتهم اشقاء ولهم اخت واحدة تسمى فندة من أمهم تعلو المذكورة وذلك انه توفي والد الخليفة رضه علي وتزوج امه تعلو المذكورة والد ابي محمد عبد السلام الكومي ثم اليزيدي فكان له منها هذه البنت المذكورة ،

قرابته رضه

بنو كنونة وفقهم الله لهم سبعة افخاذ اولهم بنو عبد المؤمن ثم بنو ابي يعقوب ثم بنو علوي ثم بنو حسن ثم بنو حسين ثم بنو عيسى ثم بنو موسى ، فأصل الخليفة رضه واخوته وقرابته بني[a] كنونة وفقهم الله من مضر جذم النبي صلعم اي أصل النبي الذي قال فيهم اذا اختلف الناس فالعدل في مضر او قال الحق في مضر ، ثم من قيس عيلان وهم فرسان الله يحارب بهم اعداه ، قال الشاعر [الطويل]

قريش وقيس مثل رجلي نعامة * اذا اثبتت احداهما تثبت الاخرى

وكذلك قال الآخر [الطويل]

a) Ms. بنو.

ولله فرسان هم في سمـائــه * ملائكة حتف على من يناضله
وفرسانه في الارض قيس وانهم * لصاعقة تلقى على من ينازلــه

ومنهم خالد بن سنان صاحب نار الحدثان الذي قال فيه النبي صلّعم ذلك نبيّ اضاعه قومه فهم اهل بيت للنبوءة فأحرى ان يكونوا اهل بيت للخلافة ، ثم من سُلَيْم وقد قال فيهم رسول الله صلّعم انا ابن العواتك من سُلَيْم وذلك للولادة التي لهم عليه ، فالخليفة رضّه في مُضَر يجتمع مع النبي صلّعم والمهدي رضّه من جهة ابيه وامّه كما تقدّم ، ويجتمع ايضا رضّه مع النبي صلّعم والمهدي رضّه من جهة ابيه وامّه في مرّة وذلك من جهة جدّته كنّونة كما تقدّم ، واياه عنى غازي[a] بن قيس رحمه الله حين قال [f° 11 r°] بكلام منظوم [الرجز]

يخلق فيهم رجل اغـــرّ * مجتمع الخلق عليــه بشر
عليه سيما كلّها بهـــاء * وسحنة يقطر منها المـــاء
من مرّة في النسب الكريم * ومن ذرى عيلان ذي الحلوم
يفتح ذاك الحالف المؤيّـــد * من نول حتى تلتقيه الأفـــد

وكذلك قال الآخر [الطويل]

هو المرتضى من قيس عيلان مفخر * ومن مرّة اهل الحلال الموطّـــد
خليفة مهديّ امـام وسيفـــه * ومن قاد[b] بالحلم وبالعلم مرّتـــد
اذا قسم الاموال يحثى بكفّـه * وليس يرى في قسمه بمعـــدّد

a) Ms. غاز.
b) Ms. قدا.

ويجتمع ايضا رضّه مع النبي صلّعم والمهدي رضّه من جهة ابيه وامّه في عدنان ومن جهة ابيه وأمّه من قِبَل جدّته كَنّونة في عدنان ايضا كما تقدّم ، وفيه يقول الراجز المتقدّم بكلام منظوم وهو ابن عبد ربّه [الرجز]

ويرجع الامر الى عدنانَ * لماجد قد خُصَّ من عيلانَ
ربّ الفتوح صاحب الملاحم * وقامع الاعراب والاعاجِمِ
مدوّخ الارض الى اقصاهَا * وفاتح الشأم وما والاهَــا
وعند ما يفضي اليه الامرُ * يقصده التأييد ثم الظفرُ
يكون مخصوصا بزين الحلمِ * مرفّعا اهل التقى والعلمِ
يفتح ارض الغرب داراً دارا * فلا يدع في عفرها جبّارَا
ويقتل البربر والمصامِدَا * وكلّ جبّار كفور عانِدَا

وقبيلته التي آخى[a] بينه وبينها الامام المهدي رضّه في زمانه هَرغَة ، وقد اتّفقت قصّة بعد موت الامام المهدي رضّه عند هرغة فيما بينهم فعملوا طعاما ولم يعرفوا الخليفة بان يعمل نصيبه معهم فبلغه الخبر فاستدعاهم فقال لهم باللسان الغربي « مَازْكَغْ وَرَانْغْ تَفِيسَمْ نَغْ يوشَكْ وَانْدِي كَرَانغِيدَونْ يَسَنَّلْكَمَن » وهجرهم ثلاثة ايّام ثم استاعاهم وامر بنصيبه معهم ونهاهم ان يعودوا لمثلها [fº 11 vº] ،

وقبيلته التي بينه وبينها السبب والجوار هم كومية فامّا السبب فالاسم الذي في النسب وقبله من مقاتل بن كُمْية .وهو الذي يقولون له كومية وبعده ابن عون الله كذا الى آخر النسب ، والجوار ايضا معلوم وذلك

a) Ms. واخا.

ان الامير وزُوَجه كنّونة هو النـازل بالكدية البيضاء في الزمـان الاوّل منهما[a] تفرّعوا ، وفي الخبر ويلٌ للمتونة من فحل يقوم من بني كنّونة ، وهم معروفون بالتعيين والعلم في زمانهم ، وقد كان والد الخليفة رضّه الذي هو عليّ قاضيا في زمانه وفي قومه ، واماّ اتّصال النسب فعن اشياخ بني كنّونة واعيانهم باجمعهم وذلك انهم وصلوا في بعض الاوقات للزيارة على العادة فقيّدتّه عنهم وليس عندهم في ذلك مخالف الّا بعضا من بني عَلْوي وهو الفخذ المذكور من بعض افخاذ بني كنّونة فكرهوا لقلّة معرفتهم وبُعد فهمهم ان ينتسبوا الى قبيلتهم وهم بنو كنّونة وانّما فعلوا ذلك لقربهم للخليفة رضّه ولم يشعروا ان غيرهم اقرب منهم وهم بنو ابي يعقوب ولهم مسائل ساذكرها ان شاء الله تعالى ،

ذكر نسب الشيخ ابي محمد عبد الله بن محُسن البشير

وبعض اخباره وما يتّصل بذلك

هو ابو محمد عبد الله بن محُسِن بن يكنيمّان بن الحسن بن الحسين بن عبد الملك بن كبّاب بن ريّس من اهل الجماعة العشرة وذكر قرابتُه انهم ينتسبون كذا الى قيس ،

قبيلته التى آخى[b] بينه وبينها الامام المهدي رضّه هَرْغَة وذلك على

a) Ms. منهم.
b) Ms. واخا.

وجه المحبّة والاكرام لقوله تعالى يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وكذلك كلّ من كان من الخاصّة من الطائفة وليس أصله من القبائل الستّة التي اثبت عليها الامرُ يأمرُ له الامام المهدي رضّه ان [fº 12 rº] يكون في قبيلته هَرْغَة وهم جملة أمر لهم وقد ذكرتهم في الكتــاب المسمّى بكتــاب الانساب في معرفة الاصحاب اصحاب الامام المهدي رضّه ،

فقده في البحيرة ، قال الشيخ ابو علي يونس كنّا مع عبد الله بن مُحْسِن البشير في غزوة البحيرة وهو المتقدّم على الجيش قدّمه عليه الامام المهدي رضّه من تينملّل شرّفها الله تعالى وذلك في آخر تمييزه وكان التميز اربعين يوما في آخرها كان الخروج الى غزوة البحيرة بظاهر مرّاكش وذلك في عام اربعة وعشرين وخمسمائة وكنّــا معه في اليوم الذي غاب فيه جلوساً عند باب البحيرة عند البرج وكان يعظ ويحذّر الى ان قال ما تفعلون وما تصنعون ان رُفِع صاحبكم من بينكم فلم يفهم البعض عنه وكان بالحضرة الشيخ ابو الربيع سليمان بن مخلوف الهوّاري من أهل الجماعة العشرة فقــال نصبر ونصبّر ونقول[a] حسبنـــا الله ونعم الوكيل ، وكان يسأل المرّة بعد المرّة عن ابي محمد يعيش بن تمـــارى الكدميوي من اهل خمسين الى ان قيل له استشهد وكان الناس في القتال مع الزَّرَاجِنَة فلما ان أُخبِر بموته قال بسم الله وقام والقى يده على عاتق الشيخ ابي علي يونس ويده على عاتق ابي زكريا يحيي الدرعي فبينما هم كذلك اذا بغبار طالع احمر قد اقبل اليهم فزاد ثم زاد حتى وصل اليهم فالتفتوا الى الشيخ فلم يجدوا له خبرا ولا اثرا ،

a) Ms. نصبروا ونصبّروا ونقولوا.

اهل دار الامام المهدي رضه

الشيخ ابو محمد عبد الواحد الشرقي ، والشيخ ابو محمد وسنار ، والشيخ ابو يوسف يعقوب آفغور الصودي ، والشيخ ابو زيد تولوا ، والشيخ ابو محمد عبد العزيز الغيغائي ، والشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن جامع ، والشيخ ابو علي يونس بن تادرارت ، والشيخ ابو زكريا يحيي ابن امّ وده صوم[a] التينملّي ، والشيخ ابو زكريا محمد الهرغي ، والشيخ ابو محمد عبد الكريم عرف بمنغ [fº 12 vº] فـاد ، والشيخ ابو ورزك الزناتي من بني ومانو ، والشيخ ابو موسى عيسى الخلاسي الصودي ، والشيخ ابو محمد واكتن الهرغي ، وابو عثمان سعيد الحيحائي ، والشيخ ابو الربيع سليمان بن ميمون ، والشيخ ابو محمد يصلاسن الهرغي ، والشيخ ابو موسى عيسى بن ومغار الهرغي ، والشيخ ابو محمد عبد العزيز بن ومغار الهرغي ، والشيخ ابو العبّاس احمد بن ومغار الهرغي ، والشيخ ابو الحسن علي بن موسى الهرغي ، فرغ من اسمائهم في هذه الرواية بحمد الله وحسن عونه ،

وممّن كان يعرف ويختصّ بخدمة المعصوم رضه من اصحابه رضهم ابو موسى عيسى الصودي والد زينب أمّ المؤمنين امرأة الشيخ ابي محمد البشير رحمه الله ، وابو محمد وسنار بن عبد الله وابو محمد عبد العزيز بن عبد الله الغيغائي ،

وكان له رضه من الاخوة ابو موسى عيسى وابو محمد عبد العزيز

a) Ms. : *sic.*

وابو العبّاس احمد الكفيف وامّ ابي بكر زينب رحمها الله ، وكان له عمّ اسمه وَابُورْكن بن وكلّيد وعمّة اسمها حوّاء بنت وكلّيد وابن عمّ اسمه [....... بن] وابوركن المذكور ، وكان اسم أمّه أمّ الحسين بنت وابوركن المَسَكّالي من بني يوسف منهم ، واسم ابيه عبد الله شُهِر في صغره الى كبره بتُومَرْت بن وكُلّيد وذلك انه لما وُلِد فرحت به أمّه وسرّت فقالت باللسان الغربي « آتُومَرْت اَينو ايسّك آيِيوِي » معناه يا فرحتي بك يا بنيّ فكانت تكثر من ذلك وكانت ايضا اذا سُئِلت عن ابنها وهو صغير تقول باللسان الغربي « يَكّ تُومَرْتْ » معنــاه صار فرحــا وسرورا فغلب عليه لذلك اسم تومرت وتُرِك دعاؤه باسم عبد الله الذي سُمّي به اوّلا عند تسميته ، وشُهِر ايضا بالشيخ على وجه التعظيم جــاء [f° 13 r°] يوما الى المهدي رضّه وهو في جماعة من اصحابه فلما قرب منه قال لاصحابه باللسان الغربي « الزّايْدْ آمَغَارْ اَنَّا » معناه جَوِّزوا ذلك الشيخ ، وخرج المهدي رضّه يومــا بعد الصبح وأثر الدموع في عينيه فقال لمن حضر باب داره من اصحابه رحمهم الله اتّصل بنا الخبر البارحة بان الشيخ قد توفّي رحمة الله عليه وكان هذا القول بتينملّل وكان القول الاوّل بآيكيليز ،

باب

ذكر اصحاب المهدي رضّه ببلاد مصر

عجل الله تعالى بدخول هذا الامر العزيز ايّاها ، قال ابو القاسم المؤمن المصري رحمه الله امّا رجاله واخوانه رضّه فهم احد وخمسون

رجلا من اهل الديار المذكورة غير ان الرجال الذين آخوه[a] في الله تعالى وعظّموه في سائر البلاد[b] المصرية وكانوا له مثل اعضائه وجسده سامعين لقوله مجيبين لامره مؤمنين به مختارين صحبته مؤثرين لحقّه معظّمين لحرمته لما تبيّن حالهم بذلك اختار لهم الاقامة هنالك ،

قال ابو القاسم المؤمن فوجب الآن ان نذكر اسمأهم ونعرف بمن آمن به منهم رضّه فنقول وبالله التوفيق عزّ وجلّ وبه نقتدر ان اوّل من آمن به بالديار المصرية محمد بن عبد الظاهر الاخميمي ، وعرفة بن جابر ، ويونس اللخمي ، وشادي بن ثابت ، وثابت القيسي ، وعمّار بن كثير ، ومطرّف ابن حسام المرشي ، وباشر بن نوير ، وعبد القادر الافـاويّ ، وبصير القليوبي[c] ، ومدين بن شعيب ، وتميم بن عوف الاسكندراني ، وعمران ابن معافي الافوي ، وظاهر بن محيي ، ونهبان بن شمس ، وعلي بن عبد العظيم ، وياسين بن واثلة ، وكامل بن سعْد ، وماجد بن مهلّب ، وشجاع ، وهمام ، وبدر من اولاد الجولي القناوي ، وجِبْرِيل العابدي ، ونجاج بن مقبل ، وزيان بن مهيبْ المرشي ، وذو النون بن مبارك ، وعلي بن نهان اللخمي ، وجابر ومنصور ابنا[d] جرير ، وعمارة بن ثابت اليماني ، ونجم ابن هلال ، وشرف الحجازي ، وعلي بن الطفّال ، [fº 13 vº] وهشام الاسناوي ، ورجاء بن رجاء الدمياطي ، وعبد العالم القهاري ، وسراج ابن نوبر البجلي ، وفخر بن يسار ، وعلي بن مكّي المصري ، وداوود

a) Ms. واخوه.

b) Ms. بلاد.

c) Ms. القليوني.

d) Ms. بن.

ابن عنان الدمشقي ، وادريس بن يوسف بن عيسى العاجي ، وقاسم بن الرقّام الزهري ، ومحمد بن ابي المثني الهروي ، وصالح بن مؤيد ، وواقد العنوي ، وخالص بن منجي ، فهؤلاء الذين بدروا اليه رضه من القبائل والعشائر وانقطعوا اليه بانفسهم ومالوا اليه واحبّوه بقلوبهم وآمنوا به وهم من اعيان بلادهم ، قال ابو القاسم وكان وليّه ومحبّه في الله تعالى الفقيه الحضرمي رحمه الله ، قال وخَدَم الامامَ المهدي رضه فَضْل بن رشاد وحسين بن جناح الحلبي وعبد الله بن فتح المكّي هؤلاء رجاله وخدّامه الذين هم بالديار المصرية والرباطات الشأمية ،

قال ابو بكر وانّما اتيت بهذه الجماعة الذين صحبوا المهدي رضه بتلك الديار وان كنتُ الفيتُ بعضها مصوّرا لابيّن كونه معروفا مشرقا ومغربا وانما حُرِم منه من سلب التوفيق والايمان وافضت به شقوته الى الخسارة والكفر ،

باب

اصحاب المهدي رضه

الذين قاتل[a] بهم وباخوتهم واصحابهم وقبائلهم جميع اهل الدنيا مشرقا ومغربا وعجما وعربا رضي الله عنهم رواية الشيخ المرحوم ابي سعيد يخلف بن الحسن نضّر الله وجهه على ترتيب مراتبهم وتسمية قبائلهم ،

فمن ذلك اهل الجماعة رضهم امير المؤمنين ابو محمد عبد المؤمن بن علي

a) Ms. قابل.

القيسي رضّه وكان الامام المهدي رضّه يسمّيه صاحب الوقت واختصّه بفرس اخضر ، وابو حفص عمر بن علي الصنهاجي رحمه الله ، وابو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي شُهر بابن البقّال وابن تاعظميت عند اهل اغمات وبسليمان آحَضَرِي عند الموحّدين اعزّهم الله وكان يكتب الرسائل [fº 14 rº] عن اذن الامام المهدي رضّه واستشهد يوم البحيرة رحمه الله ، وابو ابراهيم اسماعيل بن يسلّالي الهزرجي رحمه الله وكان يقضي بين الناس عن اذن الامام المهدي رضى الله عنه وارضاه ، وابو عمران موسى بن تَمَارَى الكَدْميوي رحمه الله وكان امين الجماعة واستشهد يوم البحيرة ، وابو يحيى ابو بكر بن يِكِّيت رحمه الله واستشهد يوم البحيرة ، وابو عبد الله محمّد بن سليمان رحمه الله من اهل آنْسَا وكان يؤمّ في الفريضة عن اذن الامام المهدي رضى الله عنه وارضاه واستشهد يوم البحيرة ، وعبد الله بن يعلى الزناتي من اهل تازا شُهر بابن مَلْوِيَة وكان منه ما اوجب قتله بعد المهدي رضّه ، وابو محمد عبد الله بن مُحْسِن الوَانْشرِيشِي رضّه شُهر بالبشير وفُقِد يوم البحيرة وقد ذكرت قصّته وفقده قبل ، وابو حفص عمر ابن يحيى الهنتاتي اختصّه الامام المهدي رضّه بالدرقة ودعا له بالبركة ، وابو موسى عيسى بن موسى الصّودي ، وابو محمد عبد العزيز الغيغائي ،

ومن ذلك اهل خمسين اكرمهم الله

من ذلك هرغة ، ابو سليمان ومصال بن ودرَغ ، وابو زكريا يحيى ابن يومور ، وابو محمد يعزّى بن مخلوف ، وابو زيد عبد الرحمن بن

داوود ، وابو مروان عبد الملك بن يحيي ، وابو زكريا يحيي الدرعي ، وابو زكريا يحيي الهزميري ، وابو عيسى الكزولي ،

ومن ذلك اهل تينملّل ، ابو عبد الرحمن سُوّاجّات الامام ، وابو عمران موسى بن سليمان الكفيف ، وابو الحسن يوكّوت بن واكّاك ، وابو يعقوب يوسف بن مخلوف ، وابو يعقوب يوسف بن سليمان ، وابو حفص عمر بن تفراكين ، وابو يحيي ابو بكر بن يزامـارن ، وابو عبد السلام يصلتن ، وابو زيد عبد الرحمن بن يومور ، وابو عبد الرحمن القاسم ابن محمّد ، وابو عبد الله محمد بن موسى ، وابو يعقوب يوسف بن الحسن ، وابو الحسن علي بن [fo 14 vo] ومصال بن نمّير ، وابو علي يونس بن تادرارت ، وابو موسى عمران بن موسى آزكّر ، وابو محمد عبد الله بن تيسّينت الخُلاسي ، وابو زكريا يحيي اللمطي أيمدن ، وابو محمد عبد الله اللمطي لم يعقب ، وابو محمد عبد العزيز عُرِف يزآطو ،

ومن ذلك هنتاتة ، ابو يعقوب يوسف بن وانودين ، وابو عبد الله محمد بن ويكّلدان ، [وبقي بعضهم من لم اقف[a] على اسمائهم[b]] ،

ومن ذلك كدميوة ، ابو محمد العيش بن تمارى ، وابو علي سحنون ابن تمارى ، وابو محمد عبد الكريم بن تمارى ، وابو محمد سعد الله والد ابراهيم ،

ومن ذلك كنفيسة ، ابو زيد عبد الرحمن بن زكّو ، وابو اسماعيل والد اسماعيل بن ابي اسماعيل ، وابو اسحاق ابراهيم بن سليمان ، وابو زيد عبد الرحمن عُرِف بآمازّر ،

a) Ms. نوقف.
b) Les mots entre crochets sont en marge du ms.

صِنهاجة[a] ، ابو محمد عبد الله الجَرَاوي ، وابو زكريا يحيي بن وَسْنار ، وابو الحسن علي بن نَاصِر ،

القبائل ، ابو ابراهيم اسحاق بن ابي زيد ،

ومن ذلك هسكورة ، ابو محمد عبد الله بن عبيد الله ، وابو عبد الله ابن ابي بكر بن توندوت ، وابو ابراهيم اسحاق بن يونس ، وابو محمد عبد الحقّ بن مُعَاد الزناتي ،

ومن ذلك المستدركون بعد التميز ، ابو سعيد يخلف بن الحسن آتيكّي ، وابو يحيي ابو بكر بن الجَبَرّ الصنهاجي ، وابو محمد عبد الله بن سليمان التينملّي ، وابو محمد عبد الله بن وانودين الهنتاتي ، وابو محمد عبد الحقّ بن وانودين الهنتاتي ، وابو الطاهر تميم بن وانودين الهنتاتي ، وابو عبد الله محمد بن ولعَبّدَان الهنتاتي المزالي ، وابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن وَاكّـاكّ التينملّي ، وابو محمد عبد الواحد بن وامكّر الهنتاتي ، واولاد الشيخ الشهيد ابو عمران موسى بن يرّكَان من جهة الامّ ، انتهوا رحمة الله عليهم ورضوانه بتواليهم ،

ذكر تميز الموحدين اعزهم الله تعالى على يد الامام المهدي رضه وشرح انسابهم وافخاذهم ومن آخاهم[b] وأضيف اليهم

وذلك بدرجاتهم على حسب تواليهم [f° 15 r°] قبلهم او بعدهم ،

فلما ان اراد الله تعالى بتعيين اهل خمسين كان الامام المهدي رضه

a) Ainsi vocalisé dans le ms.
b) Ms. واخاهم.

ينظر في الموحّدين ويلتقطهم منهم رجلا بعد رجل ، قال الله تعالى وَالَّذِينَ آمَنوا واتبعتهم ذرِيتهم بِإيمانٍ الحقنا بِهِم ذرِياتهم وما التناهم مِن عملِهم مِنْ شيءٍ كل امرِئٍ بِما كسب رَهِينٌ ، وقد استوفيت هذا في الكتاب المسمّى بكتاب الانساب في معرفة الاصحاب ،

وممّا اتّفق في وقت تميز الشيخ ابي محمد عبد الله بن محسن البشير للموحّدين اعزّهم الله وذلك ان الشيخ ابا محمد عبد الله بن عبيد الله الهسكوري ثم من بني سكّور منهم من اهل خمسين وهو من المبشرين كان راقدا حتى رأى في منامه ابليس لعنه الله فقال له باللسان الغربي « مَا تَظْفَارَتْ كِيكَسْ » يعني له الامام المهدي رضّه فقال له ابو محمد المذكور على البديهة في الحين « اَيِيكّ اَكْغتّ » فلما اصبح الله بالصباح حضر الموحّدون اعزّهم الله عند الشيخ ابي محمد البشير للتميز على العادة وفيهم ابو محمد عبد الله بن عبيد الله المذكور فعند ما وقعت عين ابي محمد البشير عليه قال له في الوقت باللسان الغربي « مَانَمْك آدَاسْ تنيطْ اَيِيكّ اَكْغتّ » واخبر الموحّدين بقصّته وما رأى في نومه ثم امربه الى اليمين رحمة الله ورضوانه عليهم اجمعين ، وهذا اكثر من ان يحصى في ذلك الوقت وقد جمع الشيخ ابو محمد عبد الله بن محسن البشير الموحّدين للميز ،

ثم بدأ بالتميز من اهل الجماعة ثم استدعى اهل خمسين فلما ان حضروا قال لهم يخصّ منكم رجل يحضر ويتمّ تميزكم فالتمسوه فلم يعرفوه فقال لهم هو بالوادي فهبطوا الى الوادي فوجدوا فيه الشيخ ابا عبد الله وقد غسل ثيابه وقد نشف حزامه وبقي كساؤه وهو ينتظره فلما ان يبس انصرف معهم فلما ان وصل [f° 15 v°] الى ابي محمد قال له ما الذي

ابطأ بك قد حبستهم فميّزهم عند وصوله ، فطلب حينئذ كنفيسة فلم يوجدوا وذكران شيخهم غائب في الوادي ينقّي ثوبه ،

ثم استدعى هرغة من بين القبائل لأنّهم هم السابقون وانهم انصار المهدي رضّه وميّزهم بافخاذهم وبطونهم بالتوالي والترتيب في الميز واضاف اليهم من آخاهم[a] حسبما سيفسر ان شاء الله تعالى ، ولهم من الافخاذ ما سياتي ذكره فمن ذلك كدانة آوكدان معا وهم في التميز والسهم وغيره مع بني حمزة ايت حمزا معا ، وبنو تاريكت ايت تاريكت معا وهم اولاد الشيخ ، آزكزالن زكزالة معا ، بنو مكزارن آومكزارن معا ، بنو وانّامر ايت وانّامر معا وهم في التميز والسهم مع بني ملّول ايت ملّول معا ، بنو الملّة ايت الملّت معا ، بنو واكّانط ايت واكّانط معا ، بنو تاشتولين ايت تاشتولين معا ، بنو يكميتيس ايت يكميتيس معا ، بنو مزاكّت ايت امزاكّت معا ، بنو تويداغ ايت تويداغ معا ، بنو يديكّل ايت يديكّل معا ، بنو يوسف ايت يوسف معا وهو قبيل مستبدّ بنفسه ،

المضافون اليهم في التميز ، بنو ونيطيف ، بنو وليميت آيدا وليميت معا ، بنو[b] وفينيس آيدا وفينيس معا ، اينداوزال اينداوزال معا ، بنو زدوت ايندا وزدوت معا ، بنو ونيصي ايت ونيصي معا ، بنو زكريا آيدا وزكري معا ، بنو تين صدّيق ايت تين صدّيق معا ، بنو عيسى ايت عيسى معا ،

وممّن اضاف اليهم قبل ذلك امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي رضّه آخى[c] بينه وبينهم الامام المهدي رضّه في زمانه وقد ذكر [fº 16 rº]

a) Ms. واخاهم. — b) Ms. بني. — c) Ms. واخا.

نسبه اوّلا ، وقد اتّفقت قصّة بعد موت الامام المهدي رضّه عند هرغة فيما بينهم فعملوا طعاما ولم يعرفوا الخليفة بان يعمل نصيبه معهم فبلغه الخبر فاستدعاهم فقال لهم باللسان الغربي « مَــا زُكَّغْ وَرَانَغْ تَفِيسَمْ نَغْ يُوشَكْ وَانُدِي كَرَانَغِيدَوْنْ يَسَنْلَكَمَنْ » وهجرهم ثلاثة ايّام ثمّ استدعاهم وامر بنصيبه معهم ونهاهم ان يعودوا لمثلها ، وقبيلته التي بينه وبينها السبب والجوار هم كُومِيَة فامّا السبب فالاسم الذي في النسب وقبله من مقاتِل بن كُمْية وهو الذي يقولون له كُومِيَة وبعده من عون الله كذا الى آخر النسب ، والجوار ايضا معلوم ،

والشيخ ابو محمد عبد الله بن مُحْسِن آخى[a] الامام المهدي رضّه بينه وبين هرغة وذلك على وجه المحبّة والاكرام لقوله تعالى يحبّون من هاجر اليهم وكذلك كلّ من كان من الخاصّة من الطائفة وليس اصله من القبائل الستّة التي انبنى عليها[b] الامر يامره له الامام المهدي رضّه ان يكون في قبيلته هرغة وهم جملة ساذكر بعض اسمائهم من اهل خمسين وغيرهم وقد شرحتهم في الكتاب المسمّى بكتاب الانساب في معرفة الاصحاب اصحاب الامــام المهدي رضّه ،

منهم الشيخ ابو زكريا من المبشرين آخى[a] هرغة ايضا وكان امره الامام المهدي رضّه ان يؤمّ بالموحدين في زمانه وكان ممّن يخدم ابا محمد البشير وحضر البحيرة معه وقد اصابه في ذلك اليوم سهم في عينه وهو يؤذّن ولم يقطع الاذان الى ان فرغ منه وهذا غاية الصبر والتجلّد نفعه الله بذلك

a) Ms. واخا.
b) Ms. عليه.

وكان يؤمّ في زمان الخليفة وفي زمان [fº 16 vº] امير المؤمنين ابي يعقوب ابن الخليفة وفقد بصره بعد ذلك وكانت اقامته بمرّاكش الى ان توفّي بها من مرضه ودُفِن بخارجها بباب المخزن رحمه الله ،

والشيخ ابو زكريا يحيى بن ابراهيم الهزميري اخى[a] هَرْغَة وكانت اقامته بمرّاكش الى ان توفّي بها من مرضه رحمه الله ودُفِن بخارجها بمقابر الشيوخ ،

والشيخ ابو عيسى الكَزولي آخى[a] هرغة على الوجه المذكور يذكر ان بعض الخلفاء امره ان يسكن جبل كسر بنظر تونس وكان مهجورا الى ان توفّي به من مرضه ودُفِن به رحمه الله ،

والشيخ ابو مروان عبد الملك بن يحيي قال فيه المعصوم رضّه باللسان الغربي « ابُو مَرْوَان دِيزَمْ يَلُولَانْ تَانبدُوتْ وَرِيوُكِيلْ آرَصَّاصْ » وكانت اقامته بايكيليز رباط هرغة متبعّدا به زاهدا الى ان توفّي به من مرضه رحمه الله ،

وملّول بن ابراهيم بن يحيي الصنهاجي آخى[a] المعصوم بينه وبين هرغة قال فيه المعصوم رضّه باللسان الغربي « مَلُّولْ أَنْ وَهْ لَغُو » وكان كاتبا مع سليمان آحَضْرِي عن اذن المعصوم رضّه وكان فصيحا بديها بالالسن يكتب بالسريانية والرموزيات وغير ذلك وينفذ في ذلك واعطيت له على ذلك سهوم[b] بهُنَاية عُرِفت باسمه وكانت اقامته بتينملّل شرّفها الله تعالى الى ان توفّي فيها من مرضه ودُفِن فيها رحمه الله وترك فيها ذرية تعرف به وكان

a) Ms. واخا.

b) Ms. سهوما.

ابنه ابو بكر في زمان المنصور امينا على الضياع وابنه الثاني يعقوب كاتبا عن اذن الخليفة رضّه ،

والشيخ ابو زكريا يحي بن ابي بكر الدرعي آخى[a] هرغة وتوفّي ولم يعقب رحمه الله تعالى ،

وكان من ذُكِر من الاشياخ مع هرغة في التميز والفضل والاعتناء وذلك ان الامام المهدي [fº 17 rº] رضّه لما ان دخل الغار معتكفا فيه بايكيليز برباط هرغة كان هؤلاء يبكّرون ويسيرون الى الغار ويسلّمون عليه رضّه فيقول لهم سائلا عن احوالهم ما حاجتكم فيقولون له جئنا نتبرّك بك وتدعو لنا فيبايعونه ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم كذلك غير مـا مرّة ، ويذكر ان الامام المهدي رضّه لما ان دخل الغار قال باللسان الغربي « يَرُوْلْ اَلْحَقّ آيْ اَلْبَاطَلْ اَرْدَاسْ يَكْشَمْ. اَيفَرِي آاَاغنَاَ اَنْ اَلْبَاطَلْ مَكْ فَلَّاسْ يَفَغْ اَلْحَقّ يوتْ آرْدْ آكَّ يَشِيغْ آدَانْ اَنَسْ اَيْتَزْوْرِيْنْ نَالْدُونِيتْ » يعني بالباطل الزراجنة وما كانوا عليه ، واقاموا بايكيليز اعني الاشياخ الى ان هاجر الامام رضّه الى تينملّل كرّمها الله تعالى فساروا معه فلما ان استوطنها واقام بها مدّة ميّزوا مع هرغة ،

وغيرهم افسّر اسماءهم وسياتي ذكرهم في كتاب الانساب ايضا ،

اهل تينملّل نصرهم الله ، لهم من الافخاذ احدى عشرة[b] حسبما يتفسّر[c] ، مَسَكَّالَةَ اومسكالن معا ، بنو وَرتانك اين ورتانك معا ، بنو

a) Ms. واخا.

b) Ms. احد عشر.

c) Ms. يتفسّروا.

الماس ايت الماس معا ، سكتانة اوسكتان معا ، بنو واوزكيت ايت واوازكيت معا ، بنو انسا ايت وانسا معا ، اهل تيفنوت ايت تفنوت معا ، اهل القبلة ايت القبلة معـــا ، اهل تادرارت ايت تدرارت معا ، صنهـــاجة ايصناكن معا ، اهل سوس ايت سوس معا ،

هنتاتة سدّدهم الله ، لهم من الافخاذ تسعة من ذلك بنو تلوة ريت ايت تلوريت [fº 17 vº] معـا ، بنو تاكُرتنت ايت تاكُرتنت معـا ، بنو تومسيدين ايت تومسيدين معا ، بنو لمزدور اين المزدور معا ، غيغاية ايغيغاين معا ، مزالة آين آمزال معا وهم حلفاء ، بنو واوازكيت ايت واوازكيت معا ، بنو ييغز ايت ييغز معا ، بنو تكلاوة تين ايت تكلاوة تين معا ،

كدميوة هدّأهم الله ، لهم من الافخـــاذ ستة واربعون ولكلّ فخذ من هذه الافخاذ مزوار ، فاوّل ذلك بنو لمزدك ايت يلمزدك معا ولهم مزواران[a] ، بنو مسيفو وهم السابقون في التميز ايت مسيفو معا ، بنو غرتيت آيند غرتيت معا وهم كدميوة الجبل ، ثمّ بنو فنزر ايت فنزر معا وهو قبيل مستبدّ بنفسه يلون بني يلمزدك ومعهم في السهم وغيره وهم كدميوة الفحص ، فليدينة ايفليدين معا ويقال لهم آيند اتّابكاو بنو ايتّابكاو معا لهم خمسة افخاذ بخمسة مزاور اوّلهم بنو ايتّابكاو آيند اتّابكاو معا وهم كدميوة الجبل ، بنو عثمان ايت عثمان معا وهم كدميوة الجبل ، ورتكينة آيند ورتكين معا وهم كدميوة الجبل ، بنو بورد ايت بورد معا وهم كدميوة الفحص ، صفّادة ايت صفّادت معا وهم كدميوة الجبل ولهم

a) Ms. مزوارين.

افخاذ لم اذكرها ، آينّد لالت ويقال لهم ايت تيزكين وهم كدميوة الفحص ، ومنهم كتفاوة آيكّدفاون معا وهم كدميوة الفحص ، منهم بنو مطات ايت مطات معا وهم كدميوة الفحص ، [fº 18 rº] بنو يتلال آينّدي التّلال معا وهم كدميوة الجبل ، دمية اين دميّت معا وهم كدميوة الفحص ، سواداغتي[a] الجبل اين اسواداغت معا ، سواداغت الفحص اين اسواداغت[b] معا ، آيّفليدين ان الصاير منهم دناسة آيّدناسن معا وهم كدميوة الجبل ومنهم صمصيمة ايصمصيمن معا وهم كدميوة الفحص ومنهم اهل الصاير ايت الصاير معا وهم كدميوة الفحص ، سمدة الجبل اونسمدت معا ، صودة الجبل وهم فخذان ، وتغاسة اووتغاسن معا ، بنو تطّيت [ايت تطّيت] معا ، ماغوسة آيّن ماغوس معا ولهم افخاذ كثيرة لم اذكرها وهم كدميوة الجبل وتربيعهم مع بني يلمزدك ،

المهاجرون لهم ثلاثة قبائل بمزوار واحد اوّلهم هيلانة ، دكّالة ، زناتة تيفسرت ودكّالة منهم مع بني صفّادة في التربيع ، صودة الفحص اوّلهم لصيفة آيّن تلصيفين معا ، بنو ومَاوَس[c] ايت وماوس معا ، بنو يكم ايت يكم معا ، بنو عيسى ايت عيسى معا ، ورصيفة آيّند ورصيف معا ، سمدة الفحص اوون سمدت معا ، فغرانة اوفغران معا ، بنو سمكات ايت سمكات معا ، بنو كانات ايت كانات معا ، بنو ايفكيت ايت يفكيت معا ، بنو نصر ايت نصر معا ، بنو عمر ايت عمر وهم بنو واغير ، بنو ابي خراص ايت بو اخراص معا ، بنو ورارني ايت ورارني معا ، بنو ويسيلن

a) Ms. *sic.*
b) Ms. اسواغت.
c) Ms. *sic.*

ايت ويسيلن معا وهم من فَرُوكَه ، كَمَاسَة ايت وكَمَاس معا وهم من فَرُوكَه ، رَكونة وهم اهل الفحص اوّلهم [f° 18 r°] مَدْيولَة آيمَديويلَن معا ، بنو سعيد ايت سعيد معا ، بنو ابراهيم وبنو فَتْح ايت ابراهيم ايت فتح معا ، مَجْزَة وبنو ميمون ابن مزّوت ايت ميمون معا ، مَكَلادَة آيْن مَكَلادت معا ، اهل تَاسْرَا ايت تَاسْرَا معا ،

كَنفيسة آكرمهم الله ، لهم من الافخاذ اثنان وعشرون فخذا اوّلهم زُدَّاغة آيْدا وَزُدَّاغ ، مَنْتَاكة اومَنْتَاكن معا ، اهل تُوكُوكَا ايت تَكُوكَا معا ، بنو مَصَاظُّواكَغ ايدا وَمَصاظُّواكَغ معا ، سكْسَاوة آيسكْسَاون معا ، مَدْلاوة ايمدْلاوَن معا ، هَسَّانَة آسَّانَن معا ، بنو واكّاس ايت واكّاس معا ، مَصْغالة آيْن مَصْغالَت معا ،

المهاجرون العبيد آيسَمَكَان معا ، كَزولة اوكَوزُولَن معا ، مَحْمُودة الجبل آيْدا وَمَحْمُود معا ، بنو يَزِيمَر ايت يزِيمَر معا آيْدا وَيْزِيمَر معا ، محمودة الظلّ آيْدا وَمَحْمُود معا ، مَديسيرة آيمديسيرن معا ، بنو وِين يَرَان ايت وِين يَرَان معا ، بنو واكّصكن ايت واكّصكن معا ، لَكُّونَة آيْدا ولَكُّون معا ، اهل السّن ايت يَسّن معا ، هَزكِيتة آيْزكِيتَن معا ، مَسَكّينَة اومَسَكّينَن معا ،

القبائل سلّمهم الله ، لهم من الافخاذ ثمانية من ذلك هَرْكَاكَه ايرْكَاكن معا ، وريكَة آيورِيكَن ، ابن مَاغُوس مَوغُوصَة[a] معا ، هُنَايَة اونَاين معا ، اهل نَفِيس ايت نَفِيس معا ، صادة آصَّادَن معا ، رَكْرَاكَة آيْرَكْرَاكَن معا ، هَزْرَجَة آيْلِيزْرَكَن [f° 19 r°] معا ،

a) Ms. *sic*.

كُومية وفّقهم الله ، لهم من الافخاذ خمسة وعشرون من ذلك بنو مَجْبَر ، بنو عـايِد ، بنو يزيد ، بنو وَارسُوس ، كُومَيَة القصبة ، فَنتَّرُوسَة ، تَزَارَة وهم فخذان بنو خَلَّاد وبنو عِمْرَان ، كَزْنَتَّايَة ، مَظْغَرَة ، زَغَارَة الساحل وبنو يَانْجَاسَن منهم ومنهم بنو ابي قَرَار ، مَدْيونة وهم الى فخذين تكيرة وتافَسْرَا ، بنو فَرْنك ، بنو يَلَّول ، مَسّيفَة وهم من بني يَلُّول ، بنو منَّان المِنْشار ، اهل القرية نَدْرُومَة ، وَلْهَاصَة الجبل ، وَالْهَاصة الوطاء ، بنو مسَّكْن العَرَب ،

هَنْكُورَة القبلة وفّقهم الله ، لهم من الافخاذ سبعة من ذلك اهل تُونْدُوت وهم بنو وَاوَارَت ايت وَاوَارت معا وتوندوت موضع ، زَمْرَاوَة آيْزَمْرَاوَن معا ، مُغْرَانَة ايْمغْرَان معا ، فَنْفيسَة ايفسْفِيسَنْ معا ، كَرْنَانَة ايْكَرْنَان معا ، بنو يلفتّن ايت يلفتّن معا ، وَنيلة ايْونيلَن معا ،

هَسْكُورَة الظّل وفّقهم الله ، لهم من الافخاذ احدى عشر من ذلك مَاصُوصَة ابن مَاصُوص معا ، لَسّيدة ابن لَسّيد معا ، مَيْمُونة ابن ميمونة معا ، بنو سَكّور ايت سَكّور معا ، سَايُوية ايْسَايُوِن معا ، غُجْدامة ايْغجْدامَن معا ، بنو مَصْطَاوْ ايت مَصْطَاوْ معا ، هَلْتَانة ابن وَلْتَان معا ، هَنْتِيفة ايْنتِيفت معا ، زَمْرَاوَة آيْزَمْرَاوَن معا ، صادة [fo 19 vo] آيْصَّاد معا ،

صَنْهَاجَة القبلة وفّقهم الله تعالى ، لهم من الافخاذ احدى واربعون على حسب درجاتهم في التميز من ذلك بنو صَطّط ايت صَطّط معا وهم السابقون في صنهاجة القبلة اوّلهم بنو وَرْسَانَ ايت وَرْسَانَ معا ، منهم مَكُونَة ايْمَكُونَن معا ، بنو محمّد ايت محمّد معا ، بنو احمد ايت احمد معا ، بنو كَلَا ايت كَلَا معا ، بنو تَكُطّا ايت تَكُطّا معا ، بنو وَاليل ايت وَاليل

معا ، بنو اينسكما اينسكما معا ، وهذا آخر بني صَطّـــــــط ،

هنجافة وهم اينكفو معا ، منهم بنو امّ عيسى ايت امّ عيسى معا ، بنو تمتر ايت تمتر معا ، بنو صالح ايت صالح معا ، ورتكينة ايت ورتكين معا ، وساكاتة ايساكاتن معا ، بنو تامّاسة ايت تامّاست معا ،

فشتالة ايفشتالن معا وهم من اينكفو ، منهم بنو مصل ايت مصل معا ، بنو واوصريكت ايت واوصريكت معا ، بنو عيسى ايت عيسى معا ، بنو عمر ايت عمر معا ، بنو ناصر ايت ناصر معا ، بنو موتّد ايت موتّد معا ، بنو احمد ايت احمد معا ، بنو زياد ايت زياد معا ، غنتيبّة ايغنتيبّان معا ، بنو وايتساون ايت وايتساون معا ، بنو آرمصطّين آرمصطّين معا ، اهل تاكراكرا ايت تاكراكرا معا ، وهذا آخر اين [fº 20 rº] كفو ،

اهل تيّارت ايت تيّارت معا ، منهم اهل تدغت ايت تدغت معا ، بنو سنّان ايت سنّان معا ، بنو يزدك ايت يزدك معا ، بنو واوصيلة ايت واوصيلت معا بنو امّ سليمن ايت امّ سليمان معا ، بنو توابة ايت توابت معا ، اهل كريت ايت كريت معا ، اهل فركرا ايت فركرا معا ، اهل غريس ايت غريس معا ، بنو ادراسن ايت يدراسن معا ، بنو توشنّت ايت توشنّت معا ، ملوانة ايملوان معا ، وهذا آخر اهل تيّارت ، ومن صنهاجة القبلة سولينة اين سولينت معا وهم من اهل دادس وهو قبيل مستبدّ بنفسه وكذلك مزّوككة اومزّوككا معا ايضا من صنهاجة القبلة وهم من اهل دادس وهو قبيل مستبدّ بنفسه ، وهذان القبيلان مضافان الى اين كفو لا يعتمد عليهم لا في الحضور ولا في الترتيب وكأنّهم رعيّة ، ولكل فخذ من هذه الافخاذ شيخ ،

صَنْهَاجة الظلّ وفّقهم الله ، ينقسمون الى قسمين بنو ابن كفو وبنو صَطّط ، فبنو ابن كفو ينقسمون الى خمسة اخماس وذلك بدرجاتهم على حسب تواليهم في التميز وهم السابقون في صنهاجة الظلّ اعني بني ابن كفو ، فمن ذلك بنو مَزْرَاوَة ايت مَزْرَاوت معا وهم خمس وينقسمون على اربعة افخاذ بنو وَاسْتَغ ايت وُاسْتَغ معا ، بنو يلّينا ايت يلّينا معا ، بنو عَمِير ايت عَمِير معا ، بنو وِيزَكّان ايت وِيزَكّان معا ، ثم بنو زدِيكّة وهم خمس ايت زَدّيكّت معا ، وفَشْتَالة ايفشتالن معا خمس ، وبنو يزيد خمس ايت يزيد معا ، وسَوالة خمس آسّالن معا ،

بنو صَطّط ينقسمون ايضا [f° 20 v°] الى خمسة اخماس وذلك بدرجاتهم على حسب تواليهم فى التميز ، من ذلك تَنَارة ايت تَنّار معا وهم خمس ، بنو وَنير ايت ونير معا وهم خمس ، هَرفَالَة ارفَالَن معا وهم خمس ، وبنو لَزْم ايت لَزْم معا خمس ، وبنو كَمَاز وجَرَاوة خمس ايت بوكَماز ايكوراَنَ معا ، وهذا التوالي والترتيب اذا أُمِر بالتميز ،

عامّة عبيد المخزن وفّقهم الله ، لهم من الافخاذ ثمانية بالرماة ، من ذلك القِدم ايقديمن معا ، بنو يَلَارَزْك ايت يلَارزْك معا ، لَمْطَة ايلمتين معا ، كَزُولة اوْكُوزولن معا ، اهل مرّاكش ايت مرّاكُش معا ، آوغزافن ، بنو وَارِكْلَن ايت واركلن معا ، الرماة منهم اعزّهم الله من جميع قبائلهم هذه المذكورة ، الطَبَّالة ايطبّالن معا ،

المحتسبون وفّقهم الله لهم من القبائل احدى[a] وعشرون لكلّ قبيلة

a) Ms. احد.

مزواران مزوار للقدم اعني الموحّدين الاصيليين ومزوار للمضاف منهم وهم المسمّون بالغزات عن اذن امير المؤمنين ابى يوسف المنصور الّا هرغة ليس لهم الّا مزوار واحد لانّ ليس فيهم مضاف[a] ، فمن ذلك هرغة ، كومية وغزاتهم مزواران ، اهل تينملّل وغزاتهم مزواران ، هنتاتة وغزاتهم مزواران ، كدميوة وغزاتهم مزواران ، كنفيسة وغزاتهم مزواران ، القبائل وغزاتهم مزواران ، هسكورة القبلة وغزاتهم مزواران ، صنهاجة القبلة وغزاتهم مزواران ، هسكورة الظلّ وغزاتهم مزواران ، صنهاجة الظلّ وغزاتهم مزواران ، [f° 21 r°] ومأخوذ من المحتسبين من جميع قبائلهم هذه الرماة اعزّهم الله ، وبعد المحتسبين رسم السكّاكين وفّقهم الله لهم من قبائل الموحّدين اعزّهم الله [واحد من] اهل تينملّل وواحد من هنتاتة مات ولم يترك ذرّية وواحد من كنفيسة مات ولم يترك ذرّية ، وبعد هؤلاء السكّاكين من القبائل[b] الجند وهم اهل آغمات وغيرهم من الحضر ،

وكذلك بعد السكّاكين المؤذّنون وفّقهم الله ، لهم من القبائل سبعة من ذلك هرغة ، كومية ، اهل تينملّل ، هنتاتة ، كدميوة ، كنفيسة ، القبائل ، وبعد هؤلاء جملة الحضر وتواليهم فى التمييز خلاف ذلك وانّما هم فى البروج والمواضع ، فاوّل ذلك اهل الرياض واليهم اهل برج دار الكرامة ، اهل برج اهل الدار ، اهل برج الطبّالة وهو الباب الكبير المتوسّط ، هؤلاء الاربعة هم اهل السفر مع الخليفة رضه ، اهل المنار الجديد ، اهل المنار القديم ، اهل منار جامع السقاية مسمّعو المدينة فى المواضع ،

a) Ms. مضافا.

b) Ms. هؤلاء القبائل من السكاكين.

وهؤلاء الاربعة ايضا هم المقيمون بالمدينة ، وقد اسقط امير المؤمنين ابو عبد الله رضّه عن المؤذّنين الذين يسافرون معه وغيّرهم السلاح وامر لهم ببيعه وان ينتفعوا به وامرلهم بالموازين للاوقات خاصّة ، وكذلك طلبة الموحّدين اعزّهم الله اسقط عنهم السلاح كذلك وانعم عليهم بالتحف من المخزن من الاعشار وغيرها من العطايا الجزيلة والكسوات فى كل عام حيث كانوا وكان ذلك دأبه وعادته معهم دون غيرهم من طلبة المصامدة وعُرِف ذلك فى امراء الموحّدين اعزّهم الله تعالى [fo 21 vo] ،

الغزات وفّقهم الله بتواليهم اذا أُمِر لهم ، لهم من القبائل احدى عشر من ذلك هرغة ، كومية ، اهل تينملل ، هنتاتة ، كدميوة ، كنفيسة ، القبائل ، هسكورة القبلة ، صنهاجة القبلة ، هسكورة الظلّ ، صنهاجة الظلّ ،

الحفّاظ وفّقهم الله ، لهم من القبائل ثلاثة عشر وذلك بتواليهم ، ومن ذلك حفّاظ اهل الدار اوّلهم هرغة وينقسمون الى ثلاثة اقسام آوكَدان قسم ، ايت وَغفكّمِي قسم معناه اهل باب الدار ، الغزات قسم ، اهل تينملّل ، هنتاتة ، كدميوة ، كنفيسة ، القبائل ، هسكورة القبلة ، صنهاجة القبلة ، صنهاجة الظلّ وليس فيهم كومية ولا هسكورة الظلّ ،

اهل الحزب منهم خمسون رجلا وتواليهم كما تقدّم ، الرماة منهم اعزّهم الله من جميع قبائلهم هذه المذكورة ،

***

انتهى ما اقتبس من كتاب الانساب والحمد لله ربّ العالمين كثيرا وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه البررة اعلام الرشد والتقى

وسلّم تسليما ، وكان الفراغ منه في يوم الاربعاء لثلاث[a] خلون من شهر ربيع الثاني عام اربعة عشر وسبعمائة على يد العبد المذنب الخاطي المجرم ابراهيم بن موسى بن محمد الهرغي ، سألتك بالله العظيم وبحقّ النبي الامين الذي توسّل به آدم عليه السلام الى ربّه فاجاب دعوته وقبل تضرّعه وغفر له خطيته ان تدعو[b] لكاتبه بغفران ذنوبه وجرائمه وان يحشره مع النبي المصطفى محمد عليه السلام [السريع]

ومـــا من كاتب الّا سيفنى * ويُبْقي الدهرُ ما كتبت يداه
ولا تكتب بكفّك غير شيء * يسرّك في القيامة ان تراه
فان خيرا عملت فكن شكورا * وان شرّا فقل ربّي قضاه

a) Ms. الثالث يوما.
b) Ms. تدع.

القسم الثالث

تأريخ الموحّدين لابي بكر بن علي الصنهاجي المكنى البيذق

[باب نذكر فيه]
[دخول سيّدنا المعصوم رضه تونس]

. . . . [fo 22 ro] وكان طلبتها ياتون الى الامام رضه يأخذون عنه العلم فلما كان بعد خمسة عشر يوما صلّى الظهر يوم الجمعة فلما صلّيت الفريضة صُلّي على الجنائز فنظر الامام الى جنازة من وراء الناس فقال لهم لِمَ لا تصلّون على هذه الجنازة قالوا له هو يهوديّ وكان يصلّي فقال لهم رضه أفيكم من يشهد له بالصلاة فقال الناس نعم من كلّ جانب ومكان فقال لهم قد شهدتم له بالايمان ثمّ امر من يقيم الصفوف[a] وصلّى عليه ونحن من ورائه فلما صلّى دعا بالفقهاء ووبّخهم وعرّفهم بالسنّة وبيّن لهم الكتاب العزيز فقالوا له بعد ان عرفوا الحقّ جهلنا يا فقيه فكانوا يأخذون عنه العلم ايّاما عديدة فلما كان بعض الايّام أمرنا بالاخذ على انفسنا وقال لنا نتوجّه ان شاء الله نحو الغرب فخرجنا من تونس ونحن أربعة

a) Une glose marginale donne la variante يقدّم من الصفوف.

نفر كما كنّا اوّل القدوم سيّدنا المعصوم رضَه ويوسف الدّكالي والحاجّ عبد الرحمن وعبدكم الفقير المؤلّف لهذا ابو بكر بن علي الصنهاجي المكنّى بالبيذق فلم نزل نجدّ السير حتى وصلنا قسنطينة ونحن في أمن من الله ما رأينا الّا الخير ،

باب نذكر فيه

دخول سيّدنا المعصوم رضَه قسنطينة

وذلك انه لما دخل سيدنا المعصوم قسنطينة نزل بها عند الفقيه عبد الرحمن الميلي ويحي بن القاسم وعبد العزيز بن محمد وكان أميرها ابن سَبُع ابن العزيز وكان قاضيها قاسم بن عبد الرحمن وكان الطلبة الذين [بها ياتون] [f° 22 v°] المعصوم يقرؤون عليه فلما كان في بعض الايّام سمع صوت مُنَادٍ وهو ينادي هذا جزاء الحلّال فقال المعصوم ما هذا النداء فقالوا له هذا حلّال ياخذ اموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم فقال ليس عليه سياطٌ انّما عليه القتل ولكن يجزيه ذلك الضرب فبينما هم كذلك اذ سمع منادياً ينادي هذا جزاء اهل السرقة فقال يا قوم تركتم الشرع انّما يجب عليه قطع اليد فقالوا له يا فقيه فما نصنع به فقال لهم انّما هذا الضرب يقوم له مقام قطع اليد بجهلكم لأنّه لا يجوز جمع[a] حدَّيْن في ذنب واحد ثمّ قال للسارق تُبْ فقال يا فقيه انا تائب لله تعالى بقلب صادق فتاب على يد الامام المعصوم رضَه وعلّمه من شروط التوبة وبيّنها له ثمّ قال لنا الامام المعصوم

a) Ms. جميع.

رضّه لتاخذوا على انفسكم غدا ان شاء الله فلما أصبح [خرجنا من قسنطينة فلم نزل نجدّ السير حتى[a]] دخلنا بجاية وبالله التوفيق ،

باب نذكر فيه

دخول سيّدنا المعصوم رضّه بجاية

وذلك ان المعصوم رضّه لما دخل بجاية نزل بها بمسجد الرّيحانة وكان ينهى الناس عن الاقراق الزرّاريّة وعمائم الجاهليّة ولباس الفتوحيّات للرجال ويقول لا تتزيّنوا بزيّ النساء لأنّه حرام وكان يبيح الطيب للرجال والنساء وكان الفقهاء يأتونه الذين منهم مُحرِز وابراهيم الزّبدويّ وابراهيم بن محمد الميلي ويوسف [fo 23 ro] بن الجزيري الجَراوي وعبد الرحمن بن الحاجّ الصنهاجي القاضي وذلك فى شهر رمضان المعظم فلما كان يوم الفطر اختلط الرجال والنساء فى الشريعة فلما رآهم الامام رضّه دخل فيهم بالعصا يمينا وشمالا حتى بدّدهم فلما رآه ابنُ للعزيز يفعل ذلك قال له يا فقيه لا تأمر السوقة بالمعروف وهم لا يعرفونه فانّي أخاف ان يأمروا فيك وتهلكهم لا يستوى حرّ كريم ، مع شيطان رجيم ، فسار[b] الامام رضّه الى ملّالة فلما رأوه بها قال له بنو العزيز يا فقيه نريد ان نبني[c] لك مسجداً هنا فقال لهم رضّه ان شئتم فبنوا له مسجداً بها وأقبل الطلبة يَصِلون اليه من كلّ

a) Le passage entre crochets manque dans le ms., où une ligne a dû être omise par le copiste.

b) Ms. فصار.

c) Ms. نبنو.

مكان ، فلما كان في بعض الايام دخل المدينة حتى وصل باب البحر فأهرق بها الخمر فقال المؤمن تمّار ، والكافر خمّار ، فرمى فيه اليد عبيد سُبَع وقالوا له من امرك بالحِسْبَة فقال الله ورسوله ثمّ رجع الى المسجد المذكور وهذا المسجد مبني عند دار يُرْزِيجَن بن عمر المكنّى [ابا محمد] الذي سمّاه المعصوم رضه عبد الواحد فكان الطلبة يقرؤون العلم عليه فاذا فرغوا جلس بين الطرق تحت خرّوب العجوز وهو ابداً ينظر للطرق ويحرك شفتيه بالذكر وذلك الموضع يعرُف بخرّوب العجوز فبينما هو ذات يوم قاعد اذ سمعناه يقول الحمد لله الذي انجز وعده ونصر عبده وانفذ أمره وأقبل نحو المسجد وركع ركعتين ثمّ قال الحمد لله على كلّ حال قد بلغ وقت النصر وما النصر الاّ من عند الله العزيز الحكيم يصلكم غدا طالبٌ طوبىً لمن عرفه وويلٌ لمن انكره فلما سمع الناس غدا يصلكم طالب حاروا فى امره ،

وذلك ان الحقّ تبارك وتعالى [fº 23 vº] ازعج امير المؤمنين الخليفة عبد المؤمن بن علي رضه من بلده نحو المشرق فجدّ حتى وصل بجاية هو وعمّه يعلُو وذلك انه لما خرج الخليفة امير المؤمنين مع عمّه رضهما جدّا حتى وصلا متّيجة فنزلا[a] بها عند الفقيه ابي زكريا واخيه صَنَع فأقاما بها ايّاما حتى انّ الله تعالى أرأى[b] منامةً للخليفة رضه وذلك انه رأى صحفةً من طعام على ركبتيه يأكل الناس منها كافّة فلما اصبح قال[c] لعمّه يا عمّ رأيت كذا وكذا فقال له اكتم هذه الرؤيا وارتحلا حتى وصلا بني زَلْدَوِي فرأى

a) Ms. فنزلوا.
b) Ms. ارا.
c) Ms. فقال.

المنامة بعينها الّا انّ الصحفة على رأسه والناس اجمع يأكلون منها فاعلم ايضا عمّه بها فلما اصبح اقبلا يجدّان السير حتى نزلا بجاية ونزلا بها في مسجد الريحانة فلما صلّيا الصبح سمعا[a] الناس يقولون سيروا بنا نحو الفقيه فقال لهم الخليفة امير المؤمنين رضّه ومن الفقيه قالوا له السوسي هو عالم المشرق والمغرب وما مثله انسان فقال لعمّه يا عمّ سِرْ بنا نحوه ان شاء الله ، ولما وصل الخليفة رضّه بجاية وجنّ عليه الليل قرأ حزبه وصلّى ورده في تلك الليلة ثم نام فرأى الرؤيا بعينها الّا انّ الناس يبايعونه فلما افاق اعلم عمّه بها فقال له اكتم هذا الامر فانّه رأت أمّك وهي بك حاملٌ كأنّ النار تخرج منها فتحرقُ المشرق والمغرب والقبلة والجوف فقال لها المُعبّر بتلمسان لا بدّ لهذه المرأة من مولود يكون امره يأخذ المشرق والمغرب والقبلة والجوف ولكن اكتم هذا الامر ولا تعرّف [fº 24 rº] به انسانا وكذلك قال لي أبوك عليّ ولقد رأيت في امرك موعظة كنّا نحصد الزرع وأمّك بك حامل فجأت للفدّان واضطجعت نائمةً فأقبل بندان من نحل فنزلا على أمّك فلما خُلقْتَ انت اتت أمّك الفدّان فلقطت السنبل وتركتك نائما فنزل ايضا عليك النحل اكثر ممّا كان نزل على امّك وانت في جوفها ثم قام النحل عنك وافترق فرقتين واحدة[b] للمشرق واخرى للمغرب فقال عليّ الله اكبر هذا هو الذي قال الفقيه بتلمسان فلما رجعنا من الفدّان قال لامّك[c] احفظيه[d] فانّه لا بدّ له من الامر الذي ذكر الفقيه المفسِّر ، فكانوا ينتظرون

a) Ms. سمع.
b) Ms. واحد.
c) Ms. لاختك.
d) Ms. احفظه.

منه حتى بلغ مبلغ الرجال ونشأ على الحفظ والقراءة ، وكان رضّه كثير الفهم يفهم الناسُ مسألة ويفهم هو عشرة ، فلما سمع رضّه مقالة عمّه قال له يا عمّ اخرُجْ[a] مع الناس ارى[b] هذا الفقيه السوسي واقول[c] له هذه المنامات وهذا الامر واسأله[d] فى أحوال الديانات والواجبات فانّي اسمع الناس يذكرون مغرّبات أقواله وصلاح دينه وكثرة علمه وفهمه للكتاب والسنّة فقال له سِرْ اليه واسرع لانّا على سفر ،

باب نذكر فيه

اتّصال الخليفة بالامام المهدي رضهما

اعلم يا اخي انه لما جدّ السير نحو الامام اجتمع مع الطلبة فى طريقه فاصطحب معهم حتى بلغ باب المسجد فرفع المعصوم رضّه رأسه فوافقه أمامه فقال له [fo 24 vo] ادخل يا شابّ فدخل فاراد ان يقعد في جملة الناس فقال له الامام المعصوم رضّه ادْنُ يا شابّ فلم يزل يدنو من الامام والمعصوم يقرّبه حتى دنا منه فقال له المعصوم ما اسمك يا فتى فقال عبد المؤمن فقال له المعصوم وأبوك عليّ فقال نعم فتعجّب الناس من ذلك فقال له يا شابّ من أين اقبالك قال له من نظر تلمسان من ساحل كوميّة

a) Ms. نخرج.
b) Ms. نرى.
c) Ms. نقول.
d) Ms. نسأله.

فقال له المعصوم من تَأجُرا أم لا فقال له نعم فزاد الناس تعجّبا فقال له المعصوم رضّه أين تريد يا فتى فقال يا سيّدي نحو المشرق التمس فيه العلم فقال له المعصوم رضّه العلم الذي تريد اقتباسَه بالمشرق قد وجدته بالمغرب فلما انصرف الناس من القراءة أراد الخليفة ان ينصرف فقال له المعصوم رضّه تبيت عندنا يا شابّ فقال له نعم يا فقيه فبات عندنا فلما جنّ الليل أخذ[a] الامام المعصوم بيد الخليفة رضّهما وسارا فلما كان نصف الليل ناداني المعصوم يا ابا بكر ادفع لي الكتاب الذي في الوعاء الاحمر فدفعته له وقال لي اسرج لنا سراجا فكان يقرأه على الخليفة من بعده وانا يومئذ ماسك السراج اسمعه يقول لا يقوم الامر الذي فيه حياة الدين الّا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحّدين فبكى الخليفة عند سماع هذا القول وقال يا فقيه ما كنتُ في شيء من هذا انّما انا رجل اريد[b] ما يطهّرني من ذنوبي فقال له المعصوم انّما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يديك ثم دفع له الكتاب وقال طوبى لأقوامٍ كنتَ انت مقدَّمهم [fº 25 rº] وويلٌ لقوم خالفوك اوّلهم وآخرهم اكثِرْ من ذكر الله يبارك الله لك في عمرك ويهديك ويعصمك ممّا تخاف وتحذر ثمّ قال لي المعصوم رضّه يا ابا بكر نادِ[c] الصبيان للورد يقومون ياخذون حزبهم فلما اقبلوا ناداهم فقال لهم انّما الله الهٌ واحدٌ والرسول حقٌّ والمهدي حقٌّ والخليفة حقٌّ فاقرؤوا حديث ابي داوود تعرفوا الامر وعليكم بالسمع والطاعة لربّكم والسلام

a) Ms. احد.
b) Ms. نريد.
c) Ms. نادي.

فاخذوا وردهم وقرؤوا حزبهم ، فلما اصبح اقبل يَعْلُو عمّ الخليفة امير المؤمنين رضّه وقال له يا عبد المؤمن حَبَسْتَنا حتى تقلع المراكب فقال له المعصوم رضّه العلم الذي يريد [اقتباسه] بالمشرق قد اتاه بالمغرب فاتْرُك الامر على مراد الله والامام ،

وكان يقرأ على الامام المعصوم رضّه وكان افهم الطلبة وكان اذا اراد النوم يقول له المعصوم رضّه كيف ينوم من تنتظره الدنيا فلم يزل على تلك الحال اشهرا ، فلما كان يوم من الايام اقبل رجلان يريدان المشرق اسم احدهما عبد الله بن عبد العزيز والآخر عبد الصمد بن عبد الحليم فقال لهما الامام رضّه من أين اقبلتما[a] [ايّها] الرجلان قالا من بلاد المغرب ولما وصلا بقيا باهِتَيْن فقال لهما الامام المعصوم رضّه ما لكما لا تتكلّما فقالا له نحن ما نفهم العربية بلسانهما[b] وقالا له يا فقيه وصلنا من دَرَن من تينملّل فسألهما في قولهما ودعا لهما وسارا فلما امسى المساء قال لنا عوّلوا على السير نحو المغرب ان شاء الله ولا حول ولا قوّة الّا بالله ،

باب نذكر فيه

الخروج من ملّالة [f° 25 v°] وسير المعصوم نحو المغرب

اعلم انه لما أراد الامام السير نحو المغرب دعا براحِل والدة يرزيجن بن عمر المكنى بعبد الواحد الشرقي وقال لها يا راحل تتركين[c] ابنك عبد

a) Ms. اقبال.
b) Ms. بلسانهم.
c) Ms. تترك.

الواحد يسير معنا فقالت له يا فقيه هو معك اذا اراد ان يسير يسير فقال لها يا أمّي اسير[a] معهم فقال لها المعصوم له في هذا خيرة فقالت له يسير حيث ما حملتَه فقال لها يا راحل اتركي لنا الدابّة تحمل الاسقاط فدفعت لنا فلوّة شهباء بيضاء البطن فلما وصلت قال لي المعصوم يا ابا بكر خذها فاخذتها فكنت اخدمها ، فخرجنا حتى وصلنا متّيجة فلما نزلنا بها قال لي[b] عبد المؤمن بن علي الخليفة امير المؤمنين[b] أتعرف دواء للمشق فقلت له يا مولاي والله ما اعرف[c] له دواء فلما اصبح سرنا فكان الخليفة يتأخّر وكان الامام المعصوم يقول له سِرْ يا عبد المؤمن فقلت للمعصوم انه ممشوق فقال المعصوم يا عبد الواحد ركّب اخاك وامش[d] فلما سمعه هاب فردّ المعصوم رأسه اليه وقال له اركب فركّبه فاطرق عبد الواحد برأسه الى الارض فقال له الامام يا عبد الواحد طيّب نفسك فلقد يجازيك عليها بالقصور المشيّدة والجواري[e] المزيّنة والخيول المسوّمة ، وكان مبيتنا في متّيجة عند جُبارة بن محمد واعطاه الامام خطّ يده وعند الفقيه ابي زكريا ثم خرجنا من عنده نحو الاخماس فلما دخلنا الاخماس [fº 26 rº] وجد فيه المعصوم مسجداً مهدوماً فامر ببنيانه فبُني ،

ثم منها نحو كَسّاس ان ومَرْمُور فوجد بها مسجداً معطّلاً فامر بعمارته فعمّر ، ثم منها نحو مليانة ، ثم منها نحو وانشريش فنزلنا بالحضرة

a) Ms. لسير.
b) Ms. عبد المؤمن امير المؤمنين بن علي الخليفة.
c) Ms. نعرف.
d) Ms. امشي.
e) Ms. الجوار.

فوجدنا بها عبد الله بن مُحْسِن الوانشريشي المكنى بالبشير ، ثم منها نحو تينملت متاع بني يَزْنَاسَن فامر المعصوم ببناء مسجد وهم بنو يَزْنَاتَن متاع تُونَس ، ثم قمنا منها وبتنا بشَلَف عند الفقيه ابي الربيع وكتب له الامام خطّ يده واكرمونا غاية الاكرام ، ثم منها نحو البطحاء ولما اشرفنا على البطحاء قطع بنا انسانٌ يقال له يوسف بن عبد العزيز وقال سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته سألتكم بالله العظيم الّا ما سرتم معي فانّ قلبي طاب عليكم فقال المعصوم سيروا معه لا تفسدوا عليه خاطره فلما نزلنا عنده قال سألتكم بالله العظيم لا تفسدوا علينا سيرتنا ادفعوا لنا من يختار ضيافتكم من الغنم فقال المعصوم لعبد المؤمن سِرْ معه وقال لي مُرّ انت معه فسرت معه حتى وصلنا الغنم فاختار كبشا عسليّاً أقرن فلما كان من الغد قال بسم الله العظيم اختاروا كبشكم فقال الامام المعصوم سيروا معه فاتينا نحو الغنم فأخذنا كبشا أكحل العينين والرجلين فاتيته به فذبح فلما كان اليوم الثالث سِرْتُ معه واخترت كبشا عسليّاً مثل الاوّل وقال الامام المعصوم فى اليوم الثالث هل رأيتم أكرم من هذا [fº 26 vº] الرجل يا شيخ ما اسمك وما اسم أبيك فاعلمه فكتب له المعصوم خطّ يده وقال اعطِني جلدا فدفع له جلدا من مزود فأخذه المعصوم وجعل له منه حرزا وقال له يا شيخ امسك هذا عندك فان متّ يكن عند بنيك فانّه خيرٌ لك ولعقبك حتى يصل الى هذا الموضع ملكٌ وعسكرٌ فادفع البراءة من يديك ليد الملك ولا تعطِها احدا غيره فقال له نعم ، فارتحلنا فلم نزل نجدّ السير حتى وصلنا تلمسان بالعافية ،

باب نذكر فيه

دخول المعصوم تلمسان

اعلم يا اخي انه لما دخلنا تلمسان نزلنا باكَادِير عند ابن صاحب الصلاة ولما دخل المعصوم تلمسان وجد بها عروساً تزفّ لبعلها وهي راكبة على سرج واللهو والمنكر أمامها فكسر الدفوف واللهو وغيّر المنكر وأنزلها عن السرج ، فالتزم الطلبة المذاكرة للامام المهدي الذين منهم ابو العبّاس الشريف ومُحرِز بن يوسف التونسي وعلي بن صاحب الصلاة وابن جبل وعثمان بن صاحب الصلاة ويحي بن يافِطين الكزولي وعبد الرحمن الوَرْتَنَدِي وعلي بن سليمان الكومي وعبد الرحيم ومحمد بن عبد الرحمن المديوني فرأوا ما لا يطيقون ، فلما كان يوم من الايّام طلع المعصوم بين الصخرتين ونظر يمينا ويسارا فقال ما اسم هذه[a] المياه وما اسم هذا الوطاء وما اسم هذا الموضع فعرّفوه ان اسمه كذا وكذا فقال لهم [f° 27 r°] بين أظهركم هنا طالبٌ ينزل بمحلّته هناك في المياه ويُسمَع ضجيجها من هذا الموضع ثمّ رجع الى المدينة وقال نسيرغدا ان شاء الله على بركة رسول الله

باب نذكر فيه

ارتحال المعصوم من تلمسان

اعلم ان المعصوم لما خرج من تلمسان جدّ بنا السير حتى نزلنا وجْدَات وكان بها ابن سامِغين وقاضيها محمد بن فارة فنزلنا عندها[b] فأقبل

a) Ms. هذا.

b) Ms. بها.

الفقهاء يهرعون نحو الامام المعصوم الذين منهم زيدان ويحي اليّرناني ويوسف بن سمغون وعبد العزيز بن يخلفتن السوسي فكان المعصوم يأمرهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فلما خرج فى اليوم الثاني نظر الى النساء يستقين[a] والرجال يتوضّؤون فقال أليس هذا منكرٌ النساء مع الرجال مخلوطين اصنعوا لنا ساقية وصهريجا عند الجامع ففُعِل ذلك فلما فُعِل امرنا المعصوم بالسير فجدّ بنا السير حتى وصل صَاء ،

فلما دخل صاء نظر النساء مزيّنات محلّيات يبعن اللبن فغطا[b] المعصوم وجهه حتى جازهنّ وكان الفقيه يحي بن يصليتَن [حاضرا] فقال له الامام كيف تترك النساء محلّيات مزينّات كأنّهنّ قد زُففن لبعولتهنّ أما تتقون الله فى تغيير المنكر لا سبيل لهم لما يصنعون فانّما يصنعون أفعال الجاهليّة الاولى وانّما يخالفون الله فى أفعالهم هلّا اعتبروا بقوله تعالى وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا الآية ، [fº 27 vº]

فغيّر المنكر وأمر بالمعروف وسار[c] نحو آكُرْسِيف وكان بها يومئذ عمر ابن تاكُرْطاست والحاجّ التكروري فنزل بها المعصوم عند حَلّي وأخيه الحسن ابنَيْ[d] أبي تجارة وغيرهما[e] ومحمد بن تاسكورت ودحمان بن مَنِينَة وعلي بن محمد الزناتي ويوسف المواسي فأمرهم المعصوم بالمعروف ونهاهم

a) Ms. يستقون.
b) Ms. فعطا.
c) Ms. وصار.
d) Ms. ابنا.
e) Ms. وغيرهم.

عن المنكر فسمع يوما من الايّام ان رجلا[a] صُلِب حيًّا فخرج اليهم وبدّد شملهم وقال لأيّ معنى يُصْلَب الاحياء انّما الصلب للاموات ان كان وجب عليه الموت فاقتلوه وبعد ذلك اصلبوه فلما رأى السوقةُ انه يامر المعروف وينهى عن المنكر اقبلوا نحو الامام المعصوم وقالوا له يا فقيه اجعلنا بينك وبين النار حجابا فقال لهم المعصوم فيماذا قالوا له قُبِلَتْ نعامةٌ للوزير فهو يغرّمنا فيها ألف مثقال فقال لهم نعم ثمّ ان المعصوم سار[b] عند يحيى بن فانّو فأعلمه بذلك فقال له والله يا فقيه ما عرفتُ ذلك فأمر الوزيرَ ان يغرم ما أخذ من الناس من المظالم وأراد قتله فقال له المعصوم ما عليه قتلٌ انّما عليه الادب فأمره وردّ المظلمة ونادى المنادي يأمر يحيى بن فانّو مَنْ ظلمه الوزيرُ فليصل يُنْصَفْ وحسيب من تقلّد الله فلما وصل المنادي طرف المدينة نادى ان لا سبيل لمن يغرم فى النعامة شيئا الى الابدين ،

وأمر بالمعروف فيهم ونهى عن المنكر وقال من غد خذوا على انفسكم نسير ان شاء الله فلما. ساروا جدّوا حتى اشرفوا على آمليل فقال المعصوم ما اسم هذا الموضع قالوا له آمليل فردّ المعصوم يده للخليفة عبد المؤمن امير المؤمنين وقال له [fo 28 ro] اعقل على هذا الموضع لا بدّ لك ان تركز عليه ان شاء الله ،

ثم جددنا[c] السير حتى وصلنا بدشر قُلّال فنزلنا فيه بالمسجد فسمع المعصوم بالدشر اللهوَ وصراخ الرجال والنساء فقال قوموا غيّروا هذا

a) Ms. رحلا.
b) Ms. صار.
c) Ms. جدنا.

المنكر وأمروهم بالمعروف واشار المعصوم بيده للحاجّ الدكّالي وعبدكم الفقير لله ولكم فقمنا حتى وصلنا اليهم فقلنا لهم قد حُرِّم اللهو والمنكر لأنّه من أفعال الجاهليّة وما كفى ان الرجال والنساء معاً لا فرق بينهم فقالوا هكذا السيرة عندنا فأمرناهم بالمعروف فلم يسمعوا ونهيناهم عن المنكر فلم ينتهوا فاعلمنا المعصوم بذلك وقلنا لهم يامركم الفقيه بالمعروف فقالوا معروفنا عندنا ومعروفكم عندكم سيرا[a] والّا نمثّل[b] بكما وبفقيهكما[c] فاعلمنا المعصوم بما قالوه فقال المعصوم يا ابا بكر جهِّز الدابّة وألْقِ عليها الكتب وسيروا عنهم لئلّا يصيبهم بلاء فيصيبنا معهم فمشينا حتى وصلنا من ليلتنا مخاض النساء فلما وصلنا الفجّ ردّ المعصوم رأسه للخليفة وقال له اعقل على هذا الموضع اذا كان رجوعك عليه وسارّه بكلام فاقمنا فيه حتى طلع الفجر وصلّينا الصبح ومشينا للمُقَرمَدَة فنزل المعصوم بها عند عبد الله الفقيه ومنها نحو عين الرُقَى عند ابن مَضْكود وكان الطلبة يهرعون اليه من كلّ جانب ومكان ثم خرجنا نحو فاس في امن ودعة وبركة من الله ،

باب [fº 28 vº] نذكر فيه

دخول المعصوم فاساً[b] ونزوله بها

اعلم اسعدك الله سعادة المقرّبين انه لما دخل المعصوم فاسا[d] نزل بها بمسجد ابن الغنّام ثم رحلنا منه لمسجد ابن الملجوم ثم منه لمسجد يُعرف

a) Ms. سيروا.

b) Ms. نمثّلوا.

c) Ms. بكم وبفقيهكم.

d) Ms. فاس.

بطريانة لانه كان فى الصومعة بيتٌ وكان المعصوم يعمره ويقرئ فيه العلم وكانت طلبة فاس يهرعون اليه من كلّ مكان ويتصايح بعضهم لبعض ويقولون تعالوا بنا للفقيه السوسي الذين منهم علي بن الملجوم وأخوه أحمد وابن أبي داوود وأحمد بن دبّوس وعبد الرحمن بن الشَكّة وأحمد بن بَيْضة وابن أحمد وعبد الرحمن الشريف وابن مسّولة وابن بَرْكوقة[a] وعبد الرحمن ابن زكّور وابن الغَرْديس ويوسف ابن المغيلي واحمد بن يعبد رأسه هؤلاء الذين كانوا ملازمين الامام المعصوم ياخذون عنه العلم ويذاكرونه فيما عندهم من المحفوظ فكان المعصوم يفحمهم ويفهمهم ، وكان المعصوم يمشي ويلقى الصغار اذا خرج ويرونه[b] ويتعلّقون به فكان يُمِرّ يده المباركة على رؤوسهم ويقول لهم اسعدكم الله أيَّ زمان تدركون يا بُنَيَّ ،

فلما كان يوم من الايّام دخل علينا المعصوم وقال لنا أين الصبيان فقلنا ها نحن حاضرون قال ما منكم احد غائب قلنا كلّنا حاضر فقال المعصوم اخرجوا واقطعوا مقارع من شجر التين الذي اسفل الوادي الذي لا ينتفع به واقبلوا في سرعة وكنّا في سبع نفر [f° 29 r°] اوّلنا الخليفة عبد المؤمن بن علي وعبد الواحد والحاجّ عبد الرحمن والحاجّ يوسف الدكّالي والعبد الفقير ابو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق وعمر بن علي وعبد الحقّ بن عبد الله وكانوا يقرؤون على المعصوم فخرجنا السبعة واقبلنا بسبعة مقارع من ذكّار [التين] فقال لنا خَفّوا مقارعكم وسرنا معه ولا علمنا أين يتوجّه حتى وصلنا زقاق بزقالة قال لنا تفرّقوا

a) Ms. *sic.*
b) Ms. يروه.

على الحوانيت وكانت الحوانيت مملوءة دفوفاً وقراقرَ ومزاميرَ وعيداناً وروطاً واربية وكَيْتَارات وجميع اللهو فقال لنا المعصوم اكسروا ما وجدتم من اللهو فقام اربابها بالصراخ وساروا شاكين نحو قاضيهم ابن معيشة وكان يومئذ قاضيها فقال لهم لو لا ما رأى في السنّة فما كسّرها ومزّقها مرّوا فانكم مخالفون للحقّ ، وكان ينالو يومئذ سلطان الغرب وكان يسكن بني تاودا فخرج في ذلك الوقت ينالو لغمارة وكان فيهم اقوام مخالفون عليه فخرج اليهم ينالو وقتل منهم ثلاثة اشياخ يكْتّاس وحيّان وسحنون ثم قتل لُجَاية وساق رؤوسهم وعلّقها في باب السلسلة واتى بغنائمهم وكان مظفر بحكم فاس والجياني يومئذ مُشْرِفهم بعد ما كان مقدّما على الجبّارين وكان الجياني له حظّ عظيم حتى لم يكن في زمن الحشم احظّ منه ليقضي الله امراً كان مفعولاً ، فعند خروج الجيّاني للقصر خرج المعصوم من فاس متوجّها لبلاد السوس وغدا نحو مكناسة والله الموفّق للصواب

باب نذكر فيه [fº 29 vº]

دخول المعصوم مكناسة

اعلم ان الله تعالى لما امر بخروج المعصوم من فاس نزلنا بمغيلة عند يوسف بن محمد وعبد الرحمن بن جعفر ثم منها نحو مكناسة فلما اشرفنا على الكدية البيضاء نظر المعصوم الكدية فاذا بها مملوءة رجالاً ونساءً تحت شجرة لوز فدخل المعصوم فيهم ميمنة وميسرة وبددناهم يميناً وشمالاً ثم سار[a] الى السوق القديم ونزلنا به بمسجد أبي تميم عند الحسن بن عَشَرة

a) Ms. صار.

وكان طلبة مكناسة ياتونه الذين منهم ابو بكر بن حَرَّزُوز وأخوه أحمد وأحمد بن الزرهوني وأخوه علّي وبكّار بن اسماعيل وعبد الرحمن بن مجاهد وعبد الرحمن بن عريوش ومروان والحاجّ منصور والحاجّ حمّو ويحيي بن كَنداف ومحمد بن زَغْبوش فكانوا ياخذون عنه العلم ويذاكرونه فيما عندهم من العلم والفهم فكان المعصوم يبين لهم ما جهلوه ويذكر لهم ما لم يذكروه ، أقام بها المعصوم ايّاما ثم ارتحل منها في ساعة سعد وسلامة

باب نذكر فيه

خروج المعصوم من مكناسة

اعلم انه لما خرج سيّدنا المعصوم من مكناسة جدّ بنا السير [fº 30 rº] حتى وصلنا خميس فنزارة فنزلنا عند عبد السلام بن عَيْشوش وولْكوط بن ميمون ثم منها نحو سلا في ساعة سعد وكرامة

باب نذكر فيه

دخول المعصوم سلا

اعلم انه لما دخل المعصوم سلا نزل بها عند الفقيه احمد بن عشرة وكان ياتيه الشُبلّير ومحمد بن الخير الوقّاصي والسلطان بن قَيْلو والقاضي حسّون بن عشرة فكانوا ياخذون عنه العلم ويأمرهم أن يأمروا الناس بالمعروف وينهوهم عن المنكر واقام بها ايّاماً عديدة ثم امرنا بالرحيل نحو مرّاكش فخرجنا على بركة الله تعالى ،

باب نذكر فيه

خروج المعصوم من سلا

اعلم أسعدنا الله واياك انه لما خرج سيّدنا المعصوم من سلا جدّ بنا السير حتى وصلنا تابرندوست فلما نزلنا فيها تلك الليلة[a] سُرقت لنا الدابّة التي كانت تحمل لنا الاسقاط وذُكِر انه سرقها عبيدُ يقال لهم اولاد تبرزُوفت ، ثم جدّ بنا حتى وصلنا وادي أمّ ربيع وما كنّا نعرف أنّ الامام يتكلّم باللسان الغربي فاردنا الجواز فنعونا حتى نعطي[b] المكس وهو المكرى وقالوا لنا تعطوا على كلّ رأس كذا وكذا فلما سمعهم المعصوم قال لهم « آومورن ملّولنين ان سُوس آداون ناك » وصاح عليهم ثم جزنا [fo 30 vo] وكان في بعض ما قال لهم انمّا السبيل للمسلمين واتم تقطعونها وهذا غير جائز في الشرع ، ثم جدّ بنا السير حتى وصلنا مرّاكش بتوفيق المهيمن الصمد الذي لم يتّخذ صاحبة ولا ولدا ،

باب نذكر فيه

دخول المعصوم مرّاكش

وذلك أنه لما دخل مرّاكش نزل بها بمسجد صومعة الطوب فمكثنا بها الى يوم الجمعة ثم اقبل الى جامع علي بن يوسف فوجد علي بن يوسف قاعدا على غفارة ابن تيزمت والوزراء واقفون فقال[c] له الوزراء ودّ الخلافة

a) Ces deux mots dans le ms. sont placés entre الدابّة et التي.
b) Ms. نعطوا.
c) Ms. فقالوا.

على الامير فقال لهم وأين الامير انّما ارى جواري منقّبات فلما سمع ذلك علي بن يوسف حطّ النقاب عن وجهه وقال لهم صَدَق فلما رآه المعصوم قال له الخلافة لله وليست لك يا علي بن يوسف ثم قال له المعصوم يا علي قم عن هذه المُغيَّرة تكون امام عدل ولا تقعد على هذه الغفارة المغيّرة فأزالها واعطاها لمولاها وقال له [ما] تغيّرها قال له لانها تُعقَد بالنجاسة ثم خرج المعصوم الى باب المسجد وقعد حتى خرج الناس من المسجد ودخل مع الفقهاء بالمذاكرة حتى قهرهم القهر الكلّي ،

ثم خرج منها لمسجد عَرَفة فمكث فيها ايّاما عديدة وذلك ان علي بن يوسف بعث الى العلماء حتى وصلوا من كلّ جانب ومكان فذاكرهم المعصوم فالجمهم فقال الفقيه ابن وُهَيب لعلي بن يوسف ثِقّفه يا امير المسلمين[a] لانّ هذا هو صاحب الدرهم [fo 31 ro] المركّن اجعل عليه كبلا ، كي لا تسمع له طبلا ، لهذه صفة صاحب الدرهم المركّن فامر علي بن يوسف لأبي بكر بن تيزَمت ان يحمله الى السجن فلم يرد الله تعالى فقام يينتّان بن عمر[b] وسِير بن وريبل وقالا[c] له يا امير المسلمين ماذا يقال عنك في البلاد تسجن رجلا يعرف الله وهو أعرَف اهل الارض بالله تعالى فغضب علي بن يوسف وخرج عنهم فقام يينتان بن عمر وحمله الى داره وقال له يا فقيه سر بنا الى الدار انت واصحابك فلما وصلنا معه الى الدار تَرَكْنا بها وسار[d] لعلي بن يوسف وقال له يا امير المسلمين كيف تكون امير المسلمين وتظلم

a) Ms. المؤمنين.

b) Ms. عمر بن يينتان; de même plus loin.

c) Ms. وقالوا.

d) Ms. وصار.

رجلا من علماء المسلمين فقال له يا عمر قال لي الفقهاء[a] ان خراب دولتنا على يديه فقال له يا امير ان كان خراب دولتنا على يديه فقد خربت قبل رؤيتنا اياه فقال له علي بن يوسف فما نصنع به فقال له يا امير المسلمين[b] اتركه في بساطك يعلمنا العلم واتركه يسير في بلادك فقال له علي ابن يوسف مُرْه [ان] يخرج من بلادنا ،

فوصل يينتان بن عمر للامام المعصوم وقال له يا فقيه يامرك علي بن يوسف ان تخرج من بلاده فقال له المعصوم نعم انّا نخرج من بلاده ، فحينئذ امرنا المعصوم ان نسير[c] الى جبّانة ابن حيّدوس فالتزم بها القراءة ايّاما عديدة حتى سمع علي بن يوسف خبره فارسل اليه وقال له الرسول ألم ينهك الملك عن بلاده فقال له المعصوم لستُ[d] له انا في بلد وانّما انا مع الموتى فرجع الرسول لعلي بن يوسف وقال له امرتُه فلم يمتثل وقال لست له في بلد وانّما انا مع الموتى فقال علي بن يوسف سيروا بنا اليه فساروا[e] حتى وصلوا اليه وقال له علي بن يوسف ألم انهك عن بلادي فقال له ما انا لك في بلد انّما انا مع الموتى فسار عنه وتركه فوصل اليه يينتان بن عمر فقال له يا فقيه سِرْ حيث شئت [fº 31 vº] وامرك الله ولا تجعلنا نهلك على يديك فاقبل الامام علينا وقال لنا عوّلوا على السير غدا ان شاء الله ،

a) Ms. الفقهاء قالوا لي.
b) Ms. المؤمنين.
c) Ms. نسيروا.
d) Ms. ليس.
e) Ms. فصاروا.

باب نذكر فيه

خروج الامام المعصوم من مرّاكش الى اغمات اَنَّ وَايْلان

اعلم ان المعصوم لما خرج من مرّاكش الى اغمات اَنّ وَايْلان نزلنا عند عثمان المعلّم فمكثنا عنده ثلاثة ايّام فسمعنا وَلْوَلة فقال لي مَرُّ اسأل عن هذه البشارة فمضيت فسألت فقيل لي انّما امرأة ولدت صبيًّا فقال لي الامام صدقَتْ لها تسعةُ ثلاثة في مولده وثلاثة في تطهيره وثلاثة في زواجه وغيرُ ذلك بدعةُ ، ثم نزلنا الى اغمات وريكة وذلك يوم الجمعة

باب نذكر فيه

خروج الامام المعصوم من اغمات اَنّ وَايْلان الى اغمات وريكة

فنزل بموضع منها يقال آيْغيل وكان يقرئ الطلبة بجامع واطّاس بن يحيى بموضع من ناحية المغرب ممّا يلي الصحن وكان عبد الحقّ بن ابراهيم يقرئ ايضا وكان يضدّ بالمعصوم ويحسده فيما اعطاه الله من العلم والفهم واقبل اليه فالجمه المعصوم وقامت اغمات فرقتين مؤمن وكافر وكان يومئذ من طلبة الامام المعصوم سليمان بن البقّال واسماعيل آيكيك فسار[a] المعصوم من اغمات بعد أن الجمهم بالعلوم وردّ عليهم البين العامّ والخاصّ وانصرف منها بالسلامة ،

a) Ms. فصار.

باب نذكر فيه

خروج المعصوم من اغمات وريكة

وذلك انه لما خرج منها الى آيَكْلَوَان فلما بلغوها قال اسماعيل ايكيك للامام [امكث] هنا حتى نصل[a] اليك وكان اهل اغمات قد بعثوا لعلي بن يوسف ان المعصوم قد خرج منها مسافرا وذلك ان المعصوم لما خرج من اغمات سار[b] الى ان [f° 32 r°] وصل آيَكْلَوَان فلما وصلها وصل رسول علي بن يوسف ان يؤتي به فقال له اسماعيل ايكيك اقم يا فقيه هنا في موضعك حتى اصل[c] اليك فسار[d] ثم اقبل الينا بمائتي درقة من بني عمّه وحملنا والامام معنا نحو آيَسْمَنَايْ متاع هزرجة ، ثم منها لموضع آخر يسمّى اتيفرا متاع آيمَسْفِيوا فبنى بها مسجداً ، ثم منها نحو آنْسَا متاع وريكة بازاء دار ابي زكريا الوريكي ، ثم منها نحو آرْمَط عند دار عبد الرحمن اَكَسِيط فبنى بها مسجدا يسمّى تِينِيتِين فاقام بها مدّة الشتوة ، ثم ارتحل منها الى تِيفنَوت متاع هنتاتة ، ثم منها للاحد متاع آيمليل ، ثم منها نحو دار فَاسْكات بن يحيى المكنى يعمر آينتي ، ثم منها نحو دار يوسف بن وانودين ، ثم منها نحو تِيفنَوت متاع آيزكّار ، ثم منها نحو الجمعة متاع آمزِين فوعظهم فاستجابوا له ، ثم منها نحو تَادْرَارت آغبار عند دار ابي صالح عبد الحليم بن ابي عبد السلام يصلتن من أهل

a) Ms. نصل.
b) Ms. صار.
c) Ms. نصل.
d) Ms. فصار.

خمسين فبنى بها مسجدا ، فارتحل منها نحو بني وَاوَزكِيت الى دار وَاخْليف فوعظهم فاستجابوا له ، ثم ارتحل منها نحو آيْن مَزَال فجمعهم عند والآل بن يُمْغي ، ثم منها نحو تِينْفيتين ، ثم منها نحو آيْزاد ، ثم منها نحو تاكوشت متاع كدميوة عند دار يوسف بن حمّو ، ثم منها نحو تينْمَلّل ، ثم منها نحو آيْن مَاغُوس ، ومنها نحو صَوْدة فنزل بها عند علي الصّوْدي وعبد الرحمن الصّوْدي ، ومنها نحو تَاكُطُوشت اَنْ يَنّسان ، ومنها نحو آيْن كنفيس فوعظهم فاستجابوا له وارسل الى بني محمود فامتنعوا ، فمنها نحو بني وآكّاس عند دار عبد الرحمن بن زكّو ، ومنها نحو تَاكَطوشت اَنْ يمضغال ، ثم رحل منها نحو ساحل البحر بموضع يسمّى آيْمَسكِّينا ، ثم منها نحو [f° 32 v°] تمنّتين فارسل نحو بني محمود فامتنعوا فامر بني وآكّاس ان يقاتلوهم واذ ذاك اطاعوا ، ثم رحل عنهم نحو تَامَدْغوست متاع آيْركِيتَنْ وبنى بها دارا ومخزنا وجنانا وكان على باب الدار صخرة فكان المعصوم يقعد عليها ويدور به اهل الجماعة رضّهم اجمعين واقام بها المعصوم ثلاثة اشهر[a] ، ثم منها نحو تَازُكَّاغتْ ، ثم منها نحو تامازيرت متاع بني لَمَاس ، ومنها نحو آيْكّيليز متاع هرغة فنزل داره ، وذلك في عام اربعة عشر وخمسمائة ،

فبقي ايّاما يسيرة بداخل الغار وفرش له يَلّلْتَن البرنوس فلما رآه اسماعيل آيكّيك قد فرش البرنوس للامام المعصوم قال له يا اخي كيف تفرش البرنوس لنور العلم النور لا يكون الّا على النور فازال من عليه

a) Glose marginale : ثلاثة اعوام من سنة خمس عشرة الى سنة ثمان عشرة — رواية المجموع —.

كسأه وفرّشها وقال اقعد انت احقّ بها منّي فانّ الله امرنا باكرامك رضي الله عنك فلما قعد نظر الامام المعصوم من باب الغار يمينا وشمالا وقال اعملوا آسَارَاكْ كبيراً لانّ الخيل تصلكم ثم امرنا ببناء المَذَاوِد فقال من عمل مِذْوَداً اخذ فرساً ومن عمل اثنين اخذ اثنين ومن كَذّبنا حسيبُه الله ثم عمل آسْمَاس وعمل الملح بيده وقال هنا عهد الله وعهد الرسول بيننا وبينكم على الكتاب والسنّة فلما صُنع الطعام قال الناس الامام لا يأكل ولا يشرب فتفرّس فيهم فاومأ بيده نحو ذراع كبش وقرص منه والقاه في فمه[a] ثم قال لهم انّما انا آكل كما ياكل الناس واشرب كما يشرب الناس وانا من بني آدم يلزمني ما يلزمهم ثم قال كلوا كما ياكل النبيّون ،

باب

بيعة الامام المهدي

ثم بعد ذلك رحل الى [fº 33 rº] تينملّل فبايعوه بها وذلك تحت شجرة الخرّوب فاوّل من بايع المعصوم الخليفةُ عبد المؤمن بن علي ثم ابو ابراهيم ثم بعده عمر اَصْنَاكْ ثم عبد الواحد الشرقي ثم عبد الله بن محسن الوانشريشي المكنى بالبشير وبعده ابو موسى الصّودي وبعده الفقير المؤلّف وبعده ابو محمد وَسْنَار وبعده عبد الله آهلاط وبعده آغوال وبعده يبورك آيسكّين وميمون الصغير وميمون الكبير ويحي المسَمّع وعبد السلام آغْبِي ومسلم الجَنَاوي ومكرار وملّول بن ابراهيم واولاده ثم سائر الموحّدين

a) Ms. فيه.

غزواته رضه

الغزاة الاولى ، اعلم ان اوّل غزوة غزاها المعصوم غزاة يقال لها تاودَزْت وكان جمع المعصوم مع الحشم وكان قائدهم يينتان بن عمر فلما تصنّفت الصفوف نظر الناس للمعصوم ثمّ نظر المعصوم فيهم فقال لا تفزعوا فانهم هاربون وكذلك كان فعلُهم انّما كان هروبا وقُتِل ودسُكَاتين وصلبه على الرأس وكان من كَنفيسة وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزًا ،

الغزاة الثانية لسيّدنا المعصوم ، وذلك ارشدك الله انه لما بلغه ان جيش المجسّمين اتاه يقدمهم سليمان بن يَكَّلَّد وابن ابي فراس وعبد الرحمن قاضي السوس ويانّو قال لنا المعصوم لا تجزعوا فانكم تقبلون منهم الهدية فقلنا يا سيّدنا وكيف يهدي لنا اعداؤنا قال لنا الرعب [الذي] يرمي الله في قلوبهم ويردّهم فلما وصلوا امرنا المعصوم ان نخرج اليهم ونكثر من ذكر الله وقول لا حول ولا قوّة الّا بالله العلي العظيم [fº 33 vº] فلما التقى الجمعان كبّر المعصوم فيهم وقال لنا الله ينصركم عليهم ثم قبض قبضة من تراب ورماها في وجوههم فانهزموا وتركوا الخيل والبغال الذخر والسلاح وانقلبوا خاسرين والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد خاتم النبيّين ،

الغزاة الثالثة لسيّدنا المعصوم ، وهي بموضع يقال له تَالَاتْ اَنَ مَيْزَكْ بعد ان بعث المجسّمون كتابا فردّ لهم سيّدنا المعصوم الجواب وجلس في الدار ثلاثة ايّام وخرج لنا فدخلوا لزيارته وقالوا له ما حسبك عنّا قال

لهم عبد العزيز بن ياكريّان قد ارشى علينا من يقتلنا بمائتي[a] دينار وزوج كتب[b] وسيروا اليه وصبّحوه وان ابى خذوا من عند رأسه الكتب فوجدوا الكتب عند رأسه وقتلوا عبد العزيز وصُلب ، وخرج الامام وسمعناه يقول عندنا رجلٌ من بني كُنّونة يقتل لمتونة فلما وصل الامام المعصوم جيشهم قال لنا لا تفزعوا منهم فان الله يُثَبِّتُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فالتقى العين بالعين فهزموهم باذن الله وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد خاتم النبيّين ،

الغزاة الرابعة لسيّدنا المعصوم ، اعلم يا اخي ان سيّدنا المعصوم لما اراد الله ان يُخرجه للغزو خرج لموضع يقال له تيزي آنْ ماسّت وكان يقدم جيش الزَّرَاجِنَة رجلان يقال لاحدهما يانّو والثاني آكُدِي بن موسى فوصل لنا الخبر فامرنا المعصوم بالخروج وخرجنا فلما اجتمعنا معهم اخذ المعصوم علماً[c] ابيض فدفعه للخليفة الامام [f° 34 r°] عبد المؤمن بن علي واخرج معه كَدميوة واخذ علماً[c] ثانيا اصفر فدفعه لابي ابراهيم وقدّمه على هرغة واخذ علماً[c] ثالثا احمر ودفعه لعبد الله بن مَلْوِيَة وقدّمه على كَنفيسة ثم اخذ علماً[c] رابعا ودفعه ليَاللّتن وقدّمه على اهل تينملّل ثم اخذ علماً[c] خامسا ودفعه لعمر آينتّي وتقدّم لهنتاتة ثم سائر القبائل على هذا الترتيب ثم قال لا تهبطوا للوطاء واتركوهم يصعدوا اليكم ففعلنا ذلك فقال خذوهم على بركة الله فهزمناهم باذن الله والله مع الصابرين ،

a) Ms. بمائتين.
b) Ms. *sic.*
c) Ms. علاما.

الغزاة الخامسة لسيّدنا المعصوم ، اعلم يا اخي ان الله تعالى لما اراد غزاة آنْسَا آنْ يمَادِيدَنْ قدّر الحقّ سبحانه ان ازعج عمر بن دَيّان من مرّاكش ثم وصل الى آنْسَا بجيش كثير فبلغ الخبر للمعصوم فلما بلغه ذلك قال[a] سيروا اليهم[b] على بركة الله فلما التقى العين بالعين قاتلناهم قتالا شديدا وقاتلونا كذلك حتى سقط فيها المعصوم وردّ عليه كثيرٌ من الناس حتى قام وانهزم المجسّمون بفضل الله ورحمته وصلّى الله على محمد وآله

الغزاة السادسة لسيّدنا المعصوم ، وهي غزاة تِيفنُوت وذلك ان المجسّمين قدّموا ابا بكر على جيش فخرج بهم نحو تِيفنُوت فخرجنا نحن وراءه فلما وصل بنا المعصوم اليهم قال خذوهم على بركة الله فكان بيننا وبينهم قتالٌ شديدٌ فلما رأوا ما لا يطيقون افترق النظام ورجع كلّ واحد لموضعه فاقام سيّدنا المعصوم ايّاما ثم قال عوّلوا على الغزو ان شاء الله تعالى والله المستعان ،

الغزاة السابعة لسيّدنا المعصوم ، [f° 34 v°] اعلم يا اخي وفّقنا الله وايّاك انه لما خرج المعصوم لغزاة هسكورة [سرنا] لموضع منها يقال له[c] آزَلِيم فتقاتلنا معهم وشدّ الوطيس حتى شُجّ المعصوم ورفعه اسحق بن عمر ووَسْنَار وكان العبد الفقير المؤلف ابو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق يمسك البغلة تَمْوِيمَق وكان يخلف اسَمْكي يمسك الدرقة والرماح فاتينا به حتى وصّلناه المنزل ورجعنا للقتال حتى اخذ الله الذين ظلموا

a) Ms. ثم قال.
b) Ms. لهم.
c) Ms. لها.

وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ونصر الله المهدي وطائفته اهل الحقّ وانصار الدين والحمد لله ربّ العالمين فرجعنا فلما برز المعصوم خطبنا ووعظنا وقال الحقّ عندنا وفرعه من تُونْدُوت ثم ازعج الله ابن تُونْدُوت فامر بتجديد الجيش وقال عوّلوا على الغزو ان شاء الله ،

الغزاة الثامنة[a] لسيّدنا المعصوم ، اعلم يا اخي ان الله تعالى لما ازعج سيّدنا المعصوم لغزاة تازآكورت فتحها الله وكانت يومئذ بلا سور[b] فغُزِي بها شقيّ يقال له دُمَّام فاخذنا بها عبيدا فقال المعصوم لميمون الكبير خذ هؤلاء اخوتك وكانت الفتهم مع عبيد آزَلِّيم فسمّاهم المعصوم عبيد المخزن ، ورجعنا نحو تينملّل فاقنا بها ايّاما ثم امرنا المعصوم بالخروج فخرجنا لموضع يقال له آسَدْرَم متاع الغُزَي فسرنا اليه على بركة الله

الغزاة التاسعة لسيّدنا المعصوم ، وهي بموضع يقال له آسَدْرَم أنْ الغُزَي فسار بنا المعصوم حتى وصلنا اليه فقال للمو [f⁰ 35 r⁰] حّدين ما يقولون بعد ان سمع منهم كلاما من عندهم قالوا له لقّبونا قال وكيف لقّبوكم قالوا يقولون خوارج قال سبقونا بالقبيح لو كان خيرا احجموا عنه وما سبقونا اليه لقّبوهم انتم فان الله ذكر في كتابه فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ الآية قولوا لهم انتم ايضا المجسّمون ففعلنا ثم اشتدّ علينا الوطيس فقال المعصوم لو كان كيك على كيك حتى يبلغ سبعة آكياك لا بدّ من يوم الخميس وكذلك كان والحمد لله ربّ العالمين فافترق النظام ،

a) Le ms. porte après ce mot لآزَلِّيم. Il s'agit sans doute d'une tautologie du copiste.

b) Ms. صور.

ثم اقام اياما عدّة فاكرم الله المهدي بدعوة البشير فامر بالميز فكان البشير يُخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحّدين حتى امتاز الخبيث من الطيّب ورأى الناس الحقّ عيانا وازداد الذين آمنوا ايمانا وذاق الظالمون النار فظنّوا انهم مواقعوها وما لهم عنها من محيص وكان تمييز البشير للخلق من يوم الخميس الى يوم الجمعة بعد اربعين يوما فمات يومئذ من الناس خمس قبائل بموضع يقال له آيكر ان وُسنّان مات به آيسَلداين ان وه ناين ومات من هنتاتة آيمتزّكا ومات اين ماغوس بموضع يقال له آيكَّر ان ايت كوريّت مع آصَادّن وكدميوة متاع تاكوشت ، ثم ميّز البشير يريد الغزو على بركة الله تعالى ،

باب نذكر فيه

غزاة البشير رضه

اعلم يا اخي ان البشير لما خرج للغزو جدّ[a] حتى وصل لموضع يقال له تَاغَزُوت ثم الوى بالخيل لموضع يقال له مشرا كُمار بيّران تَغَرذآيين فقتل به عمر بن يملّوك وغنم خيله ورجعنا [الى تَاغَزُوت] بفضل الله ودعوة الرضى واقمنا بها اياما ،

ثم بعد [ذلك خرج] [fº 35 vº] الناس كافّة للبُحيرة فكان من امرها ما كان وعملنا في الطريق الى مَكَّداز خمسة عشر يوما فاجتمع معنا بها ثلاثة آلاف وكان بها ثلاثمائة عجوز وكان يوم نزولنا بمكّداز يوم الاربعاء

a) Ms. وجدّ.

من شهر ابريل فقلعنا يوم الخميس ونزلنا البحيرة وبقينا بها اربعين يوما فلما كان بعد اربعين يوما اقبلت العساكر[a] نحو مرّاكش ودخل ابو بكر ابن الجوهر بعسكر هسكورة ودخل البلد ودخل يحيي بن سَاقْطنْ بعسكر صنهاجة فدخل المدينة فاقبل ياسين بن فيلو بعسكره واقبل بعسكر الغرب ودخل مرّاكش ونزل بجانبنا في البحيرة فقيل له ادخل فقال لا ، فلما اصبح الصباح قاتلناهم قتالا شديدا وكان معنا اهل آيلان عن بكرة ابيهم وهزمونا بالعشيّ ونجا الموحّدون ومات من مـــات وافترق الناس ، وجاز الخليفة مع طلبة اغمات على هيْلانة فاصبح لنا الصباح بموضع يقال له آيْمي آنْ الزّات فطلعنا مع آيْمي آنْ الزّات[b] حتى وصلنا لدَرَن وهزرجة يسبّونا فلم نزل كذلك حتى وصلنا تيفنوت فاقبل عليّ الخليفة الرضي عبد المؤمن بن علي وقال لي يا ابا بكر اسرِعْ لنا نحو المعصوم فاسرعت حتى وصلت المعصوم فاعلمته فقال لي عبد المؤمن في الحياة قلتُ نعم قال لي الحمد لله ربّ العالمين قد بقي امركم هل جُرِح قلتُ شُجّ في فخذه الايمن فقال لا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم الامرُ باقٍ ثم قال لي ارجع اليه وقل له الامرُ باقٍ ولا تجزعوا فرجعتُ حتى لقيته فاعلمته ففرح وفرحنا فلما وصلنا اقمنا ايّاماً ،

وجدّد علي بن يوسف عساكر اخرى واقبل الينا باربعة جيوش [عسكر] لسير بن وَاريبل وعسكر لمسعود بن وُرتيغ وهم زناتة [f° 36 r°] وعسكر ثالث ليحيي بن سير وعسكر رابع ليحيي بن كَانْجَان فتقاتلنا معه

a) Ms. العساكير.

b) Ms. آيْمي نَالزّات.

بموضع يقال له ايكر متاع بني[a] كوريت فاقبلت الينا هنتاتة وكنفيسة ومزالة واجتمعنا فلما رأوا منّا ما لا يطيقون رجعوا الى مرّاكش ونحن لتينملّل ، وجعل المعصوم برجا يقال له برج تيظاف وجعل فيه طبلا فكان يمسك الطبل عبد السلام آغيي فلما كان في بعض الليالي افلت الطبل وقامت عندنا رجّة .فقام عبد السلام يقول لا لا الطبل أفلِت لي فقال سيّدنا المعصوم ابشروا هذه البشارة ،

فقمنا بها اياماً عديدة فبعث سيدنا المعصوم نحو القبائل فاقبلوا ثم انهم ميّزوا وكان ذلك اليوم طُلِبَتْ كنفيسة غائبين فلم تُجد حتى مُيّزت هرغة فقال رجل نحن كنفيسة قال طلبناكم فما وجدناكم ما الذي ابطأ بكم فقال له كان عليَّ عذرٌ وما سمعتك ثم نفذ التميز وبقي يملّوك بن علي المكنى بعمر آصْنَاكْ فغلبت عليه نفسه فقال له المعصوم الحقّ ما قلتَ اعيدوا الميز فاعيد الميز فلما جازت بغلة المعصوم قال جوّزوا فرس عمر آصْنَاكْ فلما جاز اخذ المعصوم القلم من يد اسحق بن بَرْنوس وكتب محمد بن عبد الله عمر ابن علي آصْنَاكْ ثم مشى سائر الموحّدين وعاد عمر مع اهل تينملل ،

فاقمنا بها ثلاثة اشهر فوجد المعصوم فيّ نفسه مرضا فطلعنا معه لفدّان امَدْيوس والصبيان معه ثم رجع بنا نحو تينملّل فجاز في طريقه على فدّان من جلبان فقال اقلعوه فقلعناه فلما أقلِع قال تخاطفوه فاخذ كلّ واحد قدر مقدرته فتبسّم وقال هكذا تخاطفون بعدنا على الدنيا ، وكان مريضا فقدتُ به البغلة فكان الشيخ ابو محمد عبد الواحد على يمينه والشيخ ابو محمد [fo 36 v°] وَسْنَار على شماله حتى وصلنا الدار فوقف وامر الموحّدين

a) Ms. بنو.

ان يجتمعوا فحضروا كلّهم ثمّ وعظ الناس حتى اضحى النهار ثمّ دخل بيغلته الدار راكبا وبقي ساعة ثمّ خرج يرفع الكرزية عن رأسه ثمّ قال اعرفوني وحقّقوني انا مسافرٌ عنكم سفرا بعيدا فضجّ الناس بالبكاء وقالوا له ان كنت تسير الى الشرق نسير معك فقال ليس هذا سفر يسافره معي احد انّما هو لي وحدي ثمّ دخل ولم يره احدٌ ابداً ، انّا لله وانّا اليه راجعون ،

فحضر معه في غيبته خمسة اناس الخليفة وابو ابراهيم وعمر آصَنَّاك ووَسَنَّار واخته أمّ عبد العزيز بن عيسى ثمّ خرج ابو محمد وَسَنَّار وقال يامركم المعصوم ان تفعلوا كذا وكذا فكنّا نفعله وكان اهل الجماعة يخرجون للغزو بالدولة اقام الامر كذلك ثلاثة اعوام ،

وذُكِرَ في كتاب المجموع ان الامام المهدي لما حضرته الوفاة جلس ذات يوم في بيته اذ سمع صوتا رقيقا من وراء البيت وهو يقول[a] [الطويل]

كأنّي بهذا البيت قد باد أهلُه * وقد دُرست اعلامُه ومنازلُه

فأجابه المهدي

كذاك امور الناس يبلى جديدُها * وكلّ منّا حقًّا ستبلى خصائلُه[b]

فأجابه الهاتف فقال

تزوّدْ من الدنيا فانّك راحلٌ * وانّك مسؤولٌ فما انت قائلُه

a) Ces vers sont donnés comme de la prose dans le ms.

b) *Rauḍ al-Ḳirṭās*, éd. de Fès : حبائله ; éd. Tornberg : جباله, qui ne satisfait pas à la mesure.

فأجابه المهدي

أقول بانّ الله حقٌّ شهـدتّـه * وذلك[a] قولٌ[b] ليس تخفى[c] فضائلُه

فأجابه الهاتف فقال

فخذْ عدّةً للموت [انّك ميّتٌ][d] * وقد ازف الامر الذي انت نازلُه

فأجابه المهدي

متى ذاك خبّرني هديتَ فـانّي * سأفعلُ ما قد قلتَ لي[e] وأُعاجِلُه

فاجابه الهاتف فقال [f° 37 r°]

تبيت[f] ثلاثا بعـد عشرين ليلة * الى منتهى شهر فما انت كامِلُه

قال فما لبث الّا ستة ايّام فمات رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنّة منزله ومأواه ، وما نُقِل عن بعض اشياخ الموحّدين اعزّهم الله ان الامام المهدي لما كان عند وفاته ولقائه لربّه قال لاصحابه اسألوني عمّا بدا لكم من امر دينكم ودنياكم فانّي غدا ان شاء الله اجتمع مع ربّي فتقدّم اليه الخليفة مع اهل الجماعة فقالوا نسألك عن الرزق قال لهم ما عسى ان اقول لكم في امرٍ مقسوم مفروغ منه فقالوا له أفنطلبه فقال لهم ان كنتم تعلمون له موضعا فالتمسوه فيه فقالوا له أفنسأل الله فيه فقال لهم ان كنتم تعلمون

a) *Ḳirṭās*, éd. Tornberg : ذاك.

b) *Ḳirṭās*, Fès et éd. Tornberg : مقالٌ.

c) *Ḳirṭās*, Fès et éd. Tornberg : تحصى.

d) Ces deux mots manquent dans le ms.

e) *Ḳirṭās*, Fès et éd. Tornberg : قلتَه.

f) *Ḳirṭās*, éd. Tornberg : تلبث.

انه ينساكم فذكّروه فقالوا له افنتوكّل على الله فيه فقال لهم ان التوكّل في الحقيقة هو الشكّ فقالوا له فما الحيلة فقال لهم تَرْكُ الحيلة والتسليم الى ما قسمه القاسم فقالوا له في أيّ وقت تامرنا بالحركة فقال لهم لا تبرّدوا صيفة ولا تفترّوا شتوة وكفى بما في الشرائع من الحزم والعزم وانا اقول لكم كما قال رسول الله صلّعم لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا الا قد بلّغتُ الا قد بلّغت الا قد بلّغت ،

وتوفّي رضّه يوم الاربعاء وقيل يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظّم من عام اربعة وعشرين وخمسمائة ، وبويع الخليفة يوم السبت الاقرب من هذا التأريخ ، وكتب يوسف ابن سيّدنا امير المؤمنين بحضرة سيّدنا وبين يديه وبامره العالي ونقله من خطّ [f° 37 v°] الشيخ ابي ابراهيم رحمة الله عليه يوم الثلاثاء السادس من ربيع الاوّل سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ،

وتوفّي مولانا الخليفة الامام رضي الله عنه ونوّر ضريحه وقدّس روحه ورزقنا بركته وجمع بينه وبين أصحابه في الملا الاعلى قبل الفجر من يوم الثلاثاء الثامن من جمادى الاخرة من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فجزاه الله عنّا وعن جميع الموحّدين وعن قيامه بامر الله واجتهاده في طاعة الله واداء امانته بما جزى به عباده الصالحين فانّا لله وانّا اليه راجعون على فقده ومصابه وليس الّا الايمان والاستسلام لقضائه وقدره وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، ونُقِل [الجانب] الامام المعصوم يوم الجمعة اوّل شعبان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكتب يوسف ابنه ليلة الجمعة الثانية من ذي الحجّة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وبويع الخليفة الرضي سيّدنا امير المؤمنين ابن

الخليفة امير المؤمنين رضي الله عنهما ورزقنا ببركتهما البيعة[a] العامّة وتمّت له يوم الخميس العاشر من جمادى الاخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، انتهى ما اقتبس من كتاب المجموع رَجَعْنا الى الأُمّ ،

باب نذكر فيه

غزاة عمر آصْنَاك

بموضع يقال له تيزي أَنْ الايْنَات ، قتل فيه ابراهيم بن تَاعيَّاشت وغنم منها خيرا كثيرا ثمَّ رجع بالناس الى تينملّل ،

باب نذكر فيه

غزاة عبد الرحمن بن زكّو بتاسْغيمُوت

كسرنا فيها ميمون بن [fo 38 ro] ياسين واتينا بابوابها وغنائمها ورُكِّبَتْ ابوابُها على تينملّل وهي المعروفة بباب الفخّارين ثمّ اقنا ايّاما وخرج الخليفة ،

باب نذكر فيه

غزاة الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن بن على وهى غزوة كزولة

وهي اوَّل غزوة غزاها تقاتل فيها مع تاشفين والشَّنيْور وافترقا عن سلام واقبلنا على الكُسْت ثمَّ رجع الى تينملّل ،

a) Ms. بيعة.

وصاح بالقبائل وضمّ الموحّدين وجعل المجلس فاستعمل ركاثر وحال بين الرجال والنساء ثم وعظ الناس وقال لهم في آخر كلامه بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضّه قالوا نعم فقعد ثمّ وعظ ابو ابراهيم ثمّ وعظ عمر آصناك ثمّ سائر المشيخة رضي الله عنهم اجمعين ثمّ قال لهم المهدي قد توفّي رضي الله عنه فبكى الناس، ثمّ قال لهم اسكتوا فسكتوا فقال ابو ابراهيم وعمر آصناك وعبد الرحمن بن زكّو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن امدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الامام المهدي فمدّ يده وبايعوه ثمّ تبعهم سائر الناس حتى الى الليل وكانت البيعة ثلاثة ايّام متوالية[a] فلما بايع الناس امر القبائل ان ياتوا مع اخوانهم فلما وصلوا خرج الخليفة نحو تازاكورت فكسّر بها يدّر بن ولكوط واقبل بغنائمها ،

وبعد خروج الخليفة من تينملّل ارتدّ عبد الله بن ملوية وهبط الى علي بن يوسف فدفع له عسكرا واقبل به الى كنفيسة لموضع يقال له تامدغوست ليصعد لتينملّل ليهدمها وكان بها عبد الله بن وسيدرن فضمّ كنفيسة فقالوا له وأين العهد الذي بيننا وبين المهدي فقام الشيخ ابو سعيد يخلف [f° 38 v°] بن الحسن آتيكّي والغلام الذي كان له وقتلاه واتيا[b] به نحو تينملّل وصلباه[c] بها فبلغ خبره للخليفة فطرق حتى وصل تينملّل فوجده مصلوبا فحمد الله واثنى عليه وشكر ذلك الفعل لكنفيسة وهو اوّل ثائر ثار على هذا الامر العزيز أمّنه الله وخلّده ممّا يشوبه فقسم

a) Ms. متواليات.

b) Ms. وقتلوه واتوا.

c) Ms. وصلبوه.

الغنائم ومضى يستولي مع صنهاجة الى بلادهم وكان الخليفة اركن في الطريق رجل منهم [فأحسّ منه] غيرة وخدعة[a] على ثمّ ارسل اليه واقبل في خاصّته فلما وصل قتله وأُلحِقَ بمكره وصُلب بتينملّل وولّى علي بن ناصر على صنهاجة ،

باب نذكر فيه
غزاة تَاكُكُوطْتْ متاع حاحة

وكيف اجتمع الخليفة مع الأَبِرتير[b] وتاشفين وفتح الله في غنائمهم ، فلما اقبلنا حُصِرنا بموضع يقال له تِيزْغُور ستّين يوما حتى آكلنا غنائمنا ثمّ بعد ذلك قالوا لنا اصعدوا في السماء أُوغوصوا في الارض فردّ لهم الخليفة سيجعل آلله بعد عسرٍ يسراً [ومن يتّقِ آللّه يجعل له مخرجاً ويرزقه مِنْ حيثُ لا يحتسِبُ او قال يجعل الله من امره يسرا][c] ، ثمّ امرنا بالهبوط فهبطنــا وتحاربنا معهم حتى هزمونا اوّل النهار وهزمناهم آخر النهار واخذنا لهم بندا احمر وكان قتالنا يوما وليلة ، وخرجنا على . . . .[d] حتى وصلنا تينملّل ورجع تاشفين الى مرّاكش خاسراً والابرتير مجروحاً خاسراً هو والحزب الباطليّ ردّهم الله بغيهم ولعنهم بما قالوا والله الذي يردّ كيد الخائنين ،

a) Rétabli par conjecture : le ms. présente ici une lacune.

b) Le ms. ajoute والوُبرتير.

c) Cette phrase (entre crochets) est en marge du ms.

d) Mot rendu illisible par une tache. Peut-être الـكست.

باب نذكر فيه

التقاء الخليفة مع الابرتير بموضع يقال له آمسميصى متاع كدميوة

ثمّ رجعنا ورجع بعد ما ردّ الله كيده في نحره ثمّ اراد الخروج فبلغ ذلك الخبر [fº 39 rº] للخليفة فخرج ،

باب نذكر فيه

غزاة اكظرور

خرج سيّدنا امير المؤمنين حتى وصل آكظرور فتقاتل بها مع الشقيّ الابرتير فهزمه الموحّدون حتى ما بقي من رجاله شيء وخرج الشقيّ الابرتير مجروحاً ثمّ رجع نحو مرّاكش ورجعنا نحو تينملّل وذلك عام خمسة وثلاثين وخمسمائة ،

باب نذكر فيه

غزاة موضع يقال له تينلين

وذلك ان الخليفة امرنا بالخروج فخرجنا حتى وصلنا تينلّين متاع يركّين بن ويدّرن فلما وصلنا مع الخليفة حصرناه حتى هممنا بأخذه فاشتدّ بيننا وبينهم الامر فبقينا عليه ثلاثة ايّام فوصل الابرتير بعسكر فقلعنا عنها لجانب السوس واقبلنا على آنفك متاع آمسكروطان فبنيناه بالطين

والحجر والشطب فلما وصل الابرتير ونظر اليه وجع وهبطنا نحو السوس بعسكرنا فكسرنا ارُمُناد ميمون ثمّ كسرنا تاسلولت ثمّ كسرنا تارودانت ثمّ كسرنا تيمُونوين وكان بها صالح بن سارة ثمّ كسرنا آيـكُلي وسقنا غنائمهم وافسدنا لهم أمّزكور ووحّد الفلاكي هو واصحابه ورجعنا نحو تينملّل بالغنائم والفتح فجعل الامير قراراً للنساء واقبل الابرتير على تِيغيغايين وحمل النساء وحمل في جملتهنّ زوجة يعزّى بن مخلوف ثمّ تكلّمت تاماكُونت وقالت يا قوم هنا امير المؤمنين قالوا لها نعم قالت يا امير المؤمنين اشفع والدي يينتان بن عمر في المهدي قال لها صدقتِ انتِ مطلوقة قالت له وهل يصحّ ان اطلَق وحدي[a] من اربعمائة رأس فقال لها صدقتِ وامر باطلاقهنّ وازعجهنّ في كرامة حتى وصلن[b] مرّاكش فلما وصلن[b] اخذ علي بن يوسف زوجة يعزّى بن مخلوف ومن كان معها من الغيغائيات وبعثهنّ في امن [f° 39 v°] ودعة وكرامة حتى وصلن فقال الخليفة امير المؤمنين انّما أعمالنا رُدّت علينا ونحن قوم لا نعمل على هتك العرض ،

باب نذكر فيه

خروج الخليفة للغزو

اعلم يا اخي انه لما خرج سيّدنا الخليفة امير المؤمنين للغزو خرج من تينملّل على ناحية الشرق ونزلنا بها بموضع يقال له وَانْزال ، ومنه لموضع

a) Ms. نطلق واحدي.
b) Ms. وصلوا.

يقال له وفَاد ، ومنه لموضع يقال له آشْبار ، فلما سمع تاشفين بنا نزل بآشبار ونحن بموضع يقال له تَاسَاوَت ثمّ منه لموضع يقال له دَمْنات وقام تاشفين ونزل على يمَلَّلُو ثمّ قمنا منه لموضع يقال له بنو نَصر وتاشفين بكُويَة ثمّ قمنا نحو للفلّ متاع كُويَة فخرج الشيخ ابو حفص عمر آينتي بعسكر رجالة دون خيل فغنم ورجع ، ثمّ قلعنا منه لموضع يقال له وَاوِيزْغت ساق لنا فيه صنهاجة المُرُوّة وتاشفين بموضع يقال له مُوران يغْيَال ثمّ التقى الجيش بالجيش بموضع يقال له تيزي فهزمنا الفئة الباغية فأيّد الله ٱلَّذِينَ امَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ،

ثمّ هبطنا لموضع يقال له تاكْرارت متاع داوود بن عائشة ثمّ خرج منّا جمعُ فأكل تاكْرارت فاقبل بغنائمها ثمّ رحلنا منها لموضع يقال له دَايْ وكان بها علي بن ساقطَرا فلما وصلنا بقربها هرب فغنمنا[a] داي فتكلّمت صنهاجة وقالوا له يا امير المؤمنين ردّ صنهاجة فانهم كلّهم موحّدون [fº 40 rº] فردّهم حاشا والدة السيّد ابي سعيد ثمّ قلعنا منها لويفَيفَن ، ثمّ منها لمكْدار ، ثمّ منها نحو تين طَوين ، ثمّ منها نحو تيزي متاع تازكّارت فالتقينا بها يحيي بن ساقَطَرَا وهزمناه واخذنا خيله واعطاها امير المؤمنين لصنهاجة ، ثمّ منها لموضع يقال له وَاوْمَا فالتقينا به يحيي بن سير كان بالقلعة فتقاتلنا معه وانصرف كلّ منّا عن صاحبه ، ثمّ سرنا نحو آزرو فهرب منّا اخوه عليّ اليه فدخلنا آزرو وسكنّا به واخذ الخليفة أمّ عبد الله ،

ثمّ تقاسم العسكر على اعداد خرج ابن زكّو لبني كانون وخرج آخر لتيغطاف فوحّد ايت سَدّرَات وبنو آمَرْسال واهل ملوية ثمّ رجع ابن زكّو

a) Ms. ففمنا.

نحو ازرو ورجع العسكر كلّه ، واخذ الخليفة منهم الاشياخ وبعث بهم نحو تينملّل فقالوا له يا امير المؤمنين تركنا للمجسّمين فبعث معهم أمناء حتى وصلوا وزاروا ، ووحّد اهل فازاز ونزلوا على القلعة وتاشفين بفاس والأبرتير [معه] ثمّ خرج عسكر من فاس ومكناسة بالميز والغيات ونزلوا على القلعة فدخل الشتات بينهم فخرجوا من القلعة هاربين ومشى يحيي على الجبل فسلم هو وعسكره ومضى ابن ولكّوط على طريق مكناسة فهُزِم وقُتِل رجاله وفتح الله على الموحّدين والله ذو الفضل العظيم واخذنا غنيمتهم ما رأى الراؤون قطّ مثلها ،

ثمّ قلع الخليفة منها لموضع يقال له تيزرفت متاع بيلورن ، ثمّ منها لتاسْغرت وهرب منها ميمون بن صَاي ووحّد بنو ابي غزوان ، ثمّ منها حتى وصلنا غَريس ، ثمّ رجعنا لموضع يقال له تُونْكُرماط متاع آيملوان فوحّد هناك سلّام [f° 40 v°] بن حمامة وقبيلته ، ثمّ وصلنا لموضع يقال له تَدْغت ووحّد به ايت علي وسُكّور ومنكور ووحّد موسى بن حمّاد متاع اسامر آنْ ايت سِنان فترك بها ابن وَطّيب ، ثمّ منها راجعين لموضع يقال له تيزي متاع تَالْغُمت ، ثمّ منه لموضع يقال له زيز وهو ليحي بن محمد فخرج الينا ابو بكر بن صارة من سجلماسه فاجتمعنا معه بآيغرم متاع واطوب فرجع ورجعنا ،

[خروج الخليفة للغزو الى المغرب]

ثمّ هبطنا نحو المغرب فنزلنا بنوليس ثمّ منه بتاكْريرت متاع بني وابوط فخرج من الموحّدين عبد الرحمن بن زكّو في خمسة ايّام من المحرّم

وضرب يوم عيد صُفْرُوي وغنمه ووصل الينا ونحن بموضع يقال له الفلّاج ، فقلعنا منه الى بني يَازَغَا ثمّ قام تاشفين من فاس وخرج لجبل العرض ومِيّز به وبعث الابرتير نحو الفلّاج فاجتمع به مع يحيي آغوال فقتله وحمل رأسه الى فاس ، ثمّ قمنا نحن لموضع يقال له بنو مكّود وخرج تاشفين ونزل بالمَقرَمَدَة ثمّ قمنا نحو غيّاثة وقام تاشفين لموضع يقال له النّوَاظِر ونزلنا نحن بموضع يقال له عقَرا عام ستّة وثلاثين وخمسمائة فنزل علينا الهواء خمسين يوما بخمسين ليلة ولم يفتر وحملت الويدان واكل وادي[a] فاس باب السلسلة وفُتِقت جزيرة مَلِيلَة واكل البحر طنجة حتى الى الجامع واكل وادي[a] سبو مع وادي وَرْغة اخبية لمطة وهذا كلّه في عام ستّة وثلاثين وخمسمائة ، وكان الخليفة امير المؤمنين في غيّاثة في جبل يسمّى بعقَرا وكان تاشفين تحتنا في النّوَاظِر وبلغ عندنا في ذلك الوقت سعر الشعير ثلاثة دنانير للسطل[b] وبلغ الحطب عند تاشفين دينارا للرطل [f° 41 r°] من شدّة تلك السنة ثمّ فتح الله بالغياث والخيرات ،

فقلعت محلّتنا الى لُكّاي فنزلنا فيها وكسرنا الولجة وهزمنا منها يدّر بن ولْكُوط ، وقلع ايضا تاشفين ونزل تحتنا بالجَوْزات متاع بني بويَعْلَى ونزل الابرتير في بني سلمان وأحاطوا بنا ، فوحّد غمارة منهم مفتاح بن عمر وجزنا اليهم ونزلنا عند مفتاح بن عمر في صنهاجة غُدّو وقلع تاشفين ونزل تحتنا فقلعنا من صنهاجة غُدّو الى تَازَغْدَرَا متاع لُجَاية وقلع ايضا تاشفين مع الابرتير الى بني تَاوْدَا فنزلوا بها فكان بيننا وبينهم الوادي متاع وَرْغَة[c]

a) Ms. واد.
b) Ms. للصطل.
c) Ms. *sic*.

فميز الأبرتير جنوده وخرج الينا الى تازغدرا وكان بيننا وبينهم قتال شديد يومين بليلتين فمات هؤلاء وهؤلاء فرجع الأبرتير الى بني تاودا وقلعنا نحن الى اودور ونزلنا بموضع يقال له تاغزوت ان ينفطّت وتبعنا الأبرتير ونزل في بني مزكلدة وكان بيننا وبينه الجبل متاع[a] آمركو متاع ابن يكّساس وقلعنا نحن الى ايلاته متاع الميزان في موضع يقال له آيكّن فرض لنا عمر آصناك وقلع الأبرتير مع تاشفين الى تهليط تحت قصر ابن[b] عبد الكريم وبقينا نحن في موضعنا في آيكّن وسكنّا فيه اثني عشر يوما فخرج لنا الشيخ عمر آصناك وهو مريض فاخذ الخليفة امير المؤمنين رضهما بيده اليمنى وامر ان يضرب له قيطون فضُرِب له فاخذه عمر ونحّاه عن روحه وقال لا سبيل ان استظلّ انا للظلّ والموحّدون للشمس فحبس امير المومنين بيده اليمنى وحبس ابو ابراهيم بيده اليسرى ووقّفاه فكان يعظ الموحّدين وكانت وصيّته ايّاهم من ضحوة النهار الى الظهر وكان [f° 41 v°] يأمرهم بالطاعة للخليفة ثمّ افترق مجلس الموحّدين ايّدهم الله ونصرهم وانصرف ابو حفص عمر بن علي آصناك في ذلك النهار والى الليل توفّي رحمه الله رحمة واسعة ورحمنا بعده ، وقلعنا به الى موضع يسمّى بجدار نمض ودفنّاه فيه ، ثمّ قلعنا بمحلّتنا الى ادرار ملّولن فوحّد اهله ،

ثمّ قلعنا منه الى تامقريت متاع ابي بكر بن سحنون وقلعنا من ثمّ الى بني سنّاد ثمّ قلعنا منه الى وادي[c] لو ونزلنا في بني سعيد عند دار كِرناز ابن منصور فامتنعوا وهربوا الى جبل يكاتِل ، ثمّ هبط الأبرتير ونزل في

a) Ms. *sic.*
b) Ms. القصر بن.
c) Ms. واد.

تيطّاوين فوحّد بنو سعيد كافّة الذين هربوا وبنو آييكم ثمّ جرح يعزّى بن مخلوف غازي الموحّدين ومات من جرحه ودفنّاه في تاغزوت متاع بني يزيد وقلعت محلّتنا من ثمّ وتركنا بها ابا يحيى ابا بكر بن الجبّر مع بني سعيد ثمّ قلعنا الى بني منصور والقائد ابن ميمون تحتنا في البحر بالقطائع ،

ثمّ قلعنا الى يككّساس ونزلنا بموضع يسمّى ام يكّيك ووحّد بنو نال وبنو زياد وقلعنا منها الى آسّت سار فوحّد اولاد حيّان متاع تيزيران وبنو ازكدا فقلعت محلّتنا الى الثلاثاء متاع بوعريف فوحّد ثمّ عبد الله بن يحياتن وقلعنا الى القلعة متاع باديس ووحّد اهل الطارقيّة والمحففّة وقلعنا الى كزنّاية متاع تيزغت فوحّد منهم ثلاثة قبائل وبقي ثلاثة قبائل ،

وقلع ايضا الابرتير مع تاشفين الى فاس وخرج من فاس الى بني سلمان والتقينا معهم في كزنّاية متاع تيزغت فقلعوا من ثمّ خاسرين ، وقلعنا نحن وهبطنا الى المزمّة فاخذنا فيها الهواء ثمانية ايّام فكاد [fº 42 rº] ان يهلك الطين دوابّنا فسمّاها امير المؤمنين تاغزوت ان والوط ، فقلعنا منها الى جبال تمس آمان وكان كلّ واحد يرشم فيه منزله ،

وفيها جاء ابراهيم الى الخليفة امير المؤمنين بالتوحيد واعطاه الخليفة الخيل والعبيد والخباء وانزله في موضع محمد بن ابي بكر بن ييكيت فتغاير ابراهيم اخو الخليفة مع محمد بن ابي بكر بن ييكيت فقتله محمد بن ابي بكر ابن ييكيت فمن ذلك الوقت قسمت المروس بالبنود فغضب الخليفة لقتل اخيه وقال يقتل ابن ييكيت فقام له ابو حفص وابو الحسن يوكوت بن واكّاك وقالا له الم يقل المهدي بان اهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كلّ من في الدنيا فصمت عند ذلك الخليفة رضه ، وفي ذلك اليوم امر امير المؤمنين بقسمة

المروس بالبنود كلّ قبيلة ببندها ، وبعد ذلك خرج من عندنا عبد الرحمن ابن زكّو وطرق الى مليلة بالعسكر فنزل عليها وكسرها ، وقلعنا نحن من تمس آمان والتقينا ابن زكّو ونزلنا معه في الخميس آمتليلّي ،

وقسم الخليفة رضه الغنائم واخذنا فيها مائة بكر وكنّ عندنا مؤمنات فقسمهنّ الخليفة على الموحّدين وتزوّجوهنّ وبقيت فاطمة بنت يوسف الزناتيّة وبنت ماكسن بن المعزّ صاحب مليلة فرمى الخليفة القرعة مع ابي ابراهيم على فاطمة فاخذها ابو ابراهيم واخذ الخليفة بنت ماكسن بن المعزّ أمّ الامير ابراهيم والامير اسماعيل ، واكلنا آسماس في المهدية متاع ابن مليح ثمّ رحلنا الى اغبالو متاع بني يزناسن وهرب اهله وامتنعوا ان يوحّدوا ، فرحلنا منها الى تدرومة بلاد كومية فوحّدوا ، فرحلنا الى تاجرا فميّزنا فيها ،

وخرج منها ثلاثة عساكر اوّلهم ابن زكّو مشى الى جهة الساحل وكسر وهران [fº 42 vº] وساق غنائمها وخرج الشيخ ابو براهيم الى ويسعد لبني وانون وساق غنائمها[a] وخرج ايضا يوسف بن وانودين بعسكر ثالث الى مديونة تكيزا فخرج اليه ابو بكر بن الجوهر من لمتونة ومحمد بن يحيي بن فانّو من تلمسان ارادا[b] قتال يوسف فغزاهما[c] يوسف في خندق الجمر يسمّى بوادي الزيتون وقتلهما[d] الاثنين ، [وجاء زيري

a) Ici se place dans le ms. la phrase reportée plus bas (entre crochets) où le contexte et là logique semblent vouloir qu'elle soit placée.

b) Ms. ارادوا.

c) Ms. فتزاهم.

d) Ms. وقتلهم.

ابن مَاخُوخ بثقلته الى الخليفة ووحّد فدفعه الخليفة الى غيّاثة فغدره بنو مكّود وقتلوه وقطعوا رأسه ويديه وحملوها الى فاس وعلّقوها في باب السلسلة ،] وضمّ الخليفة رضه كومية وقال لهم اعطوني الذي اعطى ابا[a] طاشور لمحمد بن فانّو وقتَلَه واخذ الخليفة عشرة اشياخ من كومية وقتلهم الاوّل منهم يسمّى بوكَنّون تشفّع فيه العجائز ،

ورحلنا منها الى تِيفسَرت متاع مديونة وطرق تاشفين مع الابرتير ونزلنا[b] في تلمسان والخليفة في تِيفسَرت فخرج من عندنا الشيخ ابو حفص ويَصْلاسَن بن المعزّ الى العيون متاع صَاء واصابوا ثمّ بني يَستّين وبني سَنُوس وبني وَرْدرسَن وبني ستلتن اربع قبائل فغار عليهم الشيخان ابو حفص ويَصْلاسَن وساقا[c] غنائمهم ورجعا[d] الى المحلّة ،

وبعد ذلك ارسل كَزولة بجمعهم للابرتير فخرج الخليفة اليهم وكانوا بموضع يسمّى بكِيرَس فنزل عليهم يوم الخميس على الحِلَل من فوقهم ونزل الابرتير يوم الجمعة ايضا عليهم من جهة اخرى وكان بيننا وبينهم خندق يقال له ايغريت فنظر الابرتير اليهم وقال هؤلاء قوم مُغيرون امّا ياخذوني ويعطوني لعبد المؤمن او ياخذون[e] عبد المؤمن ويعطونه[f] الىّ فجأته هزيمة فقلع عنهم الى بعض الطرق[g] وكتب كتابا للخليفة بالنصيحة يقول له فيه اقتلهم قاتلهم الله غدروا باخوتهم فكيف لا يغدرونك فعمل [f° 43 r°] لهم الخليفة آكَرَاوْ يعظهم فيه فقال لهم وحّدتم فقالوا له نعم فقال لهم ان

a) Ms. ابو.
b) Ms. نزلوا.
c) Ms. وساقوا.
d) Ms. ورجعوا.
e) Ms. ياخذوا.
f) Ms. يعطوه.
g) Ms. الطريق.

كان ما تقولون حقًّا فسوقوا اسلاحكم الينا فلم يرَ منهم شيئا ووعظهم يوما ثانيا[a] وقال لهم جئوا[b] الينا باولادكم وسلاحكم فقالوا له نعم فلما كان يوم ثالث جاؤوا باولادهم وسلاحهم وامر الخليفة عبيد المخزن واوصاهم ان يفرّقوا بينهم وبين خيلهم وسلاحهم فقال لهم عبيد المخزن امشوا الى الخليفة يعطيكم الدعاء فجاؤوا الى الخليفة يريدون الدعاء فلما انفصلوا عن دوابّهم ركب العبيد خيولهم واخذوا سلاحهم وامر الخليفة فضُرِب الطبل وقتلهم جميعا الّا الصبيان الصغار وسقنا غنائمهم ، فسمع الأبرتير الخبر فقال لتاشفين ميّز واتبعني نقطع[c] بهم وناخذ[d] لعبد المؤمن تلك الغنائم فقطع بنا الأبرتير في العيون ان ايت وَرَيْنَّاد في موضع يسمّى تَاكُوط اَنْ تيفَسَرْت واما تاشفين فميّز ولم يتبعنا فتقاتلنا مع الأبرتير على تلك الغنيمة وعليها مات الأبرتير ولم يسلم من عسكره الّا ستّة نفر ثلاثة من الروم وثلاثة من بني وَانَار فامّا الذين من الروم شُوين وغشتُون وبَطْرِيان ومن بني وَانَار علي بن الخنّوس ويخلف بن الاشنطَيْر ويخلف المُكَرْطَر ، وكان ذلك في عام تسعة وثلاثين وخمسمائة ،

ثمّ قلعنا من تِيفَسَرت ونزلنا بين الصخرتين بعد موت الأبرتير وكان تاشفين في سَطَفْسِيف بمحلّته وكان بيننا وبينه القتال في كلّ يوم مدّة من شهرَيْن فلما كان يوم من الايّام طلع الاسد متاع تاشفين[e] فهرب الينا بسلسلته وبات عندنا وعشّاه الخليفة وقال للموحّدين البشارة يا موحّدون

a) Ms. ثاني.
b) Ms. تجيؤا.
c) Ms. نقطعوا.
d) Ms. ناخذوا.
e) Ms. *sic.*

[fº 43 vº] فلما اصبح رجع الاسد الى مولاه ، ويذكر ان هذا الاسد جاء من محلّة الاشقياء حتى وصل الى محلّة الموحّدين اعزّهم الله ومشى الى بين يدي الخليفة رضّه فاستقبله ومدّ يديه على الارض ، وقال الفقيه ابو علي الاشيري رحمه الله في ذلك الوقت مرتجلا وكان ممّن حضر ذلك المجلس المكرّم [الرمل]

فرح[a] الشبل ابتهاجاً بالاسد * لما[b] رأى شبهٌ أبيه فقصد

وعند ذلك جأت المحلّة من بجاية وقائدها ميمون بن المنتصر فطلعوا الى قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين الى باب المدينة فقتلنا منهم الذي وعد الله بقتله فاصبحوا هاربين ولحق القائد ابن ميمون الى متّيجة فبعث الى الخليفة رضّه بالتوحيد وقال له ان انت استفتحت المغرب فتجيء الى المشرق تصيبه مفتوحا وانا قائده ،

ودبّر آنـكْمَار وتاشفين وعبد الله بن ابي بكر بن وَنْكِي وتِيتَلّا على قلوعهم من سَطَفسِيف بعد ما قتلوا ابن زَكّو في جبل ينوك كان بعثه الخليفة عن مواسات الموحّدين فهجموا عليه وقتلوه وقلعوا الى وهران ومرّ ابو حفص في اثرهم بثمانين ساقة ما بين الموحّدين وزناتة فنزل تاشفين بوهران مع انْكْمَار ونزل عبد الله ابن وَنْكِي في صُلْب الكلب ونزل تِيتَلّا بالمدينة فلما وصلهم الشيخ ابو حفص نزل ايضا على عين وهران والكلّ منهم العين بالعين هؤلاء ناظرون لهؤلاء فلما اصبح انْكْمَار هرب الى الصحراء وهرب ابن وَنْكِي الى المغرب وتركا[c] تاشفين وحده هو

a) Variante in *al-Ḥula*l *al-maušīya*, éd. de Tunis, p. 113 : آنس.
b) *Ḥulal* : و, qui est meilleur que لما, pour la mesure.
c) Ms. وتركوا.

وتِيتَلّا فلما رأى ابو حفص ذلك قام بعسكره واحاط بتاشفين وحصره واطلق النار في باب الحصن فخرج عند ذلك تاشفين راكبا على فرس له كانت تسمّى عنده برَيحَانة ودفع في عسكر ابي حفص وهو هاربٌ يريد البحر [fº 44 rº] ليدخل القطائع فبينما هو سائر على فرسه اذا بحافة فتركته فرسه في تلك الحافة ومات فلما كان النهار وجده الموحّدون ميّتا في تلك الحافة وتحته فرسه فاخذوا فرسه وقطعوا رأسه وبعثوا به الى امير المؤمنين رضّه فصبّره ووجّهه الى تينملّل بشرى لابي يعقوب يوسف بن سليمان ووَسْنَار بن عبد الله وأبي عمران موسى بن الحسن ومحمد بن يومور[a] ، وكسر ابو حفص وهران ومات فيهم تِيتَلّا ومات فيهم اصحاب تاشفين ما عاش منهم الّا واحد يسمّى بسيّد الملوك بن يَزْدعسنيت السّدْرَاتي وبه افتديت فُنْدة بنت علي وابنتها من فاس من عند الصحراوي ،

[استفتاح فاس]

وقلع الخليفة رضّه من تلمسان يريد المغرب بعد توحيد المشرق كلّه فنزل على وجْدَات فأخذها ووحّد أهلها ومات فيهم ابو بكر بن سَامْغِين ، وقلع منها الى آكْرْسِيف فنزلنا عليه وكان في نظر آكْرسيف ثائرٌ قام فيه يسمّى مصبوغ اليدَيْن فخرج اليه يَصْلَاسَن بن المعزّ وموسى بن زيري وغزواه وقتلاه وساقا[b] غنائمه ، وقام ثائر آخر يسمّى ابو يعلى فخرج

a) Ms. سيومور.

b) Ms. غزوه وقتلوه وساقوا.

اليه ابو ابراهيم وابو بكر بن ويفتين فقتلاه وساقا[a] غنائمه ، وعند ذلك دخل الخليفة آكَرْسِيف ومات فيه عمر بن تاكَرْطاست ووحّد منه[b] الحاجّ التكروري الكَنَاوِي ،

ثمّ قلع الخليفة من آكرسيف يريد فاسا[c] فنزل بالمَقَرْمَدَة فجاءه ابو بكر بن الجبر[d] بعسكر غمارة فقال الخليفة رضّه للموحّدين اعطونا تيظاف يمشون الى فاس ويتعرّفون ان كان هذا الرجل في قوّة ام لا فلم يجبه احدٌ منهم فقال ابو بكر بن الجَبّر انا ادريه واعرفه وقرأت فيه انا اقصده واتعرّف خبره فأخذ خمسمائة من صنهاجة وخمسمائة من هسكورة [f° 44 v°] رجالا دون خيل فطرق بهم على طريق الساحل وجاز سُبُو وطلع بالليل الى زَالَاغ وشيّد على نفسه ونيّر بالليل النار فلما رآه اهل فاس ارتجّوا وقالوا الخارجيّون[e] في زَالَاغ فخرج الصحراوي من المدينة لقتال الموحّدين ومعه اهل الحاضرة وعند خروجه قدّر ابو يحيي بن الجَبّر عسكره بألف وخمسمائة ما بين لمتونة واهل المدينة فقاتلهم ابو بكر من الغد الى العصر ثمّ رجع الصحراوي الى المدينة ونيّر الموحّدون النيران ايضا اعزّهم الله في الليلة الثانية الى نصفها ورحلوا الى المحلّة ،

فلما اصبح قلع الخليفة من المَقَرْمَدَة ونزل في عين آدَقّا وقام منها وميّز الموحّدين في عدوة سُبُو في عقبة البقر فأخذت المحلّة السهل والوعر

a) Ms. فقتلوه وساقوا.
b) Ms. منها.
c) Ms. فاس.
d) Ms. الحسن.
e) Ms. الخارجيّين.

فخرج اهل فاس ينظرون الى المحلّة المؤيّدة وارتجّوا ووقف الصحراوي على نُوكُ آيكُرَان ينظر المحلّة مع اهل فاس فارتجّوا فلما اصبح الله بخير الصباح امر الخليفة بالميز فميّز بثمانين ساقة وجازوا الوادي ساقة بعد ساقة حتى الى منزل الحجّاج وخرج الصحراوي بخيله الى جبل العرض ووقف عليه وكان بينه وبين الموحّدين واد[a] يسمّى بسَدَرْوَاغ فبقوا هناك الى الظهر ثمّ قال الخليفة للموحّدين « اسافوا » فقالوا باللسان الغربي « انغزو السّنّتْ وَرْدَمْ نبْطِي » فصاحوا باجمعهم رجالهم وخيلهم ثمّ امر الخليفة بالرجوع الى المحلّة ووقف هو بمنزل الحجّاج بثلاثة آلاف وخمسمائة حتى جوّزهم ساقة بعد ساقة لئلّا يهبط فيهم عدوّ الله ثمّ رجع امير المؤمنين الى المحلّة فلما اصبح الله بخير الصباح رحل الخليفة رضّه وقسم الجيش على قسمين سار ابو بكر بن الجَبّر مع صنهاجة وهسكورة الى نُوكُ آيكُرَان وطلع الخليفة بباقي العساكر الى جبل [fº 45 rº] العرض فاجتمعوا كلّهم ونزلوا بجبل العرض وامر الخليفة للناس بقطع الشجر فقُطِعت وطُلّعت للمحلّة وعملوا منها الزرب للمحلّة وبنى الناس الحائط خلف الزرب واخذوا الزرب وجمعوه وقُطِع به الوادي وردّه الخليفة الى السور[b] وهدم باب السلسلة ثمّ نزل الوادي فلما رأى الصحراوي ذلك خرج مع رعيّته ووقف على السور[b] حتى بناه ؛

ثمّ قال الخليفة رضّه للموحّدين اعزّهم الله اعطوني تيظاف يصرفون لمكناسة فخرج اليهم يدّر بن ولكُوط فقتلهم جميعا الّا ثمانية من الخيل اوّلهم

a) Ms. وادي.

b) Ms. الصور.

عبد الحقّ بن ابراهيم ويخلف بن يلولين واحمد بن تمكليلت وحسن بن يَرْزيكَن وسعيد بن غَرِيس وميمون الصغير وعبد الرحمن بن ينعمّان وسعد الله بن زيري الهنتاتي فغضب لذلك الخليفة غضبا شديدا وميّز الموحّدين في يوم جمعة وخرج الى مكناسة بعسكره وترك على فاس ابا بكر بن الجَبّر بمحلّته من الموحّدين فكان خروج الخليفة والموحّدين من المحلّة بالليل ولم يعرف اهل فاس انه خرج فاصبح له الصباح في مغيلة يوم السبت فلما كان يوم الاحد برز الخليفة على مكناسة وكسر الحوائر كلّها الّا تاكرارت ،

ثمّ طلب الصحراوي جملة من المال للجيّاني فاعطاه فطلب له مالا آخر وضيّق عليه فلما رأى الجيّاني ذلك بعث الى ابي بكر بن الجَبّر فقال له ميّز عسكرك افتح[a] لك الباب وكانت مفاتيح الابواب عنده فميّز ابو بكر عسكره فلما اصبح الله بخير الصباح فتح له الباب ودخل ولم يشعر الصحراوي حتى رأى الموحّدين على السور[b] وخرج الجيّاني الى الموحّدين وركب [fº 45 vº] الصحراوي يريد الفرار وسار[c] الى باب الفتوح فوجده مغلوقا فضرب طبله واجتمع عليه بعض عسكره وقال لعبده خَرَز افتح لنا الباب فأخذ خَرَز الشاقور متاع الخباء[d] وضرب به زُرّة العمود وطيّرها وفتح الباب وخرج الصحراوي وهبط الى سُبُو هاربا هو وعمر بن ينتّان ويحيى بن سِير وكُدال بن موسى وشيوخ لمطة هبطوا مع سُبُو الى بني تَاوْدَا ودخلوا آمَرْكُو وتحصّنوا فيه ولم يدخل معهم الصحراوي فزعا

a) Ms. نفتح.
b) Ms. الصور.
c) Ms. وصار.
d) Ms. *sic*.

من الموحّدين اعزّهم الله ومضى هاربا الى برّ الاندلس وبقي هؤلاء المذكورون في آمَرْكُو فميّز ابو يحيي بن الجبّر الموحّدين وخرج اليهم وساقهم كلّهم الى فاس وقتلهم الّا عمر بن يينّتان قال له الخليفة رضّه نهى الامام المهدي رضّه عن قتل اولاد يينّتان فسجنه وخلّاه ، وكان استفتاح فاس عام اربعين وخمسمائة وقد مكثنا عليها تسعة اشهر ،

وقلع الخليفة رضّه مع الموحّدين اعزّهم الله باجمعهم الى مكناسة وترك في فاس ابا عبد الله محمّد بن يحيي الكَدْميوي والجيّاني الذي كان استفتاحها على يديه ،

[استفتاح مرّاكش]

وارسل صنهاجة تيسغرت الى الخليفة سنبلةً وقالوا له بادِرْ زرع دكّالة لا يدخل مرّاكش ولا تأخذها ابدا فميّز امير المؤمنين الموحّدين وخرج من مكناسة وترك عليها يحيي بن يُومُور واخذ على طريق تَادْلا فميّز فيها وجاء هسكورة وصنهاجة بعسكرهم وهبط بهم الخليفة رضّه على وادي أُمّ رَبِيع حتى استوى في صنهاجة آزَمّور ونزل فيه بعسكره وساقوا له المروّة ، وبعث عن دكّالة جيرانهم فوحّدوا [fº 46 rº] توحيدهم الاوّل ،

فهبط الى مرّاكش وجاوز تَانْسِيفت الى تاقايط وميّز فيها وقلع الى آيكْلِيز وضرب عندها القبّة الحمراء فلما سمع اهل مرّاكش بذلك خرجوا لقتالهم ، وكان ذلك في عام واحد[a] واربعين ، وكان القتال بيننا وبينهم

a) Ms. احدى.

اربعة ايّام كان يخرج الينا اسحاق بن ينتّان ومحمد بن حوّاء ومحمد بن يانّكالا هؤلاء هم سلاطينهم الظاهرون وكان اسحق صاحب الولاية وهو صبي صغير وخرجوا الينا في اليوم الخامس وهزمناهم حتى الى باب الشريعة ومات منهم خلق عظيم فلما رأوا ذلك خمدوا في المدينة وما كان يخرج لنا منهم الّا ابن ينتّان وأُرسل اليهم أكّنكي سلطانهم الذي وحّد وارسل اسحق بن ينتان بالتوحيد فخرج مع اصحابه ووحّدوا وبقيت المدينة ما يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج فاستعمل الخليفة السلاليم للاسوار[a] وقسمها على القبائل فسار الناس لقتالهم فدخلها الموحّدون فدخل هنتاتة واهل تينملّل من باب دكّالة بسلّمهم ودخل صِنهاجة وعبيد المخزن بسلّمهم من باب الدبّاغين ودخل هسكورة مع القبائل من باب ينتان فاستفتحت مرّاكش ودُخلت بالسيف وكان القتال على القصر حتى الى الظهر ، ولم يُدْخَل حتى ماتت فَانّو بنت عمر بن ينتان وكانت ذلك اليوم تقاتل الموحّدين وهي في هيئة رجل وكان الموحّدون يتعجّبون من قتالها ومن شدّة ما اعطاها الله من الشجاعة وهي بكر فلما ماتت حينئذ دُخِل القصر ولم يعرف الموحّدون هل هي امرأة ام لا حتى ماتت ،

فلما دُخِل القصر وحملوا منه السلاطين الى ايكيليز وأُخْرِجت العامّة متاع الحاضرة[b] الى باب الصالحة وقتلهم ابو الحسن بن واكّاك ثمّ رجع الى [fº 46 vº] ايكيليز وقتل فيه أولائك السلاطين ولم يبقَ منهم الّا ابو بكر بن تيزمت واسحق وغلامه طلحة وكان اسحق يتضرّع للخليفة

a) Ms. للاصوار.
b) Ms. *sic*.

ويقول له يا امير المؤمنين ما لي في الرأي شيء فيقول له طلحة اصمتْ عنّا هل رأيت ملكا يتضرّع لملك مثله فقال امير المؤمنين لابي الحسن اترك هؤلاء الصبيان ما الذي تعمل بهم فصاح ابو الحسن وقال في صيحته ويوا ويوا الموحّدين ارتدّ علينا عبد المؤمن يريد ان يربّي علينا فراخ السبوعة فقام الخليفة غضبانا[a] واتبعه[b] الموحّدون الّا ابا[c] الحسن والشيخ ابا[c] حفص فاخذ ابو الحسن اسحق وضرب عنقه ثمّ جذبوا[d] طلحة ليقتلوه فقال يا عمّي ابا الحسن سلاحي ما الذي نفعل به عسى [ان] اعطيه[e] لك فاطلق من تكتيفه ليعطي السلاح وكان الخنجر في وسطه فضرب به ابا[f] الحسن وقتله ومات طلحة من بعده ، وكان ابو الحسن حينئذ قد كتّف من دكّالة ألف رجل ليقتلهم وقال اذا قتلتُ طلحة اقتلُهم فلما قتل طلحة ابا الحسن أُطلِق دكّالة ولم يمت منهم واحد ،

واخذوا ابا بكر بن تِيزَمّت ورفعوه لامير المؤمنين وقالوا له ألم تعرف يا امير المؤمنين بان ابا بكر بن تيزمت خادم علي بن يوسف ومشاوره فقال لهم[g] الخليفة اعرف[h] ذلك فقال له فلأيّ شيء اموت[i] قال الخليفة تموت لانك رميتَ يدك في المهدي رضّه وحملتَه الى السجن قتّلتَك السنّة قال له اذ اموت[i] ولا بدّ اقول[j] لك مسألة قال له الخليفة قل قال عندي برمتان من مال كلّها ذهب ياخذها[k] الموحّدون لاني اخشي ان اموت

a) Ms. غضبان.
b) Ms. اتبعوه.
c) Ms. ابو.
d) Ms. جبدوا.
e) Ms. نعطيه.
f) Ms. ابي.
g) Ms. له.
h) Ms. نعرف.
i) Ms. نموت.
j) Ms. نقول.
k) Ms. ياخذوها.

وأُحَاسَب عليها فاعطِني أمناء أريها[a] لهم ويحملوها فاختار امير المؤمنين من قبائل الموحّدين اثنين من كلّ قبيلة فسار[b] الرجل مع اثني عشر من الأمناء وكان في يده سكّين الغدر لجاء [f° 47 r°] معهم الى الدار والمحلّة في ايكيليز ودخل معهم الدار وسدّها عليهم واعطاهم الفيسان باش[c] يحفروا فخلّاهم حتى اشتغلوا بالحفر فردّ يده على سيف الغدر فقتلهم به ولم يسلم منهم سوى واحد فرّ من طاق المصرّية وهرب الى ايكيليز فعرّف الموحّدين بالخبر واخبروا به الخليفة فسار الموحّدون اعزّهم الله ودخلوا عليه الغُرفة وجرّوه الى ايكيليز فقال له امير المؤمنين رضه هذا فرش وغطاء أفنى الموحّدين اقتلوه فقُتِل ،

وبقيت مرّاكش لم يدخلها داخل ولم يخرج منها خارج ثلاثة ايّام وكانوا يتشاورون على سكناها فامتنع الموحّدون ان يسكنوها فقام اليهم الفقهاء فقالوا لهم لأيّ شيء لا تسكنوها فقال لهم الموحّدون امتنع المهدي من ذلك ولا سيّما تشريق مساجدها عن القبلة المستقيمة التي لا عوج فيها ولا تحريف لأمّة محمد عم والتشريق والتحريف لغيرها من اليهود وغيرهم فقال الفقهاء تُطَهَّر وتسكنونها فقالوا لهم وما تطهيرها فقال الفقهاء تهدم جوامعُها وتبنى جوامع اخرى[d] فهدمت جوامعها لاجل تشريقها وتحريفها عن القبلة وامالتها الى المشرق وهُدِم فيها جامع علي ابن يوسف ولم يهدموه كلّه[e] بل هدموا بعضه[f] وأُرسِل الأمناء الى المدينة

a) Ms. نريها.
b) Ms. فصار.
c) Ms. *sic*.
d) Ms. أُخَر.
e) Ms. يهدموها كلّها.
f) Ms. بعضها.

مع الوزير وكان السبي[a] يضمّون للمخزن انماه الله ماكان من الحلي والقشّ والسلاح وماكان بالمدينة كلّها رُفع للمخزن وابتيع النساء ورجع كلّ شيء الى المخزن وحينئذ دخل الخليفة رضّه البلد وقسّم ازقّتها بالمروس للموحّدين فسكنوها شهرا ،

وقام علينا ثائر في كُزُولة يسمّى عمر بن الخيّاط ويلقّبونه ببُويكَنْدِي فارتدّ معه حاحة بعد توحيدهم مع [fo 47 vo] وكُراتة وهزميرة وهسكورة الوطاء مع دكّالة مع بني ورْيَاغَل وكان نسب هذا العدوّ من سلا وارتدّ اهل سبتة واهل طنجة واهل المريّة فخرج الى عدوّ الله من الموحّدين ابن يكّيت باهل السوس وهزمهم عدوّ الله ثمّ خرج اليهم الشيخ ابو حفص بالعسكر ومشى الى هزميرة وهزمهم وبدّد شملهم ومضى الى كُزولة وهزم عمر بن الخيّاط وقتله وساقه على بغل وصُلِب على باب الشريعة ، ثمّ خرج ابو حفص مرّة اخرى الى هسكورة وكانوا في آمان ملّولّنين فهزمهم ابو حفص وبدّد شملهم وساق غنائمهم وبناتهم فيهنّ بنت[b] تُونُدُوت فلم يبعْنَ[c] ثمّ خرج ايضا ابو حفص الى بَرَغْوَاطة والتقى معهم فهزموه واخذوا الثقلة فهبط ابو حفص باولاده الى تَادْلا وجدّد عسكره ومشى الى مكناسة ونزل عليها وحصرها ،

وجاء الصحراوي من ذلك البرّ بعد هروبه ارسل وراءه اهلُ سبتة فجاءهم ثمّ جاء علي بن عيسى الموحّد صاحب البحر بالقطائع وحصرهم في

a) Ms. وكانوا الصبي.

b) Ms. بن.

c) Ms. يُباعوا.

سبتة فخرج اليه الصحراوي من المدينة وقال له اريد[a] ان يكون توحيدي على يديك يا ابا الحسن قال له نعم وكان يساررة حتى انّسه فقال له احملك[b] الى الخليفة ثمّ رجع الصحراوي الى المدينة ورجع علي بن عيسى ايضا الى القطائع فلما كان غدا خرج يحيي ايضا واشار عليه علي بن عيسى فجاءه يحيي فهبط علي من الغراب واراد الجلوس معه فرأى علي في وجه يحيي الغير واراد ان يرجع الى الغراب فرمى عليه يحيي حصانه فضربه [بالرمح] فوصل[c] بين الكتفين حتى نفذه وأخذه غلام الصحراوي فجرّه الى سبتة فأخذه الصحراوي وصلبه في برج المدينة وخرج الصحراوي منها الى طنجة فرآها حريجة وقال ليحيي بن تَايشَّا اجلس موضعك هنّأك الله فيه وكان يحيي من الملثّمين ، ثمّ رجع الصحراوي الى سلا فأصاب [fº 48 rº] فيها الخيّاط والد الثائر المذكور فوجده على غير الاستقامة معهم فأخذه وضرب عنقه ورماه في البحر وفيّأ فزارة الذين اطاعوا الخيّاط ، وخرج الصحراوي من سلا بجنده يريد بُرْغَوَاطَة فاكرموه على وجه ان يقعد معهم ثمّ خرج عنهم يريد دكّالة فاجتمعوا عليه واخذوا بيده وأمّروه وبقي عندهم فجاءه رَكْرَاكَة وحاحة وبقي معهم في دكّالة واجتمعوا حوله ،

فلما سمع الخليفة ذلك اخرج اليهم يَصَّلَاسَن بالعسكر وأخذ على طريق تادلا وهبط منها الى تَالَمَّاغَت الى سلا ودخل سلا بالسيف وخرج منها وخلّى فيها موسى بن زيري الهنتاتي ومشى لبني وَرْيَاغَل وهزم ابن الحسن

a) Ms. نريد.

b) Ms. نحملك.

c) Ms. باوصل.

الوُرْيَاغْلِي وساق غنائمه الى مكناسة وتركها الموحّدون بيد ابي حفص فقسمها للموحدين ، ومشى الى الهبط والى طنجة بالسيف ووحّد صنهاجة وقتل صنهاجة وقتل يحيي بن تَايشًا وسار الى سبتة وحصرها ورجع عنها ولم يأخذها فارسل اليه ابن عياض بالتوحيد ووحّد اهل سبتة وهبط اليها عبد الله بن سليمان مع حفّاظه اعطاها له الخليفة رضّه ورجع ايضا يَصْلاسَن الى مكناسة ثمّ وَحّد آكُثَّ لَكُوط على يد ابي حفص وهبطوا باجمعهم الى مرّاكش ،

وارسل الخليفة الكتب لكلّ بلد وجأت العساكر من كلّ مكان جاء يوسف بن وانودين بعساكر[a] الشرق وسلاطينهم ووصل الى فاس ومرض بها ومات في طريق القلعة ودُفِن فيها وكان فيها عمران بن وُورْتَان وعبد الله بن شريف دفناه[b] في دار يحيي بن سير وكان يقود عسكره تاشفين بن مَاخُوخ والعبّاس بن عطيّة وحمامة بن مَطْهَر وعبد العزيز بن يخلفتن هؤلاء السلاطين الذين كانوا [fo 43 vo] يقودون عسكره بعد موته ، وكان يقود عسكر الغرب عبد الله بن خيار المكي بالجيّاني وكان يقود عسكر زناتة عبد الله بن شريف وهادي بن خميس ويَكْنُول بن محمد بن يَرْزَف هؤلاء سلاطين زناتة للغرب ، وكان يقود غمارة عبد الله بن سليمان ويقود صنهاجة بو بكر بن الجَبْر وابو يَدّر بن وَمْصَال ويقود جَرَاوة عبد الله بن داوود وحافظهم عمر بن ميمون فاجتمعوا كلّهم ،

وخرج الخليفة من مرّاكش الى وَشْبُور متاع هسكورة واجتمعت هناك

a) Ms. بعساكير.

b) Ms. دفنوه.

المحلّات على عون الله وتوفيقه فقلع الخليفة الى دكّالة وكان فيها يحيي الصحراوي في آيصرول فنزل عليها امير المؤمنين وتلاقوا ورأت دكّالة ما لم تقدر عليه فهرب شيوخهم مع يحيي الصحراوي الى السوس وتبعه يصلاسن الى ركراكة وبدّد شمل ركراكة ووحّدوا ومضى الصحراوي الى الصحراء وبدّد الخليفة [شمل] دكّالة وساق غنائمهم وباع نسأهم وبدّد شملهم ، ثمّ وحّد برغواطة وخرج اليهم ابو سعيد يخلف بن الحسن آتيكّي وعبد الله بن فاطمة اللمتوني وعمر بن آكّ لكُوط فمضوا حتى ساقوا مروّتهم وزكاتهم وما أخذوا لابي حفص من السلاح والاخبية وساقوا ولده وجاريته وجدّدوا من هناك عسكرا لثائر يسمّى بومزكيدا بحومة افندغل فبدّدوا شمله ، وساقوا غنائمهم فغنائمهم هؤلاء العبيد الذين يقال لهم ايت يرزيجن ، ثمّ مشوا الى يروكان لثائر يقال له هلال الأصلع وويلان ابن موسى وكان في موضع يسمّى بآصرو آن ايت عفيف في يروكان فهزموهم وبدّدوا شملهم واستقامت الدنيا بعون الله والحمد لله ، وكان ذلك كلّه في عام ثلاثة واربعين [fº 49 rº] وخمسمائة وكان الله لنا بالتوفيق معينا وبالتأييد ممدّا ،

[ذكر الاعتراف]

وبعد ذلك قتل مكناسةُ الفحّامين في نظر فاس فأرسل الجيّاني الكتب للخليفة وهو يقول حُصِرنا في فاس فقال له من ايّ سبب فقال له من امر مكناسة فانهم قتلوا الفحّامين في جبلهم فخرج الخليفة للموحّدين وعمل لهم المجلس ووعظهم وقال لهم الشارب اذا منع اللبن والماء منا

جزاؤه فقالوا له يُقَصّ قال احسنتم فيما قلتم ، ثمّ دخل الخليفة وكتب الجرائد لهم بالوعظ والاعتراف وقسمها لاشياخ الموحدين وامرهم بالسيف ، فبدأ بهم من باب مرّاكش وأعطى جريدة لايوب آكّدم ويحيي بن كُرُوط وضمّا[a] هزميرة الى رباطهم وقتلا[b] منهم خمسمائة من اهل التخليط ، ودفع جريدة اخرى لمحمد بن مضكّاد وعبد الله بن مَالّات شيخَيْ[c] رَكُراكة وقتلا[d] منهم من أهل التخليط ثمانمائة في آصَاكّا آنْ كَمَات ، ودفع جريدة اخرى لحاحة لصهر ابي سعيد مع عثمان بن مَنَاد وقتلا[d] منهم من اهل التخليط والمعاندين ثمانمائة ، ودفع جريدة اخرى الى السوس لمحمد بن ابي بكر بن يَكّيت وابن تَمُولي وقتلا[d] منهم من اهل التخليط ستّمائة في آيـكْلِي متاع السوس ، ودفع جريدة اخرى لوَمَصَال ابن وَدرَغ وَابي عمران موسى بن وَمَيَّان الى آيَنكِيسَت قتلا[e] منهم ستّمائة ، ودفع جريدة اخرى [الى كُزولة] لموسى بن عيسى والحسن بن سليمان قتلا[e] منهم في موضعين اثنين قتلا[e] في تَاعجِيزت مائتين وفي[f] هَشْتوكَة ثلاثمائة[g] ، ودفع جريدة اخرى الى هسكورة لسليمان بن ميمون وعلي بن يحيي وكَمَات بن عثمان وعبد الله [f° 49 v°] بن يومور قتلوا منهم ثمانمائة وغاروا على البقيّة في قياطينهم فجاء عددهم ألفان وخمسمائة ، ودفع جريدة اخرى لتادلا لعمر بن ميمون وعبد الله بن داوود الجَرَاوِي ومحمّد بن تُوفَاوت وسليمان بن تِيزَنكّاط وقتلوا منهم خمسمائة في موضع يقال له نَظير ثمّ جنّد

a) Ms. وضمّوا.
b) Ms. وقتلوا.
c) Ms. شيوخ.
d) Ms. وقتلوا.
e) Ms. قتلوا.
f) Ms. ومن.
g) Ms. ثلاثة مائة.

عمر بن ميمون وخرج لتازُرفت أن يملوان فقتلهم بموضع يقال له تِيفَسْرت وساق غنائمهم ونساءهم الى تادلا ، وشفع ابو بكر بن الجَبْر عند الخليفة في نسائهم فلم يبعن[a] ، ثمّ خرج ابو بكر بن الجَبْر وقتل من صنهاجة وجَراوة الفا في موضع يسمّى بالعَمْري ، وخرج آكَّ آنكِي الى القلعة متاع مَهْدي بن تَوالا باعترافهم وقتل منهم ستّة آلاف من زناتة فازاز ،

ودفع جريدة اخرى الى الرباط لابي سعيد يخلف آتيكِي ومحمد بن يحي[b] الكَدميوي قتلا[c] من صاربوه وبني مَكود اثني عشر ألفا ستّة آلاف[d] في المطامير وستّة آلاف وراء السوق في المَقرمَدة وقال لهم هذا جزاؤكم الذي قتلتم زِيرِي بن مَاخُوخ الذي بعث اليكم الخليفة رضّه وقتل محمد بن يحي داخل الرباط في المدينة ثمانمائة ، ودفع جريدة اخرى لغمارة لابي محمد عبد الله بن سليمان ويحي بن تُوكُروِرين وقتلا[e] في تِيطّاوِين ثمانمائة وقتلا[e] في الثلاثاء[f] متاع نُزُول اطْوَاست مائة ، ودفع جريدة اخرى للغرب لنظر فاس ومكناسة ليوسف بن سليمان وعبد الله بن خيار الجيّاني فقتلا[g] ثلاثمائة وقتلا[e] في مكناسة[h] مائتين وقتلا[e] في فاس من المؤتّنين والسوقة ثمانين ، ودفع جريدة اخرى لتامَسنا لعبد الله بن فاطمة اللمتوني وابي تُونَارت قتلا[i] منهم ستّمائة [fo 50 ro] في تِيط انْ واكُرّامت فيهم فَرحِيل متاع بَرغواطة ،

a) Ms. يباعوا.

b) Ms. محمد ; glose marg. : يحي.

c) Ms. قتلوا.

d) Ms. ألف.

e) Ms. وقتلوا.

f) Ms. الثلاثة.

g) Ms. فقتلوا.

h) Ms. مكلاثة.

i) Ms. قتلوا.

ودفع جريدة اخرى الى دكّالة لاسحاق بن عمر الهنتاتي قتل منهم ستّمائة وكان شفيقا عليهم ، ودفع جريدة اخرى الى هيلانة للحسن ابن المعلّم وعلي بن يخلف قتــلا[a] منهم في مغطاسة ثمانمائة ، ودفع جريدة اخرى الى وريكة لزكريا بن سعد الله الوريكي قتل من وريكة وهزرجة مائتين وخمسين ، ودفع جريدة اخرى الى لُجَاغَة ليحي بن سحنون وعبد الكريم الغيغائي قتلا[a] منهم مائة وخمسين من لُجَاغَة وغيغرت ، ودفع جريدة اخرى الى درعة ليحي الدرعي وعبد الصمد ابن تَادْرَاوَت والد يَرْزِيكَن قتلا[a] منهم ستّمائة ، ودفع جريدة اخرى لسَجَلْمَاسَة لعبد الله بن وَطْيِيب وضمّ الناس واراد قتلهم وكان فيهم عابد يقال له ابن بُوغْلَات فشكا الناس اليه فبسط يده ودعا لهم فأجاب الله دعاءه وانزل الله على عبد الله دُبَابةً ضَرَبَتْه في عنقه ومات في تلك الساعة وافترق الناس وانصرفوا الى اوطانهم ، ودفع جريدة اخرى لمحمد بن ابي بكر ابن تونذوت وقال له اصلح بلادك يا ابا عبد الله فقتل منهم الفا ،

وتمّ الاعتراف بحمد الله وعونه والصلاة على محمد نبيّه فهدأ الله البلاد للموحّدين واعانهم على الحقّ ونصرهم واقاموا الدين ولم يتفرّقوا فيه وتمهّدت الدنيا وازال الله ماكان فيها من التخليط فهذا كان سبب الاعتراف والحمد لله والصلاة على محمد نبيّه والرضى عن مهديه ، وكان ذلك في عام اربعة واربعين وخمسمائة وكان الله في احسن التوفيق[b] ،

a) Ms. قتلوا.

b) Glose marginale : وجلة من قُتِل عن هذه الجرائد اثنان وثلاثون ألفا وسبعمائة وثلاثون رجلا والله أعلم.

توجّه الأمر العزيز الى فتح بجاية

وبعد الاعتراف وتمهيد البلاد جدّد الخليفة الخروج الى سلا [f° 50 v°] في ذلك العام بعد الاعتراف وامر بساقية من غبولة ان تحفر وتُهبّط الى سلا والخليفة ساكن فيها وأمر برباط الفتح ان يحفر أساسه وبنى فيه قصرا ومكث في خدمة الساقية والاساس وبناء القصر خمسة أشهر ،

وأمر الخليفة بالعساكر ان تجيء الى سلا وبايعوه فيها واقلع منها الى بجاية والساقية لم تتمّ وبناء القصر وترك على اشتغالهما عبد الحقّ بن ابراهيم بن جامع ، فمشينا وجاز الخليفة من المعمورة هابطا الى الهبط وقال الناس لبرّ الاندلس يسير وقَطَعَ الاسفار من الطرق ومنع الّا يسافر احدٌ من سلا الى مكناسة ولا من مكناسة الى فاس ولا من تلمسان الى فاس وشدّد في ذلك وجعل أمناء على الطرق لئلّا يسلكها احدٌ وهبط هو بالمحلّة الى شَبَرِيط فنزل بجميع المحلّة فيها وكان أمامه عبيدٌ يلعبون منهم ميمون آغزَاف فانطق الله على لسانه بحلول أجله فقال كذا نفعل يا أمير المؤمنين في بجاية ان شاء الله فقال له الخليفة تكتف فأمر به فقُتِل ، وكان في مرج شَبَرِيط سبعٌ عظيم الخلقة فعمل له الموحّدون حفيرا وقتلوه في ذلك الحفير فصلبه الخليفة وقال له أهل ذلك الموضع انه كان لذلك السبع عندهم مائة عام لم يقدروا عليه فقال الخليفة للموحّدين ابشروا وبشّروا العبيدَ وقال لهم تاخذون انتم الاوصال المذهّبة ، وطلعنا مع الوادي متاع ورغة دون الطريق الكبير وخرجنا من مَسُون ولم يعلم احد ايّ طريق سلكنا وسلك بنا الخليفة على طريق لم تسلك حتى خرجنا من مَسُون

فجدونا السير الى بجاية ولم يتأنّ ونزل عليها ، ووحّد اهلها ووحّد ايضا القائد ميمون معهم وهرب منها يحيى بن العزيز الى قُسَنطِينة[a] ودخل الخليفة بجاية [fº 51 rº] بعون الله ونزل فيها وكان الله المعين على ذلك ،

وسار الخليفة الى سطيف وفيه قبر سطِيح فوق الطريق في ربوة وقرب منه الخليفة وقال للموحّدين ادفعوا خيلكم فدفع الخليفة جواده ودفع الموحّدون معه حتى وصل قبر سطيح وحكّ عليه جواده الذي ركب وكان جوادا ابلق[b] ودار عليه الموحّدون وانضمّ الناس اليه فقال لهم الخليفة رضّه أتعرفون ما قال صاحب هذا القبر قالوا له انت العارف بذلك فقال لهم الخليفة قال ازيلوني عن هذا القبر لئلّا تدرسني خيل عبد المؤمن ابن علي الكومي القيسي فكان كذلك بعون الله وتوفيقه ،

ثمّ ميّز الموحّدين وخرج يَصْلَاسَن بن المعزّ وعبد الله بن وانودين صهر أمير المؤمنين للغرب فتنازع عبد الله مع يصلاسن فقال له يصلاسن ما حقّك الّا الذي اعطاك الخليفة خادمة وهرب عنه يصلاسن وافرده فأخذه العرب اخذ يد فقام سفيهٌ منهم فقتله ، فبلغ الخليفة ذلك كلّه فغضب غضبا شديدا فميّز الموحّدين ووجّههم كافّة الى العرب ولم يبق الخليفة الّا مع الخاصّة والسوقة وقدّم على كلّ قبيلة اشياخها حتى وصلوا العرب فوحّد[c] من سلاطينهم دِيفَل بن ميمون واوصى الخليفة الموحدين وقال لهم لا تشتغلوا بالغنائم اذا سمعتم العرب تقول الرواح اتبعوهم ولا تشتغلوا

a) Glose : قُسطُنّطنة.

b) Ms. أبلَقًا.

c) Ms. فوُجِد.

بالغنائم فلما التقى الموحّدون والعرب قالت العرب الرواح فتبعهم الموحّدون ولم يشغلهم المال واتبعوهم يوما وليلة وهزموهم باذن الله واشتغل الموحّدون بضمّ المال ،

وهبط ابو قَصَبَة من بني زُلّدَوِي وهو ثائر على الخليفة وكان رضّه بجاية وكانت العساكر[a] قد توجّهت الى ما ذكرنا [fº 51 vº] من قصّة العرب ولم يبق في المدينة مع الخليفة الّا الخاصّة أهل الدار مع السوقة فميّزهم رضّه وخرج اليه وقال اعطوني القناة بيدي وكان لم يمسكها من عام البحيرة ثمّ قال خذوهم على نصر الله فغزاهم وهزم ابا قَصَبة ومات بنو زُلّدَوي ونصر الله الخليفة عليهم بحوله وقوّته ، وانصرف الخليفة والموحّدون الى مرّاكش بالغنائم والعربيّات والجمال فرحين مسرورين ،

قتل يصلاسن

وسار[b] الخليفة الى مرّاكش وامر لعبد الله بن سليمان وقال له في السرّ تحيل كيف تأخذ يصلاسن في البحر فعمّر عبد الله بن سليمان متنزّها قطعتين بالبنود وقال ليصلاسن بن المعزّ تمشي معنا للنزهة فدخل معه في القطائع وتنزّه ومضى به وجاء ثمّ طلب البحر فلما توسّط في البحر كبّله وجاء به الى سبتة وسجنه فيها ومشى عبد الله بن سليمان الى مرّاكش فقال له الخليفة ما فعلتَ في الذي امرناك فقال له عبد الله سجنته فقال له

a) Ms. العساكير.
b) Ms. وصار.

الخليفة سر واضرب عنقه فمشى الى سبتة وضرب عنقه وصلبه بالبيّنة والاشهاد وكان ذلك في عام ستّة واربعين وخمسمائة ،

وامّا ما كان من أمر غنائم العرب وسبيها فترك منها أمير المؤمنين في فاس وفي مكناسة وفي سلا وحمل مع نفسه سلاطينهم الى مرّاكش وعيالهم وهم دِيفَل بن ميمون وحبّاس بن الرومية وابن الزَّحَامَس وابن زيَّان وابو قطران وابو عرقة والقائد ابن معرّف فهؤلاء الملوك ردّ لهم الخليفة عيالهم وأعطاهم المال وصرفهم الى بلادهم فقالوا للخليفة تأمرنا بالرجوع اليك فقال لهم الخليفة مجاوبا لهم [f° 52 r°] نحن نصل اليكم وردّهم كافّة بنسائهم حملها لهم القبائل ، وكان ذلك في عام سبع واربعين وخمسمائة ،

وفي عام ثمانية واربعين خالف علينا هرغة واهل تينملّل فقتلهم الخليفة رضّه وهجر بني امغار ودفعهم الى فاس واسكنهم فيها وامر الجيّاني ان يحوشهم وأمر لهم فيها بسهام وأعطيت لهم ،

ولاية اولاد الخليفة ، وولّى الخليفة رضّه اولاده اعطى للسيّد ابي[a] محمد عبد الله بجاية وولّى عمر في تلمسان واعطى اشبيلية ليوسف وعمر ويوسف شقيقان[b] امّهما صفية بنت ابي عمران ، وفي ذلك العام خلق يعقوب بقصر عبد الكريم وأمّه أمة اهداها اليه ابن وزير وخلق عمر الرشيد في البحر وخرجت به أمّه في قادس خلقا[c] في عام واحد ، وولّى ابا سعيد غرناطة وولّى عليّا فاسا[d] وولّى ابا الربيع تادلا وسمّى السوس لابنه

a) Ms. ابو.

b) Ms. اشقّاء.

c) Ms. خلقوا.

d) Ms. فاس.

ابي زيد بن اللمطيّة ولم يسر اليه لانه كان صبيّا صغيرا ، ومن اولاده السيد اسماعيل حفيد مَاكّسن بن المعزّ وأمّ الامير علي فاسيّة تسمّى بفاطمة والامير محمد واخوه موسى أمّهما[a] من آيْزوربَا من السوس ،

وبعد عام ثمانية واربعين ارتدّت كُزولة وقام فيهم ثائر يسمّى بأبي بكر بن عمر وقتله حافظان اثنان كانا واليَيْن عليهم يسمّى احدهما عمر بن يَمادّن والثاني موسى بن عيسى وبعثوا ليحي الصحراوي فوصل اليهم مع الحاج بن مَرَكونة وسكنا[b] عندهم وكانا يضربان[c] اطراف السوس ، وارتدّت لمطة وقام فيهم ثائر يسمّى بمحمد آمَرْكَال ، ثمّ ارتدّت ايت يِيغَز وهبطوا الى تَازَاكُورت وكسروها وقتلوا وامازير بن حوّاء الهنتاتي فقال الخليفة رضه لابي حفص قامت الناقة بحملها يا ابا حفص فقال له [ايّها] الخليفة نرقّدها[d] ان شاء الله فميّز ابو حفص وخرج [f° 52 v°] الى القبلة وهو غضبان فعند خروجه تلقّاه ابو حبّوس وقال له ربطنا لك الطريق يا ابا حفص فقال له نحلّه بك فضربه بالرمح فقتله ، ثمّ تلقّى فوّالا وهو يقول « آغتّنْ كُود آرْغَان » فأخذه ايضا وقتله وقال له هذا فأل لك يا عدوّ الله ، وسار[e] الى القبلة وهرب قدّامه ايت يِيغَز للكُسْت واجتمعوا هنالك مع الصحراوي ، وبلغ ابو حفص الى سِيروَان وضمّ يني واوَزْكِيت

a) Ms. أمّهم.

b) Ms. وسكنوا.

c) Ms. وكانوا يضربون.

d) Ms. نرقّدوها.

e) Ms. وصار.

وقسمهم على نصفين فاعطى نصفهم لاهل تينملّل والنصف الثاني لهنتاتة ورجع الشيخ ابو حفص الى مرّاكش ووجّه وراء العساكر[a] فوصلت وقسمها الخليفة على الطلبة والحفّاظ فدفع عسكرا لابي حفص وعسكرا ثانيا لوَسْنَار وخرجوا للكُنْت ودفع عسكرا لعبد الله بن ابي بكر بن ونكي وعبد الله بن فاطمة وعمر بن ميمون لنُول لَمْطة وخرجوا بنصر الله فكسر الشيخ ابو حفص حصنا يسمّى بكَسْتُور ولم يقتلهم طمع بتوحيدهم ، وخرج وَسْنَار لتاسريرت وساق غنائمهم ثمّ رجع ابو حفص لهشتوكة وهزمهم وساق غنائمهم ، هزم ايضا آكّ انكي لمطة وساق غنائمهم وضرب آهُوكَار سلطان لمتونة ، ووحّد الحسين بن سليمان صاحب تاعكّيزت ، ووصلت الغنائم الى مرّاكش وبيعت بباب الشريعة الكُزوليّات واللمطيّات والجمال والبقر والغنم ،

وفي ذلك العام أخذ الخليفة في سهمه ثمانمائة ناقة وجعل عليها ابن وَمَانُون يرعاها ، وبعد ذلك خرج الخليفة لتينملّل للزيارة اليها ورجع من الزيارة وهبط الى سلا لبنائها ووجّه عن العساكر واعطى الخلافة لابنه محمد وبايعه الناس وأمير المؤمنين بسلا ،

ثمّ هرب بنو امغار من فاس الى مرّاكش وكان قد ترك الخليفة رضّه بمرّاكش عمر بن تَفْرَاكين [fo 53 ro] فوصل بنو آمغار الى مرّاكش ونزلوا بحيرتهم التي بباب الدبّاغين وباتوا فيها ، ووجّه الجيّاني للخليفة يعرفه بهروبهم من فاس ، وكانوا قد ذبحوا عند وصولهم البحيرة بقرة ووجّهوا عن اخوتهم المنافقين فخرجوا اليهم واعطوهم البركة فدخلوا مرّاكش

a) Ms. العساكير.

بالليل وقصدوا لديارهم وتواعدوا مع اصحابهم ان يقوموا غدوة في السحر وقصدوا لعمر بن تَفَرَاكِين وقالوا له اعطِنا المفاتح فامتنع لهم بها وكان المؤذّن بالصومعة يسمع كلامهم فلما منع ان يعطيهم شيئا امروا لعبيدهم فضربوا به وقتلوه فصرخ المؤذّن في الصومعة وهو يقول ثقّفوا الابواب مات ابن تَفَرَاكِين فسُدّت الابواب فسار بنو آمغار في المدينة وقام معهم الناس وقتل العبيد بالصبّاغين القدم ومات عبد العزيز عند باب الدبّاغين وقُتِل عيسى عند باب ايلان ومات كاتبهم بباب آغمات وارتجت المدينة فاخرجهم السوقة وعلّقوهم بباب الشريعة وخرج الناس الى البحيرة فوجدوا فيها اولادهم وعيالهم ووجدوا عندهم خُرْجاً مملوًا بالكتب فجاؤوا به وثقّفوه عند ابي الجيش مجاهد بن محمد العامري ، وسمع الخليفة الامر فامر الوزير ابا جعفر احمد بن ابي احمد فجدّ وطرق فلما وصل وجد ابن تَفَرَاكِين قد مات ومات اعداء الله ودفع ابو الجيش لابي جعفر مالهم والخرج الذي كانت فيه الكتب فقرأها بالليل وعرف ما فيها من اصحاب اعداء الله ثمّ بعث الى الخليفة بذلك فامر الخليفة الحدّادين بعمل القيود ثمّ وصل الخليفة الى مرّاكش ونزل في قصره واعطاه الوزير الخرج الذي كانت فيه الكتب ووقف على جميع ما فيها ثمّ امر ان يوجّه عن اعداء الله فأخذهم جميعا وقتلوا وكان [f° 53 v°] عددهم ثلاثة مائة كان فيهم خمسة رجال من اعيان الحضر من التجّار ،

ثمّ جمع رضّه السوقة باجمعهم صغيرهم وكبيرهم وقال لهم اليوم اعرف ان ما لي اخوانا ولا جيرانا غيركم وانتم اهل الامانات بارك الله لنا فيكم واعطاهم السلاح سيوفا ورماحا ودرقا وسكاكين وأمرهم ان يعملوا زقاقا

من آيمي آن تكمّي حتى الى السجن وامر باخراج اعداء الله من السجن عشرة في عشرة وكان يقتلونهم[a] بخصائهم فكلّ من قال منهم لايّ شيء أُقتَل قيل له هذا كتابك فيُعطى كتابه بيده كذلك فعل بهم حتى ماتوا جميعا ، وكان ذلك في عام تسعة واربعين وخمسمائة ،

وفي عام خمسين زار قبر الامام المهدي رضه وهبط الى سلا وبقي فيها عامَين اثنين ثمّ رجع الى مرّاكش وغرس البحيرة التي بشنطلولية ثمّ رجع الى سلا ، ومات الثائر الذي كان بكزولة المسمّى بابي بكر بن عمر ،

ووجّه الصحراوي بالتوحيد وبنو يِيغَز فخرج اليهم ابو سعيد يخلف اتيكّي بسيف الخليفة وكتابه بالعفو وجاء يحيي الصحراوي مع بني يِيغَز ووحّدت كزولة وهبط يحيي الى سلا للخليفة مع اشياخ كزولة وفرح بهم الخليفة واعطى للناس البركة وعمل لهم السّليف[b] وعفا عن بني يِيغز واعطاهم البركة ،

ثمّ خرج الخليفة بعسكره الى المهدية وبرز على تونس بروزا عظيما وكان وزيره عبد السلام الكومي فوحّد اهل تونس ثمّ قام منها ونزل على المهدية وكان فيها الروم فاخذها بعد الحصر والمجانيق ولم يمت فيها من الموحّدين سوى ابي عبد الله بن ابي بكر بن يكّيت ، ووحّد الصّقلّي بالقطائع ومهّد الخليفة تلك البلاد واقبل الى المغرب مع سادة[c] العرب [fº 54 rº] باجمعهم باولادهم وعيالهم فوصل امير المؤمنين الى سلا وقسم العرب على البلاد ومشى الى مرّاكش وبقي فيها عامين اثنين ،

a) Ms. يقتلهم.
b) Glose marginale : وعمل لهم آسّاس (بيان).
c) Ms. سادات.

ثمّ هبط ابن مَرْدَنِيش وابن همُشْكُ ومُدار الاقرع مع النصرانية الى اشبيلية وخرج اليهم الامير ابو يعقوب فهزموه ومات في تلك الهزيمة محمد ابن عمر الصنهاجي ويحيى بن ابي بكر بن الجَبْر وعمر بن ميمون الهرغي وولد وَسْنَار وابن علي صاحب بطليوس وابن الغَمْر وعين الزَّجَاج[a] وابن وزير وسلم الامير ابو يعقوب وطُرق به بالليل ودخل اشبيلية وبقي فيها والخليفة بمرّاكش ، وهُزِم ابو سعيد بغرناطة هزمه ابن مَرْدَنِيش وابن همُشْكُ ثمّ هبط السيد ابو سعيد يريد مرّاكش ،

فخرج الخليفة الى سلا وجيّش وجازْ الى جبل الفتح وبناه وشيّده وجازت العساكر الى غرناطة وهرب ابن مَرْدَنِيش بمحلّته من حَدَرَّة وهرب ابن همُشْكُ الى شقورة وحرّف الموحّدون مُدير من الحمراء ودخلوا غرناطة حتى الى المسجد الجامع وتشفّع فيهم ابو سعيد واشتراهم من الخليفة ببركته ، وجاز الخليفة الى سلا وقال ليوسف بن سليمان ركّبْ لي العرب ركّبْ لي منهم اربعة عشر ألفا واعطيك البشارة فركّبها حتى تخاطفت العرب على الخيل ودخل عليه يوسف بن سليمان بالبشارة ،

ثمّ مرض الخليفة وكان الامير عمر وزيره فوجّه الى اخيه يوسف الى اشبيلية واعطاه الولاية وبايعه الناس واكلوا آسْمَاس واعطى البركة للناس وطلع لمرّاكش ونزل في قصر ابيه ووجهّوا محمدا الى اغمات وسجنوه فيها فلما وصل الشيخ ابوحفص من اسَامّر بني سنان أطلقه وبقي يوسف في ولايته عشرين سنة وثلاث[b] سنين وخمسة عشر يوما وجاز الى برّ الاندلس وبقي فيه سبع سنين ثمّ مشى الى مرّاكش فبقي فيها [fº 54 vº] ،

a) Ms. الزّحَاج.   b) Ms. ثلاثة.

باب نذكر فيه

أمر الثائرين المنافقين على هذا الامر العزيز وكيف أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر

اوّلهم وَاسَكْيُوط الكنفيسي ، والثاني عبد العزيز بن كَرْمَان الهرغي ، والثالث عبد الله بن يعلاتن المكنى بابن ملوِيَة قتله كنفيسة مع ابي سعيد يخلف آتيكِّي ، والرابع مصبوغ اليدين قتله موسى بن زيري ويصلاسن ابن المعزّ في فَرُو ، والخامس ابو يعلى [قام في] صَفْرُوي متاع بني يَزْنَاسَن خرج اليه ابو ابراهيم مع ابي بكر بن ويفتن ، والسادس الغَيَّاتي المسمّى بسعيد جاء به اخوانه وصلبه الخليفة في لحص آداد في طريق فاس وقت نزولنا[a] على فاس ، والسابع يوسف الجيّاني خرج اليه ابو بكر بن الجَبّر وصُلِب في فاس ، والثامن محمد السايبة خرج اليه أبو بكر بن الجَبّر ايضا وصُلِب في فاس مع عمر بن يِينْتَان ، والتاسع هارون بن يحيي الزرهوني خرج اليه موسى بن زيري وعلي بن يَبُورك وساقاه[b] وصُلِب في سلا ، والعاشر بومزكيدا بحومة افَنْدَغُل خرج اليه ابو سعيد يخلف آتيكِّي وعبد الله بن فاطمة وبدّداه[c] وساقاه[b] غنائمه وهم ايت يَل آيْزَركْ ،

والحادي عشر ابو يكَنْدِي القائم بماسّة خرج اليه ابو حفص وجاء به ميّتا وصُلِب بباب الشريعة ، والثاني عشر ابو بكر بن عمر القائم بكزولة

a) Ms. ونزلنا.

b) Ms. وساقوه.

c) Ms. وبدّدوه.

خرج اليه ابو حفص ومات البشقيّ موته فوجّدت كُزولة ورجع ابو حفص ، والثالث عشر محمد آهُوكَار القائم بلمطة خرج اليه عبد الله بن ابي بكر بن وَنكُي وعمر بن ميمون الهرغي فقتلاه وجاء[a] بجميع غنائمه ، والرابع عشر يَدَّر الدكّالي القائم بدكّالة ومات عليه اهل الركوات وقتله الحسن بن المعلّم وحفّاظه وقتلوا[b] اصحابه ، والخامس عشر [f° 55 r°] سلّام بن حمامة الصنهاجي القائم بصنهاجة كسر المعدن وهدم القلعة خرج اليه ابو حفص وهرب الى القبلة فرجع عنه ابو حفص ، والسادس عشر هادي بن حَنِين [القائم] في فازاز خرج اليه ابو حفص وقتله ، والسابع عشر مُعَاد المسطاسّي القائم في ملوية خرج اليه زكريا بن سعيد الوريكي والجيّاني وجاءا به وصُلِب بمرّاكش وبعد ذلك جاء سلّام الى الخليفة بتوحيده فأخذه الخليفة وسجنه في دار ابن عروس حتى مات ، والثامن عشر ويتّميغَن بن ابي غَزْوَان قام في تِيسَغْمَار وقتل الحسن بن يرزيكَن وغزاه محمد بن محمد من الرباط مع ابن يحجّان ، والتاسع عشر محمد بن تافْطين الكَزولي قام في الوطاء بتافَرَاطا وغزاه زكريا الوريكي ، والموفي عشرون سعيد الفازازي ،

والحادي والعشرون هادي بن حَنِين غزاه الشيخ ابوحفص في قلعة مهدي ، والثاني والعشرون منّال قام في آيورَكان وغزاه سعد الله بن زيري مع موسى بن زيري ، والثالث والعشرون بنو ايت يِغَز قتلوا ومازير بن حوّاء فبدّد شملهم ابو حفص عمر بن علي ، والرابع والعشرون موسى

a) Ms. فقتلوه وجاؤوا.

b) Ms. وقتل.

ابن حمّاد القائم في القبلة في اسامّر ان بني سنان خرج اليه ابو حفص وسكن عليه حتى وحّد ، والخامس والعشرين ادريس بن بطّان الصنهاجي واخوه عطيّة خرج اليهما[a] يوسف بن سليمان وهزماه وكسرا[b] تادلا ثمّ خرج اليهما[c] ايّوب آكَّدَم وبنى تاكْرَارَت وخرج اليها ليسكنها فسكنها ثمّ خرج منها بالعسكر الى تَاوَرطَا فهزماه[d] ومات في تلك الهزيمة ثمّ أخذها محمد بن زكّو وسكنها مع الروم وهذا في مدّة أمير المؤمنين ابي يعقوب ثمّ هبطت صنهاجة بعدد [fº 55 vº] عديد وكان معهم ثائر يقال له بو وَغيُول الى تاكرارت وهو السادس والعشرون فخرج اليهم ابن زكّو فهزمهم وقتلهم قتلا زائدا ، والسابع والعشرون يقال له بو وَسَرْدُون قتله صنهاجة وساقوا بغله ورأسه للامير ابي[e] يعقوب ، والثامن والعشرون يسمّى عمر البِرْدَوْن قام بمكَلالة قتله أهل مكناسة وقطعوا رأسه وعلّقوه بباب المُشَاوِرين ، والتاسع والعشرون القاسم بن الحسن القائم في بني وَرْيَاغَل خرج اليه يصلاسن وقتله وساق غنائمه الى مكناسة ، الموفي ثلاثون الفقيه ابن عياض وحّد وجاء الى أمير المؤمنين ،

والحادي والثلاثون مَزِيزْدَغ الغماري القائم فى وَاكْرَارَن خرج اليه يوسف بن سليمان وبدّد شمله ثمّ وحّد وأُجيز الى برّ الاندلس الى قرطبة ، والثاني والثلاثون سَبَع بن مَنَغ فاد بن حيان غزاه أمير المؤمنين ابو

a) Ms. اليه.
b) Ms. وهزموه وكسروا.
c) Ms. اليهم.
d) Ms. فهزموه.
e) Ms. ابو.

يعقوب ، والثالث والثلاثون علي بن الرَّنْد صاحب قَفْصة خرج اليه أمير المؤمنين فوحّد وقُتِل القائد علي بن المُنْتَصر ووُجِدت عنده كتب التدليس ،

باب نذكر فيه

الثائرين بالاندلس على الامير

اوّلهم ابو القاسم بن حَمدِين القائم بقرطبة قتله مخلوف بن يَلُّولِّي ويحي بن يومور ، والثاني ابن مروان القائم بنظر قرطبة بقسنتنينة وفرنجولش قتله عبد الرحمن بن ينعمان ويخلف بن يلّولِّي ، والثالث ابن وزير وحّد ، والرابع البَطْرُوشي والفخّار خرج اليهما[a] يحي بن يومور فغزاهما وبدّد شملهما بمدينة لبلة[b] ، والخامس ابن علي القائم بيطليوس وحّد وحسُن توحيده ، والسادس ابو الغَمْر قام [fº 56 rº] بنظر شريش هو واخوه ابو العلاء فوحّدا[c] ، والسابع دَرْدُوش قام في قرمونة فخرج اليه الموحّدون وهرب لابن مَرْدَنيش ، والثامن ابن علي من رُنْدة مات موته ووحّد أهل رندة ، والتاسع ابن قِسِيّ في شلير[d] مع ازكش بوادي آش قتله عبد الله بن سليمان ، والعاشر ابن ملْجَان بوادي آش وبسطة خرج اليه ابو حفص فوحّد له ،

والحادي عشر عمر بن ابي[e] طُوط وَلَكُوط بماء تلبيرة[f] غزاه السيّد

a) Ms. اليهم.
b) Ms. ليلة.
c) Ms. فوحّدوا.
d) Ms. شَلبَر.
e) Ms. ابو.
f) Ms. بِالَبيرة.

ابن سعيد وعبد الله بن سليمان وقتلاه[a] ، والثاني عشر ابن مقدام القائم بُرشانة خرج اليه عبد الله بن سليمان من المَرِيّة بَرجَّالة القطائع فغدروه وقتلوه وخرج اليه ابو حفص فقتله واخذ برشانة وسار[b] الى لورقة[c] ونزل عليها فوحّد اهلها واهل قرطاجنّة واهل بَلَّش وهم من طاعة ابن مَرْدَنيش فرجع ابو حفص الى قرطبة ثمّ خرج ابن مردنيش الى لورقة[c] ونزل عليها وضيّق على اهلها وكان فيها الموحّدون فجاز الامير عمر الى برّ الاندلس هو وابو يعقوب يوسف بن سليمان بعساكر العرب والموحّدين فهزموه في الجَلَّاب وقتلوا من كان معه حتى لم يبق له الّا خيل قليلة[d] ومات فيها شيوخ العرب السبعة ثمّ قام الموحّدون ونزلوا في موضع يسمّى بحصن الفَرج وحصروا مرسيّة وضربت الخيل الى أوريولة ووصلت الى الش وساقوا الغنائم ثمّ قلعوا منها ورجعوا الى بلادهم سالمين غانمين ولم يتبقّ في تلك البلاد الّا الذين قُتِلوا من أشياخ العرب ، وبعد ذلك قام على ابن مردنيش اخوه ببلنسية وصهره بجزيرة شقر وقام عليه ابن الدلّال بشُبْرب وقام في شاطبة ابن عمروس فاغتاظ ابن مردنيش لما حلّ به وقتل اخته وحمق من اجل ما حلّ به وكتب العقد الى امير المؤمنين انه خليفةٌ على اولاده ، [fº 56 vº] ثمّ وحّد اولاده واخوه وقوّاده وسار[e] امير المؤمنين الى بلنسية وهدّنها وترك فيها يوسف بن محمد بن ييكيت وترك في

a) Ms. وقتلوه.
b) Ms. وصار.
c) Ms. لوقة.
d) Ms. قليل.
e) Ms. وصار.

الشرق من كلّ قبيل اسكن العرب وزناتة ببلنسية واسكن صنهاجة وهسكورة في شاطبة ومرسية واسكن في لورقة اهل تينملّل واسكن في المريّة وبرشانة كوميَة ، ووصل امير المؤمنين الى مرّاكش بعد غزوة ابي بِرْذَع

واجاز النصراني المسمّى بكُرُنْدُه الى مرّاكش ثمّ صرّفه وأعطاه السوس فأرسل الكتب من السوس الى الاشبونة الى ابن الرِّنك يعلمه بمكانه من السوس في ساحل البحر وقال له لعلّك تعمر القطائع لتاخذني ونجدّ معكم فأُخذ رسله بكتب الدلس فوجّه امير المؤمنين اليه وجاء من السوس الى مرّاكش فوجّه الخليفة الكتب لدرعة لموسى بن عبد الصمد يذكر له اذا وجّهنا لكم كُرُنْدُه واصحابه فقسّموهم على القبائل واقتلوه لانّا اخذنا عليه كتب الدلس ثمّ امر امير المؤمنين لكُرُنْدُه بالمشي الى درعة وقال له هي احسن لك من السوس فسار[a] مع اصحابه وكان عددهم ثلاثة مائة وخمسين من آيفَرْخَان فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمره امير المؤمنين وذلك عام خمسة وستّين وخمسمائة ،

باب نذكر فيه

غزوة سيروان

بعد وصول امير المؤمنين من قفصة ارتدّت بنو واوزكّيت وحصروا العدانيّين في آغْبَار عند دار ابي صالح عبد الحليم بن ابي عبد السلام وهو يَصَلْتَن بن يِلَازَغيغ من أهل خمسين فطلع الخليفة اليهم بعسكره

a) Ms. فصار.

وحصرهم واحرق ديارهم وطلع هسكورة في جبلهم من ناحية اخرى وطلع معهم محمد بن يَلُومَّان فلما رأوا ما حلّ بهم وحّدوا ، وقلع امير المؤمنين عنهم الى آيكْيليز متاع هرغة وزار الغار الذي دخل الامام رضّه [fo 57 ro] وطلع على طريق تينملّل وزار وهبط لمرّاكش وكان الامير ابو يوسف وزيره ثمّ جنّد وجاء الى جزيرة الاندلس وعمل غزوة شنترين وتوفّي بها رحمه الله وكانت ولايته عشرين سنة وثلاث سنين وخمسة عشر يوما ،

باب نذكر فيه

الحصون التي بناها المجسّمون ليجعلوا فيها خيلهم ورجالهم ويتحصّنوا فيها فلم ينفذهم من امر الله شيء

اخذ المجسّمون الحصون وبنوها في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي يتنصّروا بها على الموحّدين اعزّهم الله فلم ينصرهم الله ، فاوّلها تاسْغَيموت بناها ميمون بن ياسين وكان فيها ابو بكر بن اللمطي بمائتي فارس وخمسمائة راجل يحرس بها بلاد هزرجة فخرج اليها الموحّدون من تينملّل وعبد الرحمن بن زكّو وكسرناها ليلة سبت وبدّدنا شملهم وقلعنا ابوابها وهي الابواب التي جُعلت في تينملّل على باب الفخّارين ،

وحصن آنسا بني آيمَّادِيدَن كان فيه عمر بن ديّان غزاه الامام المهدي مع الموحّدين رضّهم ،

وحصن تَافَرْكَكُّونت في كَيك غَيْغرة غزاه البشير مع اصحابه ومات عمر بن يَنَدُوك فأخذنا له مائة وخمسين فرسا ومات فيهم خمسمائة رجل وغنمنا في غنيمتهم خمسمائة حمار دون البقر والغنم ،

والحصن الذي في وِيرْكان كان فيه المندوبون وماتوا وبدّد الله شملهم انه عزيز حكيم ،

والحصن الذي بآسّكابو في جبل تِينَغْرُم او تِينَلْفِيق فيه[a] يُوكِّين اكِيدَرَن وهبط اليه امير المؤمنين بثلاثة عساكر فنزلنا عليه وقاتلنا ثلاثة ايّام فجاءهم الأُبرْتيّر بتاوُرْغت واقلعنا عنهم الى مَسْكَرُوطَان فربطنا طريقه بالعود والحجر فضرب الابرتير الى مسكروطان فوجده مربوطا فهبطنا الى السوس فكسرنا بئر ابي ميمون في زحريفة ومغيلة وهبطنا [f° 57 v°] منها الى تَارُودَانت وفيها مَعْلي بن لؤلؤ وهرب منها الى تِينَوْنوين وسكنّا على تِينَوْنوين وكسرناها ومات فيها صالح بن صارة وسقنا غنائمه الى آيْكيليز وهرب منها آكْدِي بن موسى ووحّد الفلاكي في آيكيليز هرغة ووحّد مع اصحابه وجاء مع امير المؤمنين الى تينملّل في عام خمسة وثلاثين وخمسمائة ، وفيه استفتح الخليفة السوس بأسرها وساق غنائمها لتينملّل وساق ألف وخمسمائة امرأة وعمل لهنّ الزرب فيها وكانت فيهنّ[b] تَاماكُّونت بنت سير بن وريبل وكان الأُبرْتيّر غنم تيغيغايين ان تَامَارُوت وكانت فيهنّ حوّاء امرأة يَعَزّى بن مخلوف وكنّ عند علي بن يوسف بمرّاكش ثمّ نطقت تاماكُّونت فقالت هنا أمير المؤمنين فسمعها وقال لها نعم فقالت له كيف لا تشفع فيّ كما شفع ابي مع يِنْتّان بن عِمْران[c] في المهدي فقال لها صدقت

a) Ms. فيها. — *b)* Ms. فيهم. — *c)* Ms. *sic.*

ابلّغك[a] الى اهلك فقالت له انا ومن معي فقال لها سيري انت ومن معك فركّبهنّ واطلقهنّ ووجّههنّ الى لجّاغة واطلق عليٌّ بن يوسف ايضا لتيغيغايين وزيّنهنّ وارسلهنّ الى امير المؤمنين ،

والحصن متاع تاسُنولت وكان فيه الخيل والرجالة وكان عليها مُعاد بن موسى ،

وحصن آصَكّا آنْ كَمَات كان فيه اسحق بن ييِنْتَان ،

وحصن تَارُولُولَت اَنْ يكَدْمِيوَن كان فيه ابو بكر بن عمر بن ييِنْتَان ،

وحصن لُجَّاغَة كان فيه ابو بكر بن اللمطيّة ،

وحصن نفيس كان فيه مُعَاد بن تَرونَّكَا ،

وحصن هَيْلانة كان فيه الزبير بن نبطاسن ،

وحصن هسكورة متاع آشْبُور وكان فيه ابو بكر بن الجوهر ،

وحصن تادلا حصن تَاكَزُورَرت كان فيه يَدَاليم وكان على رأي علي ابن يوسف ،

وحصن دَاي كان فيه ابراهيم بن سامّدَن [f° 58 r°] ،

وحصن تاكَرارت كان فيه يحيى بن نَسَافور ،

وحصن آصَرُو متاع بني عبد الله كان فيه ابراهيم بن سير ،

وحصن القلعة كان فيه يحيى بن سير ،

وحصن تاسغمارت كان فيه ميمون بن صارة ،

وحصن الفَلّاج كان فيه مظكود بن سلمان من بني واريتن ،

وحصن كَرْنَطَا كان فيه عبد الله بن عاصّمت ،

a) Ms. نبلّغك.

وحصن تُونَكَّطَايان في زرهون كان فيه علي بن حَيَّان ورجاله ورماته فغزاهم عبد الرحمن بن يومور[a] ثمّ وحّد اهل زرهون وتوفّي عندهم عبد الرحمن ودُفِن عندهم في بني منصور ،

وحصن الولجة كان فيه محمد اكُونَاط ،

وحصن تَازَغدرا متاع لُجَايَة كان فيه الزبير بن عائشة ودَاقَال بن حوّاء ،

قال ابن جواهر وهذا ما رأينا ودخلنا من جميع الحصون التي اظفر الله بها في امارة الامام المهدي رضّه وامارة الخليفة امير المؤمنين رضّه ،

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى وحسن عونه والصلاة على سيّدنا محمد الكريم وآله ،

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على محمد وآله

باب

ذكر تأريخ هذا الامر خلّده الله من الغزوات والفتوحات

وغير ذلك مؤرّخا بحوله وقوّته تعالى ، لما اراد الله انفاذ حكمه وانجاز وعده جاء الله بالامام المهدي رضّه لأمّة محمّد عليه السلام فضلا منه وهداية ، فبويع رضّه برباط هرغة وفّقهم الله سنة خمس عشرة[b] وخمسمائة ، فمكث هنالك عام ستّة عشر فجاءته جماعة هنتاتة وفّقهم الله مع اهل تونِدوت عام سبعة عشر وخمسمائة ، ثمّ طلع الى الجبل لـكَنفيسة فبايعوه هنالك ، وفيه هُزِم بكّو بن علي بن يوسف من السوس ، وفيه فُتِحت تاسغيموت وقتِل فيه ابن وزروال وحُملت ابوابها الى تينملّل ،

a) Ms. يسّومور. — b) Ms. خمسة عشر.

وفي عام ثمانية عشر وخمسمائة [f° 58 v°] وحّد مهاجرو[a] كنفيسة وابو واطيل يكلّد بن يملّول مع بني وَاكّاس ثمّ نزل الى جبل نفيس ثمّ فتح بلاد مَاغُوسة وهُناية ووادي نفيس ،

وفي عام تسعة عشر وخمسمائة شُرِع في بناء المدينة المباركة تينملّل ،

وفي عام عشرين وخمسمائة[b] بُعِث طلبة الموحّدين أعزّهم الله الى قبائل الموحّدين أعزّهم الله منهم ابو [مو]سى بن تمويمق الى اهل تِيفنَوت وابو محمد عطيّة المَنكصي الى غُجْدامة وغيرهما[c] من الطلبة المباركة ، وفيه مات ابو موسى شهيدا وفيه مات ابو محمد عطيّة شهيدا ، وفيه نزل الامام المهدي رضّه الى تِيفنوت وهنتاتة ومشى الى تاسكَّدلت والى تُونُدوت والى جبل وَيَانكّلت ، وفيه استشهد عبد المؤمن بن عمر مع الغازي يتّيدير بن ابي بكر ، وفيه فُتِحت تُوغَدْوين مسيفرة ، وفيه وحّد المهاجرون منهم ، وفيه استشهد حَمّودن بن يَسَلّالي ثمّ رجع رضّه الى المدينة المباركة تينملل ،

وفي عام احد وعشرين وخمسمائة كتب الرسالة المنظّمة الى الموحّدين في بعض غزواتهم وهي التي بعث الخليفة الى كزولة ، وفيه فتح رضّه تاسْريرت ،

وفي عام اثنين وعشرين وخمسمائة قاتل آوَصْليم بني وَاوَمَ غي ، وفيه غزا عمر بن تُورْتَل بتاسَكّدلْت ،

وفي عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة كان التميز لابي محمد البشير رضّه ، في آخره كان خروجهم الى البحيرة ،

a) Ms. مهاجرين.

b) Le ms. ajoute ici فيه.

c) Ms. وغيرهم.

وفي عام اربعة وعشرين وخمسمائة كانت الوقيعة في اوّل العام ، وفيه توفّي الامام المهدي رضّه ،

وفي عام خمسة وعشرين وخمسمائة فسد امير المؤمنين رضّه اسَنُكار بالسوس ،

وفي عام ستّة وعشرين وخمسمائة فُتِحت مدينة آيكَّلِي بالسوس ، وفيه فتح ابو يعقوب بن وانودين تَارْطكّال ،

وفي عام سبعة وعشرين وخمسمائة بويع الخليفة رضّه ،

انتهى ما وجد من الاوراق المتعلّقة بتأريخ الموحّدين
بالخزانة الاسكريالية من قطر اسبانيا

APPENDICE I.

TEXTE COMPLET DE LA LETTRE CALIFIENNE DITE *Risālat al-fuṣūl* (1).

وكتب الوزير الاجلّ أبو جعفر ابن عطيّة رحمه الله

عن أمير المؤمنين الى أهل بجاية يوصيهم باقامة الحدود وحفظ الشرائع واظهار الحقّ بلزوم الواجبات

من أمير المؤمنين أيّده الله بنصره وأمدّه بمعونته ، الى الطلبة الذين بجاية أدام الله كرامتهم ووصل صونهم وحمايتهم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

امّا بعد فانّا نحمد اليكم الله الذي لا اله الّا هو ونشكره على آلائه ونعمه ، ونصلّي على محمد نبيه ورسوله ، والحمد لله على ما أمدّ به هذه الدعوة العظيمة والكلمة العليّة الكريمة ، من الاضواء والانوار ، وقرن بعزائم أوليائها من الأخذ بحجز العباد عن التهافت في النار ، وأحكم بايمانهم من معاهد الهدى التي من استمسك بها فقد فاز بعقبى الدار ، وأبان بهم معالم السنّة المستبينة الضوى الهادية المنار ، التي من سلك جددها فقد أمن من

(1) D'après le manuscrit acquis à Fès en 1926 par M. Georges S. Colin. Voir *supra*, pp. ١٣-١٧ et l'Introduction.

العثار[a] ، ووقّف هممهم لديه من مراعاة أمور الدين في الناهي والداني من الاقطار ، نحمده حمد من اهتدى الى انه الموجود المطلق الذي لا يتقيّد بالامكنة والاعصار ، الواحد الفرد الصمد المنزّه عن الشركاء والانظار ، المتعالي عن صفات التخيّر والانتقال والعجز والافتقار ، المحيط بجميع الموجودات احاطة لا تحدّها حدّة الاذهان ولا تلحقها دقائق الافكار ، لا اله الّا هو لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ[b] ،

ونصلّي على محمّد نبيّه المبتعث من أكرم* نجار ، والمؤيّد بالمعجزات التي دحضت حجج الكفّار ، وخرقت مستمرّ العادة للعلم انها فعل الواحد القهّار ، وأنت على وفق الدعوى لتتبيّن لها صدقه على الاضرار ، وحكمت في كلّ من لم يؤمن بها كلّ طريد الشبي ماضي الغرار ، وعلى آله وصحبه السالكين في ذلك السنن والمجرين في ذلك المضمار ، ونواصل الرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم القائم بأمر الله تعالى ،

لما ارتفع العلم بقبض العلماء الاخيار ، وأعجب كلّ ذي رأي برأيه من الصمّ البكم الرغام الاغمار ، وقامت خطباؤهم بأفانين التضليل وضروب الاغترار ، وقلّبوا الحقائق فظهر من التبدّل والتغيير ما أخفى دين الله تعالى الذي تكفّل له بالاظهار ، وانبسط في البسيطة من المناكر ما لا يحتاج الى اطالة في تعديده مع الوضوح والاشتهار ، فجلى بضياء حكمه ما استولى على افاقها من الظلم المشتدّة الاعتكار ، وأبان بمعجز علمه من العلم بالله تعالى ورسله وبما جأت به رسله ما كان في طيّ الخفاء والاستتار ،

a) Le ms. porte الغيار, qui est moins bon, étant donné le contexte.

b) *Coran*, sūr. VI, vers. 103.

وعلّم طرق العلم التعليم الذي انتفع به أولو التيقّن والاستبصار ، وضرح عن موارد الدين ما شملها من الشوائب والأكدار ، وأمدّه بالطائفة المنصورة المفتوح لها لصريح الوحي وصحيح الاخبار ، كلّ دانٍ وشاسع من الامصار ، الوارثين علمه والعاملين به والمتصرّفين له ليبقى أمره العظيم على الدوام والاستمرار ، الى قيام الساعة وانقضاء هذه الدار ،

فانّ كتابنا هذا اليكم كتب الله لكم كلّ خير جزيل ، وأعانكم على امتثال أوامر* التنزيل ، وجعلكم حارسين على حكم الكتاب والسنّة في الدقيق من الامور والجليل ، من رباط الفتح عمّره الله والطائفة المنصورة محفوفة من حفظ الله وكلاءته ، ومكنوفة من صونه وحمايته ، وممنوحة من اظهاره واعلائه ، ومخصوصة من ارقائه واسمائه ، وممدّة من اضاءة زندها وايرائه ، في تسنية مرامها واسنائه ، بما انهضنا الله به الى احياء معالم السنّة واحكام امراسها ، وتثبيت أركان الدعوة على وثيق أساسها ، وتطهير الامّة من أدرانها وأدناسها ، وتعليمها كيف يستضى بمشكاة الهداية وتعشو الى نبراسها ، ليمشوا على السنن اللاحب ، ويتقيّدوا بالشرع المرتب الراتب ، ويعملوا في أمر دينهم ودنياهم باللازم الواجب ، فلا تلبّسوا الهدى بالضلال ، ولا يشوبون التحقيق بالابطال ، ولا يخلطون العمل بالرفض ، ولا يبعّضون الايمان فيقولون نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ، ليتّخذوا بين الرشد والغيّ سبيلا ، وليروموا في الصحيح الثابت تغييرا وتبديلا ، الى ان تخلص قلوبهم من الرَّيْن ، ويكون عندهم العلم والعمل متلازمَيْن ، والباطن والظاهر متطابقَيْن ، والقول والفعل غير متعارضَيْن ، ولا متنافيَيْن ، والله المعين على اكمال هذا المقصد واتمامه ، والملي

بايتلاف جميع الجهات والاكناف على ما نؤثره من اتّصاله وانتظامه ،

ولما كان هذا الامر العظيم انّما جاء في حين الفترة وشمول الحيرة وارتفاع العلم وحلول الجهل ، وانبساط الجور وانقباض العدل ، وتملّك الهمج الرعاع ، *واتّباع الهوى المضلّ والشحّ المطاع ، وقام به الامام المعصوم المهدي المعلوم رضّه عندما اريد بحر الضلال وطمى ، واعتلى سلطان الكفر واستمى ، وتطاير شرّ الاشرار وارتمى ، وتفرّقت في انواع الاباطيل الازاء ، وغيّرت معالم السنّة البدعُ والاهواء ، والدين اجنبيّ غريب ، لا مناسب له ولا قريب ، ولا داعي له ولا مجيب ، وقد قنع اهل الدنيا في معارفهم بمسودّ الصحائف ، مسطور الزخارف ، لاماتة المعارف ، وتطمين العوارف ، وجرّ المطارف ، في صون التاليد وجلب الطارف ، فبصّر وعلّم ، وثقّف وقوّم ، وأتقن وأحكم ، ونوّر ما أظلم ، وأظهر ما استبهم[a] ، وأنجد في تعليم العلم وأتهم ،

ثمّ أورث علمه طائفته فبثّوه في البلاد ، وأفاضوا نوره على العباد ، طورا باللين وطورا بالاشتداد ، وحالا بالسياسة وحالا بالجهاد ، واونة بالمواعظ الحسنة واونه بالسيوف الحداد ، الى ان القى الناس يد الاستسلام ، وأظهروا الاجابة الى دعامة الاسلام ، فمن آمن منهم بهذا الأمر العظيم من علم ويقين ، واخلاص مستبين ، فهو يتقيّد بقيوده ، ويقف عند حدوده ، ويجري على معروفه ومعهوده ، ويبدو على ظواهره ، ما اكنّه في سرائره ، ويلوح على اساريره ، ما اسره في ضميره ، ومن حجبه عن الايمان به والاخلاص له حجاب ، وحصل في نفسه من الذي جا به

a) Ms. استتر.

لبس وارتياب ، فهو باقٍ في احواله على المذهب الذميم ، وعاكف في أعماله على الرسم القويم ، وطائف بين اطلاله لا يبرح ولا يريم ، يفتتن بما كان الفه ويهيم* ، ويريح في تلك المسارح ما أمكنه ويسيم ، فتراه يتخطّى الحدود ويتعدّاها ، ويهمل الأوامر ولا يرعاها ، ويغشى تلك المألوفات ولا يخشاها ، ويساعد نفسه الامارة بالسورة ولا ينهاها ، ويغفل ما لها فلا يخاف عقباها ،

ومن كانت هذه حاله فهو ممّن لم يؤمن[a] بالله ولا رسوله ولا بما جأت به الرسل ، ولا بالامام المهدي الذي قامت عليه البراهين واتّضحت في أمره السبل ، بل هو متمادٍ على كفره وتجسيمه ، غير منتفع بتقويمه ، ولا مستبصر بتعليمه ، ويحكم ما ناطه الله تعالى بنا من أمور عباده ، وسدّه الينا من نصر دينه وانجاده ، وقلّدنا ايّاه من الوقوف على حماية باطنه وظاهره في أغوار العالم وأنجاده ،

لم نزل نتصفّح أحوال الأنام ، ونصل تصفّحها على الليالي والايّام ، ونقصد هذا المقصد بقوّة واعتزام ، ونأخذ في الكشف عنه بمواظبة والتزام ، متّبعين في العمل بالعلم اثر الامام ، المعصوم الذي احتذى فيه حذو جدّه عليه السلام ، راغبين اليه تعالى في اعظام الأجر واجزال المثوبة على القيام بهذا المقام ،

لاكن الناس مع مواظبتهم بالتذكير ، وملازمتهم بالتنبيه والتبصير ، لم يتركوا الافعال التي رسخت في الصدور والملكات التي استقرّت في القلوب والحالات التي انطوت على إلفها احناء الضلوع وابوا الّا ارتطاما في الغيّ

a) Ms. تؤمن.

وارتباكا ، وانكشافا في طواعية الشهوات وانهماكا ، وخلعا لعذر النهي وانتهاكا ، واجراء في مهامة البطالة واستنانا ، وتحليقا في جوّ الغواية وطيرانا ، واغفالا* لما احدق بهم من أمر الله تعالى ونسيانا ،

فنهضنا الى معاهدة التفقّد بعزم قُرعت له الظنابيب ، وجُري فيه الى مدّ القصر عن شأوه الجرد السراجيب ، وجعلناه تعهّدا عامّاً في البعد والقرب ، ونظرا شاملا ينتظم حاشيتَيْ الشرق والغرب ، لتأخذ الجهات حقّها من الضبط ، وتتّزن الجنبات بميزان العدل والقسط ، وتستقيم البرية على قانون الانتظام والربط ، فتكون العهود محفوظة ، وسطوات الله تعالى بمخالفي أمره لمراقبة ملحوظة ،

وابتدئ باوّل مباني الاسلام فأخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو أساس الدين ومبناه ، وروحه ومعناه ، القاعدة التي لا يثبت عمل دون تأصيلها ، والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها ، فلا سبب لمن لم يتمسّك بسببه ، وقد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به ، وهو اثبات الواحد ، وبقي ما سواه ، بتقييدات في الشريعة لا يكفي معها اطلاق اللفظ دون تحقيق معناه ، وذلك ان يعلم على وجهه وحدّه ، ليكون عن علم لا عن ضدّه ، وعن يقين لا عن شكّ ، وعن اخلاص لا عن شرك ، وان يقوله مع العمل ولا يتّكل ، ويؤمر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلّمون به ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من اوّله الى اخر القول في المعجزات ويحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهّدوه ، ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهّم والتبيّن والتنبّه والتبصّر ، ويلزم العامّة ومن في الديار

بقراءة العقيدة التي اوّلها « اعلمْ أرشدنا الله وايّاك » وحفظها وتفهّمها ،

واشمل في هذا الالزام الرجال* والنساء والأحرار والعبيد وكلّ من توجّه عليه التكليف اذ لا يصحّ لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد ، فمن لم يعرف المرسل ، لم يصدق بالمرسل ، ولا بالرسالة ، ومن حصل على مثل هذه الحالة ، فقد تعثر في اذيال الضلالة ، فان لم يبادر الى التخلّص منها والانفصال بالعلم عنها فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت في اراقة دمه لا محالة ،

وأخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المؤمنين ، والحكم المثبوت عن كلّ من آمن بهذا الدين ، والناهية عن الفحشا والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين ، ولا حَظّ في الاسلام لمن ترك الصلاة فهو ممحو من ديوان المؤمنين ، ومن ضيّعها فهو لما سواها اضيع من الوظائف والقوانين ، وتاركها ميّت في عدد الاحياء لحشاشه تقصى عند انقضاء أمد الامهال والاملا ، فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت واداتها بحسب ما فرضت ، وخذوا العوّام ومن في الديار بحفظ امّ القرآن وسورة معها وما تيسّر من القرآن لتتمّ صلاتهم ويكمل عملهم ، من أضاع الصلاة وأهملها ولم يبادر الى اداء ما فرض عليه منها فأجله للحين متاح وقتله بحكم الكتاب والسنّة واجب ،

وخذوا بايتاء الزكاة وبالكشف عن مانعها وتشخيص ممسّكيها أو النذر اليسير منها فالزكاة حقّ المال والجهاد ، واجب على من منع منها قدر العقال ، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة فمن منع فريضة واحدة كمن منع الفرائض كلّها ومن منع عقالا فما فوقه كمن منع الشرع كلّه ،

وآمرُ بالنظر في الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمني شربها ومستعمليها فيراق مسطرها ويقطع منطرها ، وليعمد الى من* عمل المسكر الحرام عامدا وشربه مدمنا عليه ومعاهدا ولم ترعه الحدود ، ولم تقيّده القيود ، ولم يعظه الاعتبار ، ولم ينفعه الادكار ، فيمحى اثره ، ويحذف خبره ، فالخمر أمّ الكبائر وجماع الاثم وكاسفة شمس العقل ، والبلاغة على كلّ قبيح من الفعل ، والفاتحة كلّ مرتج من ابواب العصيان ، وهي رجس من عمل الشيطان ،

وآمرُ بالكشف عن التلصّص والحرابة والتولّج في مكان من الريف والغواية والاجتماع على سيرة الجاهليّة من الملاهي على فنونها وانواعها وضروبها ، واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشيئة عن أصل الجهالة والافعال المنافية للشريعة الصادرة على أهل الذراعة والضلالة من الرجال المفسدين ، الغواة المضلّين ، ومن النساء المفسدات المتفنّنات في طرق الغوايات ، فاكشفوا عن هذه الاصناف وايثروهم من مكامنهم ونقّبوا عليهم في مظانّهم ، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنّة باستصحاب حاله وتماديه على الاحضار في محلّ باطله ومحاله فيحكم كتاب الله جلّ اسمه عليه وقطاع سنّة نبيّه صلّعم فيه ، وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم ، ويأكلون بالباطل أموالهم ، وعن أهل العناد والتقاعس والاخلاد ، والتثبّط عن الذين اذا دُعوا الى الجهاد ، ونودوا الى الصلاح والرشاد ، صمّوا عن النداء وتلوّموا في اجابة الدعاء والقوا المعاذير المعربة عن النفاق والناطقة عن الضماير الممتلئة بسوء الاعتقاد ، وعن القبائل الباقية على سير الجاهليّة من الهرج فيما بينهم والقتل والفساد ،

والخبل والانقياد ، الى سلطان الجهل والخروج عن قانون الحقّ وضبط الامر وعلى اهل النفاق والتدليس الناطقين بما لا يعلمون ، والقائلين ما لا يفعلون ، فاذا تعيّنوا على التحقيق فليمضِ عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم ،

وقد أنفذنا اليكم وفّق الله* مقاصدكم ، وعمّ بالتقوى معاهدكم ، نسخة كتاب كريم ، صدر عن الامام المعصوم المهدي المعلوم رضّه مشتمل على جوامع الكلم ، ومنطق على روائع الحكم ، لم يغادر في المعنى الذي تضمّنه متردّما ، ولم يوجد متأخّرا عن الوقوف دون مقتضاه ولا متقدّما ، ولم يوسع متربّصا في البدار ولا متلوّما ، فيه الملاذ والمعاد ، وعليه الاعتماد والاستناد ، واليه المرجع والمفزع واتم تقفون منه على حكم الله تعالى في القوم الذين ذكرهم ممّن لا دين له ولا امانة ولا عهد ولا ميثاق المدّعين للحقّ بالاقوال ، مع التمادي على التضييع بالافعال ، واظهار الاستماع والقبول في الظاهر واتّباع الجهل والهوى في الباطن ، وتعلمون ما جعل العمل عليه في أعداء الدين والعلم وما حكم به فيهم ولا معدل لنا عن حكم سرّ البيت المتلو فيه آيات الله والحكمة المستخرج الحكم من مشكاة النبوة ومرآة العظة الذي انتظم به الامر على سنن الهدى واستقام على نهج التقوى فمن عانده أو خالفه أو ضادّه أو كابره أو عصاه أو ناواه أو جهله وأصمل أمره فقد حاق به الردى بالانقياد لما يقضى به واجبه والاستمساك بأمره حتم والرجوع اليه في أمر الدين والدنيا فرض لانّ قضاه وأمره هو قضاء ربّه وأمره وارادته وحكمه وقد حكم رضّه هذا الحكم فيمن هاجر اليه اوّل الأمر ، وأتاه عند طمو البحر

واتّصل به في سلطان الهرج ونزع اليه عند الابتلاء والمحنة واضطرام نار الفتنة لما أنس منهم النفاق وعلم فيهم فساد الباطن وشهد منهم مكابدة الدين ، والدخول فيها من غير يقين ، وفتح باب جهادهم ومحو أثرهم وجعله أهمّ وأولى من جهاد الكفرة المجسّمين ، فكيف فيمن أتى بآخرة عند استواء شمس* الهدى على الافاق واخفائها خيلات اهل العتو والاستكبار والمرود على الرفاق ، ممّن جاء مخافة البيض الرقاق ، وأتى عند بلوغ النفس الى التراق ، وخاف من يوم عصيب يكشف فيه عن ساق ، فحينئذ أصحب في القياد وأذعن في المساق ، وفيهم من ليس عقده على الصحّة والوثاق ، ولا افعاله مرضية المقصد ولا جارية على الوفاق ، فامضاؤه هذا الحكم فيهم بعد تحقّق تلك الاوصاف عليهم ادخل في باب الوجوب والاستحقاق ،

وان هذا الامر العظيم وان كان أوسع الايّام عطفا ، وأنالهم رفقا ولطفا ، لا يصل من اوجب الدين قطيعته ، ولا يحفظ من يرتب الحقّ اذالته ، ولا يرخي في الطول لمن استن ، في رعي حمى السنن ، ولا يستمرّ على المهل لمن زاغ عن النهج والسنن ، فتأمّلوا ما اشتمل عليه كتاب الامام المعصوم رضه الذي هو هدى وتبيان ونور وبرهان ، واهتدوا بهدي من الهداية مخصوصة ، واعتصموا بحبل من العصمة عليه مقولة منصوصة ، فلا مطمع في الهداية الّا منه ، ولا وجه لأخذ العلم ومعرفة الحقيقة الّا عنه ومن لدنه ، وها نحن نقصد قصده ونتحدّاه ، ونجاهد على امضاء ما انطوى عليه معناه ، وعلى هذا الحكم مضى العمل في المواضع التي نحن منها بعد ان ميّزوا بمثواهم ، وعرف المجرمون بسيماهم ، وتبيّن

كلٌّ منهم بما احتقب ، وشهد عليه بما اقترف وبما ارتكب ، وقد فضح الله تعالى منهم جماعة تعيّنوا بصحيح الاعلام ، فأخذوا بالنواصي والاقدام ، وجرعوا مصقر كأس الحمام ، بشبا الذوابل وحدّ الحسام ، وصيّروا عبرة لاولي الاجتراء على ارتكاب المحارم والاقدام ، فامضوا وفّقكم الله في اقطاركم على هذا النظام ، واحكموا في هذه الاصناف بمثل هذه الاحكام ، واحذوا حذو هذه الافعال في طحر القذى عن طرف الاسلام ،

فمن تحقّق عندكم* بترك الصلاة ومنع الزكاة واتيان المحرمات والانهمال في المحظورات من المفسدين والمفسدات واستصحاب تلك الاحوال المقرّرات أو واحدة من الافعال المشروحة المبينات من غير اخذ لهم بقول ذي هوى وغرض ، ولا بشهادة يتعرّض فيها من الظنّة أدنى عرض ، فاذا صحّ التبيين ، وصدق التعيين ، فليوخذوا بما اختقبوا ، وليسلوا بما كسبوا ، وليقابلوا عن فعالهم مقابلة من لا تصرفه عن الحقّ الصوارف ، ولا تعطفه عن امتثال أمر الله العواطف ، بل يمضي في امضاء الحقّ بأشدّ العزائم ، وليعمل فيه عمل من لا يتقي في الله لومة لائم ، الى ان يستمرّ أمر الله تعالى على اذلاله ، ويبدو محيا الحقّ سافرا عن جماله ، ويستقيم البشر على الجدد المهيع ولا يعدلون عن سبق الاستقامة على الصراط الشوي في المرعى والمشرع والمقصد والمنزع بعون الله تعالى ،

ولتقدموا طلبة أمناء من قبلكم يعلّمون الناس قراءة توحيدهم وحفظه وحفظ أمّ القرآن وما تيسّر معها من السور وياخذونهم بمداومة ذلك ومعاهدته وحفظه وليكونوا من الذين يراقبون ويحافظون ولا يراعون في حقوق الله تعالى ولا يداهنون ، واحذروا المداهنة وحذّروها فانها

صارفة عن الحقّ مزيغة عن نهج الصدق ، وليكن جميع ما تاتونه وتدرونه ، وتعدّمونه في هذا المقصد وتؤخّرونه ، جاريا على حكم الامام المعصوم المهدي المعلوم رضّه مستندا اليه ففعله هو الذي نقتدي به ونستمسك بسببه ونمضيه على وجهه ونجريه على رسمه فلا نجاة الَّا في اتّباعه ولا امنة الَّا في الاستمساك بأقواله وأفعاله أعانكم الله على ما تقصدونه من ذلك وتحرّونه ووفّقكم فيما تاتونه من ذلك وتتولّونه من ذلك بيده ،

وليكن فى هذه الاصناف القوم الذين يكسرون الدعوة ولا ينقادون الى ما يجب عليهم من الحكم والقبائل التي تعادى عن نصح لهذا الامر العظيم ، ووقف في استخراج حقوق الله* وأبان خبايا أهل التلبيس حتى انهم ينصبون لهم المكايد ، وليمض عليهم هذا الحكم فهم أعداء الله ورسوله ، وليكن هذا القصد عامّا شاملا منتظما للحاضر والبادي والناهي والداني من الذكور والاناث والاحرار والعبيد وسائر اصناف الناس لا يختصّ قوما دون قوم ولا جهة دون أخرى والله تعالى يوفّقكم ويتولّى بمنّه عونكم ،

وكتب في الثالث من ربيع الاوّل سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ،

APPENDICE II.

NOTICE BIOGRAPHIQUE SUR AL-ĞAIYANI ET LES VIZIRS DE 'ABD AL-MU'MIN EXTRAITE DU *Kitāb al-Ḥullat as-siyarā* D'IBN AL-ABBAR (1).

عبد الله بن خيّار الجيّانيّ ابو محمّد

عِدادهُ في المتأدّبين وكان عاملا على مدينة فاس في دولة الملثّمين ثمّ استبدّ بها يسيرا في قيامه عليهم بالدعوة المهديّة وعلى يديه كان فتحها والموحّدون اعزّهم الله اذ ذاك بمكناسة فاسرعوا الوصول اليها وامّنوا اهلها عند دخولها عصر يوم الاربعاء الرابع عشر من ذي قعدة سنة ٥٤٠ وقيل عند الفجر منه وذلك انّ واليها يحي بن ابي بكر بن علي بن يوسف المعروف بابن الصحراويّة اعرس تلك الليلة بامرأة من قومه فشغله ابن خيّار بكثرة ما اهدى اليه عن النظر لنفسه وقد وعد الموحّدين تمكينهم من البلد لما امكنته الفرصة فدخلوا عند الفجر ولم يكن ليحي محيص عن الفرار والنجاة بنفسه فيمن خفّ معه من اصحابه وانتهوا الى طنجة ثمّ اجازوا البحر منها الى الاندلس ،

(1) Cf. M. J. Müller, *Beiträge zur Geschichte der westlichen Araber*, München, 1866-78, pp. ٣١٥-٣١٨.

وجلّت حال ابن خيّار هذا بعدُ وكانت له من الدولة العليّة مكانة سنيّة وهو القائل في محاولته [الطويل]

لنا في جناب الدين والخير آمال * تكنّفهـا سعد عتيد واقبـالُ
نحوز بها فوزا ونحرز غبطة * فعند الامام العدل صفح وافضالُ
واني لأرجو ان افوز بـليـلة * فيُشرِق عسّالٌ ويشبع عسّـالُ

وفيه يقول ابو بكر يحيى بن سهل اليكّيّ عند تناهي حاله في الحظوة والوجاهة [المتقارب]

ايا ابن خيّـار بلغتَ المـدى * وقد يكسف البدرُ عند التمامْ
فـأين الوزير ابو جعفرٍ * واين المقرّبُ عبد السـلامْ

يريد ابا جعفر احمد بن جعفر بن عطيّة الوزير الكاتب ونُكِب في صفر من سنة ٥٥٣ وفيه قُتِل هو واخوه ابو عَقيل عطيّة بخارج مرّاكش ولابي جعفر اذ ذاك ٣٦ سنة مولده سنة ٥١٧ ولاخيه ٢٣ سنة وأصلهما من قرلة قرية بطرطوشة من شرق الاندلس ونسبهما في قُضاعة ، ويريد بالمقرّب عبد السلام بن محمّد الكوميّ وهو اخو فندة[a] لأمّها وتقلّد الوزارة بعد ابي جعفر بن عطيّة وكان كثير التيه شديد. . . . . عليه . . له فيما وصل اليه ادلّ بقربه وقرابته واستبدّ بالاموال وكثر التظلّم من عمّاله فسُجن بتلمسان عند الانصراف من غزوة المهديّة في سنة ٥٥ الى ان سُمّ في طعامه فهلك وقيل انّه قُتِل بالارجل [حسب]ما قرأت في بعض المعلّقات ان عبد السلام هذا قصده جماعة من اهل سلا في وزارته فقعد عن برّهم ولم يقضِ حاجتهم فكتب اليه احدهم [البسيط]

a) Müller a lu نبدة.

يا من رأى خَيْبة الراجين تَكرِمة * ونيلَ مـــا امَّلوا عجزا وتقصيرا
مهلا فاتَك خامٌ في يدي زمن * وقد أُعِدَّ لــه كمدا وتقصيرا

فقُتِل في اليوم الثاني من دفع الرقعة اليه بالارجُل ، واتَّفق ايضا مثل هذا لابي العلاء ادريس بن ابي اسحاق بن جامع في وزارته قصده بعض معارفه الناشئين معه فلم يرفع به رأسا فكتب اليه [الوافر]

شُغِلْتَ بخدمة السلطـــان عنَّا * ولم تدر العدوَّ من الصديق
رُوَيْدَك عن طريقٍ انت فيها * فانّ النائبـــات على الطريق

فنكب بعد ذلك بيوم وهذا من ظريف موافقة الشعراء في زجرهم للفضلاء ، وكانت نكبة ابي العلاء هذا في سنة ٥٧٣ بعد ان استكمل في وزارته ١٥ سنة وشهرا و ٢٠ يوما واعتقل هو وابنه يحيي واقاما مغرَّبين بجهة اشبيلية ستّة اعوام وثلاثة اشهر وثمانية عشر يوما الى ان صُفِح عنهما وقت الانصراف من غزوة شنترين سنة ٥٨٠ ،

فهرست الابواب

(القسم الاوّل)

رسائل للامام المهدي والخليفة عبد المؤمن

صحيفة

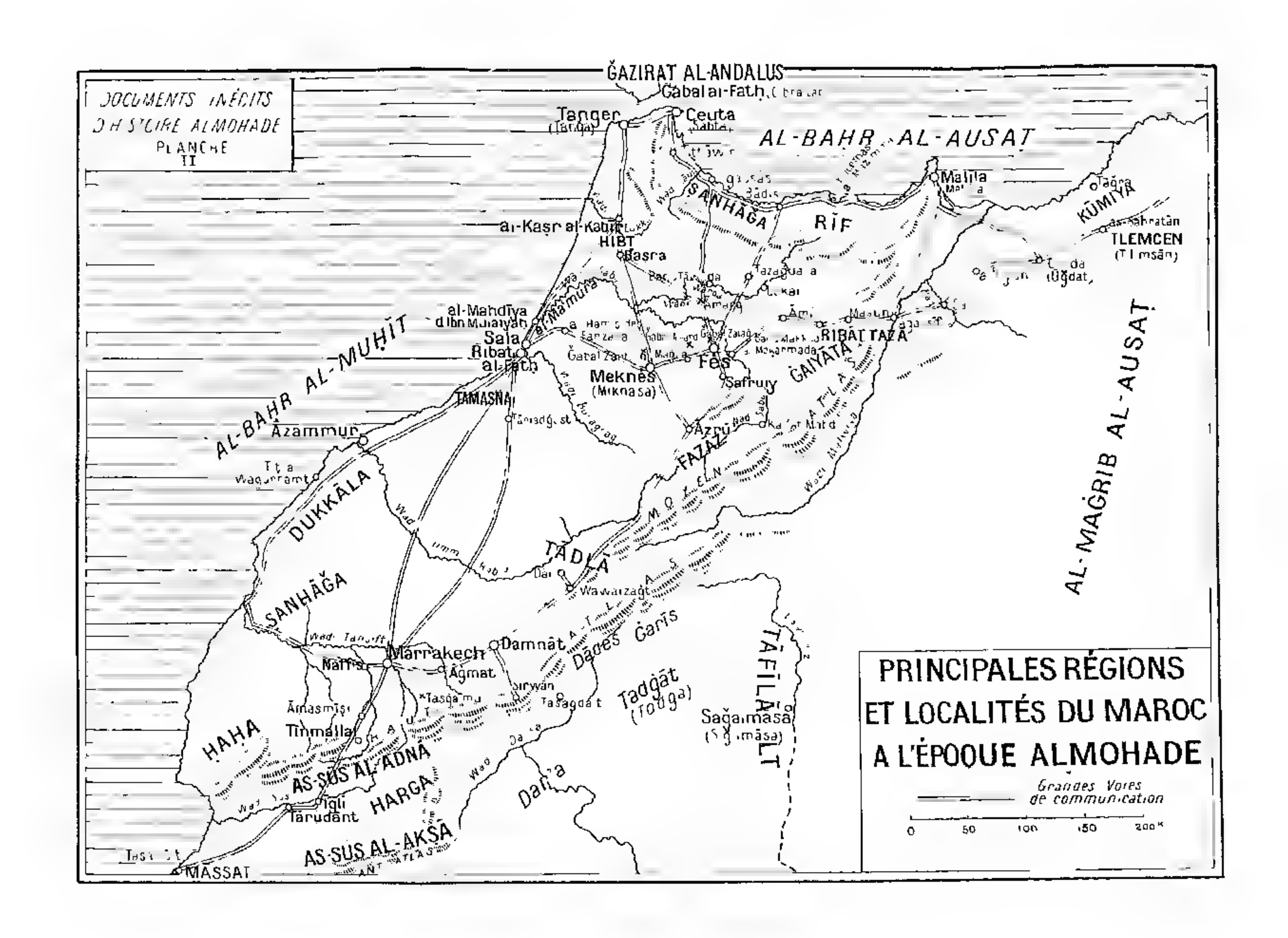
(القسم الثاني)

ألمقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب

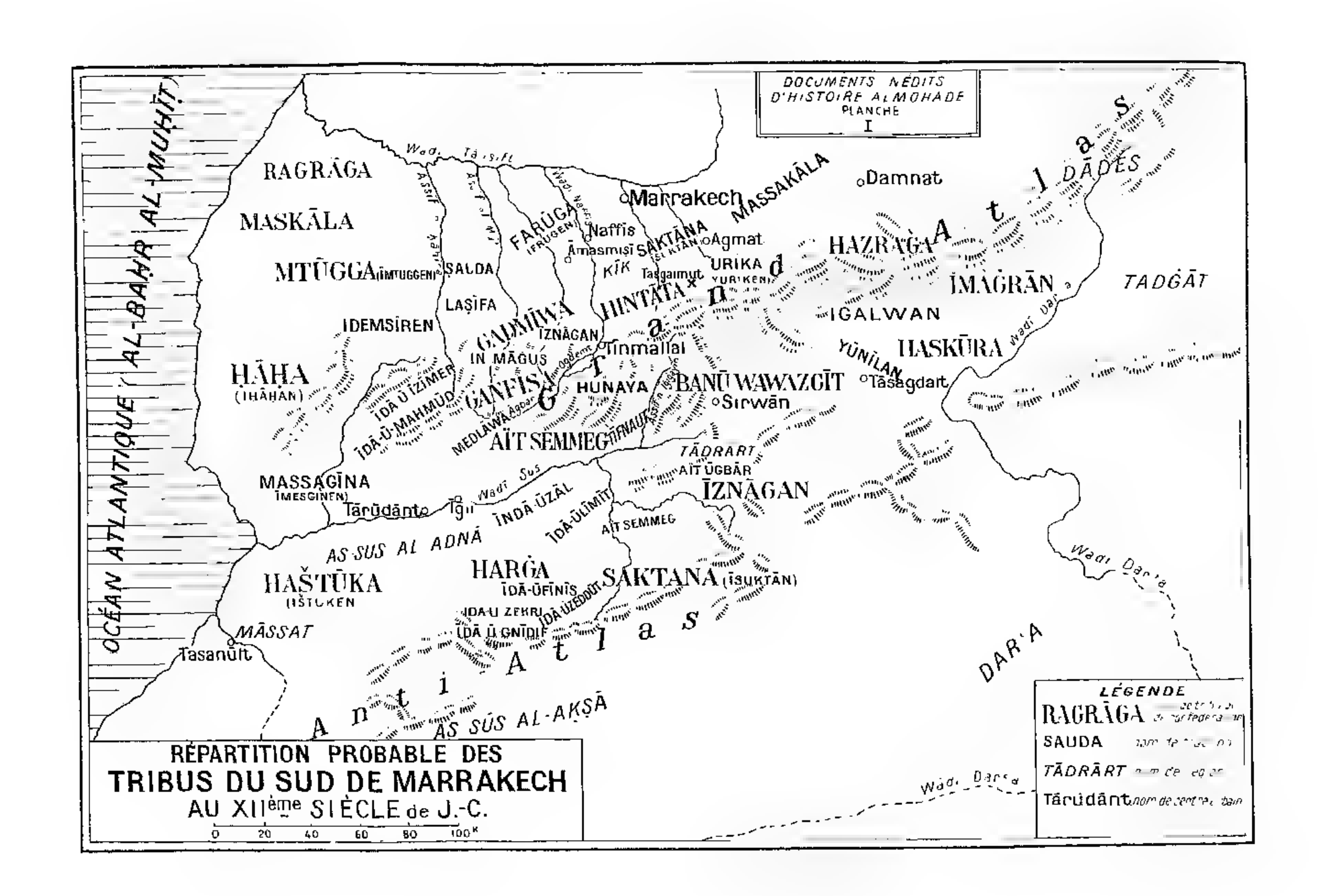
(القسم الثالث)

تأريخ الموحّدين لابي بكر بن علّي الصنهاجيّ المكنى البيذق

الشركة الفرنساويّة للمطبعة بمدينة انجي



DOCUMENTS INÉDITS D'HISTOIRE ALMOHADE
PLANCHE II
ĞAZIRAT AL-ANDALUS
Ğabal al-Fath
Tanger
Ceuta
AL-BAHR AL-AUSAT
Malila
SANHĀĞA
RĪF
KŪMIYA
TLEMCEN
(Tilimsān)
al-Kasr al-Kabir
HIBT
Basra
al-Mahdīya
al-Ma'mura
Sala
Ribat al-Fath
Meknès
(Miknasa)
Fès
Safruy
RIBAT TAZA
GAIYATA
AL-BAHR AL-MUHĪT
TAMASNA
Azammur
Azrū
FAZAZ
DUKKĀLA
TĀDLĀ
Wawarzagt
SANHĀĞA
AL-MAĠRIB AL-AUSAT
Marrakech
Damnât
Aġmat
Dādes
Ġarīs
Tadġāt
(Todga)
TĀFĪLĀLT
Saġalmāsa
Tinmallal
HAHA
AS-SUS AL-ADNA
HARGA
Igli
Tarudant
AS-SUS AL-AKSA
Dar'a
MASSAT
PRINCIPALES RÉGIONS ET LOCALITÉS DU MAROC A L'ÉPOQUE ALMOHADE
Grandes Voies de communication
0
50
100
150
200 K



DOCUMENTS INÉDITS D'HISTOIRE ALMOHADE
PLANCHE
I
OCÉAN ATLANTIQUE (AL-BAḤR AL-MUḤĪṬ)
Wadī Tānsīft
RAGRĀGA
MASKĀLA
MTŪGGA (IMTUGGEN)
SAUDA
LAṢĪFA
IDEMSĪREN
ḤĀḤA
(IHĀHAN)
FARŪGA
(IFRUGEN)
Marrakech
MASSAKĀLA
Damnat
Naffis
Āmasmiṣī
KĪK
SAKTĀNA
Agmat
URIKA
YURIKEN
Tasgaimut
HINTĀTA
GADMĪWA
ĪZNĀGAN
IN MĀGUS
Tīnmallal
HAZRĀGA
ĪMAGRĀN
TADGĀT
DĀDES
IGALWAN
HASKŪRA
YŪNĪLAN
Tāsagdart
GANFISA
HUNAYA
BANŪ WAWAZGĪT
Sirwān
IDĀ Ū IZIMER
IDĀ-Ū-MAHMŪD
MEDLĀWA
AÏT SEMMEG
TIFNAUT
TĀDRART
AÏT ŪGBĀR
ĪZNĀGAN
MASSAGĪNA
IMESGINEN
Tārūdānt
Īgli
Wadī Sus
INDĀ-ŪZĀL
IDĀ-ŪLĪMĪT
AÏT SEMMEG
AS SUS AL ADNĀ
HARGA
HAŠTŪKA
(IŠTUKEN)
IDĀ-ŪFĪNĪS
SAKTĀNA (ĪSUKTĀN)
IDA-U ZEKRI
IDĀ-ŪZEDDŪT
IDĀ Ū GNĪDIF
MĀSSAT
Tasanūlt
Atlas
Anti Atlas
AS SŪS AL-AKṢĀ
DAR'A
Wadī Dar'a
LÉGENDE
RAGRĀGA
SAUDA
TĀDRĀRT
Tārūdānt nom de centre urbain
RÉPARTITION PROBABLE DES
TRIBUS DU SUD DE MARRAKECH
AU XIIème SIÈCLE de J.-C.
0 20 40 60 80 100K

SOCIÉTÉ FRANÇAISE D'IMPRIMERIE D'ANGERS. — 4, RUE GARNIER, ANGERS.

TROISIÈME PARTIE.

TABLE DES MATIÈRES.

U, 'U

V

W

Y

Z

III. — INDEX GÉOGRAPHIQUE ET TOPONYMIQUE.

G, Ġ, Ġ

H, Ḥ, Ḫ.

I, 'I

II. — INDEX ETHNIQUE [1].

(1) B. = Banū ; A. = Ait. — B. Aḥmad (A.) = Banū Aḥmad (Ait Aḥmad).

Z

W

Y

T, Ṯ, Ṭ

U, 'U

S, Ṣ, Š

N

R

K, Ḳ

L

M

I, 'I

B

INDICES.

I. — INDEX DES NOMS DE PERSONNES.

A, ʿA

même sens dans ʻAbd al-Wāḥid al-Marrākušī, Ibn Ḫaldūn et Ibn al-Aṯīr, *apud* D. — Le maṣdar, dans le même sens, est تَوْحِيد : ٩٨, 13, ١٠٢, 15, ١٠٣, 6, ١٠٦, 6, ١٠٧, 1, ١٠٨, 4, ١١٨, 6, ١٢٠, 8, ١٢٣, 11, ١٢٥, 10.

ودى. — وَدَّى الخِلَافَةَ على : ٦٧, *in f.* : « saluer (quelqu'un) du titre de calife. ». — وَادٍ affecte ٩٠, 7, un pluriel وِيدَان.

وزن. — مِيزَان, pl. مَوَازِين, ٤٨, 3 : « horloge, clepsydre, instrument servant à déterminer les moments des prières canoniques ».

وسط. — تَوَسَّطَ فِي ٱلْبَحْرِ, ١١٥, 3 *a f.* (en partant de Ceuta vers l'Espagne), « se trouver au milieu du détroit de Gibraltar ».

وعى. — وِعَاء, ٥٦, 7 : « étui à livre ».

وعظ. — مَوْعِظَة, ٥٤, 12 : « signe avertisseur, présage ».

ولول. — وَلْوَلَة, ٧٠, 4 : « cris de joie, you-you », en parlant des femmes, D.

ولى. — مَوْلًى, ٦٨, 5 : « propriétaire (d'une chose) ».

يوم. — يَوْمَئِذٍ, désigne ici une période supérieure ou inférieure à un jour : ٧٨, 6 : « en ce temps-là, durant cette période »; ٦٥, 8 : « alors, à ce moment-là ».

مكس. — مَكْس, ٦٧, 7 : « péage », = مكرى. D.

ميز. — a) VIII امتاز, ٧٨, 2, « faire un tri, une sélection (parmi des gens). « Tri » est تمييز, ٣٥, 4 *a f.*, ٧٨, 5 et ميز, ٧٨, 1. — b) ميّز, avec les maṣdars تمييز et ميز : « passer en revue pour le *ġazw* » (٧٨, 9, ٨٠, 8, ١٠٠, 3, ١٠١, 3, 10, ١٠٢, 11, ١١٤, 4 *a f.* ; ٨٠, 10, ٩٩, *in f.*, ١٠٠, 3) ; c) ميّز, ١٠٢, 13, 3 *a f.*, « appeler aux armes (les contingents irréguliers) » : d) ميّز, ١١٥, 7 : « mettre sur pied de guerre ».

ندب. — المندبون, ١٢٩, 4 : « les garnisaires (almoravides) », D.

نزه. — نُزهة, ١١٥, 14 : « partie de plaisir en mer ».

نظر. — نظر, ٥٥, *in f.*, ١٠٩, 4 *a f.*, ١١١, 5 *a f.*, ١٢٥, 6, 10 : « district », D.

نور. — منار, ٤٧, *in f.*, concurremment avec صومعة : « minaret », D.

هبط. — هبط إلى : « aller vers le nord » (de Marrakech à Salé), par ex. ١١٨, 14, ١٢٠, 5 et 10. Cf. l'expression contraire طلع لمراكش, ١٢١, 4 *a f.*

هوى. — هواء, ٩١, 7, ٩٢, 12 : « bourrasque, tempête de pluie ».

هيب. — هاب, ٥٨, 2 : « être pris de timidité, de crainte respectueuse ».

وحد. — II, وحّد, ٨٨, 4, ٨٩, *in f.*, ٩٠, 3, 10, 11, 13, ٩١, 16, ٩٣, 1, ٩٤, 10, ٩٩, 2, ١٠١, 15, ١٠٣, 5, 6, ١٠٨, 2, 4, 6, ١٠٩, 4, 6, ١١٤, 1, 2 *a f.*, ١١٨, 9, ١٢٠, 10, 14, 16, ١٢٣, 1, ١٢٤, 2, 4 *a f.*, 2 *a f.*, ١٢٥, 2, 8, 9, 11, 13, ١٢٦, 4, 2 *a f.*, ١٢٨, 2, ١٢٩, 13, 14, ١٣٢, 1, 11 : « devenir almohade, embrasser le parti almohade ». Cf. dans le

كسر. — كَسَّرَ a souvent le sens de « démolir, piller (un endroit) » : ٨٨, 2, 3, ٩١, 14, ٩٤, 2, 13, ٩٨, 9, ١٠١, 7, ١١٧, 9, ١١٨, 6, ١٢٣, 6, ١٢٤, 3, ١٢٨, 15, ١٢٩, 10, 12. Ce mot affecte, ٨٤, 10 et ٨٥, 10, le sens de « mettre quelqu'un en déroute ».

كسو. — كِسَاء, ٣١, 2 *a f.*, ٧٣, 1 : « grande pièce de laine dont on s'enveloppe », D.

لعب. — لَعِبَ, ١١٣, 12 : « s'amuser à des exercices d'équitation, faire la fantasia ». Cf. D. : « se livrer à des combats simulés ».

لقي. — IV, أَلْقَى, ٦٣, 7, ٧٣, 8, affecte déjà le sens qu'il a aujourd'hui dans plusieurs dialectes arabes du Maroc de : « placer ».

لهو. — اللَّهْو, ٦٠, 4, ٦٥, 2, 3 : « les instruments de musique », en général, sans آلات, comme dans D.

متع. — متاع, ٥٩, 2 : « de ». Cf. autres exemples *apud* D.

مرأ. — مَرُوَّة, pour مُرُوءَة, ٨٩, 6, ١٠٢, 15, ١٠٩, 8 : « présents (vivres) en nature ». Ce sens spécial, mais précis, se dégage du contexte. Le mot a en dialectal les significations données par D.

مرس. — مِرْوس, ٩٣, 4 *a f.*, ١٠٨, 3 : « secteurs d'une ville (?) ». Ce sont aujourd'hui les « magasins à grain ». Dozy donne à ce mot une signification erronée.

مزور. — مَزْوَار, pl. مَزَاوِر, ٤١, plusieurs fois, ٤٧, 1 : « mazwār, chef de fraction (فخذ). »

مسك. — IV, أَمْسَكَ, ٧٦, 2 *a f.* : « tenir (par la bride) ».

مصر. — مَصْرِيَّة, ١٠٥, 6, « chambre haute », employé ici comme synonyme de غرفة. Cf. D.

قبل. — قِبْلَة, ٤٤, ٤٥, ٤٧ : « sud, soleil », opposé à ظِلّ : « nord, ombre ». Cf. les noms actuels de *Ṣanhāǧa-d-šams* et *Ṣanhāǧa-d-ḍoll*, et dans les noms de certaines tribus berbères les formes correspondantes d'*āsammer* et *āmālū* (cf. Laoust, *Maroc Central*, p. 125).

قر. — قَرار, ٨١, 5 : « lieu de séjour, résidence forcée. »

قرص. — قَرَصَ مِن, ٧٣, 7 : « saisir des trois premiers doigts, comme en pinçant, un morceau de la viande servie au repas, pour le porter à sa bouche ».

قرق. — الأَقْراق, ٥٦, 6, désigne les « sandales faites d'une semelle maintenue au pied par des lanières ». Cf. D.

قرقر. — قَراقِر, ٦٥, 1 : « castagnettes » (?).

قص. — قِصَّة, ٣٦, 12, ٣٦, 14, ٣٨, 1 : « affaire, aventure ».

قطع. — قَطَعَ بِ, ٥٩, 5 : « barrer la route à quelqu'un, l'empêcher d'aller plus loin », D. — قَطَعَ الوادي, ١٠٠, 15 : « faire un barrage (à l'aide de troncs d'arbres) sur la rivière ». — قِطْعَة, plur. قَطائع, ٩٣, 4, ٩٨, 4, ١٠٦, *in f.*, ١٠٧, 4, ١١٥, 14, ١٢٠, 3 *a f.* : « galère », D.

قعد. — قَعَدَ مَعَ, ١٠٧, 13 : « séjourner avec (quelqu'un) ».

قوم. — قَامَ, à la Ire forme au lieu de la IVe, ٨٠, 7 : « séjourner ».

كثر. — كِيتارات, ٦٥, 2 : « guitares ». Cf. D. : كِتارَة, expliqué par عيدان ou دفوف.

كرز. — كَرَزِيَّة, ٨١, 2 : « bande d'étoffe enroulée autour de la tête, turban », D. Ce mot a plutôt aujourd'hui en arabe maġribin le sens de « ceinture ».

d'al-Fatūḥ ». Peut-être néanmoins y a-t-il entre *fatūḥīya* et le verbe *fataḥ* le même rapport qu'entre *farağīya* et *farağ*. Je ne crois pas qu'on puisse retenir la traduction : « vêtement fendu en long sur le devant ».

فج. — فَجّ, ٦٣, 9 : « point dominant, col ».

فحص. — فَحْص, « plaine », est opposé à جبل, « montagne », ٤٣, 13, 16, ٤٣, 2.

فخذ. — فَخْذ, plur. أَفْخَاذ, ٢٤, 9, ٢٧, 7, ٢٧, 4, ٤٠, 9 *a f.* : « fraction (de tribu) ».

فرح. — فَرَّحَ بِ, ١٢٠, 10 : « accueillir (quelqu'un) avec amabilité », D.

فرخ. — فَرْخ, plur. فِرَاخ, ١٠٤, 4 : « petit (d'animal). — أَيْفَرْخَان, ١٢٧, 12, « jeunes gens », « miliciens chrétiens » est une forme plurielle berbère, du singulier *afrūḫ* (cf. Laoust, *Sous*, p. 53). J'ai traduit ce mot par » miliciens chrétiens ». Il vient en effet confirmer et éclairer le passage obscur d'Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, éd. Tornberg, p. 169 : « Yaḥyā b. an-Nāṣir l'Almohade... descendit de la montagne, entra dans Marrakech, démolit l'église des Chrétiens qui y avait été construite, tua un grand nombre de Juifs et de Banū Farḫān (بني فرخان), s'empara de leurs biens et pénétra dans la citadelle... » Cf. aussi J. Alemany, *Milicias cristianas al servicio de los sultanes musulmanes de Almagreb*, dans l'*Homenaje a D. F. Codera*, Zarogoza, 1904, p. 138 et note 3. Ce passage d'al-Baidaḳ et celui d'Ibn Abī Zar' viennent d'être mis en œuvre par P. de Cenival, *L'Église chrétienne de Marrakech*, dans *Hespéris*, 1927.

فسد. — فَسَدَ, ١٣٣, 3 : « endommager, anéantir (une récolte). — أَفْسَدَ السِّيرَةَ, ٥٩, 8 : « empêcher de suivre la coutume ».

فسر. — مُفَسِّر, ٥٤, *in f.* : « interprète des songes », D. Cf. aussi √عبر.

عقل. — عَقَلَ عَلَى, ٦٢, 4 *a f.*, ٦٣, 9 : « reconnaître (quelqu'un) ».

عمر. — II, عَمَّرَ, a) ٦٤, 1 : « habiter une chambre »; b) ٥٨, *in f.* : « rendre une mosquée au culte, la rendre fréquentée »; c) ١١٥, 14, ١٢٧, 6 : « armer, équiper » une galère.

عمل. — عَمِلَ, ٧٨, 2 *a f.* : « mettre (tel temps pour...) »; ١٠٦, *in f.* : « organiser une réunion », avec جَمْع.

عزب. — غُرَاب est donné ١٠٧, 5 et 6, comme synonyme de قِطْعَة, « galère ».

غرف. — غُرْفَة, « chambre haute », donné ١٠٥, 7, comme synonyme de مَصْرِيَّة.

غرم. — غَرِمَ, ٦٢, 7-8 : « rembourser » une taxe injustement perçue. II, غَرَّمَ, avec فِي, ٦٢, 6 et 11 : « condamner à l'amende pour un dommage causé à... », D.

غفر. — غِفَارَة, ٦٧, *in f.*, ٦٨, 4 : « vêtement de dessus, manteau ». Cf. la note et les exemples donnés par D.

غلم. — غُلَام, ٨٥, ١٠٢, *in f.* : « valet d'armes, page ».

غير. — مُغَيَّر et تَغْيِير, ٦٨, 4, 5 : « teint (étoffe, vêtement) » et « teinture ».

فأل. — فَوَّال, pour فَأَّال (cf. D. فَوَّل = فَأَّل), ١١٧, 4 *a f.* : « diseur de bonne aventure ». Je ne pense pas que le contexte permette de traduire ce mot par « marchand de fèves ».

فتح. — فَتُوحِيَّة, ٥٢, 6, désigne un vêtement non identifié et je crois que ce mot constitue un ἅπαξ. C'était sans doute un vêtement mis à la mode par un al-Fatūḥ, le « vêtement

ضيع. — الضِّياع, ٤٠, 1 : « les fermes, les domaines impériaux ». Cf. D. : « le domaine de la couronne ».

ضيف. — ضِيافة, ٥٩, 8 : « repas d'hospitalité ».

طرق. — طَرَّقَ إلى, ٩٤, 2, ٩٥, 6, ١١٩, 11 : « faire route vers... ». Cf. Pedro de Alcala et *Vocab. ap.* D.

طعم. — طَعام est employé ٥٣, 2 *a f.* dans le sens d'أَسْاس (voir ce mot).

طلب. — طَلَبَ البحرَ, ١١٥, 3 *af.* : « gagner la haute mer ».

طلع. — طَلَعَ مع..., ٧٩, 9 : « remonter (une vallée) ».

طهر. — تَطْهِير, ٧٠, 6 : « circoncision ».

ظلم. — مَظالِم, plur. de مَظْلَمة, ٦٢, 9 et 10 : « taxe injustement levée », D.

عبر. — مُعَبِّر, ٥٤, 2 : « interprète des songes ». Cf. *infra*, مفسِّر et D., qui donne la forme عَبَّار.

عدن. — عَدَّانِي, ١٢٧, 2 *a f.* : « mineur ».

عرف. — اِعْتِراف, ١١٠, 2, ١١١, 5, ١١٢, 14 : « reconnaissance des bons, sélection ». C'est un équivalent de تَمْيِيز.

عسكر. — عَسْكَر, ٩٤, 3 *a f.*, ١٠٩, 9, ١١٨, 3, 4 : « troupes, contingent armé. »

عطل. — مُعَطَّل, ٥٨, 2 *a f.* : « désaffecté », en parlant d'une mosquée.

عقد. — عَقِدَ, ٦٨, 5 : « être mêlé, mélangé (à des déjections, des matières fécales ou des urines) » en parlant d'une teinture.

شرع. — شَرِيعَة, ٥١, 11, désigne l' « esplanade » en dehors d'une ville, où se tient le marché forain hebdomadaire. C'est ainsi que l'on avait au Moyen Age dans toutes les villes de l'Occident musulman un *bāb aš-šarī'a*, porte qui s'ouvrait directement sur cette esplanade. Cf. le *bāb aš-šarī'a* de l'Alhambra de Grenade devenue, par une confusion dans la traduction, la *Puerta de la Justicia* et celui de Tolède, devenu *Puerta Visagra*, qui a donné lieu à des étymologies fantaisistes.

شطب. — شَطَّب, pl. de شَطَّبَة, D., ٧٧١, 1 : « branchages, arbustes destinés à élever des haies ».

شنيور, ٨٤, 2 *a f.*, transcription normale de l'espagnol *señor* (*s* roman donnant toujours en arabe *š*).

صبغ. — الصَّبَّاغِين, ٢١٩, 6, désigne le « *quartier des* Teinturiers ». On sait qu'il en est encore de même au Maroc, le pluriel ين‍ s'appliquant uniquement au quartier occupé par la corporation ; pour les artisans eux-mêmes, on emploie un pluriel en ة.

صبو. — الصِّبْيَان, ٦٤, 11 : « les disciples ».

صيح. — صَاحَ بِ..., ٨٥, 1 : « convoquer » (les tribus).

ضرب. — ضَرَّبَ (rég. dir.), ١١٧, 7 : « faire des incursions (dans un pays) » ; ١١٨, 8 : « attaquer (quelqu'un) ».

ضمّ. — ضَمَّ (rég. dir.), ٨٥, ٩٥, 3, ١٠٦, 1, ١١٠, 4, ١١٢, ٩, ١١٧, *in f.* : « réunir, rassembler » une tribu, des prisonniers. Cf. D. : « organiser en armée, rassembler des troupes ».

سلط. — سُلْطَان, pl. سَلَاطِين a toujours ici (٦٥, 5, ١٠٢, 2, 5, 16, 18, ١٠٨, 9, 13, ١١٤, 2 *a f.*, ١١٦, 4, ١١٨, ٩) le sens restrictif de « chef de tribu, prince arabe ».

سلف. — السَّلِيف, ١٢٠, 11 et note *b*, est expliqué par أسْلاس dans une glose marginale. D., *s. v.*, signale un passage d'Ibn Baṭṭūṭa (III, 382) où ce mot apparaît sous la même forme dans tous les mss. (à Dehlī, le souverain fournit des vivres à I B. et à ses compagnons : farine, viande, sucre, beurre, *salīf*, noix d'arec).

سمو. — II, سَمَّى السُّوس لابنه, ١٢٢, *in f.* : « il donna à son fils le gouvernement *nominal* du Sūs », non le gouvernement effectif à cause de son jeune âge.

سوق. — ساق, dans le sens d'« apporter, rapporter », du butin, ساق الغنائم, ٩٩, *in f.*, ١٠٠, 1, ١٠٦, 13, ١٠٨, 1, ١٠٩, 5, etc... ; des armes, ٩٦, 1 ; des têtes, ٦٥, 8, ١٢٤, 10 ; des vivres (مِيرَة), ٧٩, 6, ١٠٢, 15, ١٠٩, 8 ; « ramener quelqu'un », ١٠٦, 11, 13, ١٠٩, 8, ١١١, 2, ١٢٢, 13, ١٢٩, 16. Cf. D. d'après le *Vocabulista* et Pedro de Alcala.

سيد. — سَادَة, pl. de سَيِّد, ١٢٠, 3 *a f.* : « seigneurs », en parlant des Arabes, semble l'équivalent de سَلَاطِين.

سير. — سَار apparaît très souvent dans le ms. avec emphatisation de l'initiale : صَار, et construit avec لِ pour le nom de l'endroit ou de la personne. — سِيرَة, ٥٩, 8, ٦٣, 4 : « habitude, manière de faire ».

شرف. — مُشْرِف, ٦٥, 9 : « prévôt, receveur des droits de fisc », D.

رشى. — IV, أرشى, ٧٥, 1 : « soudoyer ».

رمز. — الرموزيات, ٣٩, 3 *af.* : « l'écriture convenue ». Cf. la note 4 de la p. 59.

روط. — روطة, coll. روط, ٦٥, 2 : « rote », D., instrument de musique signalé pour l'Espagne musulmane par Ibn al-Ḫaṭīb et al-Makkarī.

زر. — زراري. Cf. *sub* قرق.

زرب. — زرب, ١٠٠, 14, 15, ١٢٨, 16 : « palissade de troncs d'arbres », « enclos pour les femmes prisonnières ».

زرجن. — الزراجنة, ١٢, 3, ٢٨, 4 *a f.*, ٤٠, 13, ٧٤, 10. Je n'ai trouvé de ce mot énigmatique, qui s'applique aux Almoravides, aucune explication satisfaisante.

زق. — عمل زقاقا, ١١٩, *in f.* : « former une haie, se mettre sur deux rangs ».

زمر. — مزامر, ٦٠, 1, suppose un sing. مزمر, à côté de مزمار : « flûte », D.

زود. — مزود, ٥٩, 16 : « sac en peau de chèvre ou d'agneau », D.

سأل. — مسألة, ١٠٤, 2 *a f.* : « une affaire, une chose ».

سرج. — سرج سراجا, ٥٦, 8 : « allumer une lampe », D.

سرى. — السريانية, ٣٩, 3 *a f.* : « syriaque, langue magique ». Cf. la note 4 de la page 59.

سقط. — أسقط السلاح عن —, ٤٨, 1-2 : « désarmer, exempter du port des armes »; cf. le أسقطه من الديوان de D. — الأسقاط, ٦٧, 5 : « les hardes, les bagages ».

خلق. — خَلَقَ, ١١٦, 15, 16, 17 : « naître ». Cf. les sens donnés par Pedro de Alcala, *apud* D.

خمر. — خَمَّار, ٥٢, 2 : « buveur de vin », « marchand de vin » (?). On sait qu'appliqué au saint Maulāi Abu 'š-šitā', et pour en faire l'*ism* de cette *kunya*, on explique ce mot aujourd'hui au Maroc par « le mouillé ».

دبّ. — دَابَّة, plur. دَوَابّ, ٩٦, 5, avec le sens de « monture », D.

درق. — دَرَقَة, proprement « bouclier » est employé VI, 8, dans le sens d' « homme en armes ». On dit de même en français « cent sabres ».

دشر. — دَشْر, ٦٢, 2 *a f.* et *in f.* : « village ».

ذكر. — ذُكَّار التين, ٦٤, *in f.* : « figuier-mâle », D.

ربّ. — أَرِبَّة, (au lieu de أَرْبَّة) est donné comme pluriel de رَبَاب, ٦٥, 2.

ربط. — رَبَطَ له الطريق, ١١٧, 12, ١٢٩, 8, 9 : « lui intercepter la route », plutôt que « s'embusquer » donné par D. — رِبَاط, ١١٠, 4 : « *ribāṭ*, point de concentration ». On trouve un pluriel رِبَاطَات, ٣٢, 8.

ربع. — رَبِيع, ٤٢, 11 et 13 : « pâturage de printemps ».

رجل. — رَجَّالَة, plur. de رَاجِل, « fantassin », ٨٩, 5, ١٣٠, 4. — رَجَّالَة القطائع, ١٢٦, 2, doit désigner « le corps de débarquement de la flotte ».

l'origine ceux qui savaient par cœur le Livre d'Ibn Tūmart. Autres attestations du mot chez les historiens, *apud* D.

حمل. — محلّة : « colonne, corps expéditionnaire » en mouvement (ainsi ٩٤, 14, ٩٥, 16, ٩٣, 3). — حلّال, cf., 11, 12 : « voleur, brigand ». Donné également par le *Vocabulista* apud D. On m'a donné de ce mot l'explication suivante : الذي يحلّل محارم الله.

حمل. — حمله, ١٠٧, 3 : « emmener » quelqu'un, D. — حملها (النساء) لهم القبائل, ١١٦, 9 : « les tribus leur assurèrent le transport des femmes », en fournissant chacune pour la traversée de son territoire les montures et les bêtes de somme nécessaires.

حير. — الحوائر, plur. de حارة, au lieu de حارات, ١٠١, 7 : « quartier de ville, faubourg ».

حوف. — حافة, ٩٨, 4, 6 : « falaise », d'où « précipice », D.

حوم. — حومة, ١٠٩, 9, ١٢٢, 4 *a f.*, présente le sens peu fréquent de « région ».

خدم. — خدم دابّة, ٥٨, 5 : « soigner, panser une bête ».

خرج. — خرج لـ, ٦٥, 6 : « partir en expédition contre... »

خزن. — مخزن, ٧٢, 12, désigne le « magasin à grains ». C'est l'équivalent de l'*agādīr* berbère actuel.

خصى. — يقتلونهم بخصائهم, ١٢٠, 2 : « ils les tuaient par [l'ablation des] testicules, ils les faisaient périr en les émasculant ».

خضر. — أخضر, ٣٢, en parlant d'un cheval : « bai-brun », D.

تيطَاف (b.), ٩٩, 5, ١٠٠, 2 *a f.* : « avant-garde, vigie ». برج تيطاف, « la tour de veille ». Ce mot est toujours employé.

ثقف II; ثقّفه; ٦٨, 10 : « mettre en prison », D. ثقّف الابواب « fermer les portes solidement, les barricader ».

ثنى. — اثنان vient souvent en renforcement du duel exprimé morphologiquement dans le nom qui précède : ex. عامين اثنين, ١٢٠, 6.

جبن. — جبّانة, ٦٩, 8 : « cimetière ». Ne s'emploie que rarement dans les parlers marocains.

جد. — جدّ السير, très souvent : « presser sa marche », D. — جدّد عسكرا, ١٠٩, 9 : « mettre sur pied un nouveau corps de troupe ».

جن. — بنى جنانا, ٧٣, 12, mot à mot : « bâtir un jardin », c'est-à-dire l'entourer d'une clôture de maçonnerie.

جور. — جيران, pl. de جار, apparaît ١١٩, 2 *a f.*, dans le sens classique de « clients, sujets ».

حبس. — حبسه, ٥٧, 2 : « retenir quelqu'un, le retarder ».

حتى. — L'expression حتّى إلى est à peu près la seule employée pour le sens de « jusqu'à » (٨٥, 8, ١٠٠, 4, ١٠٣, 3, 11, ١٢٠, 1, ١٢١, 11).

حرك. — حركة, ٨٣, 3 : « expédition militaire », D.

حضر. — الحضرة, ٥٧, *in f.* : « le chef-lieu, le village principal d'un district ».

حفظ. — حافظ, plur. حفّاظ, ٤٨, 11, ١٠٨, 2 *a f.*, ١١٧, 5, ١١٨, 3, ١٢٣, 5. Voir la note 3 de la p. 72. Les ḥāfiḍs étaient sans doute à

بحيرة الزيتون d'Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères,* III, 321, 8, *apud* D.

برك. — أعطاه البركة ١١٨, *in f.*, ١٢٠, 11 et 12, ١٢١, 5 *a f.*, comme aujourd'hui : « il lui a donné la *baraka* ». — اشتراه ببركته, ١٢١, 12 : « racheter (un condamné) grâce à sa *baraka* ».

برنس. — برنوس, ٧٢, 17, 18 : « burnous », D.

بسط. — بساط, ٦٩, 4 : « cour (de souverain), D., à ajouter aux attestations du *Ḳirṭās* et du *'Ibar.*

بشر. — Part. act. de II, المبشرون, ٢٦, 7, ٢٨, 4 *a f.*, « les propagandistes du mouvement almohade, les avant-coureurs ». Cf. D. — بشارة, أعطيك البشارة, ١٢١, 13 : « Je te donnerai une récompense quand tu m'apporteras la bonne nouvelle ». Cf. le *baššār* de P. de Alcala (sub *albriciar*), *ap.* D.

بطل. — باطلي, ٨٦, 2 *a f.* : qui prêche, qui recherche les choses vaines ».

بعل. — بعولة, ٦١, 9, plur. de بعل « époux » au lieu de بعول.

بلغ. — II, بلغ, ٧٣, 6. J'ai traduit par conjecture : « transmettre la vérité ». Cf. les trois premiers sens donnés par D., s. v.

بند. — بند, pl. بنود : « drapeau, étendard », ٩٣, 4 *a f.*, ٩٤, 1. — عمر قطعتين بالبنود, ١١٥, 14, « il arma deux galères avec les pavois, il les fit pavoiser ».

بيع. — III, بايع, ٤٠, 9 : « se prosterner devant quelqu'un, le saluer ».

تمر. — تمار, ٥٣, 2 : « mangeur de dattes » ou « vendeur de dattes (?) ».

آسنْكَار (b.), ۱۲۲, 3 : « sorgho ». Parlers actuels du Sud marocain : *asngār* ou *asĕngār* « maïs » (Laoust, *Mots et Choses berbères*, Paris, 1920, p. 266, note 1).

أسى. — Maṣdar de III, مواساة, ۹۷, 14 : « gratification, présent », D.

أكل. — أكل, a) avec un nom de lieu, ۸۹, 10 : « dévaster, piller », D. — b) en parlant d'une rivière, d'une inondation, ۹۰, 7, 8 : « emporter, miner, démolir », D.

آكراو (b.), ۹٥, *in f.*, « réunion ». Employé ici concurremment avec مجلس.

آمزكور (b), ۸۸, 4, « sorgho », sans doute pas la même variété que le آسنكار de *supra*. Cf. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 266 et note 1.

أمن. — أمين, le plur. أمناء, ۹۰, 2 : « gardes de sécurité, escorte ».

أنث. — Part. pass. de II, مؤنث, ۱۱۱, 3 *a f.* : « efféminé ». Cf. le تأنيث d'aṯ-Ṯaʿālibī, D.

أيمي آن تكمي (b.), ۱۲۱, 1 : « la porte de la maison », nom donné à la porte et au corps de logis formant le vestibule du palais almohade de Marrakech. Cf. Laoust, *Mots et choses*, p. 4 (*imi-n-tgĕmmi*). Correspond exactement à l'arabe maġribin actuel *bāb ᵉḍ-ḍār*. Cf. E. Lévi-Provençal, *Textes arabes de l'Ouargha*, Paris, 1922, p. 180.

باش (vulg.), ۱۰٥, 3 : « pour que ». Intéressant à noter dès cette époque.

بحر. — بحيرة, ۱۱۸, 3 *a f.*, ۱۱۹, 8, ۱۲۲, 6 : « verger, olivette, jardin complanté d'arbres et irrigable, avec pavillon d'habitation ». Ce sont les *āgdāl* actuels de Marrakech ; comp. la

GLOSSAIRE[1]

أخذ. — أخذ على طريق...., ١٠٢, 12, ١٠٧, 3 *a f.* : « prendre par la route de... », D.

أخو. — واخا apparaît toujours dans le ms. au lieu de la forme classique آخى. On a d'autres exemples de III^es formes vulgarisantes des verbes à radicale initiale hamzée (واسى pour آسى, etc.). ٢١, 11, ٢٧, *in f.*, ٣١, 1, ٣٥, 4 *a f.*, ٣٧, 5 et *in f.*, ٣٩, 4, 7, 14, ٤٠, 3 : « être rattaché à une tribu par des liens de fraternité ».

أَسَارَاك (b.), ٧٣, 3 : « enclos, parc à chevaux ». Attesté aussi par Ibn Ḫaldūn, ap. D., « grande enceinte ». Cf. E. Laoust, Sūs (*Cours de berbère marocain, Dialectes du Sous, du Haut et de l'Anti-Atlas*, Paris, 1921, p. 2) : *asarag* « patio, cour, bergerie ».

أَسْمَاس (b.), ٧٣, 5, ٩٤, 8, ١٢١, 5 *a f.*, construit avec عمل ou أكل : « repas pris en commun, consistant sans doute en bouillie de farine ou couscous (*ṭa'ām*) ». Attesté dans le *Vocabulista* pour l'Espagne levantine, D., sous la forme أَسْمَس « repas, festin ». Ce serait aujourd'hui à Salé un grand plat de terre dans lequel on place les peaux destinées à être tannées. Le rapport sémantique est possible.

(1) Abréviations : b. = mot berbère; D. = le mot figure avec la même acception dans le *Supplément aux Dictionnaires Arabes* de R. Dozy, Leyde, 1881, 2 vol.

dans un cahier de notes (*mu'allakāt*) : ce 'Abd as-Salām, alors qu'il était vizir, aurait reçu la visite d'un groupe de gens de Salé ; il s'abstint de les traiter avec honneur et ne régla pas l'affaire qui les avait amenés. L'un de ces gens lui écrivit alors : [Mètre *basīṭ*].

P. 1ΣΛ * « O toi qui crois que décevoir ceux qui espèrent, c'est les honorer, et que faire preuve de mauvais vouloir et d'indifférence, c'est exaucer leurs vœux,

« Tout doux ! car tu es dans les mains du temps comme une toile écrue qu'on se prépare à décatir et à fouler ! »

Le vizir fut tué à coups de pied le second jour qui suivit la remise de ce message.

Il arriva le même sort à Abu 'l-'Alā' Idrīs b. Abī Isḥāḳ b. Ǧāmi' pendant son vizirat. Un personnage qui le connaissait et avait été élevé avec lui vint le trouver, mais le vizir ne leva même pas la tête vers lui. Alors l'autre lui écrivit : [Mètre *wāfir*]

« Le service du sultan t'a distrait de nous, et tu ne sais plus reconnaître l'ennemi de l'ami !

« Va doucement sur la route que tu suis, car sur cette route les calamités s'avancent à ta rencontre ! »

Un jour après, il tomba en disgrâce. Ces revirements du sort furent d'élégantes réponses aux souhaits formulés par les poètes dans les reproches qu'ils adressaient à ces privilégiés de la fortune. — La disgrâce de cet Abu 'l-'Alā' eut lieu en 573 (1177-78) : il avait assumé la charge de vizir pendant quinze années, un mois et vingt jours. Lui et son fils Yaḥyā furent enchaînés et exilés dans la région de Séville pendant six ans, trois mois et dix-huit jours, jusqu'au moment où il leur fut pardonné, au retour de l'expédition de Santarem, en 580 (1184-85).

b. 'Aṭīya, le vizir secrétaire qui fut disgrâcié en ṣafar de l'année 553 (4 mars-1er avril 1158) et tué au cours du même mois, ainsi que son frère Abū 'Akīl 'Aṭīya, à l'extérieur de Marrakech : Abū Ǧa'far avait alors trente-six ans : il était né en 517 (1123-24) ; son frère en avait vingt-trois ; ils étaient originaires de Ḳamrila(1), un bourg de la région de Ṭurṭūša (Tortosa), dans le Levant de l'Andalousie ; leur généalogie remontait à Ḳuḍā'a. Le poète entendait par le « proche » 'Abd as-Salām b. Muḥammad al-Kūmī, le frère de Funda par sa mère (2). Il fut investi du vizirat à la suite d'Abū Ǧa'far b. 'Aṭīya. Il était fort orgueilleux et violent, et dans la situation à laquelle il parvint, il compta sur ses attaches avec le souverain et sur ses proches et s'appropria des sommes d'argent ; l'injustice de ses gouverneurs augmenta. Il fut mis en prison à Tlemcen au retour de l'expédition d'al-Mahdīya en 555 (1160), jusqu'au moment où il mourut, ses aliments ayant été empoisonnés. On dit aussi qu'il fut tué à coups de pied ; c'est du moins ce que j'ai lu

(1) La vocalisation de ce toponyme, telle qu'elle est donnée plus haut, n'est pas attestée à ma connaissance. Mais je crois que ce nom désigne la bourgade de la côte méditerranéenne de la Péninsule, entre Tortosa et Tarragone, qui porte aujourd'hui le nom de Cambrils. Si cette identification n'est pas erronée, elle fournit la vocalisation de la graphie arabe : Ḳmrla = Ḳamrila.

(2) C'est-à-dire la sœur utérine de 'Abd al-Mu'min. La mère du calife, Ta'lū, après avoir eu de 'Alī b. 'Alwī al-Kūmī 'Abd al-Mu'min et ses deux frères Yūsuf et Muḥammad, devint sans doute veuve et épousa en secondes noces Muḥammad al-Kūmī, qui avait déjà un fils d'un autre lit, Abū Muḥammad 'Abd as-Salām dont il est question ici. Du mariage de Muḥammad al-Kumī et de Ta'lū naquit une fille, Funda, par conséquent sœur utérine du futur calife. — Müller, dans son édition de ce passage, avait lu بُنْدَة. Je n'hésite pas à rétablir فندة, qui non seulement est une leçon possible, mais conforme aux indications données par al-Baiḏaḳ sur la famille de 'Abd al-Mu'min. Cf. *supra*, p. 35.

P. ١٤٧ *Par la suite, la situation de cet Ibn Ḫiyār devint brillante, et il jouit auprès de la haute maison impériale d'un rang rehaussé. C'est lui qui dit à propos de son stratagème : [Mètre *ṭawīl*]

« Nous avons l'espérance d'accéder aux honneurs que procurent la religion et la richesse ; elle va avec l'attente de jours heureux et prospères dans l'avenir !

« Grâce à elle nous obtiendrons une pleine réussite et conserverons notre bonheur : auprès de l'Imām équitable, nous trouverons pardon et bienveillance.

« Certes, j'ai l'espoir d'arriver à mes fins en une seule nuit : alors la chandelle de cire luira pour m'éclairer (1), et ma lance qui vibre doucement se rassasiera de coups ! »

C'est à son propos qu'Abū Bakr Yaḥyā b. Sahl al-Bakkī (2) dit, au moment où al-Ǧaiyānī arriva au faîte du crédit et des honneurs [Mètre *mutakārib*] :

« O Ibn Ḫiyār, tu es parvenu à ton terme ! La pleine lune est éclipsée quand elle arrive à sa perfection !

« Où est le vizir Abū Ǧa'far, où est 'Abd as-Salām, le « proche » du souverain ? »

Par Abū Ǧa'far, le poète entendait Aḥmad b. Ǧa'far

(1) Traduit par conjecture. Il y a dans ce vers un jeu de mots sur les différents sens du terme عسّال.

(2) Abū Bakr Yaḥyā b. 'Abd al-Ǧalīl b. Sahl al-Laḫmī al-Bakkī (ou mieux al-Yakkī, ethnique de Yakka, près de Murcie, aujourd'hui Yecla), poète arabe d'Espagne qui vint s'installer à Fès à la fin de la dynastie almoravide et mourut dans cette ville après 555 h. Il est surtout connu pour ses satires en vers contre les habitants de Fès. Cf. aḍ-Ḍabbī, *Buġyat al-multamis*, éd. Codera, nº 1479, p. 488-489 ; Ibn az-Zubair, *Ṣilat aṣ-Ṣila*, p. 144 de mon manuscrit ; *Kitab al-Istibṣār*, éd. von Kremer, p. 71, trad. Fagnan, p. 125-126 ; al-Makkarī, *Nafḥ aṭ-ṭīb*, *Analectes...*, t. II, p. 219. Cf. *supra*, p. 102, note 3, le rappel de ses démêlés avec al-Ǧaiyānī et Muḍaffar l'eunuque.

APPENDICE II.

NOTICE D'IBN AL-ABBĀR SUR AL-ĞAIYĀNĪ ET LES VIZIRS DE 'ABD AL-MU'MIN.

P. ١٤١ *'*Abd Allāh b. Ḫiyār al-Ğaiyānī Abū Muḥammad.* — On le compte parmi ceux qui s'adonnèrent aux belles-lettres. Il fut préfet de la ville de Fès sous la dynastie des Almoravides (Mulaṯṯimūn). Puis il y rejeta leur autorité pendant quelque temps, en embrassant contre elle la cause mahdīyenne. C'est par son intervention que Fès fut conquise par les Almohades : ceux-ci — Allāh les illustre ! — étaient alors à Meknès ; ils se hâtèrent de gagner Fès et donnèrent l'*amān* à la population, quand ils entrèrent dans la ville, au moment du *'aṣr*, le mercredi 14 de ḏu 'l-ka'da 540 (28 avril 1146), ou au moment du *faǧr*, suivant d'autres dires. Ce fut dans les conditions suivantes : Le gouverneur du district de Fès, Yaḥyā b. Abī Bakr b. 'Alī b. Yūsuf, connu sous le nom d'Ibn aṣ-Ṣaḥrāwīya, épousait ce soir-là une femme de son pays. Ibn Ḫiyār, par le nombre de cadeaux qu'il lui avait offerts, l'avait distrait du souci de veiller à lui-même : quant aux Almohades, ils s'étaient préparés à mettre la main sur la ville dès que l'occasion le leur permettrait. Ils pénétrèrent dans Fès à l'aurore, et Yaḥyā n'eut d'autre ressource que de s'enfuir et de sauver sa vie, avec ceux de ses compagnons qui purent, comme lui, se hâter. Ils se rendirent à Tanger et, de là, passèrent la mer vers al-Andalus.

APPENDICE I.

LES FILS DU CALIFE 'ABD AL-MU'MIN (1).

	NOMS ET KUNYAS	NOMS ET ORIGINE DES MÈRES	FONCTIONS REMPLIES DU VIVANT DE LEUR PÈRE
1	Muḥammad Abū 'Abd Allāh	Femme originaire du Sūs	Héritier présomptif. Lieutenant de son père à Marrakech.
2	Mūsā	id.	Préfet de Marrakech.
3	'Alī Abu' l-Ḥasan	Fāṭima, de Fès	Gouverneur de Fès.
4	'Umar Abū Ḥafṣ	Ṣafīya bint Abī 'Imrān.	Gouverneur de Tlemcen.
5	Yūsuf Abū Ya'ḳūb	id.	Gouverneur de Séville.
6	'Uṯmān Abū Sa'īd	Ṣanhāǧienne de Dāi.	Gouverneur de Ceuta, Tanger, Malaga, Algeciras et Grenade.
7	Sulaimān Abu 'r-Rabī'.	Mère inconnue	Gouverneur de Tādlā.
8	Yaḥyā	id.	»
9	Ismā'īl	Fille de Mâksan b. al-Mu'izz	»
10	Ibrāhīm Abū Isḥāḳ	id.	(Gouverneur de Séville sous le règne d'Abū Ya'ḳūb.)
11	al-Ḥasan	Mère inconnue	»
12	al-Ḥusain	id.	»
13	'Abd Allāh Abū Muḥammād	Femme d'Āzrū	Gouverneur de Bougie.
14	'Abd ar-Raḥmān Abū Zaid	Femme des Lamṭa	Gouverneur du Sūs.
15	'Īsā	Mère inconnue	»
16	Ya'ḳūb	id.	»
17	Dāwūd	id.	»
18	Aḥmad	id.	»

Deux filles mentionnées : 'Ā'iša et Ṣafīya.

(1) D'après al-Baiḏaḳ, 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, Ibn Abī Zar', Ibn Ḫaldūn et l'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya.*

En l'année 523 (25 décembre 1128-14 décembre 1129), eut lieu le « tri » (*tamyīz*), qui fut opéré par les soins d'al-Bašīr. A la fin de l'année, eut lieu le départ des Almohades pour al-Buḥaira.

P. ١٢٣ *En 524 (15 décembre 1129-3 décembre 1130), au début de l'année, eut lieu l'affaire d'al-Buḥaira. Cette année-là, le Mahdī mourut.

En l'année 525 (4 décembre 1130-22 novembre 1131), l'Émir des Croyants détruisit la récolte de maïs (*āsangār*) dans le Sūs.

En l'année 526 (23 novembre 1131-11 novembre 1132), la ville d'Īglī dans le Sūs fut conquise et Abū Ya'ḳūb b. Wānūdīn s'empara de Tārṭaggāl.

En l'année 527 (12 novembre 1132-31 octobre 1133), le Calife reçut le serment d'allégeance.

Ganfīsa qui avaient émigré au moment de la venue du Mahdī se soumirent, ainsi qu'Abū Wāṭīl Īgallād b. Īmallūl, avec les Banū Wāggās. Puis, on s'installa dans la montagne de Nafīs, et l'on conquit ensuite le pays des Māġūsa, des Hunāya et la vallée du Nafīs.

En l'année 519 (7 février 1125-26 janvier 1126), on commença la construction de la ville bénie de Tīnmallal.

En l'année 520 (27 janvier 1126-16 janvier 1127), les ṭālibs des Almohades — Allāh les illustre ! — furent envoyés dans les tribus almohades : ainsi, Abū Mūsā b. Tamwīmaḳ chez les gens de Tīfnaut, Abū Muḥammad ʿAṭīya al-Mangāṣī, chez les Ġuğdāma, et d'autres ṭālibs bénis. La même année, Abū Mūsā mourut en martyr ; Abū Muḥammad ʿAṭīya mourut en martyr également. L'Imām Mahdī s'installa dans la région du Tīfnaut et chez les Hintāta, et se rendit à Tāsagdalt, à Tūndūt et dans la montagne de Wayāngalt. La même année encore, ʿAbd al-Mu'min b. ʿUmar mourut en martyr, ainsi que le « champion » (*ġāzī*) Yattīdīr b. Abī Bakr. De même, Tūġadwīn des Masīfū fut conquise, et les gens de cette tribu qui avaient émigré se soumirent aux Almohades. Toujours dans cette même année, Ḥammūdan b. Yasallālī mourut en martyr. Puis le Mahdī rentra dans la ville bénie de Tīnmallal.

En l'année 521 (17 janvier 1127-5 janvier 1128), le Mahdī écrivit aux Almohades l'épître dite *ar-Risāla al-munaḍḍama* (« l'épître bien composée ») au sujet de certaines de leurs expéditions. C'est la même lettre que le Calife envoya [par la suite] aux Guzūla. La même année, le Madhī conquit Tāsrīrt.

En l'année 522 (6 janvier 1128-24 décembre 1128), il attaqua Auṣlīm des Banū Wāwām-ğī et défit ʿUmar b. Tūrtal à Tāsagdalt.

Ibn Ğawāhir a dit : Voilà les forteresses que nous avons vues et dans lesquelles, sans exception, nous sommes entrés, grâce à l'assistance divine, pendant le gouvernement de l'Imām Mahdī et celui du Calife, Émir des Croyants.

Fin du livre, terminé grâce à Allāh et à sa bonne assistance. Qu'Il bénisse notre Maître Muḥammad le noble et sa famille !

Basmala. *Taṣliya.*

CHRONOLOGIE DE CE GOUVERNEMENT

— Allāh le perpétue ! — des expéditions, des victoires, etc., avec l'indication des dates, grâce à la puissance et à la force d'Allāh très-Haut.

Quand Allāh voulut que son arrêt s'exécutât et que sa promesse s'accomplît, il amena l'Imām Mahdī au peuple de Muḥammad — sur lui soit le salut ! — par un effet de sa bonté, en manière de guide. On lui prêta serment d'obéissance au *ribāṭ* des Harġa — Allāh les assiste ! — en l'année 515 (22 mars 1121-11 mars 1122).

Là, il séjourna pendant l'année 516 (12 mars 1122-28 février 1123).

La *ğamā'a* des Hintāta — Allāh les assiste ! — avec les gens de la famille de Tūndūt, vinrent le trouver en l'année 517 (1er mars 1123-18 février 1124).

Ensuite il monta dans la montagne, chez les Ganfīsa. Ceux-ci lui prêtèrent serment d'obéissance. La même année, Baggū b. 'Alī b. Yūsuf fut mis en fuite du Sūs. La même année encore, Tāsġaimūt fut prise, Ibn Ūzarwāl fut tué et les vantaux de la porte de cette forteresse furent transportés à Tīnmallal.

P. ١٢٣ *En l'année 518 (19 février 1124-6 février 1125), ceux des

La forteresse de *Hailāna*, où se trouvait az-Zubair b. Nabṭāsan.

La forteresse des Haskūra, à *Āšbūr*, où se trouvait Abū Bakr b. al-Ǧauhar.

La forteresse du Tādlā, dite *Ḥiṣn Tākazūrarī* (1), où se trouvait Yadālīm (?), sous l'obédience de ʿAlī b. Yūsuf.

La forteresse de *Dāi* (2), où se trouvait Ibrāhīm b. Sāmmadan.

La forteresse de *Tāgrārt*, où se trouvait Yaḥyā b. Sāfūr.

La forteresse d'*Āṣrū* des Banū ʿAbd Allāh, où se trouvait Ibrāhīm b. Sīr.

La forteresse d'*al-Ḳalʿa* (3), où se trouvait Yaḥyā b. Sīr.

La forteresse de *Tāsġamūrt*, où se trouvait Maimūn b. Ṣāra.

La forteresse d'*al-Fallāǧ*, où se trouvait Maḏgūd b. Salmān, des Banū Wārītan.

La forteresse de *Karnāṭā*, où se trouvait ʿAbd Allāh b. ʿĀṣṣamt.

P. ١٣١ *La forteresse de *Tūnakṭāyān* (4) dans [la montagne du] Zarhūn, où se trouvait ʿAlī b. Ḥaiyān avec ses fantassins et ses archers. Ils furent attaqués par ʿAbd ar-Raḥmān b. Yūmūr. Puis, la population du Zarhūn se soumit. ʿAbd ar-Raḥmān mourut chez eux et fut enterré dans leur pays, chez les Banū Manṣūr.

La forteresse d'*al-Wulǧa* (class. al-Walaǧa), où se trouvait Muḥammad Ākūnāṭ.

La forteresse de *Tāzaġdarā* des Luǧāya (5), où se trouvaient az-Zubair b. ʿĀʾiša et Dafāl b. Ḥauwāʾ.

(1) Sans doute, l'actuelle Ḳaṣbat Tādlā.

(2) Cf. *supra*, p. 114 et note 2.

(3) Cf. *supra*, p. 145 et note 2.

(4) C'est vraisemblablement la forteresse dont les ruines subsistent sous le nom de Ḳaṣbat an-naṣrānī, dans le Ǧabal Zarhūn.

(5) Cf. *supra*, p. 148 et note 3.

avait emmené en captivité les femmes de Ġaiġrā-n-Tāmā-rūt : parmi elles se trouvait Ḥauwā', l'épouse de Ya'azzā b. Maḫlūf : elles étaient à Marrakech, dans le palais de 'Alī b. Yūsuf. Au bout de quelque temps, Tāmāgūnt dit à haute voix : « L'Émir des Croyants est-il ici? » Il l'entendit et répondit : « Oui ! — Comment, dit-elle alors, ne me gracies-tu pas [et n'es-tu pas clément pour moi], de même façon que mon père Yīntān b. 'Umar (1), quand il intercéda en faveur du Mahdī? — Tu dis vrai ! répondit-il. P. ١٣٠ *Je te ferai ramener chez les tiens! — Moi et mes compagnes de captivité? — Oui, dit le souverain, va-t-en avec tes compagnes ! » Il leur fournit des montures, leur rendit la liberté et les envoya vers Luǧǧāġa. De même, 'Alī b. Yūsuf libéra les femmes de Ġaiġra, leur donna des parures et les envoya à l'Émir des Croyants (2).

La forteresse de *Tāsanūlt* (3) : des cavaliers et des fantassins y tenaient garnison, sous le commandement de Mu'ād b. Mūsā.

La forteresse d'*Āṣakkā-n-Kamāl*, où se trouvait Isḥāḳ b. Yīntān.

La forteresse de *Tārūlūlal-(a)n Īgadmīwan*, où se trouvait Abū Bakr b. 'Umar b. Yīntān.

La forteresse de *Luǧǧāġa*, où se trouvait Abū Bakr b. al-Lamṭīya.

La forteresse de *Nafīs*, où se trouvait Mu'ād b. Tarūngā.

(1) Le texte porte : 'Imrān.

(2) Cf. *supra*, p. 142-43.

(3) Le même toponyme existe encore dans la tribu de Māssa, à l'embouchure du Wādī Sūs, et on y trouve des vestiges de fortifications attribuées suivant les traditions locales à Yūsuf b. Tāšfīn. Cf. R. Montagne, *Massat*, dans *Hespéris*, IV, 1924, p. 380.

vaient cinq cents ânes, sans compter les bœufs et les moutons.

La forteresse qui est à *Wīrkān*. Les délégués almoravides qui s'y trouvaient moururent; Allāh les dispersa, car il est puissant et sage!

La forteresse qui est à *Āssikābū*, dans la montagne appelée Tīnāġrum ou Tīnālfīḳ : c'est là que se trouvait Yūggīn Ākīdaran. L'Émir des Croyants descendit vers cette citadelle avec trois corps de troupes; nous l'assiégeâmes et combattîmes pendant trois jours. Mais Reverter ayant rejoint la garnison avec un renfort, nous partîmes pour Maskarūṭān, où nous obstruâmes le chemin avec du bois et des pierres. Reverter, au retour, prit par Maskarūṭān, mais y trouva le chemin obstrué. Alors nous descendîmes vers le Sūs, où nous prîmes les puits d'Abū Maimūn à Zaḥrīfa, et Maġīla. De ce dernier point, nous gagnâmes Tārūdānt, où se trouvait Ma'lā b. Lu'lu', qui prit la fuite vers Tīnāwanwīn. Mais nous vînmes nous installer devant cet endroit et nous nous en emparâmes : Ṣāliḥ b. Ṣāra trouva la mort au combat qui eu lieu, et nous rapportâmes ses biens à Īgīllīz. Ākudī b. Mūsā prit la fuite, et al-Fallākī vint faire sa soumission à Īgīllīz des Harġa, ainsi que ses partisans (1). Il accompagna l'Émir des Croyants à Tīnmallal. Ces événements se passèrent en 535 (17 août 1140-5 août 1141).

La même année, le Calife fit la conquête du Sūs tout entier et apporta à Tīnmallal le butin qu'il y fit. Il ramena ainsi cinq cents femmes et fit établir pour les garder prisonnières un parc clôturé de haies. Parmi elles se trouvait Tāmāgūnt, fille de Sīr b. Ūrībal (2). De son côté, Reverter

(1) Cf. *supra*, p. 142.
(2) Il faut rétablir, comme plus haut, « fille de Yīntān b. 'Umar ».

LES FORTERESSES BATIES PAR LES ALMORAVIDES POUR Y PLACER LEUR CAVALERIE ET LEUR INFANTERIE ET S'Y TENIR SOLIDEMENT, MAIS SANS NULLE EFFICACITÉ, GRACE AUX ARRÊTS D'ALLĀH.

Les Almoravides choisirent des emplacements de forteresses et les édifièrent dans des endroits entourés de montagnes de tous côtés, afin de s'y défendre contre les Almohades — Allāh les illustre ! — mais Allāh les priva de son assistance !

La première fut celle de *Tāsġaimūt* (1) : elle fut bâtie par Maimūn b. Yāsīn. Abū Bakr Ibn al-Lamṭī y tenait garnison avec deux cents cavaliers et cinq cents fantassins ; de là, il surveillait le pays des Hazraǧa. Les Almohades sortirent de Tīnmallal contre cette forteresse, avec 'Abd ar-Raḥmān Ibn Zaggū. Nous la prîmes une nuit, veille d'un samedi, dispersâmes les occupants et emportâmes les vantaux des portes ; ce furent ceux que l'on plaça à Tīnmallal, à la Porte des Potiers (Bāb al-Faḫḫārīn) (2).

La forteresse d'*Ānsā des Banū Īmādīdan :* c'est là que se trouvait 'Umar b. Daiyān. Elle fut attaquée par l'Imām Mahdī avec les Almohades (3).

P. ١٢٩ * La forteresse de *Tāfarkaggūnt*, au Kīk des Ġaiǧra (4). Elle fut attaquée par al-Bašīr et les siens : 'Umar b. Yandūk, qui y commandait, trouva la mort dans cette affaire ; nous lui prîmes cent cinquante chevaux et cinq cents partisans almoravides périrent. Parmi le butin fait, se trou-

(1) Sur les ruines de cette forteresse, cf. Henri Basset et Henri Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, dans *Hespéris*, 1927.

(2) Cf. *supra*, p. 136.

(3) Cf. *supra*, p. 122-123.

(4) Cf. *supra*, p. 126 et note 1.

EXPÉDITION DE SĪRWĀN.

Après que l'Émir des Croyants fût revenu de Gafsa (1), les Banū Wāwazgīt se révoltèrent et assiégèrent les mineurs dans l'Āġbār (2), près de la demeure d'Abū Ṣāliḥ 'Abd al-Ḥalīm b. Abī 'Abd as-Salām, appelé aussi Yaṣlatan b. Īlāzaġīġ, qui faisait partie des « Cinquante » (3). Le Calife P. ١٢٨ monta vers les rebelles avec ses troupes *, les cerna, brûla leurs maisons, cependant que les Haskūra gravissaient les montagnes qu'ils habitaient, par le versant opposé, avec Muḥammad b. Yalūmmān. Quand les Banū Wāwazgīt virent ce qui leur arrivait, ils se soumirent. L'Émir des Croyants quitta alors leur territoire et se rendit à Īgīllīz des Harġa, où il fit une visite de pèlerinage dans la grotte où avait pénétré le Mahdī (4). Puis il monta par la route de Tīnmallal, y fit une visite pieuse et descendit sur Marrakech. Le prince Abū Yūsuf était alors son vizir.

Puis le souverain organisa une armée et partit pour la Péninsule d'al-Andalus. Il alla attaquer Santarem (Šantarīn), où il mourut (5) — Allāh lui fasse miséricorde ! — Son gouvernement avait duré vingt-trois ans et quinze jours.

(1) Où il avait été mettre fin à la révolte d'Ibn ar-Rand.

(2) Il existe effectivement encore aujourd'hui une fraction des Ait Wāwazgīt, dite Ait Ūgbār, près de chez qui se trouvent, au lieu dit Zgūnder (le Zegender d'Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, trad., II, p. 217), d'importantes mines anciennes aujourd'hui délaissées, et qui, d'après les traditions locales, furent jadis exploitées par les Chrétiens. [Communication amicale du lieutenant de vaisseau R. Montagne.]

(3) Sur le personnage nommé ici, cf. aussi *supra*, p. 115.

(4) Cf. *supra*, p. 60 et 116.

(5) Cf. mon article *Santarem*, dans l'*Encyclopédie de l'Islām*, t. IV, p. 159.

Il ramena dans cette ville le chrétien nommé Garando ; puis, il l'envoya dans le Sūs, qu'il lui donna comme fief. Mais, du Sūs, ce chef envoya des lettres à Lisbonne à Ibn ar-Rink (Enrique = Henri de Portugal), pour lui faire part de la situation qu'il occupait dans cette région située au bord de la mer, ajoutant : « Peut-être conviendrait-il de ta part d'armer des galères afin de t'emparer du territoire auquel je commande ; mon concours effectif vous serait assuré ! » Mais les messagers porteurs de ces lettres de trahison furent pris. L'Émir des Croyants convoqua alors Garando : celui-ci vint du Sūs à Marrakech. Le Calife envoya des instructions à Mūsā b. 'Abd aṣ-Ṣamad, dans le Dar'a : « Quand nous vous enverrons Garando et ses compagnons, répartissez-les entre les tribus ; et tuez-le ensuite, car nous avons saisi des lettres qui prouvent son imposture ! » Puis, l'Émir des Croyants invita Garando à partir pour le Dar'a, en lui disant : « Ce pays vaudra mieux pour toi que le Sūs ! » Il y partit avec ses compagnons, au nombre de trois cent cinquante, tous miliciens chrétiens (*ifarḫān*) (1). A leur arrivée, Mūsā exécuta l'ordre de l'Émir des Croyants. Cela se passa en 565 (25 septembre 1169-13 septembre 1170) (2).

(1) Cf. *infra*, au glossaire, *sub* فرخ.

(2) On ne trouve chez aucun autre historien le récit de cette tentative de rébellion de Garando, qui lui-même ne semble être signalé nulle part ailleurs. Peut-être y a-t-il lieu de rapprocher son nom d'un toponyme actuel de la tribu des Dukkāla, Gerando, à mi-chemin entre Mazagan et Marrakech, où l'on trouve encore des vestiges de fortifications et de souterrains que l'on attribue, dans le pays, aux Portugais. Une description en a été donnée par A. Maitrot, *Les ruines dites portugaises des Doukkala*, dans *Archives Berbères*, vol. I, fasc. 4, Paris, 1916, p. 283-287.

Puis les Almohades, poursuivant leur route, allèrent camper au lieu dit Ḥiṣn al-Farağ et assiégèrent Murcie. Des incursions de cavalerie surprirent Orihuela (Ūryūla) et poussèrent jusqu'à Elche (Ālš) ; et du butin fut ramené. Puis les Almohades levèrent le camp et rentrèrent dans leur pays, saufs et chargés de richesses. Aucune perte ne fut à déplorer dans ce pays que celle des šaiḫs arabes qui furent tués (1).

Quelque temps après, le frère d'Ibn Mardanīš se révolta contre lui à Valence (2), et son beau-frère à Alcira (Ğazīrat Šuḳar) (3). En même temps, Ibn ad-Dallāl se soulevait à Segorbe (Šubrub) et Ibn 'Amrūs à Játiva (Šāṭiba). Ibn Mardanīš fut violemment irrité de ces défections, tua sa sœur [c'est-à-dire la femme du rebelle d'Alcira] de colère et faillit perdre la raison. Alors il envoya un traité à l'Émir des Croyants : il reconnaissait son titre de calife et son autorité sur ses propres enfants. Puis ses fils, son frère et ses généraux se soumirent aux Almohades. L'Émir des Croyants se rendit à Valence, y rétablit la paix et y nomma gouverneur Yūsuf b. Muḥammad Ibn Īgit. Il laissa dans *le « Levant » de l'Andalousie des portions de chaque tribu : il installa des Arabes et des Zanāta à Valence, des Ṣanhāğa et des Haskūra à Játiva et à Murcie, des gens de Tīnmallal à Lorca et des Kūmya à Alméria et à Purchena. Puis, après avoir fait une expédition contre Abū Barda' (4), l'Émir des Croyants rentra à Marrakech.

P. ١٢٧

(1) *Ibid.*, p. 146-47.
(2) *Ibid.*, p. 128-29.
(3) *Ibid.*, p. 129.
(4) En 568/1172. Ce sobriquet « l'homme au bât » s'applique au général castillan Sancho. Cf. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 139.

(Šulair), avec Āzkaš à Guadix (Wādī 'Āš). Il fut tué par 'Abd Allāh b. Sulaimān.

Le dixième fut *Ibn Malǧān* à Guadix et à Baza (Basṭa). Abū Ḥafṣ partit contre lui et il fit entre ses mains sa soumission au pouvoir almohade.

Le onzième fut *'Umar b. Abī Ṭūṭ Walgūṭ*, qui se révolta à Mā' Talbīra (Talavera). Il fut attaqué et tué par le seigneur* Ibn Sa'īd et 'Abd Allāh b. Sulaimān (1). P. ١٣٦

Le douzième fut *Ibn Miḳdām*, qui se révolta à Purchena (Buršāna). 'Abd Allāh b. Sulaimān sortit d'Almeria contre lui avec les équipages des vaisseaux : mais ceux-ci trahirent leur chef et le tuèrent. Alors Abū Ḥafṣ partit contre le rebelle, le tua, prit Purchena et marcha sur Lorca (Lūrḳa), qu'il assiégea : la population de cette ville se soumit, ainsi que les habitants de Cartagène et de Velez Malaga (Ballaš), qui dépendaient d'Ibn Mardanīš. Puis Abū Ḥafṣ revint à Cordoue.

Mais ensuite Ibn Mardanīš alla assiéger Lorca et bloqua la population ; il s'y trouvait aussi des Almohades. Alors l'émir 'Umar traversa le Détroit vers le pays d'al-Andalus, avec Abū Ya'ḳūb Yūsuf b. Sulaimān et des contingents arabes et almohades. Ils battirent Ibn Mardanīš à al-Ǧallāb et tuèrent tous ses partisans, au point qu'il ne lui resta plus qu'un petit nombre de cavaliers. Tous les sept, les šaiḫs arabes [de l'armée almohade] trouvèrent la mort à ce combat (2).

(1) Est-ce le même personnage que le personnage, seigneur de Tavira (ou Talavera) qu'Ibn Ḫaldūn appelle al-Wahbī? Cf. aussi F. Codera, *op. cit.*, p. 50.

(2) Le vendredi 7 ḏu'l-ḥiǧǧa 560/15 octobre 1165. Sur cette bataille et l'endroit où elle eut lieu, cf. F. Codera, *op. cit.*, p. 146 et 319-20 et références citées.

Le troisième fut *Ibn Wazīr*, qui fit sa soumission aux Almohades (1).

Le quatrième fut *al-Bitraušī* (l'homme de Pedroso), avec al-Faḫḫār. Yaḥyā b. Yūmūr partit les attaquer et les mit en fuite, près de la ville de Niebla (Labla) (2).

Le cinquième fut *Ibn 'Alī* qui se souleva à Badajoz (Baṭalyaus), puis se soumit aux Almohades et donna des preuves de la sincérité de sa soumission (3).

Le sixième fut *Abu 'l-Ġamr* (4), qui se révolta avec son frère Abu 'l-'Alā, dans le district de Jerez (Šarīš). Puis ils se soumirent.

Le septième fut *Dardūš*, qui se révolta à Carmona. Les Almohades étant partis contre lui, il s'enfuit auprès d'Ibn Mardanīš.

Le huitième fut *Ibn 'Alī* de Ronda. Il mourut de mort naturelle et les gens de Ronda se soumirent au gouvernement almohade.

Le neuvième fut *Ibn Ḳisīy* (5) dans la Sierra Nevada

(1) Seddrai Ibn Wazīr, seigneur de Badajoz, de Beja et de l'Algarve, dit Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.* Cf. aussi Codera, *op. cit.*, p. 39.

(2) Ibn Ḫaldūn le nomme Yūsuf b. Aḥmad al-Batrūgī. C'était le seigneur de Niebla, qui se soumit à l'armée du général almohade Barrāz b. Muḥammad al-Masūfī dès 540/1146. Il se rendit en 545 à Salé prêter serment de fidélité à 'Abd al-Mu'min.

(3) Il s'agit de Muḥammed b. 'Alī Ibn al-Ḥaǧǧām, prince de Badajoz, qui fit en 543/1148 sa soumission au général Yūsuf b. Sulaimān.

(4) Abu 'l-Ġamr Ibn 'Azzūn (ou 'Azrūn), seigneur de Ronda, s'était établi comme souverain indépendant à Jerez. Cette ville fut assiégée par Barrāz en 540/1146 et Ibn 'Azzūn fit sa soumission aux Almohades, auxquels, par la suite, il demeura fidèle.

(5) Abu 'l-Ḳāsim Aḥmad b. al-Ḥusain Ibn Ḳisīy ou Ibn Ḳasī, le rebelle de l'Algarve. Cf. sur lui F. Codera, *op. cit.*, p. 33 sqq. (*La rebelión en el Algarbe*) et les références citées.

Le trente-troisième fut *'Alī Ibn ar-Rand*, seigneur de Gafsa (Ḳafṣa), contre qui partit l'Émir des Croyants (1). Il se soumit, mais le général 'Alī b. al-Muntaṣir, chez qui avaient été trouvées des lettres qui prouvaient sa complicité avec ce rebelle, fut mis à mort.

CEUX QUI SE RÉVOLTÈRENT DANS AL-ANDALUS CONTRE L'ÉMIR (2).

Le premier fut *Abu 'l-Ḳāsim Ibn Ḥamdīn* (3), qui se révolta à Cordoue. Il fut tué par Maḫlūf b. Yallūllai et Yaḥyā b. Yūmūr.

Le second fut *Ibn Marwān*, qui se révolta à Constantina (Ḳusṭantīna) et à Hornachuelos (Faranǧūluš), dans le district de Cordoue. Il fut tué par 'Abd ar-Raḥmān b. Yana'mān et Yaḫluf b. Yallūllai.

198. Il lui assigne la date de 562 (1166-67). Cf. aussi Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 138 ; 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 181, trad., p. 217-18 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 206 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 596-97.

(1) Sur cette révolte, cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 181-82, trad., p. 218 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 139 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, t. II, p. 34 et 203.

(2) Sur ces rébellions qui marquent les différentes étapes de la conquête de l'Espagne musulmane par les Almohades, on est renseigné de manière suffisamment précise par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 310 sqq., trad., II, p. 183 sqq. Toute cette période de l'histoire espagnole a été étudiée en détail par F. Codera, *Decadencia y desaparición de los Almoravides en España*, Zaragoza, 1899. Plusieurs de ces rebelles ont leur biographie donnée par Ibn al-Abbār, *al-Ḥullat as-siyarā* (R. Dozy, *Notices...*).

(3) C'était Ḥamdīn b. Muḥammad b. 'Alī Ibn Ḥamdīn, ḳāḍī de Cordoue, qui se souleva en 539/1145. Cf. Codera, *op. cit.*, p. 53 sqq. (*La rebelión en Córdoba*) et notes.

Le vingt-huitième s'appelait *'Umar al-Birdaun;* il se révolta à Maklāla et fut tué par les habitants de Meknès, qui lui coupèrent la tête et la suspendirent à Bāb al-Mušāwirīn (1).

Le vingt-neuvième fut *al-Ḳāsim b. al-Ḥasan*, qui se révolta chez les Banū Waryāġal. Yaṣlāsan partit contre lui, le tua et rapporta son butin à Meknès.

Le trentième fut le faḳīh *Ibn 'Iyāḍ*, qui se soumit et vint trouver l'Émir des Croyants (2).

Le trente et unième fut *Mazīzdaġ al-Ġumārī* qui se révolta à Wāgrāran. Yūsuf b. Sulaimān partit contre lui et le força à prendre la fuite. Puis, il fit sa soumission, et on lui assigna comme résidence obligatoire Cordoue, dans le pays d'al-Andalus (3).

Le trente-deuxième fut *Sab' b. Manaġ Fūd b. Ḥaiyān*, P. 1re qui fut battu par l'Émir des Croyants Abū* Ya'ḳūb (4).

(1) Probablement l'actuel Bāb Tīzīmī, au nord-eṣt de la ville, près du Wād bū-fekrān. Cf. mes *Historiens des Chorfa*, p. 228, note 2.

(2) Cf. *supra*, p. 178 et note 2.

(3) Cette révolte est également signalée par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 137. Mais il faut corriger l'édition Tornberg, et bien entendu, la traduction Beaumier (p. 295). Voici la traduction de ce passage, que j'ai déjà donnée dans mes *Ruines almoravides du pays de l'Ouargha*, in *Bull. arch.*, 1918, p. 199 : « En 559 de l'hégire (1163 de J.-C.), Mazīzdaġ al-Ġumārī, originaire des Ṣanhāğa de Miftāḥ, entra en rebellion. Il fit battre des monnaies où était gravée l'inscription : *Mazīzdaġ al-Ġarīb* (l'étranger) ; *l'assistance d'Allāh est proche!* Un grand nombre de Ġumāra, de Ṣanhāğa et d'Auraba lui prêtèrent serment. Il dévasta toute cette région et s'empara de la ville de [Banū] Tāwudā, dont il tua ou emmena en captivité les habitants. L'Émir des Croyants Yūsuf envoya contre lui une armée d'Almohades. Le rebelle fut tué et sa tête fut rapportée à Marrakech. »

(4) Cette révolte est signalée avec assez de détails par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 319, trad., II, p. 197-

Yīğaz (1), qui tuèrent Wāmāzīr b. Ḥauwā'. Ils furent dispersés par Abū Ḥafṣ 'Umar b. 'Alī (2).

P. ١٣٤ Le vingt-quatrième rebelle fut *Mūsā* * *b. Ḥammād*, qui se révolta dans le sud, à Āsāmmar-(a)n-Banī Sinān. Abū Ḥafṣ partit contre lui et demeura dans la région jusqu'à ce qu'il se soumît (3).

Le vingt-cinquième fut *Idrīs b. Baṭṭān aṣ-Ṣanhāğī*, qui se révolta avec son frère *'Aṭīya*. Yūsuf b. Sulaimān partit contre eux, mais ils le battirent et s'emparèrent du pays de Tādlā. Puis une expédition contre eux fut confiée à Aiyūb Āgdam : il fit bâtir la forteresse de Tāgrārt et alla s'y installer. Ensuite, avec des troupes, il gagna Tāwarṭā. Mais il fut battu et tué. Dans la suite, Muḥammad Ibn Zaggū s'installa dans cette position avec des troupes chrétiennes, sous le règne de l'Émir des Croyants Abū Ya'ḳūb.

Puis, les Ṣanhāğa descendirent en grand nombre vers Tāgrārt avec un rebelle du nom de *Būwaġyūl* (4), le vingt-sixième. Ibn Zaggū partit les attaquer, les défit et en tua une grande quantité.

Le vingt-septième fut *Bū-wasardūn* (5) : il fut tué par les Ṣanhāğa, qui ramenèrent son mulet et sa tête à l'émir Abū Ya'ḳūb.

(1) Cf. *supra*, p. 193.

(2) Il s'agit sans doute d'une première révolte de ce groupement puisqu'elle fut réduite avant sa mort par 'Umar Āṣnāg. En effet, le 'Umar b. 'Alī dont il est question ici ne peut correspondre à Abū Ḥafṣ Īntī, qui s'appelait 'Umar b. Yaḥyā. A moins qu'il n'y ait simplement ici qu'une erreur de copiste.

(3) Cf. *supra*, p. 146.

(4) C'est-à-dire en berbère « l'homme à l'âne ». Cf. le surnom *bū-ḥmāra* « l'homme à l'ânesse » du *rūgī* marocain de la fin du XIX[e] siècle.

(5) En berbère, « l'homme au mulet ».

étant parti contre lui, il s'enfuit vers le sud ; et Abū Ḥafṣ rentra.

Le seizième fut *Hādī b. Ḥanīn,* qui se révolta dans le Fāzāz. Abū Ḥafṣ partit contre lui et le tua.

Le dix-septième fut *Mu'ād al-Masṭāssī,* qui se révolta dans le pays de la (rivière) Malwīya. Zakarīyā b. Sa'īd al-Warīkī et al-Ġaiyānī partirent l'attaquer et le ramenèrent. Il fut mis en croix à Marrakech. Quelque temps après, *Sallām* [le quinzième révolté], vint apporter sa soumission au Calife. Celui-ci le fit arrêter et le laissa emprisonné dans la maison d'Ibn 'Arūs, jusqu'à ce qu'il mourut.

Le dix-huitième fut *Wīttamīġan b. Abī Ġazwān,* qui se révolta à Tīsaġmār (1) et tua al-Ḥasan b. Yarzīgan. Muḥammad b. Muḥammad, avec Ibn Yaḥaǧǧān, partit d'ar-Ribāṭ (2) en expédition contre lui.

Le dix-neuvième fut *Muḥammad b. Tāftīn al-Guzūlī,* qui se révolta dans la plaine de Tāfrāṭā. Il fut attaqué par Zakarīyā al-Warīkī.

Le vingtième fut *Sa'īd al-Fāzāzī.*

Le vingt et unième fut *Hādī b. Ḥanīn.* Il fut attaqué par Abū Ḥafṣ à Ḳal'at Mahdī (3).

Le vingt-deuxième fut *Mannāl,* qui se révolta à Īwargān. Il fut attaqué par Sa'd Allāh b. Zīrī et Mūsā b. Zīrī.

La vingt-troisième révolte fut celle des *Banū* (Ait)

(1) Ce toponyme est sans doute le même qu'al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale,* texte, p. 147, trad., p. 326, suivi par le *Kitāb al-Istibṣār,* trad., p. 148, orthographie *Tāsaġmart.* C'était une bourgade située à une journée de Sefrou dans la direction de Siǧilmāsa.

(2) C'est-à-dire de Tāzā.

(3) Il y a là une répétition peu explicable, ce Hādī b. Ḥanīn ayant déjà été donné un peu plus haut pour le seizième révolté.

également par Abū Bakr b. al-Ǧabr ; il fut mis en croix à Fès, en même temps que 'Umar b. Yīntān.

Le neuvième fut *Hārūn* b. Yaḥyā *az-Zarhūnī;* Mūsā b. Zīrī et 'Alī b. Yabūrak partirent contre lui et le ramenèrent. Il fut mis en croix à Salé.

Le dixième fut *Būmazgīdā,* dans la région d'Āfandāǧul (1). On envoya contre lui Abū Sa'īd Yaḫluf Ātīggī et 'Abd Allāh b. Fāṭima. Ils le mirent en fuite et rapportèrent le butin fait sur ses partisans, les Ait Yal Izarag (= Hazraǧa (?)).

Le onzième fut *Abū Yakandī,* qui se révolta à Māssa. Abū Ḥafṣ partit contre lui et rapporta son cadavre qui fut mis en croix (à Marrakech) à la porte Bāb aš-Šarī'a (2).

Le douzième fut *Abū Bakr b. 'Umar,* qui se révolta chez P. ١٣٣ les Guzūla. * Abū Ḥafṣ partit contre lui, mais ce misérable étant mort de mort naturelle, les Guzūla se soumirent, et Abū Ḥafṣ rentra (3).

Le treizième fut *Muḥammad Āhūkār,* qui se révolta chez les Lamṭa. 'Abd Allāh b. Abī Bakr b. Wangī et 'Umar b. Maimūn al-Harǧī partirent pour l'attaquer, le tuèrent et rapportèrent tous ses biens (4).

Le quatorzième fut *Yaddar ad-Dukkālī,* qui se révolta chez les Dukkāla. Les gens d'ar-Rakawāt (?) moururent pour lui. Il fut tué, ainsi que ses partisans, par al-Ḥasan b. al-Mu'allim et ses ḥāfiḍs.

Le quinzième fut *Sallām* b. Ḥamāma *aṣ-Ṣanhāǧī,* qui se révolta chez les Ṣanhāǧa : il démolit la mine et détruisit la forteresse qui se trouvaient dans leur pays. Abū Ḥafṣ

(1) Sur cette révolte, cf. *supra,* p. 180.
(2) Il s'agit de la révolte de 'Umar b. al-Ḫaiyāṭ. Cf. *supra,* p. 175.
(3) Cf. *supra,* p. 193 et 200.
(4) Cf. *supra,* p. 194.

et quinze jours : passé au pays d'al-Andalus, il y était resté sept ans. Puis il se rendit à Marrakech, dont il fit sa résidence.

P. ١٢٣ * LES REBELLES DU MAĠRIB.

Chapitre où l'on va relater ce qui arriva à ceux qui se révoltèrent et firent preuve d'hypocrisie contre cet Empire glorieux, et comment Allāh les châtia, par son omnipotence suprême.

Le premier fut *Wāsagyūṭ al-Ganfīsī.*

Le second fut *'Abd al-'Azīz* b. Karmān *al-Harǧī.*

Le troisième fut *'Abd Allāh* b. Ya'lātan, surnommé *Ibn Malwīya* (1). Il fut tué par les Ganfīsa, assistés d'Abū Sa'īd Yaḫluf Ātīggī.

Le quatrième fut l' « Homme aux mains teintes » (*Maṣbūġ al-yadain*). Il fut tué par Mūsā b. Zīrī et Yaṣlāsan b. al-Mu'izz, à Farū (2).

Le cinquième fut *Abū Ya'lā*, qui se révolta à Ṣufrūy des Banū Īznāsan. Abū Ibrāhīm et Abū Bakr b. Wīftin partirent pour l'attaquer.

Le sixième fut l'homme des Ġaiyāta nommé *Sa'īd.* Ses contribules l'amenèrent au Calife, qui le fit mettre en croix à Faḥṣ Ādād, sur la route de Fès, au moment où nous assiégions cette ville.

Le septième fut *Yūsuf al-Ġaiyānī*, contre lequel sortit Abū Bakr b. al-Ǧabr ; il fut mis en croix à Fès.

Le huitième fut *Muḥammad as-Sā'iba*, qui fut attaqué

(1) Sur ce personnage, qui, du vivant d'Ibn Tūmart, avait fait partie du « Conseil des Dix » et essaya ensuite de soulever les Ganfīsa contre l'autorité de 'Abd al-Mu'min, cf. *supra*, p. 50, 121 et 138.

(2) Sur la révolte de ce personnage, cf. *supra*, p. 161.

'Umar, qui était son vizir, envoya un message à son frère Yūsuf à Séville et lui remit le pouvoir. Les gens le proclamèrent et prirent part, à cette occasion, à un repas commun (*āsmās*). Il donna aux gens sa *baraka* et partit pour Marrakech, où il s'installa dans le palais de son père. On envoya Muḥammad à Āġmāt et on l'y fit emprisonner. Mais quand le šaiḫ Abū Ḥafṣ revint d'Āsāmmar des Banū Sinān, il le libéra (1).

Yūsuf était resté en tout gouverneur vingt-trois ans

D'ailleurs, tout le récit a pris depuis quelques pages une forme très abrégée, et il n'est pas impossible qu'on n'ait plus affaire ici à l'œuvre proprement dite d'al-Baidak, mais à un complément hâtif pour la partie non terminée du règne. — 'Abd al-Mu'min mourut à Salé en ğumadā III 558 (7 mai-4 juin 1163). Tous les historiens sont d'accord sur le mois et l'année, mais pas sur le quantième : 8, 10, 20, 27 ou dernière décade. De même, ils sont presque tous d'accord sur la durée de son règne (trente-trois ans), mais non sur le nombre de mois pendant lesquels il régna en plus de ces trente-trois années. Cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, pp. 141, 168; trad., pp. 172, 202 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 132 ; 'Abd ar-Raḥmān Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 318; trad., II, p. 195; Yaḥyā Ibn Ḫaldūn, *Buġyat ar-ruwād*, p. 87; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 119; Ibn al-Ḫaṭīb, *Raḳm al-ḥulal*, p. 58; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, p. 9 du texte et 15 de la trad.; Ibn Abī Dīnār, *Kitāb al-mu'nis*, p. 112; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 191-192 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 595-96; Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, I, p. 391. — Tous ces historiens rapportent que son corps fut transporté à Tīnmallal et enseveli près du tombeau du Mahdī.

(1) Sur la proclamation d'Abū Ya'ḳūb Yūsuf et les circonstances dans lesquelles l'héritier présomptif Abū 'Abd Allāh Muḥammad fut déchu de son titre, du vivant même de son père (ou fut destitué du califat après un règne de quarante-cinq jours, ce qui est moins probable), cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 168-69, trad. p. 202-203 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 132; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 317-318; trad., II, p. 195-196 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 119; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 192 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 595-596.

la vallée du Darro (Ḥadarruh) (1) ; Ibn Hemoško, de son côté, se sauva vers Segura (Šaḳūra) (2). Les Almohades chassèrent Mudār (le Chauve) de la Forteresse Rouge (l'Alhambra) (3), et ils pénétrèrent dans Grenade, où ils s'avancèrent jusqu'à la mosquée-cathédrale. Abū Sa'īd intercéda en faveur des habitants et les racheta au Calife, grâce à sa *baraka*.

Puis, le Calife traversa la mer, vers Salé, et dit à Yūsuf b. Sulaimān : « Fais donner des chevaux aux Arabes ! Équipes-en quatorze mille et je te ferai un don quand tu m'apporteras cette bonne nouvelle ! » Yūsuf b. Sulaimān leur fit distribuer des chevaux, dont ils se disputèrent les plus beaux. Et il pénétra auprès du souverain pour lui annoncer cette bonne nouvelle (4).

[MORT DE 'ABD AL-MU'MIN.]

Puis, le Calife tomba malade [et mourut] (5). L'émir

sous les ordres du fils d'Abū Ḥafṣ, 'Abd Allāh, partit également à ce moment de Cordoue et s'empara du château fort de اطرنكش près de Badajoz, et, après avoir battu le roi Alphonse, s'empara de Badajoz, de Beja et d'Evora.

(1) C'est-à-dire la rivière qui passe à Grenade.

(2) Sur ce toponyme de l'Espagne musulmane, cf. mon article *Shaḳūra*, dans l'*Encyclopédie de l'Islām*, t. IV, p. 301.

(3) Sur l'Alhambra à cette époque, cf. R. Dozy, *op. cit.*, t. I, p. 384-385.

(4) Ainsi al-Baiḏaḳ ne déclare pas qu'à son retour d'Espagne 'Abd al-Mu'min se rendit à Marrakech, comme le prétendent les autres historiens de ce prince. Ce voyage n'est d'ailleurs pas invraisemblable, puisque une année au moins dut s'écouler entre le retour d'Espagne du calife et sa mort. Toujours est-il qu'il était de retour à Salé au début de 558 : c'est là qu'il prépara sa grande concentration de contingents militaires dans l'immense Ribāṭ al-fatḥ. C'est à ce moment qu'il tomba malade et, après une maladie longue et douloureuse, mourut.

(5) La mort de 'Abd al-Mu'min n'est même pas mentionnée ici

L'Émir Abū Ya'ḳūb se porta à leur rencontre, mais ils le défirent dans un combat, où Muḥammad b. 'Umar aṣ-Ṣanhāǧī trouva la mort, en même temps que Yaḥyā b. Abī Bakr b. al-Ǧabr, 'Umar b. Maimūn al-Harǧī, le fils de Wasnār, Ibn 'Alī, seigneur de Badajoz (Baṭalyaus), Ibn al-Ǧamr, 'Ain az-Zuǧāǧ (« Œil-de-Verre ») et Ibn Wazīr. L'émir Abū Ya'ḳūb, qui sauva sa personne, partit de nuit et entra à Séville où il resta. Le Calife était alors à Marrakech.

De même, Abū Sa'īd fut battu à Grenade par Ibn Mardanīš et Ibn Hemoško : ce prince ne tarda pas à regagner la côte, pour rejoindre Marrakech.

Le Calife alors partit pour Salé, où il organisa des troupes et passa au Ǧabal al-Fatḥ (Gibraltar) (1). Il y bâtit une forteresse solide (2), et, de là, les troupes se dirigèrent sur Grenade (3). Ibn Mardanīš, avec son armée, s'enfuit de

de los Almoravides en España, p. 113-153. Voir aussi *ibid.*, note 30, p. 310-11 (sur le patronyme d'Ibn Mardanīš). Le Mudār le chauve dont il est ici question correspond au « mécréant chauve, petit-fils d'Alvar Fanez » du récit d'Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt traduit par Dozy, *loc. cit.* Il se nommait Alvar Rodriguez : cf. *ibid.*, p. 386-387.

(1) Ce séjour de 'Abd al-Mu'min à Gibraltar est signalé par tous les historiens. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 151, trad., p. 183, dit que le calife s'embarqua à Ceuta et qu'il reçut à Gibraltar l'acte d'obédience des villes environnantes. Mais, p. 161 du texte = p. 193 de la trad., ce chroniqueur assigne à ce voyage une date erronée, 548. Ce fut en réalité en 556 qu'il eut lieu : cette date est fournie par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 130, qui fait durer deux mois le séjour de 'Abd al-Mu'min à Gibraltar. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 118 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 317 : trad., II, p. 194 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 184 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 593.

(2) Il en reste encore à l'heure actuelle des vestiges, le « château mauresque » *(moorish castle)* des guides, et dont on attribue souvent, assez fantaisistement, la construction à Ṭāriḳ.

(9) Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 130, dit qu'une armée placée

le Chauve (1) descendirent vers Séville avec les Chrétiens.

songea à passer lui-même en Espagne. Jusque là, il avait laissé à ses fils ou à ses généraux le soin d'y faire la guerre. — Dès 540 (1145-46), au dire d'Ibn Ḫaldūn, l'amiral almoravide Ibn Maimūn, ayant fait sa soumission à 'Abd al-Mu'min sous les murs de Fès, partit pour l'Espagne, s'empara de Cadiz et y fit prononcer la *ḫuṭba* au nom du sultan almohade. Puis, à la suite d'une démarche d'Ibn Ḳasī de Mertola, 'Abd al-Mu'min envoya une première armée dans la Péninsule, sous les ordres de Barrāz b. Muḥammad al-Masūfī, un ancien général de Tāšfīn l'Almoravide, soumis à la nouvelle dynastie. L'armée almohade, qui sans doute débarqua à Cadiz, prit successivement Jerez, Niebla, Silves, Beja, Badajoz, alla passer l'hiver à Mertola, puis s'empara de Ṭalyāṭa et de Ḥiṣn al-Ḳaṣr (Aznalcasar). En Ša'bān 541 (janvier 1147), Séville fut prise. Cette conquête ne tarda pas à être suivie d'une révolte générale de tous les chefs espagnols et les Almohades durent lutter contre eux, ainsi que contre les Banū Ġānīya et le roi chrétien Alfonse II de Castille, jusqu'en 545 (1150), date à laquelle 'Abd al-Mu'min reçut à Salé l'hommage des petits dynastes musulmans d'Andalousie. En 549 (1154), Grenade fut livrée aux Almohades par son gouverneur almoravide Maimūn b. Yaddar et le sud de la Péninsule semblait assez bien soumis au nouveau régime quand Ibn Mardanīš se révolta et proclama son indépendance. — Les indications fournies par le *Rauḍ al-ḳirṭās* ne concordent pas toujours avec celles d'Ibn Ḫaldūn. Il donne deux versions de la première expédition : d'après al-Burnusī, une armée de dix mille cavaliers almohades débarqua à Algeciras et s'empara de Jerez le 1er du 'l-ḥiǧǧa 539 (25 mai 1145) ; d'après un autre, le débarquement s'opéra à Tarifa ; l'armée commandée par Abū 'Imrān Mūsā b. Sa'īd s'empara ensuite d'Algeciras. L'année suivante, en 540 (1145-46), Malaga et Séville furent prises. En 543 (1148-49), Cordoue fut livrée par son gouverneur almoravide Yaḥyā b. 'Alī b. 'Īsā ; Jaēn et Carmona furent enlevées. Enfin en 547 (1152), Almeria, Ubeda et Baeza furent reprises aux Chrétiens qui s'en étaient emparés par surprise en 544 (1149-50), ainsi que de Lisbonne, Merida, Braga, Santarem et Santa Maria de Algarve.

(1) Sur Ibn Mardanīš (= Martinez?) et ses compagnons, on renverra au récit détaillé de R. Dozy, *Sur ce qui se passa à Grenade en 1162*, dans ses *Recherches sur l'histoire et la littérature des Arabes de l'Espagne pendant le Moyen Age*, 3e éd., t. I, p. 364-388. Cf. aussi Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 186 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 593-95. Un récit plus récent de ces événements a été également donné par F. Codera, *Decadencia y desaparición*

Puis, il rentra au Maġrib, en compagnie des seigneurs arabes qui tous l'accompagnèrent, avec leurs enfants et leurs femmes. Parvenu à Salé, l'Émir des Croyants assigna des points de résidence aux Arabes à travers tout le pays (1). Il partit ensuite pour Marrakech, où il resta deux ans (2).

P. ١٣١ * [EXPÉDITION AU PAYS D'AL-ANDALUS (3).]

A ce moment, Ibn Mardanīš, Ibn Hemoško et Muḍār

mais l'armée qu'elle transportait ne put débarquer ; la flotte fut attaquée et vaincue par celle de 'Abd al-Mu'min qui captura sept vaisseaux ennemis. Cf. Ibn al-Aṯīr, *Kāmil, loc. cit.*

(1) Cf. Georges Marçais, *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*, p. 172 sqq.

(2) Le chroniqueur est fort bref sur ce retour. D'après Ibn al-Aṯīr, *Kāmil, loc. cit.*, 'Abd al-Mu'min avait quitté al-Mahdīya le 1er ṣafar 555 (10 février 1160). D'après 'Abd al-Waḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 165-66 ; trad., p. 199-200, il revint par Bougie, Tlemcen et Tāġrā, son pays natal; là, il passa une revue générale de ses armées, où figuraient cinq cents drapeaux et deux cents tambours. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 130, dit qu'il avait l'intention de gagner à ce moment Tanger et l'Espagne. Mais arrivé à Oran, il laissa repartir les Arabes de l'Ifrīḳīya, et n'en garda que mille, tous Ḥašam. C'est à ce moment que le chroniqueur place l'épisode d'Ismā'īl al-Hazraǧī. Cf. aussi Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 316 ; trad., II, p. 194 (sans détails) et *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 118, où il est dit que 'Abd al-Mu'min alla directement de Fès à Ceuta et en Espagne. Ici, l'auteur est formel : il rentra à Marrakech et ne repartit pour l'Espagne que deux ans plus tard, soit en 557 (1162).

(3) Sur l'établissement des Almohades en Espagne, qui commença en 539 (1144-45), aussitôt après la prise de Tlemcen, le récit détaillé et qui semble le plus historiquement exact est fourni par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, p. 310-13 et 315 ; trad., II, p. 183-88 et 192. Cf. aussi 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 151 ; trad., p. 182 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 130-131. Al-Baiḏaḳ n'y a encore fait aucune allusion : il est vrai que son récit est plutôt une biographie de 'Abd al-Mu'min qu'une véritable histoire de son règne. Or, ce ne fut qu'à la fin de sa vie, après en avoir fini avec la conquête et la pacification de tout le Maġrib, que le premier sultan almohade

population de la ville lui fit sa soumission (1). Puis, il quitta Tunis et alla camper sous les murs d'al-Mahdīya, qui était alors aux mains des Chrétiens. Il la prit après l'avoir assiégée et employé contre elles des catapultes; aucun Almohade ne trouva la mort à l'assaut de cette ville, sauf Abū 'Abd Allāh b. Abī Bakr Ibn Yīgīt (2). Le Sicilien, avec sa flotte (3), se soumit, et le Calife pacifia tout ce pays.

(1) La relation de la campagne d'Ifrīḳīya est ici fort brève, de même que la suite du récit. A la nouvelle de la prise d'al-Mahdīya par le roi de Sicile Roger II, 'Abd al-Mu'min fit à Salé une concentration de ses troupes et partit pour l'Ifrīḳīya, en laissant comme lieutenant au Maġrib Abū Ḥafṣ, en 553 (1158). Il arriva devant Tunis au mois de ǧumādā II 554 (juin-juillet 1159) — il fallait six mois pour aller de Salé à Tunis : cf. *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 115 — et la population se soumit sans tarder, de même que le gouverneur Aḥmad Ibn Ḫurāsān qui y commandait pour le compte de Roger de Sicile. D'après certains chroniqueurs, la ville ne fut prise au contraire qu'après un siège assez long. Cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 162; trad., p. 195; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 128-29; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 116; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 159 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 585; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, texte, p. 7-9; trad., p. 12-15; at-Tīǧānī, *Riḥla*, trad. Rousseau, p. 258-59; Ibn Abī Dīnār, *Kitāb al-mu'nis*, p. 112. Ibn Ḫaldūn ne parle pas dans son *Kitāb al-'Ibar* de la prise de Tunis.

(2) Après avoir pris Tunis, 'Abd al-Mu'min continua sans tarder sur al-Mahdīya et attaqua cette ville au moyen de machines de guerre. Il y pénétra en muḥarram 555 (janvier 1160), après avoir forcé la garnison chrétienne à capituler. Il s'empara également pendant cette campagne de Sousse, Gabès, Kairouan, Sfax et Tripoli. Cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib, loc. cit.*; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 129 et 177; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 117; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 316; trad., II, p. 193; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 160-62 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 586-90; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, texte, p. 8, trad., p. 12-13; at-Tīǧānī, *Riḥla*, trad. Rousseau, p. 265-66; Ibn Abī Dīnār, *Kitāb al-mu'nis*, p. 111.

(3) La flotte chrétienne, forte de cent cinquante galères, était en effet arrivée de l'île d'Iviza le 22 ša'bān 554 (7 septembre 1159);

qui se trouve à Šunṭulūlya (1). Puis, il revint à Salé.

Cependant, le rebelle qui se trouvait chez les Guzūla, Abū Bakr b. 'Umar, mourut (2). De son côté, aṣ-Ṣaḥrāwī envoya sa soumission, ainsi que celle des Banū Yīgaz. Abū Sa'īd Yaḫluf Ātiggī alla à sa rencontre avec le sabre du Calife et un message de pardon (3). Yaḥyā aṣ-Ṣaḥrāwī arriva à Marrakech avec les Banū Yīgaz. Les Guzūla se soumirent également ; et Yaḥyā, avec les šaiḫs des Guzūla, alla trouver le Calife à Salé. Celui-ci les reçut avec joie et donna à cette occasion sa *baraka* à la foule. Il présida aussi à un repas commun (*as-salīf*). Il pardonna également aux Banū Yīgaz et leur donna la *baraka*.

[EXPÉDITION EN IFRĪḲĪYA.]

Le Calife partit ensuite, accompagné de ses troupes, pour al-Mahdīya. Il s'empara de Tunis avec grand succès, secondé par son vizir 'Abd as-Salām al-Kūmī (4) ; et la

tructions anciennes porte actuellement le nom de *žnān ˇs-sˇmlā-līia*, nom qu'il faut peut-être rapprocher de notre « Šunṭulūlya ».

(1) Ce nom est à peine déformé l'espagnol Santa Olalla (prononcez Olalia), Sainte Eulalie. Peut-être était-ce à l'origine le nom d'un couvent ou d'une église. Il est inutile de rappeler que les chrétiens étaient nombreux à Marrakech à l'époque des Almoravides.

(2) Cf. *supra*, p. 193.

(3) Au XIX^e siècle, quand une tribu rebelle faisait sa soumission au sultan du Maroc, celui-ci lui envoyait, pour sceller en quelque sorte la réconciliation, son sabre, son chapelet et son exemplaire des *Dalā'il al-ḫairāt* d'al-Ǧazūlī.

(4) Son père avait épousé la veuve de 'Alī, Ta'lū, mère de 'Abd al-Mu'min : cf. *supra*, p. 35. C'est à cette alliance que fait allusion Ibn Ḫaldūn en signalant l'accession de ce personnage au vizirat à la mort d'Ibn 'Aṭīya : cf. *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 315, trad., II, p. 193. Il devait être mis à mort sur l'ordre du calife en 555 (1160) : cf. *ibid.*, t. II, p. 196 et note 3. Cf. aussi *infra*, p. 229.

qui gardez les dépôts que l'on vous a confiés. Qu'Allāh vous bénisse pour nous ! » Il leur donna des armes : sabres, lances, boucliers et poignards, et les invita à se ranger sur P. ١٢٠ deux files, de façon à former un passage * depuis le vestibule du palais (*īmī-n-tgemmī*) jusqu'à la prison. Puis il donna l'ordre qu'on fît sortir de prison les ennemis d'Allāh, dix par dix. Et on les faisait périr en les émasculant. A quiconque parmi eux demandait pourquoi il allait être tué, on répondait : « Voici la lettre que tu as envoyée ! » et on la lui remettait. Il en fut ainsi jusqu'à ce que tous périrent. Cet événement eut lieu en l'année 549 (18 mars 1154—6 mars 1155).

[ANNÉE 550 (1155-1156) ET SUIVANTES.]

En 550, le Calife visita le tombeau du Mahdī [à Tīnmallal], puis descendit à Salé, où il resta deux ans (1). Il rentra ensuite à Marrakech et y fit complanter d'arbres le verger (2)

(1) Sans doute pour se tenir à portée de l'Espagne, où ses armées étaient alors en expédition.

(2) Il est question de la plantation d'un beau jardin à Marrakech sous le règne de ʿAbd al-Mu'min dans ʿAbd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Muʿǧib*, texte, p. 145 ; trad., p. 175-76 et surtout dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 109-110, où il est dit : « Le calife ʿAbd al-Mu'min fit planter en dehors de Marrakech un verger de trois milles de long sur à peu près autant de large. On y trouvait tous les fruits désirables. Il fit amener à ce jardin de l'eau d'Āġmāt et creuser pour l'arroser de nombreux puits. Ibn al-Yasaʿ a dit : Quand je quittai Marrakech en 543, la vente des olives et des fruits de ce verger qu'il avait planté ne rapportait pas moins de trente mille dīnārs mu'minīs, malgré le bas prix des fruits à cette époque. » S'agissait-il là du verger de Šunṭulūlya ? C'est fort probable. Et il n'est pas impossible que ce verger soit l'immense parc que l'on appelle aujourd'hui du nom d'*Āgdāl*, après avoir été la *Masarra* des Saʿdiens, et qui est en majeure partie complanté d'oliviers et d'orangers. Pourtant, un jardin situé au nord des remparts de la capitale et qui renferme des vestiges de cons-

Marrakech en toute hâte. A son arrivée, Ibn Tafrāgīn avait déjà été tué, ainsi que les ennemis d'Allāh. Abu 'l-Ġaiš remit à Abū Ğa'far leurs richesses, ainsi que la sacoche qui contenait les lettres. Il les lut pendant la nuit qui suivit, et leur contenu lui fit connaître quels étaient les complices de ces ennemis d'Allāh. Puis il envoya leur liste au Calife. Alors celui-ci ordonna aux forgerons de fabriquer des entraves; il arriva ensuite à Marrakech où il descendit dans son palais. Le vizir lui remit la sacoche aux lettres, et le souverain prit connaissance de tout le contenu. Il ordonna alors que tous ces ennemis d'Allāh fussent convoqués. Ils les fit tous arrêter, et ils furent tués [ainsi qu'on va le voir]. Ils étaient au nombre de trois cents, dont cinq commerçants, citadins notables.

Le Calife réunit toute la population de Marrakech, petits et grands, et leur dit : « Je sais aujourd'hui qu'à part vous, je n'ai ni frères ni clients ! Vous êtes les gens

détails et ajoute qu'Abū Ğa'far Ibn 'Aṭīya, qui avait épousé la fille d'Abū Bakr b. Yūsuf b. Tāšfīn, surnommée Bint aṣ-Ṣaḥrāwīya (« la fille de la Saharienne »), était ainsi le beau-frère de Yaḥyā aṣ-Ṣaḥrāwī, le frère de cette femme. C'est Ibn 'Aṭīya même qui aurait prévenu aṣ-Ṣaḥrāwī de la disgrâce qui l'attendait : il fut dénoncé et mis en prison à cause de son indiscrétion. Il fut remplacé dans ses fonctions de vizir par 'Abd as-Salām b. Muḥammad al-Kūmī, allié à 'Abd al-Mu'min (cf. *supra*, p. 35 et *infra*, p. 200 et n. 4), et qui fut mis à mort à Tlemcen en 555 ; il fut remplacé lui-même par Abū Ḥafṣ ou le fils de 'Abd al-Mu'min, 'Umar. Ibn 'Aṭīya fut remplacé dans ses fonctions de secrétaire par 'Abd al-Malik Ibn 'Aiyāš (d'après le *Rauḍ al-ḳirṭās ;* 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī le nomme Abū Muḥammad 'Aiyāš b. 'Abd al-Malik Ibn 'Aiyāš al-Ḳurṭubī). — Sur les vizirs et les secrétaires de 'Abd al-Mu'min, cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 143-44 ; trad., p. 172-75 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 134 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 315-16 ; trad., II, p. 193. Voir aussi la notice d'Ibn al-Abbār sur al-Ġaiyānī publiée et traduite *infra*, Appendice II.

ment atteint près de Bāb Āġmāt (1). Dans la ville, il y eut de l'agitation.

Puis la populace emporta les cadavres des rebelles et les pendit à la porte Bāb aš-Šarī'a (2). Ensuite, les habitants se rendirent au jardin des Banū Āmġār, où ils trouvèrent leurs enfants et leurs femmes. Ils découvrirent aussi une sacoche pleine de lettres : ils la rapportèrent et la placèrent en dépôt chez Abu 'l-Ğaiš Muğāhid b. Muḥammad al-'Āmirī (3).

Au reçu du message d'al-Ğaiyānī, le Calife avait ordonné au vizir Abū Ğa'far Aḥmad b. Abī Aḥmad (4) de gagner

(1) Cette porte (la porte d'Āġmāt [Ūrīka]), qui a également conservé le même nom, est percée dans le rempart est de Marrakech, à un kilomètre au sud de Bāb Ailān.

(2) Sur cette porte, cf. *supra*, p. 169 et note 1.

(3) C'était sans doute un descendant de la famille déchue des *ḥāğibs* 'āmirides d'Espagne, qui, de Valence ou de Denia, était venu chercher un asile sûr à Marrakech. On voit, par le rôle qu'on lui prête ici, qu'il y était l'objet de certains égards, à cause de son origine.

(4) Le vizir Abū Ğa'far Aḥmad Ibn 'Aṭīya al-Ḳuḍā'ī était le fils d'Abū Aḥmad Ibn 'Aṭīya qui avait été secrétaire de 'Alī b. Yūsuf l'Almoravide et de son fils Tāšfīn. Il tomba entre les mains des Almohades, et, comme il tentait de s'évader pendant le siège de Fès, il fut mis à mort. Abū Ğa'far, de son côté, avait été secrétaire almoravide à Marrakech sous le règne d'Isḥāḳ. A la prise de la ville, il fut épargné et accompagna Abū Ḥafṣ 'Umar Intī dans l'expédition contre le rebelle de Massāt. C'est lui qui rédigea la lettre dans laquelle Abū Ḥafṣ annonçait sa victoire à 'Abd al-Mu'min : celui-ci, frappé de l'élégante teneur du message, prit Ibn 'Aṭīya comme secrétaire et un peu plus tard comme vizir. Mais, après être parvenu à une situation de tout premier rang auprès du souverain almohade et avoir commandé un corps d'armée à Ceuta et en Espagne, il fut destitué en 553 (1158) et mourut en prison. Cf. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 133 (qui dit qu'il fut tué en šauwāl 557 (septembre-octobre 1162) ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 306, 309 et 315-16 ; trad., II, p. 178, 182 et 193. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 143-44 ; trad., p. 173-74 donne les mêmes

neur] 'Umar b. Tafrāgīn. Arrivés devant Marrakech, les Banū Āmġār descendirent dans leur jardin proche de la « porte des Tanneurs » (Bāb ad-Dabbāġīn) (1) et y passèrent la nuit. Al-Ğaiyānī envoya au Calife un message pour l'avertir qu'ils s'étaient enfuis de Fès. En arrivant au jardin, les Banū Āmġār égorgèrent une vache (2) et firent demander à leurs « frères en hypocrisie » de les rejoindre. Ceux-ci arrivèrent et reçurent d'eux la *baraka*.

Pendant la nuit qui suivit, les Banū Āmġār pénétrèrent P. 118 dans Marrakech *, gagnèrent leurs maisons et obtinrent de leurs partisans la promesse qu'ils déclancheraient la révolte le lendemain matin, au point du jour. Ensuite, ils se rendirent chez 'Umar b. Tafrāgīn (3) et lui demandèrent les clefs [du trésor royal] : celui-ci refusa. Cependant, le muezzin, du haut du minaret, entendait leurs paroles. Voyant qu'Ibn Tafrāgīn refusait de satisfaire à leur demande, les Banū Āmġār ordonnèrent à leurs esclaves de le frapper ; et il fut mis à mort. Alors, du haut du minaret, le muezzin cria : « Tenez les portes fermées ! Ibn Tafrāgīn est mort ! » Les portes furent fermées.

Les Banū Āmġār se répandirent à travers la ville et leurs complices les rejoignirent. Mais leurs esclaves furent tués à l'ancien quartier des Teinturiers (aṣ-Ṣabbāġīn al-ḳudum) ; 'Abd al-'Azīz à son tour fut tué près de Bāb ad-Dabbāġīn et 'Īsā près de Bāb Ailān (4) ; leur secrétaire fut mortelle-

(1) Sur cette porte, cf. *supra*, p. 170 note 1.

(2) En signe de supplication, pour appeler à leur aide les habitants de Marrakech.

(3) Cet ancien membre des « Cinquante » pour les gens de Tīnmallal (cf. *supra*, p. 52) avait été laissé par 'Abd al-Mu'min à Marrakech comme préfet de la ville.

(4) Cette porte a conservé le même nom (la porte d'[Āġmāt] Ailān). Elle est percée dans le rempart est de Marrakech.

[ANNÉE 549 (1154-1155) — RÉVOLTE DES BANŪ ĀMĠĀR.]

Après les événements qui précèdent, le Calife se rendit à Tīnmallal, pour y faire une visite pieuse [au tombeau du Mahdī]. A son retour, il descendit à Salé, pour inspecter les constructions entreprises dans cette ville. Il convoqua les troupes et donna la lieutenance [de l'empire] à son fils Muḥammad ; les habitants de Marrakech prêtèrent le serment d'allégeance à ce prince, pendant que l'Émir des Croyants se trouvait à Salé.

Quelque temps après, les Banū Āmġār (1) s'enfuirent de Fès à Marrakech, où le Calife avait laissé [comme gouver-

(1) On trouve la révolte des Banū Āmġār (c'est-à-dire les frères du Mahdī) rapportée également par 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 166-168 ; trad., p. 200-202 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 127 (même date qu'ici) ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 314-15 ; trad., II, p. 191. Les détails donnés par ces historiens ne diffèrent pas trop dans l'ensemble du long récit d'al-Baiḏaḳ. D'après 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, ce sont les parents du Mahdī, les Ait Ūmġār (arabe : Banū Āmġār) qui complotent contre 'Abd al-Mu'min et décident de tuer le souverain par surprise dans sa tente : celui-ci est sauvé grâce au dévouement d'Ismā'īl al-Hazraǧī. Voyant qu'ils ont frappé à faux et que l'éveil est donné, les rebelles gagnent Marrakech, où ils sont combattus par la milice et les esclaves de la garde ; la population s'en empare et les livre à 'Abd al-Mu'min. — D'après le *Rauḍ al-ḳirṭās*, à la nouvelle de l'exécution de Yaṣlāsan, les frères du Mahdī, 'Abd al-'Azīz et 'Īsā quittent Fès pour se déclarer rebelles à Marrakech même, par le chemin d'al-Ma'dan (c'est-à-dire par Meknès et le Tādlā). 'Abd al-Mu'min, prévenu à Salé où il se trouve, part pour Marrakech et se fait devancer par son vizir Ibn 'Aṭīya. Mais à l'arrivée de ce dernier, les Banū Āmġār ont déjà tué 'Umar b. Tafrāgīn, tenté leur coup de main et été capturés par la population. 'Abd al-Mu'min, à son arrivée, les fait crucifier. — Récit plus bref, mais sensiblement de même source dans Ibn Ḫaldūn. Chez ces historiens, on remarquera qu'il y a eu confusion entre les deux frères du Mahdī, tués par la population de Marrakech, en combattant, et leurs complices auquel 'Abd al-Mu'min réserva le supplice décrit ici.

il, et, le frappant de sa lance, il le tua. Il rencontra ensuite un diseur de bonne aventure qui disait : « *āġattan kūd ārġān.* » Il le saisit également et le tua, en disant : « Ce présage était pour toi, ô ennemi d'Allāh ! » Puis il poursuivit vers le Sud. Devant lui, les Ait Yīġaz s'enfuirent vers al-Kust, où ils firent leur jonction avec aṣ-Ṣaḥrāwī.

Abū Ḥafṣ arriva à Sīrwān, où il rassembla les Banū P.11A Wāwazgīt, * et il les partagea en deux moitiés : il donna l'une aux gens de Tīnmallal et l'autre aux Hintāta. Puis le šaiḫ Abū Ḥafṣ retourna à Marrakech.

Là, il envoya chercher les troupes. Quand elles furent arrivées, le Calife les partagea entre les ṭālibs et les ḥāfiḍs. Il donna une armée à Abū Ḥafṣ et une autre à Wasnār, qui partirent dans la direction d'al-Kust. Il donna les commandements d'autres armées à 'Abd Allāh b. Abī Bakr Ibn Wangī, à 'Abd Allāh b. Fāṭima et à 'Umar b. Maimūn, avec l'ordre de gagner Nūl Lamṭa : ils partirent avec l'aide d'Allāh.

Le šaiḫ Abū Ḥafṣ s'empara d'un fort dit Kastūr : il n'en tua pas la garnison, afin qu'elle se soumît aux Almohades. Quant à Wasnār, il gagna Tāsrīrt et en rapporta du butin. Puis Abū Ḥafṣ fit volte-face vers les Haštūka, qu'il battit, et dont il ramena le butin. De même Āgg-u Āngī défit les Lamṭa à qui il enleva du butin. Et il alla attaquer Āhūkar, un « sultan » des Lamtūna. Al-Ḥusain b. Sulaimān, seigneur de Tā'gīzt, se soumit. Le butin arriva à Marrakech et l'on vendit à Bāb aš-Šarī'a les femmes Guzūla et Lamṭa, les chameaux, les bœufs et les moutons.

Cette même année, le Calife prit pour quote-part de butin huit cents chamelles et il nomma Ibn Wamānūn pasteur de ce troupeau.

à 'Alī celui de Fès (1), à Abu 'r-Rabī' celui du Tādlā. Enfin, P. 117 il désigna comme gouverneur nominal du Sūs son fils * Abū Zaid, fils de la femme originaire des Lamṭa, mais celui-ci, étant donné son jeune âge, ne rejoignit pas sa province. Le souverain avait encore un autre fils, le prince Ismā'īl, petit-fils de Māksan b. al-Mu'izz. La mère de l'émir 'Alī était une femme de Fès, du nom de Fāṭima. Le prince Muḥammad et son frère Mūsā avaient tous deux pour mère une femme d'Īzūrbā, dans le Sūs (2).

Après l'année 548, les Guzūla se soulevèrent à l'instigation d'un rebelle du nom d'Abū Bakr b. 'Umar. Ce dernier fut tué par deux *ḥāfiḍs*, gouverneurs de cette tribu, 'Umar b. Īmāddan et Mūsā b. 'Īsā. Les Guzūla envoyèrent chercher Yaḥyā aṣ-Ṣaḥrāwī, qui vint les rejoindre avec al-Ḥāǧǧ b. Markūna : ils s'installèrent dans la tribu, d'où ils partaient faire des incursions sur les confins du Sūs.

De même, les Lamṭa se soulevèrent à l'instigation d'un rebelle, du nom de Muḥammad Āmargāl. Puis ce fut le tour des Ait Yīĝaz, qui descendirent à Tāzākūrt, dévastèrent cet endroit et y tuèrent Wāmāzīr b. Ḥauwā' al-Hintātī. Le Calife dit alors à Abū Ḥafṣ : « La chamelle s'est dressée malgré sa charge, ô Abū Ḥafṣ ! — O Calife, lui répondit-il, nous la ferons se coucher à terre, s'il plaît à Allāh ! »

Abū Ḥafṣ mit alors sur pied un corps de troupes qu'il emmena dans la direction du Sud. Il était plein d'irritation. Comme il quittait Marrakech, il fut rencontré par Abū Ḥabbūs qui lui dit : « Nous t'avons fermé la route, ô Abū Ḥafṣ. — Nous l'ouvrirons au prix de ta vie ! » lui répondit-

(1) De même chez les autres historiens, avec Abū Ya'ḳūb Yūsuf b. Sulaimān comme vizir et Abu 'l-'Abbās Ibn Maḍa comme secrétaire.

(2) Cf. *infra*, Appendice I, la liste des fils de 'Abd al-Mu'min.

Āmġār et leur assigna Fès comme résidence forcée. Il ordonna à al-Ǧaiyānī de les y tenir en surveillance et prescrivit qu'on leur y attribuât des fiefs (1), ce qui fut fait.

Le Calife distribua des commandements (2) à ses fils. Il plaça le prince Abū Muḥammad 'Abd Allāh à la tête de Bougie (3), et 'Umar à la tête de Tlemcen (4). Il donna Séville à Yūsuf (5) : celui-ci et 'Umar étaient fils de la même mère, Ṣafīya, fille d'Abū 'Imrān. (Cette même année, Ya'ḳūb naquit à Ḳaṣr [Ibn] 'Abd al-Karīm : sa mère était une esclave dont Ibn Wazīr avait fait présent au Calife. La même année, naquit également 'Umar ar-Rašīd, qui vit le jour sur mer ; sa mère débarqua avec lui à Cadiz.) — Le Calife donna à Abū Sa'īd le gouvernement de Grenade (6),

(1) Le *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 126, dit qu'en cette année 548, 'Abd al-Mu'min se rendit à Tīnmallal, y distribua de fortes sommes d'argent à la population et fit agrandir la mosquée. Puis il rentra à Salé, où il demeura jusqu'à la fin de l'année. — Mais Ibn Abī Zar', semble-t-il, a dû confondre avec le voyage que le souverain fit dans l'Atlas deux ans plus tard, en 550.

(2) Au sujet de cette distribution de commandements à ses fils, cf. dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 114 et Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 140 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 582, le stratagème dont usa 'Abd al-Mu'min pour destituer les šaiḫs almohades pourvus de gouvernements de villes et de provinces. — Le *Rauḍ al-ḳirṭās* place ces nominations en 549 et Ibn Ḫaldūn en 547.

(3) De même, dans Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 126-127 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 115 et Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 314 ; trad., II, p. 191, avec Abū Sa'īd Yaḫluf b. al-Ḥusain comme vizir et Abū Bakr b. al-Ǧaiš comme secrétaire.

(4) De même dans les trois historiens cités note précédente, avec Abū Muḥammad 'Abd al-Ḥaḳḳ b. Wānūdīn comme vizir et Abu 'l-Aṣbaġ 'Abd al-Malik b. 'Aiyāš comme secrétaire.

(5) De même dans 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, p. 159 du texte et 191 de la trad. et *Rauḍ al-ḳirṭās*, *loc. cit.*

(6) Son gouvernement s'étendait en même temps à Tanger, Ceuta, Malaga et Algeciras. Il eut comme vizir Abū 'Abd Allāh (ou Abū 'Abd ar-Raḥmān) b. Sulaimān.

charger de fers Yaṣlāsan et le ramena à Ceuta, où il le mit en prison. Puis, il regagna Marrakech. « As-tu exécuté mon ordre? lui demanda le Calife. — J'ai mis l'homme en P. ١١٦ prison. — * Va, reprit-il, et tranche-lui la tête ! » 'Abd Allāh retourna à Ceuta, lui trancha la tête et le fit mettre en croix après avoir fait dresser son acte de condamnation, et devant témoins. Cela se passait en l'année 546 (20 avril 1151-7 avril 1152).

[ANNÉE 547 (1152-1153).]

Quant au butin et aux captifs faits sur les Arabes, le Calife en laissa une partie à Fès, une autre à Meknès et une autre à Salé. Mais il emmena à Marrakech les « sultans » arabes ainsi que leurs femmes : c'étaient Dīfal b. Maimūn, Ḥabbās b. ar-Rūmīya, Ibn az-Zaḥāmas, Ibn Zaiyān, Abū Ḳiṭrān, Abū 'Arafa et le ḳā'id Ibn Mu'arrif. Le Calife rendit leurs femmes à ces seigneurs, leur donna des présents et les renvoya dans leur pays. Ils dirent au Calife : « Nous ordonnes-tu de revenir ensuite auprès de toi? — C'est nous qui viendrons vers vous », leur répondit-il. Et il les renvoya tous avec leurs femmes, dont le transport fut assuré par les tribus. Cela se passait en 547 (8 avril 1152-28 mars 1153).

[ANNÉE 548 (1153-1154) LE CALIFE DISTRIBUE DES GOUVERNEMENTS A SES FILS.]

En 548, les Harġa et les gens de Tīnmallal se révoltèrent contre nous. Le Calife les fit périr (1). Il disgrâcia les Banū

(1) Cette révolte des Harġa et des gens de Tīnmallal paraît peu vraisemblable. Il semble plutôt qu'à cette époque 'Abd al-Mu'min voulut se débarrasser de personnages contemporains du Mahdī devenus gênants. En tout cas, comme il est dit ici, il épargna les frères d'Ibn Tūmart, les Banū Āmġār, qui n'allaient pas tarder à se révolter contre lui, comme on le verra plus loin.

avec la valetaille : il les mit sur pied de guerre et partit avec eux contre le rebelle. Il dit : « Mettez-moi la lance à la main ! » Il n'avait plus tenu d'arme pareille depuis l'année d'al-Buḥaira. Puis il dit : « Attaquez l'ennemi, avec l'aide d'Allāh ! » Il s'élança sur les adversaires, défit Abū Ḳaṣaba, fit essuyer des pertes aux Banū Zaldawī, et Allāh lui donna sur eux la victoire, par sa puissance et par sa force (1).

Après ces événements, le Calife et les Almohades partirent pour Marrakech, avec le butin, des captives arabes et des chameaux, pleins de satisfaction et de joie.

MEURTRE DE YAṢLĀSAN (2).

Quand il fut arrivé à Marrakech, le Calife donna en secret cet ordre à ʿAbd Allāh b. Sulaimān : « Trouve un subterfuge, de façon à pouvoir te saisir sur mer de la personne de Yaṣlāsan ! » ʿAbd Allāh b. Sulaimān fit pavoiser deux bateaux, comme s'il s'apprêtait à aller en partie de plaisir, et dit à Yaṣlāsan b. al-Muʿizz : « Viens-tu avec nous en promenade? » Celui-ci monta avec lui à bord, et l'on fit sur l'eau des allées et venues, comme pour une promenade. Puis le bateau gagna la haute mer. Quand il fut arrivé au milieu [du détroit de Gibraltar], ʿAbd Allāh b. Sulaimān fit

(1) On trouve le récit de cette rébellion relaté en détail par Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 104 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 574, mais d'après cet historien ce ne fut pas ʿAbd al-Mu'min lui-même, mais Abū Saʿīd Yaḫluf (Ātīggī) qui alla réduire ce révolté auquel, dit-il, s'étaient joints, avec les Ṣanhāǧa, de nombreux Kutāma et Lawāṭa. Cette expédition précéda immédiatement celle qui fut dirigée contre la Ḳalʿa des Banū Ḥammād.

(2) L'arrestation de Yaṣlāsan et son exécution sont rapportées par Ibn Abī Zarʿ, *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 126, qui le nomme Islitan et en fait un parent du Mahdī. Il place cet événement en 548 et non comme ici en 546.

Puis le Calife passa les Almohades en revue, et Yaṣlāsan b. al-Mu'izz et 'Abd Allāh b. Wānūdīn, le gendre de l'Émir des Croyants, partirent combattre les Arabes. 'Abd Allāh et Yaṣlāsan se querellèrent et le second dit à l'autre : « Rien ne t'a rendu stupide, sinon le fait que le Calife t'a accordé en mariage une servante ! » Puis il s'enfuit et le laissa seul. Les Arabes s'emparèrent de 'Abd Allāh b. Wānūdīn, mais un homme insolent parmi eux le tua.

Ces nouvelles parvinrent au Calife qui entra dans une violente colère. Il passa en revue les Almohades et les envoya tous contre les Arabes ; lui-même ne resta qu'avec sa garde particulière et la valetaille. Il plaça les šaiḫs à la tête de leurs tribus respectives et ils partirent contre les Arabes (1). L'un des « sultans » de ces derniers, Dīfal b. Maimūn, se soumit aux Almohades.

Le Calife leur avait recommandé de ne pas s'occuper du butin : « Quand vous entendrez les Arabes dire : « En P. 110 retraite ! » poursuivez-les sans vous soucier * des prises ! » Une fois que la rencontre entre Almohades et Arabes se fut produite, ces derniers dirent : « En retraite ! » Les Almohades les poursuivirent sans s'occuper du butin et les harcelèrent un jour et une nuit : ils les mirent en déroute avec la permission divine. Après quoi, ils s'occupèrent de rassembler les troupeaux constituant le butin.

Pendant que les troupes étaient ainsi en expédition contre les Arabes, le Calife étant demeuré à Bougie, un rebelle, Abū Ḳaṣaba, descendit du territoire des Banū Zaldawī [contre Bougie]. Il ne restait alors dans la ville avec le Calife que sa suite, les « gens de la maison » (*ahl ad-dār*),

(1) C'étaient les Aṯbağ, les Zuğba, les Riyāḥ et les Ḳurra de l'Ifrīḳīya : cf. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères, loc. cit.*

Puis le Calife partit pour Sétif : en ce lieu se trouve le tombeau de Saṭīḥ (1), au-dessus de la route, sur un mamelon. Le Calife s'en approcha et dit aux Almohades : « Lancez vos chevaux ! », tandis que lui-même lançait le sien. Ils arrivèrent ainsi au galop sur le tombeau de Saṭīḥ. Le souverain fit en sorte que le cheval qu'il montait se frottât contre la paroi du tombeau : c'était un coursier de robe bigarrée. Les Almohades l'entourèrent et les gens s'assemblèrent auprès de lui. Alors, le Calife leur dit : « Savez-vous ce qu'a dit l'homme qui est enterré ici? — C'est toi qui le sais, lui répondirent-ils. — Il a dit, reprit le Calife : Enlevez-moi de ce tombeau, de peur que les chevaux de 'Abd al-Mu'min b. 'Alī al-Kūmī al-Ḳaisī ne foulent aux pieds mes restes ! » Et il en fut ainsi, avec l'aide et le concours d'Allāh (2).

corps de Ṣanhāğa envoyé à sa rencontre. Le roi Yaḥyā b. al-'Azīz quitta la ville par mer et se rendit à Bône et de là à Constantine. Le *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 126, place la prise de la ville en ḏu 'l-ḳa'da 547 (février 1153) : le gouverneur de Bougie s'étant enfui à Constantine, cette ville fut livrée à 'Abd al-Mu'min par le vizir du souverain ḥammādide, Abū 'Abd Allāh Ibn Maimūn. La même chronique ajoute que pendant que 'Abd al-Mu'min prenait possession de Bougie, les troupes almohades allèrent s'emparer de Constantine. Le prince de Bougie, qui s'y trouvait, se rendit et fut envoyé à Marrakech, où 'Abd al-Mu'min rentra lui-même, après deux mois de séjour à Bougie. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 112-113; 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, p. 146-147 du texte et 178 de la trad. ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 103-104 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 572-73.

(1) Il s'agit évidemment d'un personnage légendaire, le même que le devin fabuleux de l'Arabie antéislamique Saṭīḥ b. Rabī'a, sur lequel cf. G. Levi della Vida, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. IV, livraison D, p. 189-190, s. v.

(2) Cet épisode n'est rapporté nulle part ailleurs. — Les historiens placent après la prise de Bougie celle de la Ḳal'a des Banū Ḥammād et celle de Sétif et après la prise de Constantine celle de Bône, de Ḳasṭilīya, du Ğarīd et du Zāb.

et ils l'y tuèrent. Le Calife le fit mettre en croix. Les gens du pays lui dirent qu'il y avait cent ans que ce lion se trouvait parmi eux, sans que personne ne pût rien contre lui. Alors le Calife dit aux Almohades : « Réjouissez-vous et dites aux esclaves de se réjouir ! » Et il ajouta : « Vous, vous prendrez les lances dorées ! »

Nous remontâmes ensuite la rivière de Warġa au lieu de suivre la grande route. Nous dépassâmes Masūn sans que nul ne sût quel chemin nous avions pris. Le Calife nous engagea sur une route non fréquentée, et ainsi nous dépassâmes P. ١١٤ Masūn (1). * Puis, nous gagnâmes à marches forcées Bougie, sans nul retard ; et le siège fut mis devant cette ville (2).

La population de Bougie se soumit au pouvoir almohade en même temps que l'amiral [Ibn] Maimūn, tandis que Yaḥyā b. al-'Azīz s'enfuyait à Constantine. Le Calife, avec l'aide d'Allāh, entra à Bougie : Allāh nous accorda encore à cette occasion son assistance (3).

(1) L'itinéraire suivi jusqu'en Algérie fut donc Salé, al-Ma'mūra, le Hibṭ, la vallée du Wādī Warġa, Msūn et les steppes du Maroc oriental. Il est différent chez les autres historiens. D'après Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 125-126, 'Abd al-Mu'min, de Salé, gagna Ceuta, puis de cette ville rejoignit Ḳaṣr 'Abd al-Karīm (Alcazarquivir), y passa ses troupes en revue et se remit en marche ; il laissa Fès à sa droite, traversa le Wādī Malwīya, passa une journée à Tlemcen et continua sur Alger. Indications sensiblement pareilles dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 112. Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, *loc. cit.*, précise que 'Abd al-Mu'min quitta Ceuta en ṣafar 547 (mai 1152). 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 146 ; trad., p. 177, est très vague : il place l'expédition en 540 (1145-1146) !

(2) Il n'est pas parlé ici de la prise d'Alger au passage, prise sur laquelle on trouve quelques détails chez les autres historiens. 'Abd al-Mu'min enleva la ville par surprise et en ramena l'ancien prince d'al-Mahdīya, al-Ḥasan b. 'Alī.

(3) Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, *loc. cit.*, dit que 'Abd al-Mu'min entra à Bougie après avoir mis en déroute un

d'allégeance dans cette ville, il partit pour Bougie (1). Comme les constructions de la conduite d'eau et du château n'étaient pas terminées, il laissa pour diriger ces travaux 'Abd al-Ḥaḳḳ b. Ibrāhīm Ibn Ǧāmi'.

Nous partîmes donc. Le Calife passa par al-Ma'mūra, descendant vers le Hibṭ. Les gens disaient : « C'est au pays d'al-Andalus qu'il s'en va ! » (2) Il interdit tout déplacement sur les routes et défendit qu'on voyageât de Salé à Meknès ou de Meknès à Fès, ou de Tlemcen à Fès. Il fit appliquer cette défense avec rigueur et plaça sur les chemins des hommes de confiance, pour empêcher qu'on y passât (3).

Lui-même, avec l'armée, descendit vers Šabrīṭ, où il campa ainsi que toutes les troupes. Il y avait devant lui des esclaves noirs qui se livraient à des jeux (d'équitation). L'un d'eux était Maimūr Āǧzāf : Allāh lui fit prononcer de sa bouche des paroles qui le perdirent. Il dit en effet : « Ainsi ferons-nous à Bougie, s'il plaît à Allāh, ô Émir des Croyants ! » Le Calife lui dit : « Tu vas être ligotté [pour être exécuté] ». Il donna un ordre et on le tua.

Il y avait dans la prairie de Šabrīṭ un lion de taille énorme. Les Almohades creusèrent une fosse où il tomba,

(1) Il n'est point parlé ici de l'ambassade des Sévillans, que 'Abd al-Mu'min reçut à Salé pendant ce séjour, le 1er muḥarram 546 (20 avril 1151), au rapport d'Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 124. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 111-112 et Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, p. 311 ; trad., II, p. 185-186.

(2) De même dans Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 125 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 112 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 313 ; trad., II, p. 189 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, XI, p. 103 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 572.

(3) De même dans *al-Ḥulal al-maušīya*, *loc. cit.*, qui donne le texte de la proclamation : « O gens, celui qui parmi vous dira une parole où l'on pourra trouver une allusion au but de ce voyage, sera puni par le sabre. » Cf. aussi Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, *loc. cit.*

se termina ainsi, grâce à Allāh et à son aide. Qu'Il bénisse Muḥammad son Prophète ! Allāh rendit le pays tranquille pour les Almohades, les assista pour la vérité et les fit triompher. Ils redressèrent la foi sans la moindre divergence d'avis. Le pays connut l'apaisement et Allāh fit cesser les perturbations qui s'y donnaient cours. Tels furent les motifs de l'*i'tirāf*. Allāh soit loué ! Qu'Il bénisse Muḥammad son Prophète et qu'Il agrée son Mahdī ! Ces événements eurent lieu en l'année 544 (11 mai 1149-29 avril 1150) et Allāh nous assista de la meilleure façon.

[*Glose.* — Le total des gens qui furent tués à la suite de la remise de ces listes fut de 32.730. Mais Allāh sait mieux la vérité !]

P. ١١٢ *DÉPART DU « NOBLE POUVOIR » POUR LA CONQUÊTE DE BOUGIE.

Après l'*i'tirāf*, et quand le pays fut apaisé, le Calife se remit en route pour Salé, la même année. Alors qu'il séjournait dans cette ville, il donna l'ordre de creuser la conduite souterraine depuis Ġubūla et de faire descendre l'eau de cette source à Salé. Il ordonna aussi de creuser les fondations du Ribāṭ al-Fatḥ et il y fit bâtir un château. Il resta là cinq mois à surveiller les travaux de la conduite des fondations et de la construction du château (1).

Puis, le Calife ayant donné aux corps de troupes l'ordre de venir à Salé, et celles-ci lui ayant prêté le serment

(1) Sur cette conduite d'eau, dont la construction est également attestée par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 125, cf. Henri Basset, *Un aqueduc almohade à Rabat*, in *Revue Africaine*, n^os 316-317, 3^e et 4^e trim. 1923, p. 523-528. Cf. aussi Henri Basset et E. Lévi-Provençal, *Chella : une nécropole mérinide*, Paris, 1923, p. 8. — Le toponyme de Ġubūla désigne encore aujourd'hui (*ᵊīn ġbūla*) la source captée à l'époque de 'Abd al-Mu'min.

P. ١١٣ * Le Calife remit une autre liste pour les *Dukkāla* à Isḥāḳ b. 'Umar al-Hintātī : celui-ci n'en tua que six cents, car il fut pris de compassion pour eux (*sic*).

Le Calife remit une autre liste pour les *Hailāna* à al-Ḥasan b. al-Mu'allim et à 'Alī b. Yaḫluf : ils en tuèrent huit cents à Maġṭāsa.

Le Calife remit une autre liste pour les *Warīka* à Zakarīyā b. Sa'd Allāh al-Warīkī : celui-ci tua deux cent cinquante Warīka et Hazraǧa.

Le Calife remit une autre liste pour *Luǧǧāġa* à Yaḥyā b. Suḥnūn et à 'Abd al-Karīm al-Ġaiġā'ī : ils tuèrent cent cinquante hommes, entre Luǧǧāġa et Ġaiġārt.

Le Calife remit une autre liste pour les gens du *Dar'a* à Yaḥyā ad-Dara'ī et à 'Abd aṣ-Ṣamad b. Tadrārt, père de Yarzīgan : ils en tuèrent six cents.

Le Calife remit une autre liste pour *Siǧilmāsa* (1) à 'Abd Allāh b. Waṭbīb. Celui-ci rassembla les gens dans l'intention de les tuer ; mais l'un des leurs, un dévot qui se nommait Ibn Būġlāt, reçut leurs plaintes : alors il ouvrit la main (2) et invoqua Dieu en leur faveur. Allāh accueillit cette invocation et dirigea sur 'Abd Allāh une mouche qui lui fit au cou une piqûre dont il mourut sur le champ. Alors les gens se séparèrent et rentrèrent chez eux.

Le Calife enfin remit une autre liste à Muḥammad b. Abī Bakr b. Tūndūt et lui dit : « Mets de l'ordre dans ton pays, ô Abū 'Abd Allāh ! » Celui-ci tua mille de ses contribules.

La « reconnaissance (du pouvoir almohade) » (*i'tirāf*)

(1) Vocalisé dans le manuscrit : Saǧalmāsa.

(2) Pour le geste de la *fātḥa*, cf. la note détaillée de W. Marçais, *Textes arabes de Tanger*, Paris, 1911, p. 165, note 3.

De même, Āgg-u Angī se rendit à al-Ḳal'a de Mahdī b. Tawālā, pour faire reconnaître le pouvoir almohade par ses habitants : il tua parmi ceux-ci, Zanāta du Fazāz, six mille hommes.

Le Calife remit une autre liste pour *ar-Ribāṭ* [de Tāzā] à Abū Sa'īd Yaḫluf Ātīggī et à Muḥammad b. Yaḥyā al-Gadmīwī. Le premier fit périr parmi les gens de Ṣārbūh (?) et les Banū Makkūd douze mille hommes, six mille dans les silos (1) et six mille derrière le marché, à al-Maḳarmada. Il leur dit : « Voici votre châtiment pour avoir tué Zīrī b. Māḫūḫ que le Calife avait envoyé vers vous ! » Quant à Muḥammad b. Yaḥyā, il tua à l'intérieur d'ar-Ribāṭ, dans la ville, huit cents hommes.

Le Calife remit une autre liste pour les *Ġumāra* à Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. Sulaimān et à Yaḥyā b. Tūkrū-rīn. Ils tuèrent huit cents personnes à Tiṭṭāwīn (Tétouan) et cent autres à aṯ-Ṯalāṯā' (marché du mardi) de Nuzūl Āṭwāsat.

Le Calife remit une autre liste pour le *Ġarb*, pour les *districts de Fès et de Meknès*, à Yūsuf b. Sulaimān et à 'Abd Allāh b. Ḫiyār al-Ğaiyānī. Ils tuèrent (dans le Ġarb) trois cents personnes, à Meknès deux cents, et à Fès quatre-vingts, parmi les gens efféminés et la populace.

Le Calife remit une autre liste pour les gens de *Tāmasnā* à 'Abd Allāh b. Fāṭima al-Lamtūnī et à Abū Tūnart : ils en tuèrent six cents à Tīṭ-(a)n-wagurrāmt (2), parmi lesquels Farḫūl des Baraġwāṭa.

(1) En les y abandonnant après les avoir refermés sur eux. A moins qu'il ne s'agisse d'un toponyme, al-Maṭāmir.

(2) Peut-être l'actuelle Tīṭ dont les ruines sont situées au bord de l'océan, à dix kilomètres au sud de Mazagan. Une monographie leur est consacrée par H. Basset et H. Terrasse, dans la dernière partie de leurs *Sanctuaires et forteresses almohades*, *Hespéris*, 1927.

Le Calife remit une autre liste pour les *Ḥāḥa* au gendre d'Abū Sa'īd et à 'Uṯmān b. Manād : ils tuèrent dans cette tribu huit cents fauteurs de désordres et perturbateurs.

Le Calife remit une autre liste pour le *Sūs* à Muḥammad b. Abī Bakr b. Īgīt et à Ibn Tamūlī : ils tuèrent à Īglī du Sūs six cents fauteurs de troubles.

Le Calife remit une autre liste pour les *Īn Gīsal* à Wamṣāl b. Wadraǧ et à Abū 'Imrān Mūsā b. Wamyān : ils en tuèrent six cents.

Le Calife remit une autre liste [pour les *Guzūla* (1)] à Mūsā b. 'Īsā et à al-Ḥasan b. Sulaimān ; ils en tuèrent en deux endroits, deux cents à Tā'gīzt et trois cents sur le territoire des Haštūka.

Le Calife remit une autre liste pour les *Haskūra* à Sulaimān b. Maimūn, à 'Alī b. Yaḥyā, à Kamāt b. 'Uṯmān et à 'Abd Allāh b. Yūmūr : ils en tuèrent huit cents et attaquèrent les autres dans leurs tentes : le nombre total des gens mis à mort fut de deux mille cinq cents.

Le Calife remit une autre liste pour les gens de *Tādlā* à 'Umar b. Maimūn, à 'Abd Allāh b. Dāwūd al-Ǧarāwī, à Muḥammad b. Tūfāut et à Sulaimān b. Tizangāt ; ils en P. 111 tuèrent cinq cents au lieu dit Naḍīr. Puis *, 'Umar b. Maimūn rassembla des troupes et se rendit à Tāzaraft des Īmalwān : il tua les gens de cette tribu au lieu dit Tīfsart et ramena leur butin et leurs femmes à Tādlā. Abū Bakr b. al-Ǧabr ayant intercédé auprès du Calife en faveur de leurs femmes, elles ne furent point vendues. Abū Bakr b. al-Ǧabr partit ensuite pour la région de Tādlā et tua parmi les Ṣanhāǧa et les Ǧarāwa mille hommes au lieu dit al-'Amrī.

(1) Le scribe a oublié de marquer le nom de cette tribu dans son manuscrit. Il a été rétabli grâce au nom de Mūsā b. 'Īsā, connu par ailleurs : cf. l'index des noms de personnes.

[LA RECONNAISSANCE DU POUVOIR ALMOHADE (*I'TIRĀF*) ORDONNÉE PAR 'ABD AL-MU'MIN.]

Quelque temps après, les Maknāsa tuèrent les charbonniers qui se trouvaient dans le district de Fez. Al-Ǧaiyānī envoya alors des lettres au Calife, lui disant : « Nous sommes bloqués dans Fès ! — Pour quelle raison ? fit demander le souverain. — A cause des Maknāsa qui ont tué les charbonniers dans leur montagne ! »

Le Calife alors alla trouver les Almohades, les rassembla, leur fit un sermon et leur dit : « Celui qui a bu, lorsqu'il P. 11. empêche autrui de boire à son tour du lait et de l'eau, que* mérite-t-il? — Qu'on lui rende la pareille ! répondirent-ils. — Vous avez raison », dit le Calife. Il entra alors chez lui et leur écrivit des listes en les exhortant et en leur demandant de reconnaître le pouvoir almohade. Puis il distribua ces listes aux šaiḫs almohades et leur ordonna d'employer le sabre (1).

Commençant par les portes de Marrakech, il donna une liste à Aiyūb Āgdam et Yaḥyā b. Gurūṭ : ils rassemblèrent les *Hazmīra* à leur point de concentration (*ribāṭ*) et tuèrent parmi eux cinq cents individus fauteurs de troubles.

Le Calife remit une autre liste à Muḥammad b. Maḍkād et 'Abd Allāh b. Māllāt, tous deux šaiḫs des *Ragrāga* : ils firent périr huit cents de leurs contribules, fauteurs de désordres, à Āṣākkā-n-Kamāt.

(1) Aucun autre historien de la dynastie almohade ne s'est fait l'écho de ce singulier *i'tirāf* qui éclaire d'un jour nouveau toute la politique berbère de 'Abd al-Mu'min. Ce fut un second *tamyīz* aussi brutal et aussi féroce, que les chroniqueurs officiels des descendants du Calife eurent sans doute l'ordre de passer sous silence dans leurs œuvres : ce qui expliquerait que les historiens postérieurs n'en parlent pas non plus.

Iṣarwal. L'Émir des Croyants vint s'installer à cet endroit et une rencontre eut lieu. Les Dukkāla s'aperçurent qu'ils ne pourraient tenir tête aux Almohades et leurs šaiḫs, avec Yaḥyā aṣ-Ṣaḥrāwī, s'enfuirent vers le Sūs. Yaṣlāsan suivit le rebelle chez les Ragrāga, qu'il mit en déroute et qui durent se soumettre ; aṣ-Ṣaḥrāwī partit pour le Sahara.

De son côté, le Calife battit les Dukkāla, rapporta leur butin et vendit leurs femmes ; quant à eux, il les dispersa.

Les Baraǵwāṭa durent aussi se soumettre. Abū Sa'īd Yaḫluf b. al-Ḥasan Ātīggī, 'Abd Allāh b. Fāṭima al-Lamtūnī et 'Umar b. Āgg-u Lagūṭ étaient partis les attaquer ; ils finirent par rapporter de chez eux des tributs en nature et en espèces, ainsi que les armes et les tentes qu'ils avaient prises à Abū Ḥafṣ. Ils ramenèrent aussi le fils et la concubine de ce chef, qui avaient été faits captifs. Ensuite, ils organisèrent sur place une nouvelle armée contre un rebelle du nom de Būmazgīdā, dans la région d'Āfandaǵul et le défirent. Puis ils ramenèrent les prises des Baraǵwāṭa, qui consistaient en ces esclaves que l'on dénommait les Ait Yarziǧān.

Ils marchèrent ensuite sur Yārūgan contre un autre rebelle que l'on appelait Hilāl le Chauve et Wīlān b. Mūsā : il se trouvait, à Yarūgān, au lieu dit Āṣrū-n-Ait 'Afīf. Ils le défirent, ainsi que ses partisans, et les dispersèrent. Avec l'aide d'Allāh, le pays entra dans la tranquillité : Allāh soit loué !

Tous ces événements se passèrent en 543 (22 mai 1148-10 mai 1149). Allāh nous aida de son assistance et nous donna la victoire !

Wānūdīn se mit en route avec les soldats de l'Est et leurs « sultans » ; mais, arrivé à Fès, il tomba malade et, [ayant poursuivi sa route vers le Sud], il mourut sur le chemin d'al-Ḳal'a (1), où il fut enterré : 'Imrān b. Wūrtān et 'Abd Allāh b. Šarīf, qui se trouvaient en ce lieu, l'inhumèrent dans la demeure de Yaḥyā b. Sīr. L'armée qu'il amenait était commandée par Tāšfīn b. Māhūḥ, al-'Abbās b. 'Aṭīya (2), Ḥamāma b. Maṭhar et 'Abd al-'Azīz b. Yaḫluftan (3) : c'étaient là les « sultans » qui, après la mort de Yūsuf b. Wānūdīn, commandaient ses troupes.

Quant aux soldats de l'Ouest (Ġarb), ils étaient sous les ordres de 'Abd Allāh b. Ḫiyār, surnommé al-Ġaiyānī; ceux des Zanāta, sous les ordres de 'Abd Allāh b. Šarīf, de Hādī b. Ḫamīs et de Yaknūl b. Muḥammad b. Yarzaf : c'étaient là les « sultans » des Zanāta pour le Ġarb. Enfin, les Ġumāra avaient pour chef 'Abd Allāh b. Sulaimān ; les Ṣanhāǧa, Abū Bakr b. al-Ǧabr et Abū Yaddar b. Wamṣal; les Ǧarāwa, 'Abd Allāh b. Dāwūd : leur *ḥāfiḍ* était 'Umar b. Maimūn (4). Ils firent tous leur concentration.

Le Calife alla de Marrakech à Wašbūr des Haskūra : là, P. ١٠٩ les armées firent leur jonction * avec l'aide et l'assistance d'Allāh. Alors, le Calife se mit en route pour le territoire des Dukkāla, où se trouvait Yaḥyā aṣ-Ṣaḥrāwī, à

(1) C'est-à-dire Ḳal'at Mahdī. Les circonstances de la mort de Yūsuf b. Wānūdīn ne sont pas rapportées par les autres chroniqueurs.

(2) Un personnage de ce nom, émir tūǧīnite qui servit de guide à Ya'ḳūb al-Manṣūr en 584 (1188), est signalé par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 328; trad., II, p. 211.

(3) Ce personnage avait été rencontré à Oudjda par Ibn Tūmart à son retour d'Orient : cf. *supra*, p. 95.

(4) Ce général almohade, originaire des Harġa, après avoir fait une expédition dans le pays du Wādī Nūl, devait trouver la mort en Espagne, comme on le verra plus loin.

par Tālammāğt (1). Il pénétra de vive force dans Salé ; puis il quitta cette ville en y laissant Mūsā b. Zīrī al-Hintātī, et se dirigea vers le territoire des Banū Ūryāğul. Il défit Ibn P. ١٠٨ al-Ḥasan* al-Ūryāğulī et rapporta à Meknès le butin qu'il lui prit. Les Almohades remirent ce butin à Abū Ḥafṣ qui le partagea entre eux.

Puis, il porta les armes dans le Hibṭ et à Tanger. Les Ṣanhāğa se soumirent à l'empire almohade, après qu'un certain nombre d'entre eux eut péri. Yaḥyā b. Tā'iššā fut tué. Puis, Yaṣlāsan gagna Ceuta et assiégea cette ville, mais dut s'en aller sans l'avoir enlevée : son départ fut bientôt suivi de l'envoi par Ibn 'Iyāḍ de sa soumission et de celle de la population de Ceuta (2). Le Calife donna le gouvernement de cette ville à 'Abd Allāh b. Sulaimān (3), qui s'y rendit avec ses ḥāfiḍs. Quant à Yaṣlāsan, il rentra à Meknès.

Puis, Āgg-u Lagūṭ se soumit par l'intermédiaire d'Abū Ḥafṣ, et tous descendirent vers Marrakech.

Le Calife envoya des messages dans chaque région, et, à cet appel, les troupes arrivèrent de tous côtés. Yūsuf b.

(1) C'est encore aujourd'hui le nom d'une fraction de la tribu des Za'īr, au sud de Rabat.

(2) Il s'agit du célèbre ḳāḍī Abu 'l-Faḍl 'Iyāḍ b. Mūsā b. 'Iyāḍ b. 'Amr Ibn 'Iyāḍ al-Yaḥṣubī as-Sabtī, né à Ceuta en 476/1083, mort à Marrakech en 544/1149, sur lequel cf. M. Ben Cheneb, dans l'*Encyclopédie de l'Islām*, II, p. 602-603, s. v°, et la bibliographie citée. — D'après Ibn Ḫaldūn, '*Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 294, trad., II, p. 156, c'est 'Iyāḍ, alors ḳāḍī de Ceuta, qui organisa la résistance quand 'Abd al-Mu'min vint assiéger la ville ; malgré les efforts déployés, elle succomba en 541/1146-47. Cf. aussi, *ibid.*, texte, I, p. 304, 309 ; trad., II, p. 176 et 183 et Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 124.

(3) Cet Almohade, originaire de Tīnmallal, avait été rattaché aux « Cinquante » après le « tri » (cf. *supra*, p. 53). Il devait plus tard commander une armée almohade en Espagne.

tion de rester quelque temps en sa compagnie. Mais, voyant sur le visage de Yaḥyā une expression mauvaise, il voulut retourner à son bord. Yaḥyā alors poussa contre lui son cheval, le frappa d'un coup de lance entre les épaules et le transperça. Le page d'aṣ-Ṣaḥrāwī prit le cadavre et le traîna jusqu'à Ceuta, où aṣ-Ṣaḥrāwī le fit mettre en croix dans la forteresse de la ville.

Après cet événement, aṣ-Ṣaḥrāwī quitta Ceuta pour Tanger : cette ville lui parut difficile à prendre par les Almohades. Il dit à Yaḥyā b. Tā'iššā, un almoravide [qui y commandait] : « Reste en place, qu'Allāh t'y procure la paix ! »

Puis aṣ-Ṣaḥrāwī gagna Salé, où il trouva al-Ḫaiyāṭ, le père du rebelle dont il a été parlé plus haut, en lutte avec les habitants de la ville. Il s'empara de lui, lui trancha la tête et jeta son cadavre dans la mer. Puis il alla piller les gens de Fanzāra (1), qui avaient reconnu l'autorité d'al-Ḫaiyāṭ.

Aṣ-Ṣaḥrāwī quitta ensuite Salé avec son armée et se rendit chez les Baraǵwāṭa. Ils le reçurent avec honneur, dans le but de le faire rester chez eux. Mais au bout de quelque temps, il les quitta et se rendit chez les Dukkāla : ceux-ci s'assemblèrent autour de lui, reconnurent son autorité et le nommèrent leur émir. Il resta parmi eux et fut rejoint chez les Dukkāla par les Ragrāga et les Ḥāḥa qui se réunirent autour de lui.

A cette nouvelle, le Calife envoya pour combattre ces ennemis Yaṣlāsan avec une armée. Il prit par la route de Tādlā et, de cet endroit, descendit vers Salé en passant

(1) Sur cet endroit, cf. *supra*, p. 105, note 2.

Abū Ḥafṣ repartit ensuite une seconde fois, rejoignit les Haskūra qui se trouvaient aux « Eaux-Blanches » (*Āmān mallūlnīn*) : il les défit et les dispersa, et rapporta le butin fait sur eux, ainsi que leurs filles, au nombre desquelles se trouvait la fille de Tūndūt : celles-ci ne furent point vendues.

[RÉVOLTE DES BARAĠWĀṬA (1) ET RETOUR D'AṢ-ṢAḤRĀWĪ.]

Abū Ḥafṣ gagna ensuite le territoire des Baraġwāṭa : il les rencontra, mais ils furent vainqueurs et s'emparèrent des bagages de l'armée. Abū Ḥafṣ alors descendit avec ses enfants vers Tādlā. Là, il réorganisa son armée. Puis il partit contre Meknès, campa devant cette ville et l'assiégea.

Aṣ-Ṣaḥrāwī venait de revenir d'al-Andalus : après sa fuite, il y avait reçu un message de la population de Ceuta, qu'il rejoignit. Mais, quelque temps après, 'Alī b. 'Īsā, le maître de la mer (l'amiral) almohade, arriva avec sa flotte, P. ١٠٧ [débarqua près de Ceuta] et bloqua les habitants * dans la ville.

Un jour, aṣ-Ṣaḥrāwī vint le trouver et lui dit : « Je voudrais me soumettre aux Almohades par ton intermédiaire, ô Abu 'l-Ḥasan ! » Celui-ci accepta et l'autre lui prodigua des marques d'amitié telles qu'il capta sa confiance. Abu' l-Ḥasan lui dit : « Je t'amènerai au Calife ». Aṣ-Ṣaḥrāwī alors rentra dans la ville, et l'amiral rejoignit sa flotte.

Le lendemain, Yaḥyā (aṣ-Ṣaḥrāwī) sortit à nouveau de Ceuta. 'Alī b. 'Īsā lui fit signe de le rejoindre. Yaḥyā partit du côté indiqué et 'Alī débarqua de sa galère dans l'inten-

(1) Cf. René Basset, in *Encyclopédie de l'Islām*, I, pp. 724-25, *sub* Berghawāṭa.

[RÉVOLTE DE 'UMAR B. AL-ḪAIYĀṬ.]

Un rebelle, 'Umar b. al-Ḫaiyāṭ, que l'on surnommait Būyakandī, se souleva contre nous chez les Guzūla. La révolte gagna les Ḥāḥa, qui s'étaient soumis précédemment, les Ragrāga, les Hazmīra, les Haskūra de la plaine, les Dukkāla et les Banū Ūryāġal. Cet ennemi était originaire de Salé ; il rallia à son mouvement les populations de Ceuta, de Tanger et d'Alméria (1). Le gouvernement almohade envoya contre cet ennemi d'Allāh Ibn Īgīt avec les gens du Sūs ; mais il fut battu (2). Le šaiḫ Abū Ḥafṣ partit alors combattre les rebelles avec une armée. Il se rendit d'abord chez les Hazmīra qu'il défit et dispersa. Puis il passa chez les Guzūla, battit 'Umar b. al-Ḫaiyāṭ, le tua et rapporta sur un mulet son cadavre qui fut mis en croix sur la porte Bāb aš-Šarī'a (3).

(1) Ce personnage qui devait entraîner les Baraġwāṭa dans la révolte est sans aucun doute le même que celui qu'Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 123-124, *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 110 et Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 308; trad., II, p. 181-182, qui en parlent d'une façon détaillée, appellent Muḥammad b. 'Abd Allāh Ibn Hūd. Il était originaire de Salé, rapportent également ces historiens. Il se prétendit le nouveau Mahdī à Māssa et son mouvement gagna tout le sud du Maroc.

(2) De même, dans les ouvrages cités à la note précédente. D'après Ibn Ḫaldūn, le chef almohade envoyé contre le rebelle fut Yaḥyā Āngmār et non, comme ici, Ibn Īgīt.

(3) Les mêmes historiens confirment la victoire d'Abū Ḥafṣ et lui assignent la date, Ibn Abī Zar' de ḏu' l-ḳa'da 542 (mars-avril 1148) et Ibn Ḫaldūn, de ḏu 'l-ḥiǧǧa 541 (mai 1147). Le chef almohade tua le rebelle de sa main et avertit 'Abd al-Mu'min de sa victoire dans une lettre qui fut rédigée par le secrétaire Abū Ǧa'far Ibn 'Aṭīya. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 110 ; d'après cette chronique, l'armée envoyée contre le nouveau Mahdī sous les ordres d'Abū Ḥafṣ comprenait, entre autres troupes, un corps d'archers et une milice chrétienne.

d'orientation des mosquées pour le peuple de Muḥammad — sur lui soit le salut ! — Ces déviations sont bonnes pour les Juifs ou d'autres, et non pour lui ! — Alors, dirent les faḳīhs, la ville sera purifiée, et vous pourrez l'habiter. — Et comment sera-t-elle purifiée? — Les mosquées seront démolies et l'on en construira d'autres ». On démolit donc les mosquées de la ville, à cause de leur mauvaise orientation, de leur écart de la *ḳibla* et de leur inclinaison vers l'Orient. Entre autres fut démolie la mosquée-cathédrale de 'Alī b. Yūsuf, mais en partie seulement (1).

On envoya ensuite des hommes de confiance dans la P. ١٠٦ ville * avec le vizir, et les captifs remirent au Maḫzan — Allāh accroisse ses ressources ! — leurs bijoux, leurs effets et leurs armes. Tout ce qui se trouvait dans la ville fut apporté au Maḫzan ; les femmes furent vendues et tout le produit de la prise de la ville revint ainsi au trésor almohade (2). Alors le Calife pénétra dans Marrakech et en partagea les rues en secteurs entre les Almohades (3). Ils y séjournèrent un mois.

(1) L'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya*, p. 108, dit que 'Abd al-Mu'min fit construire à Marrakech une nouvelle mosquée-cathédrale, après avoir fait édifier un *masǧid* à Dār al-ḥaǧar, et qu'il démolit la mosquée-cathédrale située au bas de la ville, et qui avait été construite par le sultan 'Alī b. Yūsuf.

(2) Cf. Ibn Ṣāḥib aṣ-Ṣalāt, cité par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 108 : « Revenu à son camp, 'Abd al-Mu'min plaça des hommes de confiance (*amīn*) à la porte de la ville pendant deux mois et fit rassembler le butin et les richesses. Il le partagea entre les Almohades et leur distribua les maisons. Les femmes et les enfants de Marrakech furent vendus comme esclaves, à l'exception de la fille de Yūsuf. » Celle-ci, Zainab, était en effet l'épouse de ce šaiḫ des Masūfa, Yaḥyā b. Isḥāḳ Āngmār, qui était devenu almohade à la mort de 'Alī b. Yūsuf.

(3) C'est-à-dire, sans doute, qu'il assigna pour résidence dans la ville un quartier à chacune des tribus almohades qui avaient des contingents dans son armée.

confiance, je leur montrerai [l'endroit où sont ces marmites] et ils les rapporteront ».

L'Émir des Croyants choisit alors deux hommes dans chacune des tribus almohades, et l'individu, ainsi accompagné de douze personnes de confiance, s'en fut du camp d'Īgīllīz à sa maison [de Marrakech]. Il avait sur lui un poignard « de trahison ». Quand ils furent tous entrés dans la maison, il les enferma et leur donna des pioches pour creuser le sol. Il les laissa bien s'occuper à creuser ; alors, il porta la main à son poignard « de trahison » et les en frappa l'un après l'autre. Nul d'entre eux ne se sauva, sauf un qui passa par les fenêtres de la chambre haute (*maṣrīya*) et s'enfuit vers Īgīllīz, où il apprit aux Almohades ce qui s'était passé. Ceux-ci mirent le Calife au courant et partirent, retrouvèrent l'homme dans la *ġurfa* et le traînèrent jusqu'à Īgīllīz. L'Émir des Croyants leur dit : « Il n'y a plus à hésiter (1) : il a fait périr des Almohades. Tuez-le ! » Et il fut mis à mort (2).

Pendant trois jours, personne n'entra à Marrakech, ni n'en sortit (3). On se consulta pour savoir si l'on devait s'y installer, mais les Almohades refusèrent. Les faḳīhs de la ville vinrent les trouver et leur dirent : « Pour quel motif ne voulez-vous pas habiter notre ville? — Le Mahdī s'y était refusé, répondirent les Almohades. C'est avant tout parce que les mosquées de votre ville ne sont pas exactement dirigées vers la *ḳibla*. Il ne faut ni écart ni inclinaison

(1) Littéralement : « Ceci est comme matelas et couverture » ; c'est-à-dire son châtiment est justifié. C'était sans doute alors un dicton courant auquel le calife fait ici allusion.

(2) Cet épisode n'est rappelé nulle part ailleurs.

(3) Exactement les mêmes termes dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 108.

à l'exception d'Abu 'l-Ḥasan et du šaiḫ Abū Ḥafṣ. Le premier saisit Isḥāḳ et le décapita (1). Puis on tira Ṭalḥa pour l'exécuter, quand celui-ci se mit à dire : « Mon oncle Abu' l-Ḥasan, mes armes, qu'en ferai-je? Peut-être pourrais-je te les donner ! » Alors on délia ses mains qui étaient attachées derrière son dos, afin qu'il remît ses armes. Au milieu de celles-ci se trouvait un poignard. Ṭalḥa en frappa Abu' l-Ḥasan et lui porta un coup mortel. Après quoi, Ṭalḥa fut mis à mort (2).

En même temps, Abu 'l-Ḥasan avait fait garrotter mille hommes des Dukkāla pour les faire exécuter et avait dit : « Quand j'aurai tué Ṭalḥa, je les tuerai ». Mais quand ce dernier l'eut tué lui-même, les Dukkāla furent relâchés, et pas un seul parmi eux ne périt.

On se saisit d'Abū Bakr b. Taizamt et on le fit comparaître devant l'Émir des Croyants, à qui l'on dit : « Ne sais-tu pas, ô Émir des Croyants, qu'Abū Bakr b. Taizamt fut le serviteur et le conseiller de 'Alī b. Yūsuf? —Je le sais bien, répondit le Calife. — Et pourquoi donc vais-je mourir? dit Abū Bakr. — Parce que, répliqua le souverain, tu as porté la main sur le Mahdī — Allāh l'agrée ! — et que tu l'as conduit en prison. La Sunna te condamne à mort ! — Du moment qu'il me faut nécessairement mourir, répondit Abū Bakr, je vais te dire quelque chose. — Dis ! — J'ai deux marmites pleines de pièces, toutes en or. Que les Almohades P. ١٠٥ les prennent, car j'ai peur qu'en mourant * il ne m'en soit demandé compte par Dieu. Donne-moi des hommes de

(1) Cf. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères, loc. cit.* Lire Abu 'l-Ḥasan au lieu d'Abū Ḥafṣ Ibn Wāggāg.

(2) Nulle part ailleurs on ne trouve mentionnées ni la vengeance de Ṭalḥa, ni sa mort courageuse.

Jusqu'au moment où elle fut tuée, les Almohades ne savaient si c'était une femme ou non.

Quand on eut pénétré dans le château, on emmena à Īgīllīz les « sultans » qui s'y trouvaient. Le petit personnel du palais fut amené à la porte Bāb aṣ-Ṣāliḥa (1) et mis à mort par Abu 'l-Ḥasan Ibn Wāggāg, qui revint ensuite à Īgīllīz. Là, on fit périr les « sultans » dont il a été question, et il ne resta plus qu'Abū Bakr b. Taizamt et (le prince almoravide) Isḥāḳ avec son page Ṭalḥa (2). Isḥāḳ se mit P. ١٠٤ à implorer le Calife * en ces termes : « O Émir des Croyants, je ne suis responsable en rien ! », cependant que Ṭalḥa lui disait : « Tais-toi. As-tu jamais vu un roi s'humilier devant un roi, son pareil ! » L'Émir des Croyants dit alors à Abu' l-Ḥasan [Ibn Wāggāg] : « Laisse ces enfants ! Qu'en ferais-tu? » Mais Abu 'l-Ḥasan se mit à pousser des cris et à s'exclamer : « Holà ! holà ! les Almohades ! Voici que 'Abd al-Mu'min s'oppose à nous : il veut élever contre nous les petits des lions ! » (3)

Le Calife se retira plein d'irritation, suivi des Almohades,

(1) C'était sans doute la porte de la ḳaṣba de Marrakech, le Bāb al-Maḫzen d'Ibn Faḍl Allāh. Il existe encore près de la ville un *žnān eṣ-ṣālḥa.*

(2) La cruelle exécution du petit prince almoravide est relatée avec des détails par tous les historiens des Almohades, à l'exception toutefois de 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī. Cf. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères,* texte, I, p. 308; trad., II, p. 181; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil,* X, p. 412 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne,* p. 544; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain,* p. 6 du texte et 9 de la trad.; *al-Ḥulal al-maušīya,* p. 104. L'auteur du *Rauḍ al-ḳirṭās* ne fait que la mentionner, p. 123. Le récit qu'on va lire est le plus complet et il se rapproche sensiblement de celui des historiens postérieurs. Mais le Ṭalḥa qui intervient est nommé par *al-Ḥulal al-maušīya* et Ibn al-Aṯīr l'émir Sīr b. al-Ḥāǧǧ.

(3) Mêmes termes dans *al-Ḥulal al-maušīya, loc. cit.,* dont le récit est d'ailleurs directement inspiré du nôtre.

Ṣanhāğa et les 'Abīd du Maḫzan pénétrèrent du côté de Bāb ad-Dabbāğīn (1), les Haskūra et les « Tribus » (*al-Ḳabā'il*) du côté de Bāb Yīntān (2). Ainsi Marrakech fut conquise et prise par les armes (3). On combattit jusqu'à midi pour enlever le château, et l'on ne put y pénétrer qu'une fois que Fānnū, fille de 'Umar b. Yīntān eut péri. Elle avait ce jour-là combattu les Almohades, vêtue en homme. Les Almohades étaient émerveillés de sa conduite au combat et de la bravoure dont Allāh l'avait dotée ; elle était vierge. Sitôt qu'elle eut péri, le château fut enlevé.

(1) Aujourd'hui Bāb Dabbāğ, sur le rempart est. Cf. *ibid.*

(2) De même dans *al-Ḥulal al-maušīya*. Cette porte n'est pas signalée par Ibn Faḍl Allāh, mais correspond sans doute à Bāb Ailān, percée dans le rempart est, au sud de Bāb ad-dabbāğīn. Elle est signalée à trois reprises dans le *Kitāb at-Tašauwuf* d'at-Tādilī (cf. mes *Historiens des Chorfa*, p. 220), dans des biographies de personnages morts à la fin du VIe siècle : Abū 'Imrān Mūsā b. Isḥāḳ al-Warīkī al-Mu'allim, Abū 'Alī 'Umar b. 'Alī al-Hazrağī et Abū 'Abd Allāh ibn Muwaffaḳ (communication amicale de M. Georges S. Colin).

(3) Le récit de la prise de Marrakech, avec les détails qui précèdent, est reproduit à peu près littéralement, et d'ailleurs avec l'indication de source, par l'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya*, p. 104. — On trouve des détails différents chez les autres historiens : 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, si souvent mal informé malgré la date de composition de sa chronique, place la prise de Marrakech en 537 et prétend que 'Abd al-Mu'min y fit rechercher, mais sans succès, le tombeau de 'Alī b. Yūsuf (*al-Mu'ğib*, texte, p. 146 ; trad., p. 177). Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 308 ; trad., II, p. 180-181, dit que la ville fut prise après un blocus de sept mois, à la fin de šauwāl 541 (3 avril 1147). D'après Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 269, la ville aurait été enlevée le 8 šauwāl de la même année. Enfin, Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 412 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 543-44, dit que Marrakech fut livrée aux Almohades par la milice chrétienne et que les vainqueurs y entrèrent par Bāb Āğmāt. Il ajoute que leur entrée fut immédiatement suivie d'un massacre de la population qui dura sept jours (quatre, d'après *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 104, qui précise le nombre des victimes : plus de 60.000).

un jeune enfant. Le cinquième jour, ils sortirent encore pour nous attaquer et nous les battîmes, en les poursuivant jusqu'à la porte Bāb aš-šarī'a (1). Un grand nombre d'ennemis fut tué. Devant cet insuccès, ils se tinrent cois dans la ville et personne ne vint plus nous attaquer (2), sauf Ibn Yīntān. On lui envoya Āgg-u-Āngī, leur « sultan » qui s'était soumis au pouvoir almohade, et Isḥāḳ b. Yīntān envoya sa soumission et sortit de la ville avec ses partisans, qui se déclarèrent Almohades.

La ville resta [bloquée] : personne n'y entrait ni n'en sortait. Le Calife fit fabriquer des échelles pour les adosser aux remparts et les partagea entre les tribus. [On partit à l'assaut]; les habitants essayèrent de combattre, mais les Almohades arrivèrent à pénétrer dans la ville.

Avec leur échelle, les Hintāta et les gens de Tīnmallal entrèrent du côté de Bāb Dukkāla (3); avec la leur, les

des Berbères, texte, I, p. 247-48, trad., II, p. 86. L'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya* a confondu ces deux personnages : p. 101, il appelle le petit prince de Marrakech Ibrāhīm Abū Isḥāḳ.

(1) Sur cette porte, cf. aussi *Chronique anonyme*, p. 48, n° 1. Elle est aujourd'hui appelée Bāb al-ḫamīs, car elle donne accès au marché forain qui se tient le jeudi à l'extérieur de la ville (*sūḳ al-ḫamīs*). Elle est percée dans le rempart nord-ouest de la ville. — On donne en Occident le nom de *bāb aš-šarī'a* à la porte de la ville où aboutissent les principaux chemins de la campagne environnante. A Fès, l'ancien *bāb aš-šarī'a* est devenu *bāb maḥrūḳ*, et il s'ouvre lui aussi sur le sūḳ al-ḫamīs de la capitale. — Sur les portes de Marrakech au moyen âge, cf. L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI*e *siècle* (*Tableau géographique d'après Léon l'Africain*), p. 196 et note 1 (d'après Ibn Faḍl Allāh).

(2) La vaine sortie de la garnison de Marrakech contre les assaillants est également relatée par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 103, d'après Ibn Yasa'. Mais le récit qu'en donne cette chronique semble contaminé par celui qu'on trouve dans la *Chronique anonyme*, p. 48.

(3) Porte percée dans le rempart nord-ouest de la ville. Cf. plan Massignon, p. 163.

Arrivé à cet endroit, il y leva de nouvelles troupes et les Haskūra et les Ṣanhāǧa lui envoyèrent leurs contingents. Avec ces renforts, le Calife descendit par le Wādī Umm Rabī' et finit par arriver chez les Ṣanhāǧa d'Āzammūr. Il s'installa dans cette ville avec ses troupes et les Ṣanhāǧa lui apportèrent des vivres en présent. Il convoqua aussi les Dukkāla, leurs voisins, qui firent alors leur première soumission.

Après quoi, il descendit vers Marrakech, traversa la rivière Tansīft, gagna Tāķā'it (1), où il passa ses troupes en revue, puis Īgīllīz (2), où il fit dresser sa tente rouge (3).

A la nouvelle de la venue des Almohades, les habitants de Marrakech sortirent pour les combattre. Cela se passait en 541 (13 juin 1146-1er juin 1147). Le combat se poursuivit entre eux et nous * pendant quatre jours. Isḥāķ b. Yīntān, Muḥammad b. Ḥauwā' et Muḥammad b. Yānkālā sortaient nous attaquer : c'étaient leurs « sultans » les plus honorés. Quant à Isḥāķ, le maître du pouvoir (4), c'était

P. ١٠٢

(1) C'était une petite ville à quelque distance au nord de Marrakech et qui a aujourd'hui disparu.

(2) Le Ǧabal Gellīz d'aujourd'hui, dont les pitons dominent Marrakech au nord.

(3) Le campement de 'Abd al-Mu'min à la montagne d'Īgīllīz de Marrakech est également signalé par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 102. Suivant une mauvaise lecture, cette montagne a été appelée souvent par les historiens (à la suite d'une erreur graphique à l'origine : ايجليز lu الجبلين) Ǧabal al-Ǧabalain « la montagne des Deux-Monts » (cf. *Chronique anonyme*, p. 31, n. 3). D'après cette chronique, 'Abd al-Mu'min bâtit sur le versant de cette montagne une ville pour y avoir un point d'appui. Il y édifia une mosquée et un haut minaret d'où il dominait Marrakech. Il assigna dans cette nouvelle ville un emplacement à chacune des tribus almohades.

(4) Il s'agit d'un fils de 'Alī b. Tāšfīn, qui fut placé tout jeune au pouvoir quand son neveu Ibrāhīm b. Tāšfīn b. 'Alī fut déposé pour son incapacité. Cf. notamment Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire*

b. al-Ǧabr, avec les Almohades, fit ses préparatifs de départ, marcha sur eux et les ramena tous à Fès, où ils furent tués, à l'exception de 'Umar b. Yīntān, à qui le Calife dit : « L'Imām Mahdī — Allāh l'agrée ! — a défendu de tuer les fils de Yīntān. » Il le mit en prison, et l'y laissa.

La prise de Fès avait eu lieu en l'année 540 (24 juin 1145-12 juin 1146). Nous étions restés neuf mois à l'assiéger.

Ensuite le Calife, avec l'ensemble des Almohades, — Allāh les glorifie ! — se rendit à Meknès, laissant à Fès Abū 'Abd Allāh Muḥammad b. Yaḥyā al-Gadmīwī et al-Ǧaiyānī, à qui était due la prise de la ville (1).

[PRISE DE MARRAKECH (2).]

Les Ṣanhāǧa de Tīsġart envoyèrent alors au Calife un épi de blé avec un message ainsi conçu : « Hâte-toi [de venir mettre la main sur] le grain des Dukkāla, pour qu'il n'entre pas à Marrakech, sans quoi tu ne prendras jamais cette capitale ! » Alors l'Émir des Croyants passa les Almohades en revue, quitta Meknès dont il confia le gouvernement à Yaḥyā b. Yūmūr, et prit par la route de Tādlā.

(1) D'après Ibn Ḫaldūn, ce fut Ibn Ǧāmi' que 'Abd al-Mu'min laissa comme gouverneur, à son départ de Fès.

(2) Avant les événements dont la relation va suivre, se place la prise de Salé, signalée par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 308; trad., II, p. 180; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 102; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, texte, p. 5, trad., p. 9; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 411 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 542. A son départ de Fès, 'Abd al-Mu'min gagna Salé, dont il s'empara après une légère escarmouche et il s'y installa dans la maison d'Ibn 'Ašara, celui-là même qui lui avait donné l'hospitalité ainsi qu'au Mahdī à leur retour de Bougie. Cf. *supra*, p. 106 et note 2. Al-Baiḏaḳ dit au contraire que de Meknès, 'Abd al-Mu'min gagna Marrakech par la route de Tādlā, c'est-à-dire par la route de l'intérieur, sans venir jusqu'au littoral atlantique.

tité d'argent à al-Ğaiyānī (1), qui le lui donna (2). Puis il lui en demanda d'autre et le mit à la gêne. Al-Ğaiyānī alors envoya à Abū Bakr b. al-Ğabr un message en ces termes : « Prépare ton armée, je vais t'ouvrir la porte [de la ville] ! » Il détenait en effet les clefs des portes. Abū Bakr passa ses troupes en revue et, le lendemain, quand Allāh par sa grâce fit se lever le matin, al-Ğaiyānī lui ouvrit l'une des portes, et il entra. Aṣ-Ṣaḥrāwī ne se doutait de rien, jusqu'au moment où il vit les Almohades sur les remparts et s'aperçut qu'al-Ğaiyānī était passé de leur côté. Alors aṣ-Ṣaḥrāwī monta à cheval pour prendre la fuite, se dirigea vers Bāb al-Futūḥ (3), mais trouva cette porte fermée. Il fit alors battre son tambour. Quelques-uns de ses soldats vinrent le rejoindre et il dit à son esclave Ḫaraz : « Ouvre-nous la porte ! » Celui-ci prit une hache de campement et frappa le pivot du gond qui vola en éclats. Aṣ-Ṣaḥrāwī sortit et descendit en fuite vers le Sabū, accompagné de 'Umar b. Yīntān, de Yaḥyā b. Sīr, de Gudāl b. Mūsā et des šaiḫs des Lamṭa. Ils descendirent le cours du fleuve jusqu'à hauteur de la ville des Banū Tāwudā, entrèrent dans [la forteresse d']Āmargū et s'y fortifièrent. Mais aṣ-Ṣaḥrāwī refusa de s'y réfugier, par crainte * des Almohades — Allāh les illustre ! — et continua à fuir jusqu'au pays d'al-Andalus (4). Les autres, nommés ci-dessus, restèrent à Āmargū. Mais Abū Yaḥyā

P. ١٠٢

(1) Sur ce personnage, cf. *supra*, p. 103 et note 1. Cf. aussi *infra*, appendice II, p. 227-228.

(2) Cf. *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 101-102.

(3) Porte de Fès située au sud de la ville et très anciennement attestée.

(4) Cf. également Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 307 ; trad., II, p. 180 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 410 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 541.

Puis le Calife dit aux Almohades — Allāh les glorifie ! — : « Fournissez-moi un corps d'avant-garde (*tīḏāf*) qui se rendra à Meknès ». Cette troupe partit et fut attaquée par Yaddar b. Ūlgūṭ, qui tua tous ceux qui la composaient, sauf huit cavaliers : * 'Abd al-Ḥakk b. Ibrāhīm, Yaḫluf b. Yalūlīn, Aḥmad b. Tāmaklīlt, Ḥasan b. Yarzīgan, Sa'īd b. Ġarīs, Maimūn aṣ-Ṣaġīr, 'Abd ar-Raḥmān b. Yana'mān et Sa'd Allāh b. Zīrī al-Hintātī.

P.١٠١

A cette nouvelle, le Calife fut violemment irrité. Il mit les Almohades en ordre de marche — c'était un vendredi — et partit pour Meknès avec son armée, laissant devant Fès Abū Bakr b. al-Ǧabr, avec sa propre armée d'Almohades. Le Calife et les Almohades quittèrent le camp de nuit, à l'insu des gens de Fès. Le lendemain matin samedi, ils se trouvaient à Maġīla (1). Le dimanche, le Calife parut devant Meknès et dévasta tous les quartiers de la ville, sauf celui de Tāgrārt (2).

Cependant, aṣ-Ṣaḥrāwī avait demandé une grande quan-

(1) Cf. *supra*, p. 104 et note 2.

(2) Notre auteur ne dit pas que Meknès fut prise à la suite du siège mis devant elle par 'Abd al-Mu'min, mais il va le laisser entendre, puisqu'il dit qu'à son départ pour Marrakech, la même année (540 ou 541), le sultan laissa à Meknès comme gouverneur Yaḥyā b. Yūmūr. Il est probable qu'au moment où Fès fut livrée aux Almohades, Meknès n'était pas encore prise et que, comme le rapporte Ibn Ḫaldūn, '*Ibar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 307, trad., II, p. 180, 'Abd al-Mu'min quitta les abords de Meknès assiégée pour entrer dans Fès conquise. Sur la prise de Meknès par les Almohades, il faut consulter surtout le récit qu'en a laissé Ibn Ġāzī dans *ar-Rauḍ al-hatūn fī aḫbār Miknāsat az-zaitūn*, éd. lithographiée de Fès, p. 6-7, trad. Houdas (*Monographie de Méquinez*), p. 24-28 : le chef almoravide de la ville, Yaddar b. Ūlgūṭ, y est également nommé. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 102 et Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 411 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 542.

occidentale (en berbère) : « *ānaġzū ssunnat wardam nabḍī* ». Et tous, fantassins et cavaliers, poussèrent des cris.

Puis le Calife ordonna le retour au camp. Lui-même s'arrêta à Manzil al-ḥuǧǧāǧ avec trois mille cinq cents hommes, jusqu'à ce qu'il eût fait traverser le fleuve par son armée, un corps après l'autre, dans la crainte que l'ennemi d'Allāh ne descendît tenter quelque coup de surprise. Après quoi, l'Émir des Croyants revint au camp.

Le lendemain, quand Allāh par sa grâce fit se lever le matin, le Calife, ayant divisé son armée en deux parties, se mit en route. Abū Bakr b. al-Ǧabr, avec les Ṣanhāǧa et les Haskūra, se porta à Nūg Īgrān, tandis que le Calife, avec le reste de l'armée, gravit le Ǧabal al-'arḍ. Puis, tout le monde se rassembla au Ǧabal al-'arḍ, où l'on s'installa. Le souverain donna l'ordre de couper des arbres : on les monta au camp et l'on en fit des palissades. Derrière elles, les Almohades édifièrent un mur. Quand il fut terminé, ils enlevèrent ces palissades, les entassèrent et s'en servirent pour barrer la rivière : le cours de celle-ci fut détourné par le Calife vers les remparts de la ville et, [sous la pression des eaux], la porte Bāb as-silsila s'écroula ; puis l'eau de la rivière s'écoula dans la ville. Alors aṣ-Ṣaḥrāwī sortit avec ses sujets et ne quitta le rempart que lorsqu'il fut réédifié (1).

(1) Toutes ces circonstances du siège de Fès sont relatées avec moins de détails par les autres historiens : Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 123 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 101 (avec un récit inspiré de celui-ci) ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 410 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 541. 'Abd al-Mu'min sapa une partie des remparts qui s'écroulèrent et détourna le cours d'une branche du Wādī Fās. Mais Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 307 ; trad., II, p. 179, dit simplement que le souverain almohade assiégea Fès pendant sept mois au bout desquels la ville fut livrée aux assaillants par al-Ǧaiyānī. Cf. aussi *Kitāb al-Istibṣār*, texte, p. 71, trad., p. 125.

Le lendemain matin, le Calife quitta al-Maḳarmada et vint s'établir à 'Ain Ādaḳḳā. Puis il leva le camp et passa les Almohades en revue sur la rive du Sabū, à la « Montée des Bœufs » (*'Aḳabat al-baḳar*) (1). L'armée ensuite se mit P. ١٠٠ en marche à travers les terrains plats et accidentés. * Les gens de Fès sortirent pour voir s'avancer les troupes assistées par Dieu et furent saisis de crainte. Aṣ-Ṣaḥrāwī alla se placer sur Nūg Īgrān pour voir, comme la population pleine d'effroi, l'armée almohade.

Le lendemain, quand Allāh par sa grâce fit se lever le matin, le Calife ordonna de placer l'armée en ordre de bataille, et elle fut divisée en quatre-vingts corps de troupe, qui l'un après l'autre traversèrent le fleuve et s'avancèrent jusqu'à Manzil al-ḥuǧǧāǧ (2).

Aṣ-Ṣaḥrāwī, avec ses cavaliers, gagna le Ǧabal al-'arḍ (3) et y fit halte : une rivière, appelée Sadarwāġ (4), le séparait des Almohades. Chacun resta en place jusqu'à midi. Puis le Calife dit aux Almohades : « *āsāfū* », et ils dirent en langue

(1) Ce toponyme est déjà signalé par al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 141, trad., p. 316. C'est, lorsqu'on a quitté Fès vers Taza et traversé le Wādī Sabū, la pente assez raide par laquelle on passe dans la vallée du Wādī Innāwan, sur le territoire de l'actuelle tribu des Banī Sādden.

(2) Ce toponyme semble avoir disparu (de même que le Nūg Īgrān de l'alinéa précédent). C'était — à en croire l'expression elle-même — la dernière étape vers Fès des pèlerins à leur retour d'Orient et c'était là que leurs parents et la population venaient à leur rencontre pour les revoir et les féliciter. Toute ville importante avait ainsi à quelque distance, sur la route du pèlerinage, un *manzil al-ḥuǧǧāǧ*.

(3) Cf. *supra*, p. 147 et note 4.

(4) C'est l'actuel *˘l-ụād al-malăḥ* (al-wādī al-māliḥ), affluent du Wādī Fās, au nord-ouest de la ville. Son ancien nom est attesté par le *Rauḍ al-ḳirṭās* (fragments inédits) et al-Bakrī (Ḫandaḳ Saddaruāġ), texte, p. 114, trad., p. 260.

Calife pénétra dans Āğarsīf, où 'Umar b. Tāgarṭāst trouva la mort, et où al-Ḥāğğ at-Takrūrī al-Ganāwī, entre autres, se soumit aux Almohades (1).

Puis le Calife quitta Āğarsīf dans la direction de Fès et vint camper à al-Makarmada. Abū Bakr b. al-Ğabr vint le rejoindre avec les contingents Ġumāra. Le Calife dit aux Almohades : « Fournissez-moi un corps léger (*tīdāf*) qui aille à Fès se rendre compte si cet homme [son chef aṣ-Ṣaḥrāwī] est en forces ou non ! » Personne parmi eux ne lui ayant répondu, Abū Bakr b. al-Ğabr lui dit : « Je connais bien la ville, car j'y ai étudié. J'irai et me rendrai compte de la situation ».

Il prit cinq cents Ṣanhāğa et cinq cents Haskūra, tous fantassins, à l'exclusion de cavaliers, et se mit en marche avec eux par la route de la plaine. Il traversa le [Wādī] Sabū, gravit de nuit le mont Zālaġ (2), s'y fortifia et alluma des feux dans l'obscurité. Quand les habitants de Fès virent ces feux, ils furent saisis de frayeur et dirent : « Les Ḫāriğites (les Almohades) sont au Zālaġ ! » Aṣ-Ṣaḥrāwī sortit de la ville pour livrer combat aux Almohades, avec les citadins. A sa sortie, Abū Yaḥyā b. al-Ğabr évalua son armée à quinze cents hommes, à la fois Lamtūna et habitants de Fès. Abū Bakr les combattit le lendemain jusqu'au milieu de l'après-midi. Ensuite aṣ-Ṣaḥrāwī rentra dans la ville. De nouveau, les Almohades — Allāh les glorifie ! — allumèrent des feux dans la nuit qui suivit, jusqu'à minuit ; puis ils partirent rejoindre le gros de l'armée.

(1) Ces deux personnages se trouvaient déjà à Āgarsīf au moment où le Mahdī, à son retour d'Orient, passa dans cette ville : cf. *supra*, p. 96.

(2) La montagne qui domine Fès au Nord et que l'on désigne toujours sous le même nom.

PRISE DE FÈS.

Après la soumission à l'empire almohade de l'Est tout entier, le Calife quitta Tlemcen (1) dans la direction du Maġrib. Il mit le siège devant Wūğdāt (Oujda) et prit cette ville, dont la population fit sa soumission. Un habitant, Abū Bakr Ibn Sāmğīn, trouva la mort à cette occasion (2).

Le Calife continua sa route vers Āgarsīf, que nous assiégeâmes. Dans le district dépendant de cette ville, se trouvait un rebelle nommé Maṣbūġ al-yadain (« l'homme aux mains teintes ») : Yaṣlāsan b. al-Mu'izz et Mūsā b. Zīrī partirent l'attaquer, le tuèrent et rapportèrent ses richesses. Un P. ٩٩ autre rebelle, Abū Ya'lā, se souleva à son tour : * Abū Ibrāhīm et Abū Bakr b. Wīftīn partirent l'attaquer, le tuèrent et rapportèrent ses richesses. A ce moment, le

sultan almoravide. Son surnom d'aṣ-Ṣaḥrāwī (le Saharien), lui venait de sa mère, une saharienne, son véritable sobriquet étant d'ailleurs Ibn aṣ-Ṣaḥrāwīya. A la mort de Tāšfīn, il prit le commandement des forces almoravides et s'enfuit à Fès : cf. Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 410 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 541. Sa sœur épousa le vizir Abū Ğa'far Ibn 'Aṭīya et ce fut lui qui, indirectement, devait être cause de la perte de son beau-frère. Cf. aussi 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 143, trad., p. 174, qui l'appelle le « champion » *(ġāzī)* des Almoravides.

(1) La prise de Tlemcen n'est pas mentionnée ici, ce qui semble confirmer l'indication donnée par Ibn Ḫaldūn, qui dit que lorsque 'Abd al-Mu'min rentra au Maroc, il laissa le soin d'en continuer le siège au général Ibrāhīm b. Ğāmi'. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 122, place la prise de Tlemcen en 539, d'après al-Burnusī; mais il donne aussi la date de 544. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 101 : il y est dit que 'Abd al-Mu'min y entra de vive force, massacra les habitants, réduisit les femmes en esclavage et y séjourna sept mois.

(2) Un personnage du même nom — peut-être celui-ci — se trouvait à Oujda quand Ibn Tūmart y passa en venant de Tlemcen et en gagnant Fès, à son retour d'Orient. Cf. *supra*, p. 95.

de ce dernier et l'envoyèrent à l'Émir des Croyants : celui-ci la fit embaumer et l'expédia à Tīnmallal (1) comme signe d'heureuse nouvelle [aux šaiḫs almohades restés là-bas] : Abū Ya'ḳūb Yūsuf b. Sulaimān, Wasnār b. 'Abd Allāh, Abū 'Imrān Mūsā b. al-Ḥasan et Muḥammad b. Yūmūr.

Abū Ḥafṣ enleva Oran, et les défenseurs de la ville, Tītallā et les compagnons de Tāšfīn, furent tués. Seul fut épargné un homme nommé Saiyid al-mulūk b. Yazda-'aṣnīt as-Sadrātī, contre lequel furent échangées Funda, fille de 'Alī (2), et sa fille, qu'aṣ-Ṣaḥrāwī (3) détenait prisonnières à Fès.

Mu'ǧib, texte, p. 146, trad., p. 176 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 108, 122 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 100 ; 'Abd ar-Raḥmān Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 247 et 306 ; trad., II, p. 85 et 178 ; Yaḥyā Ibn Ḫaldūn, *Buġyat ar-ruwād*, I, p. 86 ; Ibn al-Ḫaṭīb, *al-Iḥāṭa*, I, p. 284 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 409-10 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 540. On trouve de même plusieurs dates pour la mort de ce souverain. La plus fréquemment donnée est le 27 ramaḍān 539 (22 février 1145) ; c'est celle qu'on trouve dans Ibn Abī Zar', les deux Ibn Ḫaldūn, Ibn al-Ḫaṭīb, Ibn al-Aṯīr et *al-Ḥulal al-maušīya;* 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī donne l'année 540 et 'Abd ar-Raḥman Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.*, signale aussi comme date rapportée l'année 541. Un récit détaillé de la mort de Tāšfīn, qui paraît exact, est également donné par Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, t. II, p. 489-90 (reproduit par an-Nāṣirī, *Istiḳṣā'*, t. I, p. 127, trad. G. S. Colin, in *Archives Marocaines*, vol. XXXI, Paris, 1925, p. 212-13). La colline de Ṣulb al-kalb, proche d'Oran, sur le bord de la mer, et au sommet de laquelle se trouvait un *ribāṭ* où se retiraient les gens adonnés à la dévotion, reçut après la mort du prince almoravide le nom de Ṣulb al-fatḥ.

(1) Détail confirmé par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères, loc. cit.* D'après 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib, loc. cit.*, le cadavre de Tāšfīn fut crucifié puis brûlé.

(2) C'était probablement la propre sœur du calife 'Abd al-Mu'min. Cf. *supra*, p. 35. On ignore dans quelles conditions elle avait été faite prisonnière.

(3) Cet important personnage s'appelait exactement Yaḥyā b. Abī Bakr b. Yūsuf b. Tāšfīn. Il était donc le petit-fils du grand

forteresse d']Oran, tandis que 'Abd Allāh Ibn Wangī campait à Ṣulb al-kalb (1), et Tītallā dans la ville même. Arrivé à proximité d'eux, le šaiḫ Abū Ḥafṣ dressa son camp près de la source d'Oran. Tous étaient à portée de vue les uns des autres (2).

Le lendemain matin, Ãngmār s'enfuit vers le Sahara P. ٩٨ et Ibn Wangī vers le Maġrib, laissant Tāšfīn seul * avec Tītallā. Ce que voyant, Abū Ḥafṣ se mit en marche avec ses troupes, entoura Tāšfīn, l'assiégea et mit le feu à la porte de la forteresse. Tāšfīn, alors, sortit monté sur une jument qui lui appartenait et portait le nom de Raiḥāna (le « Myrte ») (3) et la poussa à travers le camp d'Abū Ḥafṣ, cherchant à s'enfuir vers la mer afin de pouvoir trouver un refuge sur ses galères (4). Pendant qu'il s'avançait ainsi sur sa jument, il ne s'aperçut pas d'une falaise du haut de laquelle sa monture le précipita : il mourut [de cette chute]. Quand le jour vint, les Almohades le trouvèrent mort au pied de cette falaise, avec sa jument sous lui (5). Ils prirent la bête de Tāšfīn, coupèrent la tête

(1) Cf. *infra*, note 5, *in fine*.

(2) Sur le siège d'Oran par Abū Ḥafṣ, cf. *al-Ḥulal al-maušīya* p. 98-99 ; 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 146 ; trad. p. 176 ; Yaḥyā Ibn Ḫaldūn, *Buġyat ar-ruwād*, I, p. 86 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 409 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne* p. 539.

(3) Le même nom est donné dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 100 ; c'était, dit l'auteur de cette chronique, « une jument célèbre pour sa rapidité ».

(4) Tāšfīn avait fait venir d'Almeria sa flotte, composée de dix navires, qui était commandée par son amiral Lubb (ou Muḥammad) Ibn Maimūn. Il l'avait attendue devant Oran pendant un mois. Cf. *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 99 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 247 et 306 ; trad., II, p. 85 et 178.

(5) La mort de Tāšfīn est signalée en détail par ses historiens, mais avec diverses versions : cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-*

b. al-Muntaṣir arriva de Bougie (1). Elle gravit la hauteur dans notre direction pour nous combattre, mais nous la défîmes dans l'espace compris entre les « Deux-Rochers » (aṣ-Ṣaḫratān) et la porte de la ville (Tlemcen). Nous tuâmes parmi ces ennemis ceux dont Allāh avait décidé la perte, et les autres, le lendemain, étaient en fuite.

L'amiral (*ḳā'id*) Ibn Maimūn, de son côté, rejoignit la région de Mattīğa et envoya au Calife sa soumission au parti almohade, en lui faisant dire : « Lorsque tu auras conquis le Maġrib de l'Ouest, viens vers celui de l'Est : tu le trouveras tout conquis, et moi-même y commandant ! »

Āngmār (2), Tāšfīn, 'Abd Allāh b. Abī Bakr Ibn Wangī et Tītallā venaient de faire périr Ibn Zaggū au Ğabal Īnūk, où le Calife l'avait envoyé chercher des présents destinés aux Almohades : ils se précipitèrent sur lui et le tuèrent. Ils décidèrent ensuite de quitter Saṭafsīf et de prendre le chemin d'Oran. Abū Ḥafṣ partit sur leurs traces avec quatre-vingts escadrons, composés tant d'Almohades que de Zanāta. Tāšfīn, avec Āngmār, s'installa dans [la

(1) L'arrivée de renforts envoyés à Tāšfīn par le roi ḥammādide de Bougie Yaḥyā b. al-'Azīz est signalée par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 97 et Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 247 et 305 ; trad., II, p. 85 et 177. Mais ce dernier auteur attribue le commandement de l'expédition à un officier du nom de Ṭāhir b. Kabbāb, qui fut tué au cours de l'engagement avec les Almohades, et non, comme ici, à Maimūn b. al-Muntaṣir.

(2) D'après Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 308 ; trad., II, p. 181, ce Yaḥyā Āngmār était un chef des Masūfa devenu gouverneur de Tlemcen : il abandonna le sultan almoravide pour passer au service des Almohades. C'est lui qui devait plus tard diriger la première expédition envoyée contre le rebelle Ibn Hūd et qui fut mise en déroute. La femme de ce personnage fut épargnée lors de la prise de Marrākech. Cf. aussi *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 108, où il est nommé Wanzammār.

[On raconte (1) que ce lion vint du camp des Misérables (les Almoravides) à celui des Almohades — Allāh les illustre ! — et s'avança jusque devant le Calife : il s'arrêta en face de lui et allongea sur le sol ses pattes de devant. Le faḳīh Abū 'Alī al-Āšīrī (2) — Allāh lui fasse miséricorde ! — qui assistait à cette noble assemblée des Almohades, improvisa alors ce vers : [Mètre *ramal*]

« Le lionceau a montré sa grande joie en présence du lion. Quand il a vu celui qui ressemble à son père, il s'est dirigé vers lui (3). »]

A cette époque, une armée commandée par Maimūn

(1) Je pense que ce passage, dont j'ai placé la traduction entre crochets, est une glose marginale incorporée au texte d'al-Baidaḳ par le copiste.

(2) Ce lettré s'appelait exactement Abū 'Alī Ḥasan b. 'Abd Allāh b. Ḥasan al-Āšīrī. Il naquit à Tlemcen dans la première moitié du VIe siècle H. et mourut en 569 (1173-1174). En plus de ses poèmes, il écrivit un ouvrage historique résumé qu'il intitula *Naḏm al-lā'alī fī futūḥ al-amr al-'ālī*, qui a servi de source à l'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya* (cf. p. 97). Une notice lui est consacrée par Ibn al-Abbār, *Takmilat aṣ-Ṣila*, éd. Codera, n° 66, p. 25-26. Cf. aussi le même, *al-Ḥullat as-siyārā*, in Dozy, *Notices...*, p. 176.

(3) Ce vers se retrouve dans Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 121, suivi de trois autres. Comme ici, l'auteur est nommé Abū 'Alī al-Āšīrī. Mais au lieu de rappeler un événement qui n'offre dans notre texte rien d'invraisemblable, le *Rauḍ al-ḳirṭās* présente ces vers comme ayant été composés à l'occasion d'un miracle ridicule, dont il ne faut pas s'étonner qu'Ibn Abī Zar' se soit fait l'écho, d'après Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt (à l'occasion de la proclamation de 'Abd al-Mu'min). On retrouve également ces quatre vers, avec la même attribution à al-Āšīrī, dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 113, mais ils auraient été improvisés par ce poète dans les circonstances suivantes : Ibn Ḥammād, seigneur de Bougie, défait par 'Abd al-Mu'min en 546, fut ramené par le souverain almohade à Marrakech et là, il occupa les loisirs que lui laissait son exil à chasser le lion. Un jour, il ramena ainsi au calife dans sa salle d'audience un lionceau qui, traversant les files des assistants, vint se coucher aux pieds du souverain.

de ses soldats ne se sauva, sauf six, trois chrétiens et trois hommes des Banū Wānār. Les trois chrétiens se nommaient : Šuwīn (Juan), Ġaštūn (Gaston), et Baṭrīyān (Adrien?); et les trois hommes des Banū Wānār : 'Alī b. al-Ḥannūs, Yaḫluf b. al-Āšunṭair et Yaḫluf al-Mugarṭar. Ces événements eurent lieu dans l'année 539 (4 juillet 1144-23 juin 1145).

EXPÉDITION DE TLEMCEN ET D'ORAN. MORT DE TĀŠFĪN.

Puis nous quittâmes Tīfsart et allâmes camper entre les « Deux-Rochers » (aṣ-Ṣaḫratān) (1), après la mort de Reverter. Tāšfīn était alors à Saṭafsīf (2) avec son armée (3). Pendant deux mois, nous nous livrâmes combat quotidiennement. Un jour, le lion de Tāšfīn monta sur la hauteur et s'enfuit vers nous, avec sa chaîne. Il passa la nuit dans notre camp. Le Calife, le soir, lui donna à manger et dit aux Almohades : « Heureux augure, ô Almohades ! »

P. ٩٧ * Le lendemain matin, le lion s'en retourna vers son maître (4).

et aux Zanāta de la même région. Un corps almohade se porta à sa rencontre et le défit. Il fut tué et mis en croix.

(1) Sur ce toponyme, cf. *supra*, p. 95 et note 2.

(2) Ancien nom de la rivière qui arrose Tlemcen : cf. al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 76-77; trad., p. 180; *Kitāb al-Istibṣār*, texte, p. 65; trad., p. 115-116.

(3) Sur l'établissement de 'Abd al-Mu'min à aṣ-Ṣaḫratān et celui de Tāšfīn à Saṭafsīf, cf. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 122; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 97; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 247 et 305; trad., II, p. 85 et 177; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 409 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 539.

(4) Sur les lions en rapport avec les illustrations musulmanes, cf. W. Marçais, *Textes arabes de Takroūna*, p. 209, note 6.

Alors, le Calife leur fit un *āgrāu* au cours duquel il les exhorta, puis il leur dit : « Adhérez-vous au parti almohade?
P. ٩٦ — Oui, répondirent-ils. — Si * votre déclaration est sincère, leur dit-il alors, apportez-nous vos armes ! » Mais, voyant que cette demande restait sans effet, il les prêcha encore le lendemain et leur dit : « Allez-vous nous amener vos enfants et nous apporter vos armes? — Oui », lui répondirent-ils. Le troisième jour, ils arrivèrent avec leurs enfants et leurs armes. Le Calife alors donna un ordre aux esclaves du Maḫzan, en leur recommandant de séparer les Guzūla de leurs chevaux et de leurs armes. Les esclaves du Maḫzan dirent alors aux Guzūla : « Allez auprès du Calife, qu'il invoque Dieu pour vous ! » Ils se rendirent dans cette intention auprès du Calife, et quand ils furent à quelque distance de leurs montures, les esclaves enfourchèrent leurs chevaux et prirent leurs armes. Puis le Calife donna des ordres : au son du tambour, les Guzūla furent tués tous, sauf les petits enfants. Et nous fîmes main basse sur leurs biens.

A cette nouvelle, Reverter dit à Tāšfīn : « Passe en revue tes troupes et pars à ma suite ; nous couperons la route aux Almohades et nous enlèverons à ʿAbd al-Mu'min les dépouilles des Guzūla. » Reverter vint en effet sur notre route, à al-ʿUyūn-an-Ait Waryīnnad, au lieu dit Takūt an-Tīfsart. Quant à Tāšfīn, il mit ses troupes sur pied, mais s'abstint de nous poursuivre. Nous engageâmes un combat avec Reverter, pour la possession de ce butin, et c'est à cette occasion que Reverter trouva la mort (1). Personne

(1) Les circonstances dans lesquelles Reverter trouva la mort sont signalées par Ibn Ḫaldūn, *ʿIbar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 306 ; trad., II, p. 177-178. D'après cet historien, le général almoravide venait d'enlever un butin considérable aux Banū Sanūs

Le Calife rassembla les Kūmya et leur dit : « Livrez-moi celui qui a livré Abū Ṭāšūr à Muḥammad Ibn Fānnū, qui l'a tué ! » Puis le Calife fit arrêter et exécuter dix šaiḫs des Kūmya : le premier, qui se nommait Ibn Būgannūn dut son salut à des vieilles femmes qui intercédèrent en sa faveur.

De Tāğrā, nous gagnâmes Tīfsart des Madyūna. Pendant que le Calife se trouvait à cet endroit, Tāšfīn et Reverter partirent s'installer à Tlemcen.

Le šaiḫ Abū Ḥafṣ et Yaṣlāsan b. al-Mu'izz quittèrent alors notre camp pour les sources du [Wādī] Ṣā' et y attaquèrent quatre tribus, les Banū Yastīn, les Banū Sanūs, les Banū Wardarusan et les Banū Sataltan. Les deux šaiḫs Abū Ḥafṣ et Yaṣlāsan leur livrèrent combat et ramenèrent au camp le butin qu'ils leur prirent.

Quelque temps après, les Guzūla envoyèrent leurs contingents dans la direction de Reverter. Le Calife alors marcha sur eux : ils se trouvaient au lieu dit Kīras. Il vint camper au-dessus d'eux un jeudi, à proximité d'al-Ḥilāl ; le lendemain vendredi, Reverter vint s'installer de l'autre côté. Nous étions séparés de l'ennemi par un ravin du nom d'Īġrīt. Reverter, examinant la position des Guzūla, dit : « Ces gens ne se soucient que de piller ! Ou bien ils s'empareront de moi et me livreront à 'Abd al-Mu'min, ou bien ils s'empareront de 'Abd al-Mu'min et me le livreront ». En effet, ils le battirent ; alors, il s'en alla par une certaine route et écrivit au Calife une lettre pour lui donner conseil, et dans laquelle il lui disait : « Tue-les, qu'Allāh les extermine ! Ils ont trahi leurs frères [leurs alliés]. Comment veux-tu qu'ils ne te trahissent pas? » (1)

(1) La défection des Guzūla est signalée par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 304 ; trad. II, p. 174-175.

Nous prîmes un grand repas commun (*āsmās*) à al-Mahdīya d'Ibn Mulaiyaḥ et gagnâmes Āġbālū des Banū Īznāsan, dont la population prit la fuite, refusant de se soumettre au pouvoir almohade. De là, nous nous rendîmes à Nadrūma (Nédroma), dans le pays des Kūmya, qui devinrent almohades, puis à Tāǧarā (Tāǧrā), où le Calife nous passa en revue (1).

De cet endroit, il fit partir trois corps de troupes. Le premier, sous les ordres d'Ibn Zaggū, s'en alla dans la direction de la côte, se rendit maître d'Oran et rapporta le butin fait dans cette ville. Le second, sous les ordres du šaiḫ Abū Ibrāhīm, partit pour Wīs'ad (Saïda?), où habitaient les Banū Wānūn, et en rapporta du butin. Enfin Yūsuf b. Wānūdīn partit avec une troisième armée vers les Madyūna de Takīzā; Abū Bakr b. al-Ǧauhar, des Lamtūna, et Muḥammad b. Yaḥyā b. Fānnū (2) vinrent de Tlemcen à sa rencontre pour le combattre. Yūsuf les attaqua à Ḫandaḳ al-ǧamr, appelé aussi Wādi 'z-zaitūn et les tua tous deux.

P. ٩٥ Zīrī * b. Māḫūḫ (3), avec son campement, vint rejoindre le Calife et embrassa le parti almohade. Le Calife l'envoya chez les Ġaiyāta, mais les Banū Makkūd le trahirent, le tuèrent, coupèrent sa tête et ses mains qu'ils apportèrent à Fès, où ils les suspendirent à la porte Bāb as-silsila.

(1) Sans doute pour faire une manifestation de force dans son pays d'origine et impressionner ses anciens contribules.

(2) Ce personnage était gouverneur de Tlemcen pour le compte du sultan almoravide Tāšfīn. Sa mort est également signalée par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 305; trad., II, p. 176. On a vu plus haut p. 96 et note 3, que son père Yaḥyā était prince-gouverneur d'Āgarsīf quand Ibn Tūmart passa dans cette ville à son retour d'Orient.

(3) C'était également un seigneur almoravide, sur lequel on manque de renseignements.

Le Calife lui donna des chevaux, des esclaves noirs et une tente, et le fit camper sur l'emplacement réservé à Muḥammad b. Abī Bakr Ibn Yīgīt. Ibrāhīm, le frère du Calife, et Muḥammad b. Abī Bakr Ibn Yīgīt, ayant conçu de la jalousie l'un pour l'autre, ce dernier le tua, et c'est depuis que les secteurs du camp furent partagés suivant les étendards. Le Calife, irrité du meurtre de son frère, dit : « Qu'Ibn Yīgīt soit mis à mort ! » Mais Abū Ḥafṣ et Abu 'l-Ḥasan Yūgūt b. Wāggāg vinrent le trouver et lui dirent : « Le Mahdī n'a-t-il pas déclaré que les gens de la *ǧamā'a* et leurs enfants, tous ceux qui sont sur terre sont leurs esclaves? » A ces mots, le Calife garda le silence.

Ce jour-là, l'Émir des Croyants ordonna le partage P. ٩٤ * des secteurs du camp suivant les étendards, chaque tribu ayant son étendard.

Quelque temps après, 'Abd ar-Raḥmān b. Zaggū quitta notre camp et fit route sur Malīla (Melilla) avec une armée. Il fit le siège de cette ville et la démolit. Puis, nous quittâmes le pays de Tams Āmān; Ibn Zaggū nous rejoignit et nous campâmes tous ensemble au Ḫamīs (marché du jeudi) Āmtalīllī.

Là, le Calife procéda au partage du butin. Nous prîmes à cet endroit cent vierges qui restèrent chez nous sauves de toute violence. Le Calife les partagea entre les Almohades, qui les épousèrent. Il ne restait que Fāṭima, fille de Yūsuf, la Zanātienne, et la fille de Māksan b. al-Mu'izz, seigneur de Malīla. Le Calife tira au sort Fāṭima avec Abū Ibrāhīm, et elle échut à ce dernier. Quant au Calife, il prit en mariage la fille de Māksan b. al-Mu'izz : ce fut la mère du prince Ibrāhīm et du prince Ismā'īl (1).

(1) Cf. *infra*, Appendice I.

Ibn Maimūn, était sur mer, au-dessous de nous, avec les galères.

Puis nous gagnâmes Īgassās et campâmes au lieu dit Umm Yagīk. Les Banū Nāl et les Banū Ziyād embrassèrent la cause almohade. De là, nous nous dirigeâmes sur Āsat Sāru, où se soumirent les Aulād Ḥaiyān de Tīzīrān et les Banū Āzakdā. Puis, notre armée se porta à aṯ-Ṯalāṯā' (marché du mardi) de Bū'arīf, où se soumit 'Abd Allāh b. Yaḥyātan ; puis à la forteresse de Bādīs, où se soumirent .... (?) (1) ; puis, chez les Gaznāya de Tīzaġt : trois tribus, sur les six qui composaient cette confédération, embrassèrent le parti almohade.

De son côté, Reverter, avec Tāšfīn, prit la route de Fès et repartit de cette ville pour la tribu des Banū Salmān. Nous eûmes une rencontre avec eux sur le territoire des Gaznāya de Tīzaġt, d'où ils durent s'en aller avec des pertes. Nous-mêmes partîmes et descendîmes vers Alhucemas (al-Mazimma), où nous fûmes surpris par une pluie de huit jours, si bien que nos bêtes faillirent périr enlizées dans la boue : aussi l'Émir des Croyants appela-t-il cet endroit « Tāġzūt-an-walūṭ ». Puis nous le quittâmes pour les monts de Tams Āmān, où nous campâmes et où chacun marqua sa place.

C'est là qu'Ibrāhīm (2) vint trouver son frère le Calife Émir des Croyants pour embrasser le parti almohade.

(1) Le texte arabe porte الطارقيّة والمحفّفة. Je ne trouve pas de sens plausible à ces deux mots.

(2) Ce personnage n'est pas signalé parmi les frères de 'Abd al-Mu'min, que l'on connaît par ailleurs. A moins qu'il ne s'agisse d'un simple « contribule » du calife : on sait que le mot أخ (vulg. : *ḫū*) a souvent cette acception au Maroc.

par le bras gauche, et ils le mirent debout. Alors, il prêcha les Almohades, et les exhortations qu'il leur fit durèrent depuis le matin jusqu'à midi : il leur ordonna l'obéissance au Calife. Puis il quitta le lieu de réunion des Almohades — Allāh les assiste et leur donne la victoire ! — Il se retira dans la journée et mourut vers le soir — Allāh lui fasse largement miséricorde et à nous après lui ! (1)

Nous partîmes, emportant sa dépouille mortelle, pour un endroit du nom de Ğudār Namaḍ, et l'y enterrâmes. Puis, notre armée se porta à Ādrār Mallūlan, dont la population se soumit au parti almohade ; ensuite, à Tāmakrīt d'Abū Bakr b. Suḥnūn ; de là, chez les Banū Sannād ; puis dans la vallée du Wādī Lau, chez les Banū Sa'īd (2), où nous campâmes près de la demeure de Girnāz b. Manṣūr : mais cette tribu refusa de se soumettre et s'enfuit dans la montagne dite Ğabal Īkātil.

Reverter, continuant sa marche vers le Nord, vint s'installer * à Tiṭṭāwīn (Tétouan). Les Banū Sa'īd, qui avaient pris la fuite, se soumirent aux Almohades, ainsi que les Banū Yīgam. Puis Ya'azzā b. Maḫlūf, le champion (*ġāzī*) des Almohades, fut mortellement blessé et nous l'enterrâmes à Tāġzūt des Banū Yazīd (3).

P. ٩٣

De là, après avoir laissé Abū Yaḥyā Abū Bakr b. al-Ğabr auprès des Banū Sa'īd, notre armée se mit en marche et nous allâmes chez les Banū Manṣūr : l'amiral almoravide,

(1) Je ne pense pas que cet épisode soit relaté ailleurs.

(2) Les Banū Sa'īd occupent aujourd'hui le pays côtier situé sur la rive gauche du Wādī Lau, au Sud-Est de Tétouan.

(3) Il avait été au nombre des « Cinquante » pour les Harġa. C'est sa femme qui avait été capturée par les Almoravides et ne fut libérée que contre Tāmāgūnt, la fille de Yīntān b. 'Umar. Cf. *supra*, p. 51 et 142.

tandis que Tāšfīn et Reverter se portaient à [la ville des] Banū Tāwudā (1), où ils campèrent : nous étions séparés P. ٩٣ par la rivière de Warġa. *Reverter, ayant passé ses troupes en revue, partit nous attaquer à Tāzaġdarā. Nous nous livrâmes un violent combat qui dura deux jours et deux nuits ; il y eut des morts de part et d'autre ; puis, Reverter rentra à [la ville des] Banū Tāwudā.

Nous nous dirigeâmes vers Audūr (2) et campâmes au lieu dit Tāġzūt-an-Īnfaṭṭat. Reverter, qui nous suivait, s'arrêta chez les Banū Mazgalda (3). Nous étions séparés par la montagne d'Āmargū d'Ibn Īgassās (4).

Puis nous nous portâmes vers les Ailāna d'al-Mīzān, au lieu dit Īgan, où notre compagnon 'Umar Āṣnāg tomba malade ; tandis que Reverter et Tāšfīn se dirigeaient sur Tahlīṭ, au-dessous d'al-Ḳaṣr d'Ibn 'Abd al-Karīm (5). Nous restâmes au même endroit, à Īgan, pendant douze jours. A ce moment, le šaiḫ 'Umar Āṣnāg sortit ; le Calife Émir des Croyants — Allāh les agrée tous deux ! — le prit par la main droite et donna l'ordre qu'on dressât une tente pour lui seul, ce qui fut fait. Mais 'Umar la prit et l'arracha, en disant : « Il ne faut pas que je m'abrite à l'ombre, alors que les Almohades sont au soleil ! » L'Émir des Croyants le prit alors par le bras droit, Abū Ibrāhīm,

(1) *Cf. supra*, p. 101, n. 2.

(2) C'est encore le nom d'un affluent de rive droite du Wādī Warġa (Ouergha), qui traverse dans son cours inférieur la tribu des Banī Zarwāl.

(3) Aujourd'hui Banī Mazgīlda, tribu riveraine du Wādī Warġa, à l'ouest de Banū Tāwudā (Fās al-Bālī).

(4) Le Ǧabal Āmargū (Amergo), au centre de l'actuelle tribu des Fištāla. Cf. *supra*, p. 101, note 2.

(5) C'est-à-dire al-Ḳaṣr al-kabīr (Alcazarquivir), sur le Wādī Lukkus.

cette ville la porte Bāb al-Silsila (1). L'isthme qui relie la presqu'île de Melilla au continent fut coupé. La mer détruisit à Tanger tout le quartier situé en contrebas de la mosquée-cathédrale. Le Wādī Sabū, ainsi que le Wādī Warġa, emportèrent les tentes des Lamṭa. Tout cela se passait dans cette année 536.

Le Calife Émir des Croyants se trouvait donc dans le pays des Ġaiyāta, sur une montagne du nom de 'Afrā ; Tāšfīn, au-dessous de nous, était installé à an-Nawāḍir. L'orge atteignit alors chez nous le prix de trois dīnārs la mesure (*ṣaḥl*), et le bois, au camp de Tāšfīn, le prix d'un dīnār la livre (*raṭl*), tant cette année fut dure. Puis Allāh mit fin à ces rigueurs par son secours et ses bienfaits.

Alors notre armée se mit en route pour Lukāi (2), où nous campâmes ; nous nous rendîmes maîtres d'al-Walaǧa (la plaine fluviale), où nous défîmes Yaddār b. Ūlgūṭ. Tāšfīn, de son côté, leva son camp et vint se placer au-dessous de nous à al-Ǧauzāt des Banū Bū-ya'lā, tandis que Reverter campait chez les Banū Salmān : les Almoravides, ainsi, nous entourèrent.

Les Ġumāra — entre autres Miftāḥ b. 'Umar — ayant embrassé le parti almohade, nous passâmes chez eux et allâmes camper près de la demeure de ce dernier personnage, sur le territoire des Ṣanhāǧa de Ġuddū. Tāšfīn se remit en route et vint se placer au-dessous de nous. Puis, nous partîmes nous installer à Tāzaġdarā des Luǧāya (3),

(1) Sur cette porte, cf. *supra*, p. 102 et note 2.

(2) C'était le nom d'une petite ville attestée par al-Bakrī et Léon l'Africain. L'identification proposée par Massignon, *op. cit.*, p. 247, paraît assez hasardeuse.

(3) Cette bourgade existe toujours, à la limite des actuelles tribus al-Ǧāya (= Luǧāya) et Banū Zarwāl.

P. ٩١ partit le 5 du mois de muḥarram (1) * et, le jour de fête (2), attaqua Ṣafrūiy (Sefrou) (3), s'empara des richesses de cette ville et revint vers nous. Nous étions alors au lieu dit al-Fallāǧ (4). De là, nous gagnâmes le territoire des Banū Yāzaġā.

Tāšfīn, qui était à Fès, se rendit au Ǧabal al-'arḍ (5), y passa ses troupes en revue et envoya Reverter vers al-Fallāǧ. Là, celui-ci eut un engagement avec [le chef almohade] Yaḥyā Āġwāl, le tua et rapporta sa tête à Fès. Puis, nous partîmes pour l'endroit nommé Banū Makkūd (6). Quant à Tāšfīn, il alla camper à al-Maḳarmada (7). Ensuite, nous partîmes dans la direction des Ġaiyāta; Tāšfīn se porta au lieu dit an-Nawāḏir et nous-mêmes à 'Afrā. Cela se passait en 536 (6 août 1141-26 juillet 1142).

Là, nous fûmes pris par une bourrasque de pluie qui ne cessa de tomber pendant cinquante jours et autant de nuits; les rivières grossirent; le Wādī Fās emporta dans

(1) De l'année 536, c'est-à-dire le 10 août 1141.

(2) Le jour de la fête de 'Āšūrā', qui tombe le 10 muḥarram. Sur cette fête, cf. A.-J. Wensinck, in *Encyclopédie de l'Islām*, I, p. 493, s. v°.

(3) La petite ville située à 33 kilomètres au sud-est de Fès.

(4) Ce nom figurera plus bas dans la liste des forteresses construites par les Almoravides. Quant aux Banū Yāzaġā (Beni Yazgha), qui n'ont pas dû changer de territoire, ils occupent actuellement la région comprise au sud-est de Fès entre les Ait Yūsī et les Ait Seġrūšen.

(5) Le nom de cette montagne, que l'on retrouve aussi chez des historiens plus récents (par exemple dans la *Dauḥat an-nāšir* d'Ibn 'Askar) ne s'est pas conservé. Il s'appliquait sans doute à l'une des petites montagnes de l'est de Fès, sans doute au Ǧabal aš-Šuāšī (Djebel Chouachi).

(6) C'était le nom d'une fraction installée entre Taza et Fès. Elle a donné son ethnique à un célèbre grammairien marocain du XIVe siècle.

(7) Sur cet endroit, cf. *supra*, p. 98 et note 1.

par la montagne, se sauva ainsi que ses soldats ; quant à Ibn Ūlgūt, qui partit par la route de Meknès, il fut battu, et ses hommes furent tués. Allāh donna la victoire aux Almohades : *car Il est le maître des faveurs immenses!* (1) Nous leur prîmes un butin tel qu'on n'en avait jamais vu.

Puis le Calife se mit en route et atteignit Tīzraft de Bīlūran ; puis Tāsġart, d'où s'enfuit Maimūn b. Sāi, et où les Banū Abī Ġazwān se soumirent au pouvoir almohade. Nous finîmes par arriver à Ġarīs, puis nous revînmes par le lieu dit Tūn Gurmāṭ des Īmalwān, où Sallām b. Ḥamāma et sa tribu embrassèrent le parti almohade. Nous arrivâmes ensuite à l'endroit appelé Tadġāt (le Todġa) : là, se soumirent au parti les Ait 'Alī ū-Sukkūr ū-Mankūr, et aussi Mūsā b. Ḥammād d'Āsāmmar-an-Ait Sinān ; on laissa dans ce pays Ibn Waṭbīb. Continuant notre marche de retour, nous passâmes à Tīzī (au col) de Tālġumt, puis [dans la vallée du Wādī] Zīz, qui dépendait de Yaḥyā b. Muḥammad. Abū Bakr b. Ṣāra quitta Siġilmāsa pour nous rejoindre ; nous nous rencontrâmes à Īġram de Wāṭūb. Il revint, et nous revînmes à notre point de départ [à Āzrū].

EXPÉDITIONS DE 'ABD AL-MU'MIN AU NORD DU MAROC.

Nous descendîmes ensuite vers le Maġrib (2). Nous campâmes d'abord à Nūlīs, puis à Tāgrīrt des Banū Wābūṭ. Avec un contingent almohade, 'Abd ar-Raḥmān b. Zaggū

(1) *Coran*, sūr. II, vers. 99; III, 67; VIII, 29; LVII, 21, 29; LXII, 4.

(2) L'auteur entend par ce terme toute la partie du Maroc qui s'étend au Nord des Grand et Moyen-Atlas.

lèrent. Puis, nous nous dirigeâmes sur Āzrū (1). Le frère de Yaḥyā b. Sīr, 'Alī, [qui s'y trouvait], s'enfuit vers ce dernier. Nous entrâmes dans Āzrū et nous y établîmes, et le Calife y prit en mariage la femme qui mit ensuite au monde le prince 'Abd Allāh.

Puis les troupes furent divisées en plusieurs armées :Ibn Zaggū, à la tête de l'une d'elles, partit soumettre les Banū Kānūn. Une autre alla se porter en avant-garde (*ṭīḍāf*). Les Ait Saddarāt, les Banū Āmarsāl et les gens du pays de la [rivière] Malwīya, embrassèrent le parti almohade. Ibn Zaggū rentra ensuite * à Āzrū et toutes les armées finirent également par revenir. Alors le Calife convoqua les šaiḫs de l'armée et les envoya à Tīnmallal. « O Émir des Croyants, lui dirent-ils, vas-tu nous offrir en proie aux Almoravides? » Il leur donna alors pour les accompagner une garde de sécurité; ils arrivèrent à Tīnmallal et y firent une visite pieuse [au tombeau du Mahdī].

P. ٩٠

Les gens du Fāzāz, ayant adopté le parti almohade, allèrent assiéger al-Ḳal'a (2). Tāšfīn, ainsi que Reverter, était alors à Fès : il fit sortir de Fès et de Meknès des troupes régulières et un renfort d'irréguliers qui vinrent pour s'installer à al-Ḳal'a. Mais ils furent dispersés par les Almohades et partirent en déroute; Yaḥyā, ayant pris

(1) Il s'agit probablement, malgré la fréquence de ce toponyme dans le Maroc berbère, de l'Āzrū du Moyen-Atlas, au centre de l'actuelle tribu des Banū Mgīld, d'origine ṣanhāǧienne; cet endroit a été toujours considéré comme un point stratégique important. Le sultan 'alawide Maulāi Ismā'īl y fit construire une ḳaṣba.

(2) Al-Ḳal'a de Mahdī b. Tawālā al-Iǧfašī, ancienne capitale du Fazāz (sur l'emplacement probable, voir Massignon, *op. cit.*, p. 255) sur laquelle cf. al-Idrīsī, *Description*, texte, p. 79, trad., p. 90; *Kitāb al-istibṣār*, texte, p. 75-76; trad., p. 136.

vinrent nous apporter des présents en nature. Tāšfīn, cependant, était au lieu dit Mūrān Īġyāl.

Les deux armées se rencontrèrent ensuite à l'endroit nommé Tīzī. Nous défîmes les troupes des oppresseurs et « *Allāh aida ceux qui croyaient en Lui à triompher de leurs ennemis, et ils furent victorieux !* » (1)

Puis, nous descendîmes vers le lieu dit Tāgrārt de Dāwūd b. 'Ā'iša : quand nous en fûmes à proximité, un groupe des nôtres sortit du gros de l'armée pour s'emparer de cette position et rapporter le butin qu'elle contenait. Nous nous dirigeâmes ensuite vers Dāi (2), où se trouvait 'Alī b. Sāḳṭarā, qui, à notre approche, prit la fuite, et nous nous emparâmes de ce point. Là, les Ṣanhāğa vinrent dire à 'Abd al-Mu'min : « Renvoie chez eux les Ṣanhāğa [que tu viens de faire prisonniers], car toute la tribu s'est ralliée au parti almohade. » Le Calife les renvoya à l'exception de la mère du saiyid Abū Sa'īd (3).

Nous quittâmes ensuite Dāi et passâmes successivement à Waifaifan, à Magdār, à Tīn Ṭawīn, à Tīzī (au col) de Tāzgārt, où nous rencontrâmes Yaḥyā b. Sāḳṭarā que nous battîmes ; nous lui enlevâmes ses chevaux et l'Émir des Croyants les donna aux Ṣanhāğa.

De là nous gagnâmes Wāumā, où nous rencontrâmes Yaḥyā b. Sīr, qui se tenait dans la forteresse de cet endroit. Nous nous livrâmes combat et tous les nôtres s'éparpil-

(1) *Coran*, sūr. LXI, vers. 14.

(2) C'était à ce moment une forteresse et un marché important, au témoignage des géographes : cf. principalement al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 154 ; trad., p. 341-342. Sur le site, cf. E.-F. Gautier, *Medinat-ou-Dai*, in *Hespéris*, t. VI, 1926, p. 5-25.

(3) C'est-à-dire d'une femme des Ṣanhāğa qu'il garda comme concubine et dont il devait avoir un fils, le prince Abū Sa'īd.

chargée de veiller à leur sécurité et de les traiter avec douceur et égards. Quand elles arrivèrent, le Calife Émir des Croyants dit : « Ce n'est qu'un échange de bons procédés ! Nous sommes des gens qui ne flétrissons pas l'honneur des femmes. »

DÉPART DU CALIFE EN EXPÉDITION.

Sache, mon frère, que lorsque notre Maître l'Émir des Croyants partit en expédition, il sortit de Tīnmallal dans la direction de l'est. Nous campâmes successivement en P. ٨٩ un endroit appelé Wānzāl, en un autre * du nom d'Ūfād, puis au lieu dit Āšbār.

Ayant appris notre départ en expédition, Tāšfīn vint camper à Āšbār, alors que nous-mêmes étions au lieu dit Tāsāwat (1) ; ensuite nous allâmes nous établir à Damnāt (2), cependant que Tāšfīn, ayant décampé, allait à Īmallālū (3). Puis, nous gagnâmes le lieu dit Banū Naṣr, et Tāšfīn, Kūya. Ensuite nous nous portâmes à al-Fall de Kūya, d'où le šaiḫ Abū Ḥafṣ 'Umar Īntī partit en incursion avec un contingent de fantassins, à l'exclusion de cavaliers ; il fit du butin et revint. Après quoi, nous décampâmes et allâmes nous porter au lieu dit Wāwaizaġt (4), où les Ṣanhāǧa

(1) C'est aujourd'hui le nom d'une petite rivière qui coule entre Marrakech et Demnat et va rejoindre le Wādī Tansīft (Tasaout).

(2) L'ancienne ville des Haskūra. Cf. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle*, p. 205. C'est aujourd'hui une bourgade de 2.500 musulmans et de 1.500 juifs, entourée d'une importante olivette.

(3) Probablement le même endroit que le Faḥṣ Imallū d'al-Bakrī (trad., p. 341), aujourd'hui Tāmlelt.

(4) Orthographe actuelle : Ouaouizert. C'est aujourd'hui un village de la tribu des Ait Attā d'Āmālū, siège d'un poste de commandement, à 23 kilomètres au sud de la ḳaṣba de Benī Mellāl.

Nous rapportâmes le butin fait dans le pays et y détruisîmes la récolte de maïs (*āmazzīgūr*) [alors sur pied]. Al-Fallākī (1) et ses partisans embrassèrent le parti almohade. Nous rentrâmes à Tīnmallal, chargés de butin et victorieux.

L'Imām y désigna un endroit spécial pour loger les femmes ramenées prisonnières. Ayant appris leur capture, Reverter partit s'emparer des femmes de Ġaiğā (Tīğaīğāyīn) et les ramena à Marrakech : parmi elles, se trouvait l'épouse de Ya'azzā b. Maḫlūf (2). Puis, [au camp des prisonnières de Tīnmallal], Tāmāgūnt fit entendre ces paroles : « O gens, l'Émir des Croyants est-il ici? — Oui, lui répondit-on. — Émir des Croyants, reprit-elle alors, mon père Yīntān b. 'Umar a intercédé en faveur du Mahdī ! (3) — Tu dis vrai, lui dit l'Émir. Tu es libre ! — Est-ce une entière mesure de clémence, répondit-elle, que de me libérer seule parmi quatre cents femmes? — Tu as raison », lui dit 'Abd al-Mu'min, et il ordonna que toutes les prisonnières fussent relâchées et reconduites immédiatement avec égard jusqu'à Marrakech. Lorsqu'elles furent parvenues dans cette ville, 'Alī b. Yūsuf libéra la femme de Ya'azzā b. Maḫlūf et les autres femmes de Ġaiğā, ses compagnes de captivité ; il les renvoya avec une escorte

(1) C'était, au rapport de l'auteur d'*al-Ḥulal al-mawšīya*, p. 83, un aventurier d'origine andalouse qui se livrait au brigandage dans la banlieue de Marrakech. Le sultan almoravide 'Alī b. Yūsuf, voulant s'assurer ses services, lui fit grâce et le chargea d'organiser la défense contre les tentatives almohades sur les premiers contreforts de l'Atlas, au sud de la plaine de Marrakech. C'est lui qui bâtit toute la ligne des postes fortifiés à la lisière du massif.

(2) Notable des Harğa, membre des « Cinquante ». Cf. *supra*, p. 51.

(3) Cf. *supra*, p. 110.

COMBAT D'ĀGADṚŪR.

Notre Maître l'Émir des Croyants se mit en route et atteignit Āgaḍrūr. Là, il livra combat à l'indigne Reverter. Les Almohades le mirent en déroute, si bien qu'il perdit tous les siens, et ce misérable quitta le champ de bataille avec une blessure ; il s'en retourna vers Marrakech, et nous-mêmes rejoignîmes Tīnmallal. Cela se passait en l'année 535 (17 août 1140-5 août 1141).

COMBAT AU LIEU DIT TĪNALĪN.

Sur l'ordre du Calife, nous nous mîmes en route et arrivâmes avec lui à Tīnalīn d'Īrūggīn b. Wīddaran. Nous assiégeâmes cet endroit que nous pensions enlever sans peine, mais nous nous heurtâmes à une vive résistance des occupants. Nous restâmes trois jours à le cerner, mais Reverter étant arrivé avec des troupes à son secours, nous partîmes dans la direction du Sūs et allâmes nous fixer à Ānfāg d'Āmaskarūṭān, où nous construisîmes P. ٨٨ [une enceinte] avec de la terre, * des pierres et des branchages. Quand Reverter arriva devant cette position, il l'examina et rebroussa chemin. Quant à nous, nous descendîmes vers le Sūs avec notre armée et, successivement, nous prîmes Ābrūmūnad Maimūn ; Tāslūlt ; Tārūdānt (1) ; Tīmaunuwīn, où se trouvait Ṣāliḥ b. Ṣāra ; enfin, Īglī (2).

(1) C'est la capitale actuelle du Sūs à laquelle certains historiens modernes donnent parfois le nom arabisé de Rūdāna. Son existence est déjà attestée par al-Idrīsī, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, texte, p. 61-62, trad., p. 71-72. Cf. aussi *Kitāb al-Istibṣār*, trad. p. 185.

(2) Sur cette ville du Sūs, voir surtout *Kitāb al-Istibṣār*, trad. p. 186-187.

enlevé à l'ennemi. Au bout de ce temps, celui-ci nous dit : « Montez donc jusqu'au ciel, ou bien enfoncez-vous dans la terre [si vous voulez nous échapper] ! » Le Calife leur riposta : « *Allāh, après la gêne, nous enverra l'aisance* ! (1) *Il fournira une issue favorable à ceux qui le craignent et leur donnera le succès au moment où ils ne s'y attendront pas* (2) ». On dit aussi qu'il répondit : « *Allāh aplanira les difficultés* ! (3) »

Puis il nous ordonna de descendre du point où nous étions cernés. Nous nous livrâmes combat : l'ennemi nous battit au début de la journée, mais, à la fin du même jour, nous le mîmes en déroute et lui enlevâmes un drapeau rouge. Le combat avait duré un jour et une nuit. Nous revînmes à Tīnmallal par [*lacune d'un mot*]. Quant à Tāšfīn, il s'en retourna à Marrakech en pleine défaite ; Reverter avait été blessé et avait subi des pertes, lui et ses partisans injustes. Qu'Allāh les repousse pour leur tyrannie et les maudisse pour leurs dires ! C'est Lui qui écarte les artifices de ceux qu'il déçoit dans leurs espérances !

P. ᴧv

* RENCONTRE DU CALIFE ET DE REVERTER AU LIEU DIT ĀMASMIṢĪ (4) DES GADMĪWA.

Puis nous repartîmes dans la direction de l'ennemi. Reverter de son côté revint sur ses pas, après qu'Allāh eut renfoncé sa malice dans sa gorge. Il décida donc de se mettre en route, et, à cette nouvelle, le Calife partit de son côté.

(1) *Coran*, sūr. LXV, vers. 7.
(2) *Ibid.*, vers. 2.
(3) *Ibid.*, vers. 4.
(4) Toponyme encore connu, qui a donné son nom à une petite ville au pied de l'Atlas : Amizmiz.

EXPÉDITION DE TĀGKŪṬAT DES ḤĀḤA. — RELATION DE LA RENCONTRE DU CALIFE AVEC REVERTER (1) ET TĀŠFĪN (2) ET DE LA PRISE DE LEUR BUTIN.

Au cours de notre marche en avant, nous fûmes assiégés au lieu dit Tīzğūr pendant soixante jours, si bien que nous dûmes nous nourrir sur le troupeau que nous avions

(1) C'est le personnage chrétien qu'Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 305-306 ; trad., II, p. 176-178 appelle ar-Ruburtair (الربرتير), transcrit par de Slane avec un *z* initial « Ez-Zoborteir », sur lequel on est amplement informé par la chronique d'Alphonse VII, dans l'*España sagrada* de Florez, t. XXI, ch. 45, 46, 64. Il s'agit en réalité d'un officier du nom de Reverter, « noble décurion de Barcelone », qui avait été fait captif par l'amiral almoravide 'Alī b. Maimūn ; emmené à Marrakech, il y entra au service du sultan 'Alī b. Yūsuf, qui le nomma commandant de sa milice chrétienne (*ḳā'id ar-Rūm*). On le verra souvent réapparaître dans le cours du récit jusqu'au moment où il sera tué au Maroc oriental dans un combat contre les troupes almohades, en 539 (1144-1145). D'après la chronique chrétienne, sa mort causa de grands regrets dans le camp almoravide et remplit de joie les Almohades. Il avait un fils, 'Alī b. Reverter, qui se fit musulman, devint par la suite général pour le compte des Almohades et joua un rôle important sous le règne d'Abū Yūsuf Ya'ḳūb : c'est lui qui se rendit maître de Majorque, qui était restée au pouvoir de Banū Ġānīya. Il fut tué dans un combat contre ces derniers, en Ifrīḳīya, en 583 (1187). — Cf. principalement R. Dozy, *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge*, 3e édition, Leyde, 1881, II, p. 437-442 : *Observations sur deux noms propres, II.* Cf. aussi F. Codera, *Decadencia y desaparición de los Almoravides en España*, Zaragoza, 1899, p. 180, sqq.

(2) Ce fut d'abord, à partir de 530 (1136), l'héritier présomptif de son père 'Alī b. Yūsuf. Il lui succéda à sa mort, en rağab 537 (janvier-février 1143). L'auteur ne mentionne ni cette mort ni l'avènement de Tāšfīn. Cf. sur ces événements 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 145, trad. p. 176 ; Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 107 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 247 et 304 ; trad., II, p. 85 et 175 ; Ibn al-Ḫaṭīb, *Raḳm al-ḥulal*, p. 53 ; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, p. 5 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 89-90.

Allāh Ibn Malwīya (1) apostasia et descendit à Marrakech trouver 'Alī b. Yūsuf. Celui-ci lui donna une troupe, que l'apostat amena chez les Ganfīsa, au lieu dit Tāmadġust, pour monter vers Tīnmallal et la détruire. 'Abd Allāh b. Ūsīddaran se trouvait alors à Tīnmallal : il rassembla les Ganfīsa, qui dirent à 'Abd Allāh Ibn Malwīya : « Que fais-tu du pacte qui nous liait au Mahdī? » Puis, le šaiḫ Abū Sa'īd Yaḫluf b. al-Ḥasan Ātīggī et son valet d'armes s'avancèrent et tuèrent le traître; ils rapportèrent sa dépouille à Tīnmallal, où elle fut mise en croix. Le bruit de cette trahison étant parvenu au Calife, il marcha de nuit et rentra à Tīnmallal. Il y trouva le traître crucifié : alors il loua Allāh et lui rendit grâces, et il félicita les Ganfīsa de leur conduite. Ce fut le premier rebelle qui se révolta contre cette cause sublime — Allāh la protège éternellement contre toute atteinte!

P. ٨٦ Le Calife fit le partage * du butin et partit avec les Ṣanhāğa prendre possession de leur pays. Le Calife, en route, s'était fié à un homme d'entre eux. Mais il s'aperçut que les Ṣanhāğa étaient jaloux de lui et voulaient le trahir. Puis il envoya chercher cet homme, qui arriva accompagné de sa suite. Il le fit tuer, le châtiant ainsi de sa fourberie, et crucifier à Tīnmallal; et il plaça 'Alī b. Nāṣir à la tête des Ṣanhāğa.

(1) On a vu plus haut, p. 121, que ce personnage avait reçu d'Ibn Tūmart le commandement des contingents de la tribu des Ganfīsa.

[PROCLAMATION DE 'ABD AL-MU'MIN (1).]

P. ٨٥ * Là, il convoqua les tribus et réunit les Almohades ; il organisa une assemblée, et, à l'aide de perches, fit une séparation entre les hommes et les femmes. Puis il prêcha l'assistance et dit à la fin de son sermon : « Le pacte que vous avez conclu avec le Mahdī quand vous l'avez proclamé est-il intact ? — Oui ! » lui répondit-on. Alors, il s'assit. Puis, successivement, Abū Ibrāhīm, 'Umar Āṣnāg et tous les šaiḫs — Allāh les agrée tous ! — prêchèrent. Après quoi, 'Abd al-Mu'min dit à l'assemblée : « Le Mahdī est mort ! Qu'Allāh l'agrée ! » Alors les gens se mirent à pleurer. Puis il leur dit : « Taisez-vous ! » et ils se turent. Abū Ibrāhīm, 'Umar Āṣnāg, 'Abd ar-Raḥmān b. Zaggū et Muḥammad b. Muḥammad dirent alors à 'Abd al-Mu'min : « Tends ta main droite, pour que nous te proclamions, comme nous nous sommes engagés à le faire auprès de l'Imām Mahdī ! » 'Abd al-Mu'min tendit la main, et ils le proclamèrent. Puis tous les gens, à leur suite, passèrent devant le Calife pour le proclamer jusqu'à la tombée de la nuit. La proclamation dura trois jours consécutifs.

Quand elle fut terminée, 'Abd al-Mu'min ordonna aux délégués des tribus qui se trouvaient auprès de lui d'aller chercher leurs contribules. Lorsqu'ils furent arrivés, le Calife se porta avec eux sur Tāzāgūrt, défit en cet endroit Yaddar b. Ūlgūṭ et revint avec le butin enlevé à l'ennemi.

Pendant que le Calife était absent de Tīnmallal, 'Abd

(1) La proclamation de 'Abd al-Mu'min aurait eu lieu d'après Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 121, dans la mosquée de Tīnmallal, le vendredi 20 rabī' I 526 (9 février 1132), quatre jours avant son départ pour la région de Tādlā.

geance, et cette cérémonie se termina le jeudi 10 ǧumādā II 558 (17 mai 1163).

Fin de l'emprunt au Kitāb al-maǧmū' *et retour au texte de base.*

EXPÉDITION DE 'UMAR ĀṢNĀG
AU LIEU DIT TĪZĪ-N-ĀLAINĀT.

Il y tua Ibrāhīm b. Tā'aiyāšt et y fit un nombreux butin. Puis il revint avec les partisans à Tīnmallal.

EXPÉDITION DE 'ABD AR-RAḤMĀN B. ZAGGŪ
A TĀSĠĪMŪT.

Nous battîmes en cet endroit Maimūn b. Yāsīn et nous rapportâmes du butin, ainsi que les portes de la forteresse. Ces vantaux furent utilisés dans l'enceinte de Tīnmallal, à la porte que l'on appelle Bāb al-Faḫḫārīn (Porte des Potiers). Nous séjournâmes quelques jours à Tīnmallal, puis le Calife se mit en route.

EXPÉDITION DU CALIFE
ÉMIR DES CROYANTS, 'ABD AL-MU'MIN B. 'ALĪ.

C'est l'expédition dite des Gazūla, et c'est la première qu'il entreprit de sa propre initiative. Il livra combat à Tāšfīn et à aš-Šanyūr (1), qui tous deux durent chercher leur salut dans la fuite. Quant à nous, nous poursuivîmes notre route par al-Kust ; puis le Calife revint à Tīnmallal.

(1) C'est-à-dire le fils du sultan almoravide 'Alī b. Yūsuf et son lieutenant, dont il va être question plus bas. Ce nom d'aš-Šanyūr correspond certainement à l'espagnol « señor ».

[Ce qui précède a été écrit par Yūsuf, fils de notre Maître l'Émir des Croyants, en présence de ce dernier, devant lui et sur son ordre élevé, et recopié sur une note du šaiḫ Abū Ibrāhīm — Allāh lui fasse miséricorde ! — le mardi 6 rabī' I 558 (12 février 1163) (1)].

Notre Maître le Calife l'Imām ('Abd al-Mu'min) mourut — Allāh l'agrée, illumine son tombeau, sanctifie son âme, nous enrichisse de sa bénédiction et le réunisse à ses compagnons au concile suprême ! — avant l'aube du mardi 8 ǧumādā II 558 (14 mai 1163). Allāh le récompense pour nous, pour tous les Almohades, pour son activité en faveur de la religion, pour son application dans la soumission à Allāh et l'accomplissement de sa mission, et lui réserve le même sort qu'à ses saints adorateurs ! Certes, nous appartenons à Allāh et c'est à lui que nous reviendrons ! [hélas !] sur sa perte et sa mort ! Il n'est rien d'autre que la foi et la soumission aux arrêts et aux décrets divins. *Tout est périssable, sauf Sa face!* Le Calife fut transporté [à Tīnmallal et enseveli] auprès de l'Imām Impeccable, le vendredi premier du mois de ša'bān de l'année 558 (5 juillet 1163).

[Ce qui précède a été écrit par son fils, dans la nuit du jeudi au vendredi 2 ḏu 'l-ḥiǧǧa 558 (1er novembre 1163).]

Le Calife agréé, notre Maître l'Émir des Croyants (Abū Ya'ḳūb Yūsuf) fils * du Calife, l'Émir des Croyants ('Abd al-Mu'min) — Allāh les agrée tous deux et nous fasse participer à leur bénédiction ! — reçut le serment général d'allé-

P. ٨٤

Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās,* p. 119, chacun des « Dix » (du moins ceux des « Dix » qui n'avaient pas péri à al-Buḥaira), voulait succéder au Mahdī. Ce fut l'étranger 'Abd al-Mu'min qui l'emporta.

(1) Cf. à peu près les mêmes termes dans Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās,* p. 117.

viendra certainement, c'est du doute ! — Quel subterfuge employer alors? — Laisser de côté tout subterfuge et s'en remettre au partage fait par Celui qui partage ! » Ils lui dirent alors : « A quel moment nous ordonnes-tu de partir en expédition? — Ne faites pas de l'été l'hiver et de l'hiver l'été ! Montrez simplement l'énergie et la décision préconisées par les lois divines. Et je vous dis, comme a dit l'Envoyé d'Allāh — qu'Il le bénisse et le sauve ! — : Ne vous haïssez pas, ne vous enviez pas, ne vous séparez pas les uns des autres et ne vous tournez pas le dos. Soyez des esclaves d'Allāh et des frères. Certes, je vous ai transmis la vérité ! Certes, je vous ai transmis la vérité ! Certes, je vous ai transmis la vérité ! »

Il mourut — Allāh l'agrée ! — le mercredi, ou suivant d'autres le jeudi, 25 du mois de ramaḍān l'illustre de l'année 524 (2 septembre 1130) (1). Le Calife fut proclamé le samedi suivant (2).

(1) La même année 524, comme date de la mort du Mahdī, sera donnée également plus loin dans la chronologie finale. C'est d'ailleurs celle que l'on trouve chez tous les autres historiens, sauf Ibn Ḫaldūn, qui donne 522, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 162, 302 ; trad., I, p. 254 et II, p. 173. Voici les différentes dates données : 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 139 ; trad., p. 168 : année 524 ; — *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 86 : le lundi 14 ramaḍān 524 ; — Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 117 : le jeudi 25 ramaḍān 524, d'après al-Burnusī ; le 13 ramaḍān 524, d'après le commentaire d'Ibn al-Ḥāǧib, le *Kitāb al-mann wa 'l-imāma* d'Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt et le *Mīzān al-'ilm* d'Abū 'Alī Ibn Rašīḳ ; — Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, II, p. 52 : année 524 ; — Ibn al-Ḫaṭīb, *Raḳm al-ḥulal*, p. 57-58 : mercredi 17 ramaḍān 524 : az-Zarkašī, *Ta'riḫ ad-daulatain*, texte, p. 4 ; trad., p. 4 : même date, d'après Ibn Naḫīl. Pas de date clairement indiquée dans Ibn al-Aṯīr.

(2) Ce fut pendant la pseudo-retraite du Mahdī que 'Abd al-Mu'min fut proclamé imām en secret par les membres de la ǧamā'a, au courant de la mort du chef du parti. D'après Ibn Abī

« Je dirai qu'Allāh est vérité, que j'en ai témoigné ; c'est là une parole dont les vertus n'échappent à personne ! »

La voix reprit :

« Alors, prépare-toi à mourir, car tu vas bientôt périr, et voici que s'avance vers toi ton sort prochain ! »

Le Mahdī répondit :

« Quand cela? Avertis-moi, puisses-tu être dans le droit chemin ! Car je vais agir suivant tes paroles et en toute hâte ! »

La voix lui dit alors :

« Tu passeras encore trois nuits après vingt nuits, comme si tu allais accomplir un mois, mais tu ne le vivras pas tout entier ! »

Le narrateur continue :

« Il ne survécut que six jours [à cet entretien mystérieux] et mourut — qu'Allāh l'agrée, lui donne satisfaction et lui désigne le Paradis comme séjour et comme asile ! —

On rapporte sur la foi de šaiḫs almohades — Allāh les illustre ! — qu'au moment où l'Imâm allait mourir et rencontrer son Seigneur, il dit à ses compagnons : « Questionnez-moi à votre guise sur vos préoccupations religieuses et matérielles, car demain, s'il plaît à Allāh, je me présenterai à mon Dieu ! » Le [futur] Calife, ainsi que les gens de la ǧamā'a, s'approchèrent et ils lui dirent : « Nous voudrions te questionner au sujet de notre subsistance quotidienne. — Que puis-je vous dire, leur répondit-il, à propos d'une chose déjà répartie et entièrement réglée [par Allāh]? — Devrons-nous donc la chercher? — Si vous savez un endroit où la trouver, allez donc l'y chercher ! — Demanderons-nous à Allāh de nous l'accorder? — Si vous pensez * qu'il va vous oublier, rappelez-le lui ! — Ne ferons-nous alors que nous en remettre à lui à ce sujet? — Espérer la venue de ce qui

P. ٨٣

à autre, Abū Muḥammad Wasnār sortait et disait : « L'Imām vous ordonne de faire telle et telle chose », et nous obéissions. Les gens de la *ǧamā'a* partaient de la même façon en expédition contre la dynastie (almoravide). Il en fut ainsi pendant trois ans (1).

GLOSE.

Citation du *Kitāb al-Maǧmū'* (2).

Il est dit dans ce livre que l'Imām Mahdī, un jour, peu avant sa mort, se trouvait dans sa chambre, quand il entendit une voix légère qui semblait venir de l'autre côté du mur et qui disait : [Mètre *ṭawīl*]

« Il me semble qu'il a déjà péri, celui qui habite cette maison, et qu'elles se sont effacées, les traces de la vie qu'il y menait ! »

Le Mahdī lui répondit :

« Il en va ainsi des choses humaines. Ce qui est nouveau vieillira ; et de chacun de nous, en vérité, les qualités s'effaceront ! »

La voix reprit alors :

« Prends dans ce monde un viatique, car tu vas partir en voyage. Tu vas être interrogé ! Et que vas-tu dire? »

P. ٨٣ * Le Mahdī répondit :

des Berbères, texte, I, p. 303 ; trad. II, p. 173. Le 'Īsā qui l'épousa ne semble pas avoir été un personnage en vue lors de l'organisation du parti almohade. Sur Zainab, cf. aussi *supra*, p. 44.

(1) Sur cet interrègne, cf. *Chronique anonyme*, texte, p. 18 ; trad., p. 29 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 86 ; Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.*

(2) Il s'agit d'une glose marginale, citation d'un ouvrage inconnu, que le copiste a incorporée ici au texte lui-même. Le début de cette citation, avec les vers, se retrouve aussi dans Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 116.

les ! » Chacun de nous en prit dans la mesure de ses forces. Alors il sourit et dit : « De même façon, vous vous arracherez après nous les biens de ce bas-monde ! »

Comme il était malade, je menais par la bride la mule qu'il montait : le šaiḫ Abū Muḥammad ʿAbd al-Wāḥid se tenait à sa droite, le šaiḫ Abū Muḥammad Wasnār, à sa gauche. Dès qu'on fut arrivé devant sa maison, il se dressa et ordonna aux Almohades * de se rassembler. Quand ils furent tous présents, il leur fit un sermon qui dura jusqu'au milieu de la matinée. Puis, monté sur sa mule, il pénétra dans la maison et y resta un moment; après quoi, il ressortit, élevant l'écharpe de son turban au-dessus de sa tête. Puis il dit : « Regardez-moi bien et fixez mes traits dans votre mémoire, car je vais vous quitter pour un lointain voyage ! » Alors les gens pleurèrent bruyamment et lui dirent : « Si tu devais aller même jusqu'en Orient, nous t'accompagnerions ! — Le voyage que je vais entreprendre, répondit-il, personne ne m'y accompagnera ! Il est pour moi seul ! » Puis, il entra dans la maison et depuis, nul ne le revit (1). Certes, c'est à Allāh que nous appartenons, et c'est à lui que nous retournerons !

Pendant sa retraite, cinq personnes vécurent avec lui : le [futur] Calife, Abū Ibrāhīm, ʿUmar Āṣnāg, Wasnār, et la sœur du Mahdī (2), mère de ʿAbd al-ʿAzīz b. ʿĪsā. De temps

(1) Ainsi l'auteur ne fixe-t-il pas de date à la mort du Mahdī. Et son témoignage apporte une confirmation à l'authenticité de la pseudo-retraite d'Ibn Tūmart dans sa maison et du secret gardé sur sa mort pendant trois ans. — Le sermon que le Mahdī fit à ses adeptes avant de mourir était déjà signalé par ʿAbd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Muʿǧib*, texte, p. 139-141 ; trad., p. 169-171 ; mais le texte qu'en donne cet historien est sans nul doute apocryphe. Cf. aussi, Ibn Abī Zarʿ, *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 116-117 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 86.

(2) Elle se nommait Zainab, d'après Ibn Ḫaldūn, *ʿIbar*, *Histoire*

Nous restâmes pendant une longue période à Tīnmallal. [Un jour], notre Maître l'Imām convoqua les tribus et quand elles furent venues, il les passa en revue. Ce jour-là, les ṭālibs des Ganfīsa étaient absents, et on les chercha vainement. Quand la revue des Harġa fut terminée, quelqu'un dit à l'Imām : « Nous voici, les Ganfīsa ! — Nous vous avons cherchés sans vous trouver. Quel motif vous a retardés? — J'avais une bonne excuse et, d'autre part, je n'ai pas entendu l'appel à la revue. » Quand celle-ci fut terminée, il se trouva que Yamallūk b. 'Alī, dit 'Umar Āṣnāg, n'avait pas été appelé. Son dépit l'emporta et il exprima son mécontentement. L'Imām lui dit alors : « C'est juste, ce que tu as dit ! Recommencez la revue ! » Et l'on reprit le défilé. Quand passa la mule de l'Imām, celui-ci dit : « Faites passer maintenant le cheval de 'Umar Āṣnāg ! » Lorsque ce dernier fut passé, l'Impeccable prit la plume de la main d'Isḥāḳ b. Barnūs [qui inscrivait les gens au fur et à mesure qu'ils passaient] et inscrivit son propre nom : Muḥammad b. 'Abd Allāh, et celui de 'Umar b. 'Alī Āṣnāg. Puis, tous les Almohades s'en allèrent chez eux, et 'Umar s'en fut avec les gens de Tīnmallal.

[*Maladie et mort du Mahdī*]. — Au bout de trois mois passés à Tīnmallal, l'Imām se sentit malade. Nous montâmes avec lui, accompagnés des enfants, au champ dit Faddān Āmadyūs. Puis, nous revînmes à Tīnmallal. Sur la route, passant près d'un champ de pois, il nous dit : « Cueillez-les ! » ; nous lui obéîmes ; puis il ajouta : « Arrachez-vous

férence, et tendu sur une caisse de bois de couleur verte et dorée. Trois coups donnaient le signal du départ, et l'on se mettait en route. Quand on battait ce tambour sur un endroit tant soit peu élevé, on pouvait percevoir le son qu'il rendait à la distance d'une demi-journée, par un jour sans vent... »

Rien n'est perdu ! Ne vous affolez pas ! » Je revins auprès de 'Abd al-Mu'min et lui rapportai les paroles du Maître. Il se réjouit et nous nous réjouîmes. Puis nous parvînmes [à Tīnmallal], où nous demeurâmes quelque temps.

'Alī b. Yūsuf réunit de nouvelles troupes et se porta dans notre direction avec quatre armées, une troupe commandée par Sīr b. Ūrībal, la seconde, composée de Zanāta, commandée par Mas'ūd b. Wūrtīġ, la troisième par Yaḥyā b. Sīr et la quatrième par Yaḥyā b. Kanǧān. Nous nous livrâmes P. ٨٠ combat * au lieu dit Īgar des Banū Kūriyīt. Les Hintāta, les Ganfīsa et les Mazāla vinrent se joindre à nous et l'ennemi, voyant son impuissance, reprit le chemin de Marrakech.

Nous rentrâmes à Tīnmallal, où l'Imām fit édifier un château que l'on appela Burǧ Tīḏāf (la tour de vigie) (1) : on y plaça un tambour que 'Abd as-Salām Āġyī était chargé de tenir. Une nuit, il le laissa tomber, et une panique éclata parmi nous. 'Abd as-Salām se dressa et dit : « Non ! non ! C'est le tambour qui m'a échappé ! » Et notre Maître l'Imām ajouta : « Réjouissez-vous de ce bon signe ! » (2)

(1) Cf. *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 82-83 : « Il ceignit la ville d'une muraille qui englobait ses parties basses et il bâtit au sommet de la montagne un rempart circulaire ; sur la cime fut édifiée une forteresse qui permettait de surveiller l'arrière-pays... » Cf. aussi Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 403 = *Annales du Maghreb el de l'Espagne*, p. 531.

(2) C'est sans doute une allusion à la phrase attribuée à Ibn Wuhaib, quand il conseillait à 'Alī b. Yūsuf à Marrakech de faire Ibn Tūmart prisonnier (cf. *supra*, p. 110) : « Fais-lui mettre des fers aux pieds, pour qu'il ne te fasse pas entendre un tambour ! » Le tambour sera l'instrument le plus employé dans les armées almohades ; cf. à cet égard le curieux passage d'*al-Ḥulal al-maušīya*, p. 115 : « Le calife, en expédition, avait l'habitude de lever le camp après la prière du *ṣubḥ*, après qu'on avait frappé un grand tambour de forme circulaire, ayant quinze coudées de circon-

Le lendemain matin, nous livrâmes à l'ennemi un violent combat : avec nous se trouvaient tous les gens d'Ailān sans exception. Mais, dans la soirée, nos adversaires nous mirent en déroute. Les Almohades parvinrent à se sauver, mais il y eut de nombreux morts et tout le monde se dispersa. Le [futur] Calife passa, avec les ṭālibs d'Āġmāt, vers le territoire des Hailāna et nous nous trouvâmes le lendemain matin au lieu dit Īmī-n-ālazzāt [āzzāt]. Nous remontâmes cette gorge et arrivâmes dans la montagne du Daran, sous les insultes des Hazraǧa. Nous continuâmes notre marche jusqu'au pays de Tīfnaut.

Là, 'Abd al-Mu'min b. 'Alī, le [futur] Calife agréé d'Allāh, m'aborda et me dit : « O Abū Bakr, va en toute hâte mettre l'Imām au courant ! » Je partis sans tarder rejoindre le Maître (1) et lui rendis compte de l'événement. « 'Abd al-Mu'min est-il en vie? me dit-il. — Oui ! lui répondis-je. — Allāh, Maître des Mondes, soit loué ! Rien n'est perdu pour vous. A-t-il été blessé? — Il a été atteint à la cuisse droite. — Il n'y a de force et de puissance qu'en Allāh, l'Élevé, le Magnifique ! s'écria-t-il alors. Rien n'est perdu ! » (2) Et il ajouta : « Retourne vers lui et dis-lui :

(1) Ibn Tūmart, au témoignage de tous les historiens, n'avait pas pris part à l'expédition contre Marrakech et était resté à Tīnmallal. D'après *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 84, ce fut parce qu'il était tombé malade. Mais plutôt, comme le laisse supposer Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 407 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 536, ce fut la défaite de ses partisans qui fut cause de l'abattement du Mahdī et ce ne fut que trois mois après qu'il fut pris du mal qui allait l'emporter.

(2) Cette phrase, dont al-Baidaḳ rapporte directement l'écho, est citée de façon à peu près identique par la *Chronique anonyme*, texte, p. 18 ; trad., p. 29 ; 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 138 ; trad., p. 167 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 407 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 537 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 162 ; trad., I, p. 254 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 86.

al-Bašīr passa les survivants en revue, pour partir en expédition, sous la bénédiction d'Allāh très-Haut (1).

EXPÉDITION D'AL-BAŠĪR.

Sache, mon frère, que lorsqu'al-Bašīr partit en expédition, il se porta rapidement au lieu dit Tāġzūt. Puis, avec la cavalerie, il fit un détour vers l'endroit nommé Mašrā Gmār Bīrrān Taġardāyīn, y tua 'Umar b. Yamallūk et s'empara de ses chevaux. Nous revînmes [à Tāġzūt], accompagnés de la grâce d'Allāh et d'invocations demandant pour nous son agrément, et y séjournâmes quelques jours.

Puis les gens au complet se portèrent vers al-Buḥaira, où se passa ce qui se passa [*c'est-à-dire* où eut lieu la défaite que l'on sait] (2) :

Du point de départ à Magdāz, nous marchâmes quinze jours ; trois mille personnes se joignirent à nous ; dans ce nombre se trouvaient trois cents vieilles femmes. Nous y P. ٧٩ campâmes le [premier] mercredi * du mois d'avril. Le jeudi, nous nous mîmes en route et allâmes camper à al-Buḥaira, où nous restâmes quarante jours. Après ce laps de temps, les armées se mirent en marche vers Marrakech. Les renforts almoravides : les troupes des Haskūra, avec Abū Bakr Ibn al-Ǧauhar et celles des Ṣanhāǧa, avec Yaḥyā b. Saḳṭān, pénétrèrent chacune de leur côté dans la ville. Mais Yāsīn b. Fīlū, arrivé avec sa troupe et les contingents du Ġarb, au lieu d'entrer à Marrakech, vint camper sur notre flanc à al-Buḥaira ; on lui conseilla de pénétrer dans la ville, mais il refusa.

(1) Sur le « tri » opéré par al-Bašīr sur l'ordre du Mahdī, cf. *supra*, p. 53 *sqq*.
(2) Sur cette bataille, cf. *supra*, p. 41-42.

même, s'écria l'Imām, y aurait-il un Kīk (1) sur le Kīk et sept Kīk superposés, rien n'empêcherait l'arrivée du « jeudi », [c'est-à-dire de l'issue victorieuse] ! (2) » Il en fut ainsi — Allāh, Maître des Mondes, soit loué ! — et l'ennemi se dispersa.

P. ٧٨ * De nombreux jours se passèrent et Allāh gratifia le Mahdī des conseils d'al-Bašīr. Il ordonna alors le « tri » (*tamyīz*) du parti. Al-Bašīr se mit à exclure des Almohades ceux qui étaient dissidents, hypocrites et fourbes, si bien que les perfides furent séparés des bons. Les gens virent alors la vérité de leurs yeux et les croyants redoublèrent de foi. Quant aux injustes, ils goûtèrent le feu, *en sachant qu'ils allaient y être jetés et ne trouveraient nul refuge pour y échapper* (3). Le « tri » opéré par al-Bašīr dans le parti dura du jeudi, au vendredi quarante jours après. Les gens de cinq tribus furent tués durant cette période au lieu dit Īgar-an-ūsannān : c'est là que périrent les Īsalayīn-an-uh-nā'in. Parmi les Hintāta, moururent les Īmattazgā. Les Īn Māġūs furent exécutés au lieu dit Īgar-an-Ait Kūriyīt, ainsi que les Āṣāddan et les Gadmīwa de Tākūšt. Puis,

(1) Il s'agit du long plateau calcaire qui sépare la plaine de Marrakech du couloir qui relie la vallée du Wādī Rġāya à celle du Wādī Nafīs. Cf. H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, p. 31.

(2) La vertu prophylactique du nom du « jeudi » (*ḫamīs*) chez les Musulmans du Nord de l'Afrique, qu'il tient du lien qui le rattache étymologiquement à *ḫamsa*, « cinq », vient d'être mise remarquablement en lumière par M. W. Marçais, dans une note de ses *Textes arabes de Takroūna*, p. 337-338. Il est certain que dans la bouche du Mahdī, la phrase qui est traduite ci-dessus devait revêtir, dans le même ordre d'idées, une signification antimaléfique.

(3) Allusion à *Coran*, sūr. XVIII, vers. 51.

Huitième expédition de notre Maître l'Imām. — Apprends, mon frère, que l'Imām, inspiré par Allāh, vint assiéger Tāzāgūrt et, par un effet de la puissance divine, s'empara de ce point qui était alors démuni de remparts ; on y combattit un vaurien du nom de Dammām. Nous y fîmes des esclaves noirs prisonniers et l'Imām dit à Maimūn al-Kabīr : « Prends-les : ce sont tes frères [de couleur] ». Ils rejoignirent les nègres qui avaient été pris à Āzallīm et l'Imām leur donna le nom de ʿAbīd al-Maḫzan (esclaves de l'État).

Nous retournâmes à Tīnmallal et y séjournâmes un certain temps. Puis, sur l'ordre de l'Imām, nous partîmes pour l'endroit dit Āsadram-an-al-Ġuzāi, sous la bénédiction d'Allāh.

Neuvième expédition de notre Maître l'Imām, au lieu dit Āsadram-an-al-Ġuzāi. — Quand, avec l'Imām, nous atteignîmes cet endroit, il dit aux Almohades, après avoir entendu des paroles s'échanger avec les ennemis : « Que disent-ils? — Ils nous ont donné un surnom ! — Et lequel? — Ils nous traitent de ḫāriğites ! » Alors l'Imām dit : « Ils nous ont devancés en matière d'insultes. Pour de bonnes paroles, certes, ils se seraient abstenus et n'auraient point tenu à nous devancer ! Donnez-leur à votre tour un surnom ! Car Allāh a dit dans son livre : *Celui qui vous donne des marques d'inimitié, donnez-lui en à votre tour!* etc., jusqu'à la fin du verset (1). Dites-leur : Vous êtes les « Anthropomorphistes » (*muğassimūn*) ! » Nous lui obéîmes.

Puis un violent combat nous fut livré. « Quand bien

(1) *Coran*, sūr. II, vers. 190.

Septième expédition de notre Maître l'Imām. — Sache, mon frère, — Allāh nous assiste ainsi que toi ! — que nous partîmes avec l'Imām attaquer les Haskūra (1) en un point de leur territoire appelé Āzallīm. Nous nous livrâmes un combat très violent, au cours duquel l'Imām fut blessé à la tête. Isḥāḳ b. 'Umar (2) et Wasnār (3) le relevèrent. L'humble esclave, auteur de ces lignes, Abū Bakr b. 'Alī aṣ-Ṣanhāǧī, surnommé al-Baiḏaḳ, tenant la mule du Maître, Tamwīmaḳ, par la bride, et Yaḫluf Āsemgī (4) portant son bouclier et sa lance, nous le ramenâmes jusqu'au campement ; puis nous retournâmes au combat, jusqu'au moment P. ٧٧ où *Allāh défit ceux qui s'étaient montrés injustes * et qu'il fut dit : Loin d'ici ! à ceux qui avaient péché* (5), donnant la victoire au Mahdī et à ses partisans, gens de vérité et défenseurs de la foi. Allāh, Maître des Mondes, soit loué !

Nous revînmes, et quand l'Imām se montra, il nous prêcha et nous exhorta, en disant : « La vérité est avec nous, et une branche de cette vérité viendra de Tūndūt. » Peu après, Allāh inspira Ibn Tūndūt [de venir se rallier au Mahdī avec les siens]. L'Imām alors ordonna de remettre les troupes sur pied et nous dit : « Préparez-vous à partir en expédition, s'il plaît à Allāh ! »

(1) Ils étaient, dit Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.*, commandés par Abū Darḳa al-Lamtūnī. La *Chronique anonyme* fait aussi allusion à cette expédition, p. 11 du texte, 19 de la traduction. La forteresse de cette tribu était d'après ce texte Auṣalīm, orthographié ici Āzallīm.

(2) C'était un notable des Hintātā que 'Abd al-Mu'min devait mettre plus tard à la tête des Dukkāla.

(3) Abū Muḥammad Wasnār b. 'Abd Allāh, alors attaché au service personnel du Mahdī.

(4) Ethnique de la tribu des Aït Semmeg, installée aujourd'hui sur le versant sud du Grand-Atlas.

(5) *Coran*, sūr. XI, vers. 46.

en parvint à l'Imām, qui dit : « Allez les combattre, avec la bénédiction d'Allāh ! » Arrivés en contact avec l'ennemi, nous nous livrâmes un violent combat, à tel point que l'Imām tomba. Un groupe nombreux des nôtres se retourna pour le protéger et il se releva. Les Muǧassimūn (Almoravides) furent défaits grâce à la bienveillance et à la miséricorde d'Allāh (1). Qu'Il bénisse Muḥammad et sa famille !

Sixième expédition de notre Maître l'Imām, ou expédition de Tīfnaut. — Les Almoravides avaient donné à Abū Bakr le commandement d'une armée, qu'il emmena dans la direction du Tīfnaut. Nous nous mîmes en route derrière eux et quand, avec l'Imām, nous les rejoignîmes, il nous dit : « Emparez-vous d'eux, avec la bénédiction d'Allāh ! » Nous leur livrâmes un violent combat, et l'ennemi, nous voyant déployer une énergie à laquelle il était incapable de résister, se dispersa. Chacun [de nos contingents] rentra chez lui. Au bout de quelques jours, l'Imām dit : « Préparez-vous à partir en expédition, s'il plaît à Allāh très-Haut ! C'est lui dont il faut implorer le secours ! » (2).

(1) Cette expédition d'Ānsā contre le chef almoravide 'Umar b. Daiyān n'est relatée en dehors d'ici que par la *Chronique anonyme*, texte, p. 10-11, trad., p. 18-19. D'après ce dernier texte, les Almohades, ayant appris qu'ils étaient poursuivis par les Ḥašam, renforcés de contingents des Banū Wāwazgīt, attendirent l'ennemi à Tādrārt et l'y défirent dans un combat où 'Umar b. Daiyān et un autre chef du nom d'al-'Imrān trouvèrent la mort. Puis un autre engagement eut lieu devant Ānsā, à l'avantage de l'armée almohade. Cf. aussi Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 302 ; trad., II, p. 171.

(2) C'est sans doute l'expédition dont parle Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.*, et qui fut confiée au gouverneur almoravide du Sūs Abū Bakr b. Muḥammad al-Lamtūnī, sans doute le même que celui qui sera nommé plus loin à trois reprises Abū Bakr b. al-Ǧauhar al-Lamtūnī.

Hintāta (1). Quand il eut ainsi désigné des chefs pour toutes les tribus [qui lui obéissaient], il dit : « Ne descendez pas dans la plaine, mais laissez l'ennemi monter vers vous ! » (2) Nous agîmes de la sorte, et quand les ennemis furent à portée de nous, il dit : « Emparez-vous d'eux, sous la bénédiction d'Allāh ! » Nous les mîmes en déroute grâce à Allāh, *qui est avec ceux qui font preuve de constance au combat* (3).

P. ٧٦ * *Cinquième expédition de notre Maître l'Imām.* — Sache, mon frère, que lorsqu'Allāh très-Haut décida l'expédition d'Ānsā-n-īmādīdan (4), il inspira — qu'Il soit exalté ! — à 'Umar b. Daiyān de sortir de Marrakech. Quand, avec de nombreuses troupes, celui-ci fut arrivé à Ānsā, la nouvelle

(1) On voit ici apparaître pour la première fois chez le Mahdī le souci de placer à la tête de chacune des tribus qui le suivent dans sa révolte contre les Almoravides, un personnage entièrement dévoué à sa cause, et de lui confier en même temps un commandement militaire. Ce chef, à ce qu'il semble, sauf en ce qui concerne 'Umar Īntī, n'appartient pas à la tribu dont il va être le chef : 'Abd al-Mu'min, l'étranger, reçoit le commandement des Gadmīwa ; Abū Ibrāhīm Ismā'īl Īgīg (ou al-Hazraǧī) reçoit celui des Harǧa ; Ibn Malwīya, qui est originaire de Taza (cf. *supra*, p. 50), celui des Ganfīsa, qui le tueront bientôt quand il voudra trahir le calife ; quant à Yālaltan, le nouveau chef des « gens de Tīnmallal », c'est vraisemblablement le même que le Yallīltan, donc il a été question plus haut, p. 116 ; ce sobriquet recouvre sans doute le nom d'un personnage almohade connu, mais dont la personnalité nous échappe.

(2) On remarquera l'importance accordée à cette directive tactique dans toutes les expéditions almohades postérieures. C'est encore celle de toutes les populations montagnardes du Maroc.

(3) Allusion à *Coran*, sūr. II, vers. 250 et sūr. VIII, vers. 67.

(4) C'était, comme on le verra plus loin dans la liste des forteresses almoravides, un point stratégique situé à la lisière du Grand-Atlas, sans doute à l'Ouest du plateau du Tasǧaimūt : il ne paraît pas possible d'en identifier le site exact à l'heure actuelle.

dîmes qui disait : « Parmi vous est un homme des Banū Gannūna, qui tuera les Lamtūna ! (1) »

Quand l'Imām arriva devant les troupes almoravides, il nous dit : « N'ayez nulle crainte, car Allāh *affermira les croyants en la parole immuable!* (2) » Les deux partis se rencontrèrent et le nôtre remporta la victoire, grâce à Allāh : *il repoussa ceux qui s'étaient montrés infidèles dans leur colère et ils n'eurent point le moindre avantage!* (3) Allāh, Maître des Mondes, soit loué ! Et qu'Il bénisse Muḥammad, le « sceau » des Prophètes !

Quatrième expédition de notre Maître l'Imām. — Sache, mon frère, que lorsqu'Allāh voulut le faire partir en expédition, il se dirigea vers le lieu dit Tīzī-n-māssat. L'armée des Almoravides (*Zarāǧina*) était commandée par deux hommes du nom de Yānnū et d'Ākūdī b. Mūsā ; lorsqu'on apprit qu'elle s'avançait, l'Imām nous donna l'ordre de nous mettre en route. Et nous partîmes.

Quand nous fûmes en présence de l'ennemi, l'Imām prit un drapeau blanc, le remit au [futur] Calife et Imām 'Abd al-Mu'min b. 'Alī et fit partir en avant sous ses ordres les Gadmīwa. Il prit ensuite un drapeau jaune, et le remit à Abū Ibrāhīm en lui donnant le commandement des Harġa ; puis il remit un drapeau rouge à 'Abd Allāh Ibn Malwīya qu'il plaça à la tête des Ganfīsa ; un quatrième drapeau à Yālaltan, qu'il plaça à la tête des gens de Tīnmallal ; un cinquième à 'Umar Īntī, avec le commandement des

(1) Sur cette phrase rimée, qui fait allusion à 'Abd al-Mu'min, cf. *supra*, p. 39 et note 2.

(2) *Coran*, sūr. XIV, vers. 32.

(3) *Ibid.*, sūr. XXXIII, vers. 25.

morphistes ») s'avançait sous les ordres de Sulaimān b. Īgallād, d'Ibn Abī Firās, du ḳāḍī du Sūs 'Abd ar-Raḥmân et de Yānnū, il nous dit : « N'ayez pas peur ! vous allez recevoir d'eux des présents. — Maître, lui dîmes-nous, comment notre ennemi pourrait-il nous donner des présents? — Allāh va jeter l'effroi dans leurs cœurs et les fera s'enfuir ! » Quand l'ennemi se présenta, l'Imām nous donna l'ordre de nous porter à sa rencontre et de répéter à chaque instant le nom d'Allāh et la phrase : « Il n'y a de force et de puissance qu'en Allāh, l'Élevé, le Magnifique ». Quand les deux partis furent en contact, l'Imām prononça contre eux la formule : « Allāh est grand ! » et nous dit : « Allāh va vous faire triompher d'eux. » Puis, prenant une poignée de terre, il la lança dans la direction de l'ennemi, qui fut mis en déroute, abandonna ses chevaux, ses mulets, ses provisions et ses armes, et dut battre en retraite en subissant des pertes. Allāh, Maître des Mondes, soit loué et qu'Il bénisse le « sceau » des Prophètes !

Troisième expédition de notre Maître l'Imām. — Elle eut lieu à Tālāt-an-maizag, dans les circonstances suivantes :

Notre Imām avait reçu une lettre des Almoravides ; il leur envoya sa réponse et resta enfermé dans la maison pendant trois jours. Puis il vint nous rejoindre. Les gens le visitèrent alors et lui dirent : « Qu'est-ce donc qui t'a retenu loin de nous? » Il leur répondit* : « 'Abd al-'Azīz b. Yāgriyyān a soudoyé quelqu'un pour nous tuer, moyennant deux cents dīnārs et deux lettres (de privilèges?). Allez le trouver, surprenez-le de bon matin. S'il nie, prenez à la tête de sa couche les lettres qu'il a reçues. » On trouva effectivement à cet endroit les lettres en question ; alors on le tua et on le le crucifia. Puis, l'Imām se mit en route, et nous l'enten-

P. ٧٥

P. ٧٤

* SES EXPÉDITIONS (1).

Première expédition. — Sache que la première des expéditions de l'Impeccable fut celle que l'on appelle l'affaire de Tāudazt. L'Imām était arrivé en présence des Ḥašam, dont le chef était Yīntān b. 'Umar. Quand les Almohades furent rangés en bataille face à l'ennemi, ils tournèrent leurs regards vers l'Imām. A son tour, il fixa les yeux sur eux et leur dit : « N'ayez pas peur ; car l'ennemi va prendre la fuite ! » C'est, en effet, ce qui arriva. Ūdaskātīn, qui appartenait aux Ganfīsa, fut tué et mis en croix la tête en bas. *Allāh repoussa ceux qui s'étaient montrés infidèles dans leur colère : ils n'eurent point le moindre avantage! Allāh suffit aux croyants, car il est fort et puissant!* (2)

Seconde expédition de notre Maître l'Imām. — Lorsque — Allāh te dirige dans la bonne voie ! — l'Imām apprit que l'armée des Almoravides (*Muǧassimūn* = « Anthropo-

historiens furent les « Dix ». Ainsi : Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 113. Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.*, précise les noms de quatre Hintātā : Abū Ḥafṣ 'Umar Intī, Abū Yaḥyā Ibn Igīt, Yūsuf b. Wānūdīn et Ibn Yaǧmūr, et de quatre notables de Tīnmallal : Abū Ḥafṣ 'Umar b. 'Alī Āṣnāg, Muḥammad b. Sulaimān, 'Umar b. Tafrāgīn et 'Abd Allāh b. Malwīya. Il est plus prudent, croyons-nous, de s'en tenir au récit de notre chroniqueur : ce sont les gens de l'entourage immédiat d'Ibn Tūmart qui le proclamèrent tout d'abord, sur son ordre, sans doute.

(1) Ici commence le récit des expéditions entreprises sur l'ordre du Mahdī jusqu'à sa mort et sur le détail de la chronologie desquelles il règne beaucoup de confusion et d'imprécision chez les autres historiens. Ce furent des expéditions offensives contre celles des tribus Maṣmūda qui résistaient encore à l'autorité du Mahdī, ou des expéditions contre les Almoravides. Les récits les plus précis sont ceux qui sont fournis par la *Chronique anonyme* et *al-Ḥulal al-maušīya*.

(2) *Coran*, sūr. XXXIII, vers. 25.

qu'eut lieu sa proclamation (1), sous un caroubier (2). Le premier qui lui prêta serment fut le [futur] Calife 'Abd al-Mu'min b. 'Alī ; puis, l'un après l'autre, Abū Ibrāhīm (3) ; 'Umar Āṣnāg ; 'Abd al-Wāḥid aš-Šarkī ; 'Abd Allāh b. Muḥsin al-Wanšarīšī, surnommé al-Bašīr ; Abū Mūsā aṣ-Ṣaudī (4) ; le faḳīr auteur de ces lignes ; Abū Muḥammad Wasnār ; 'Abd Allāh Āhlāṭ ; Āġwāl ; Ībūrak Īsamgīn ; Maimūn aṣ-Ṣaġīr ; Maimūn al-Kabīr ; Yaḥyā al-Musamma' ; 'Abd as-Salām Āġyī ; Muslim al-Ganāwī ; Mikrār ; Mallūl b. Ibrāhīm et ses enfants (5) ; puis, tous les Almohades (6).

de l'autorité almoravide contre laquelle il s'était mis ouvertement en rébellion. On sait que le sultan 'Alī b. Yūsuf essaya de faire assassiner le Mahdī par les Harġa eux-mêmes, soudoyés par le gouverneur du Sūs Abū Bakr b. Muḥammad al-Lamtūnī ; mais le complot échoua, les traîtres furent découverts et mis à mort. Cf. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301 ; trad., II, p. 169 et *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 74. On ne trouve pas ici de dates fixant l'arrivée d'Ibn Tūmart à Īgīllīz et son départ pour Tīnmallal. Ce fut sans doute de 515 à la fin de 518 (1122-1124), qu'il séjourna dans sa propre tribu. D'après la *Chronique anonyme*, texte, p. 11 ; trad. p. 19, au rapport d'al-Yasa', il gagna Tīnmallal sur les instances des habitants de cette tribu.

(1) Tous les autres historiens placent la prestation de serment à Ibn Tūmart et sa proclamation comme « imām », non pas à Tīnmallal, mais à Īgīllīz des Harġa (de même, la chronologie finale, *infra*). Cette cérémonie eut lieu d'après Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301 ; trad., II, p. 170, en 515, plus exactement, d'après le *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 113, le 15 ramaḍān 515 ; ou le premier samedi de muḥarram 515 d'après quelques auteurs ; ou le 1er ramaḍān 516, d'après Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt et Ibn Rašīḳ *(ibid.*, p. 117 ; cf. aussi, p. 176). *Al-Ḥulal al-maušīya :* ramaḍān 515 ; le *Ta'rīḫ ad-daulatain :* 14 ramaḍān 515.

(2) Ce détail se retrouve aussi dans *al-Ḥulal al-maušīya* et le *Ta'rīḫ ad-daulatain.*

(3) C'est-à-dire Ismā'īl Īgīg.

(4) C'est-à-dire 'Īsā b. Mūsā al-Ḥalāsī aṣ-Ṣaudī : cf. *supra*, p. 43, 44, 51.

(5) Cf. *supra*, p. 59-60.

(6) Les premiers qui proclamèrent le Mahdī d'après les autres

(*āsārāg*) (1), car des cavaliers vont venir vers vous. » Puis il ordonna qu'on construisît des mangeoires, disant : « Celui qui en construira une prendra un cheval, celui qui en construira deux, en prendra deux, et celui qui jugera mes paroles mensongères, Allāh se chargera de le châtier ! » Puis on prépara un repas commun (*āsmās*) : l'Imām y mit du sel de sa main en disant : « Ceci est le pacte d'Allāh et celui du Prophète, qui nous lie nous et vous, conformément au Livre et à la Sunna ! » Quand la nourriture fut prête, les gens dirent : « L'Imām, il ne mange ni ne boit ! » Il les dévisagea, puis tendant la main vers une épaule de mouton, il en détacha un morceau de viande et le porta à sa bouche. Ensuite, il leur dit : « Je mange comme tout le monde, je bois comme tout le monde, je suis un homme parmi les hommes et il me faut ce qu'il leur faut ! » Et il ajouta : « Vous, mangez comme mangent eux-mêmes les prophètes ! (2) »

PROCLAMATION DE L'IMÂM MAHDÎ.

[D'Īgīllīz], il se rendit ensuite à Tīnmallal (3). C'est là

(1) Sur ce mot, cf. au glossaire, s. v.

(2) Tout cela est assez théâtral et l'on y sent un véritable souci de mise en scène ; mais ce n'est pourtant pas invraisemblable. On se représente fort bien le spectacle du repas pris en commun. Il ne faut pas voir autre chose que de la défiance dans la question posée à Ibn Tūmart par les convives : l'empoisonnement a toujours été au Maroc la manière la plus commode de se débarrasser d'un personnage devenu gênant. — On peut admirer la précision qu'apporte l'auteur dans la description du geste classique du convive, qui détache du pouce et de l'index de la main droite une parcelle de la pièce de viande rôtie placée devant lui pour la porter à sa bouche.

(3) L'auteur ne précise pas dans quelles circonstances Ibn Tūmart quitta son « couvent » d'Īgīllīz des Harġa pour Tīnmallal. Mais il est probable, si l'on en croit d'autres historiens, que ce fut parce qu'il ne s'y sentait pas assez en sécurité et trop à portée

convoqua de nouveau les Banū Maḥmūd, mais encore sans succès. Il donna alors aux Banū Wāggās l'ordre de les combattre, après quoi ils se soumirent à lui.

Puis il quitta leur territoire et gagna Tāmadġūst des Īrgītan, où il édifia une maison, un magasin et les murs d'un jardin. Un rocher se trouvait près de l'entrée de la maison : l'Impeccable y venait s'asseoir et les gens de la ğamā'a faisaient cercle autour de lui — Allāh les agrée tous ! — Il séjourna en cet endroit trois mois, puis se remit en route, passa par Tāzuggā't et Tāmāzīrt des Banū Lamās et atteignit Īgīllīz des Harġa, où il s'installa dans sa maison [familiale] (1). Cela se passait en 514 (2 avril 1120-21 mars 1121).

Il resta un certain temps à l'intérieur de la grotte (2). Yalliltan, sur le sol, y avait étendu pour l'Imām son burnous en guise de tapis. Ce que voyant, Ismā'īl Īgīg lui dit : « O mon frère, ce n'est qu'un burnous que tu donnes comme tapis à la lumière de la science? La lumière ne doit être que sur de la lumière ! » Et dépouillant * son *ksā*, il l'étendit à terre et dit à l'Imām : « Assieds-toi là-dessus, tu es plus digne que moi de cette étoffe, et Allāh nous a ordonné de te traiter avec honneur. Puisse-t-il te témoigner son agrément ! » Une fois assis, l'Imām, de l'entrée de la grotte, jeta les yeux à droite et à gauche et dit : « Faites un grand enclos

P. ٧٣

(1) D'après Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301 ; trad., II, p. 168-169 (où l'on trouve la forme erronée Igīlīn), Ibn Tūmart bâtit à cet endroit un petit couvent *(rābiṭa)*, où il se livra à la vie ascétique et réunit des disciples. C'est à ce moment, en 515, que sa renommée commença à se propager dans le pays. Cf. aussi *al-Ḥulal al-mauŝīya*, p. 74 ; az-Zarkaŝī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, p. 5 du texte et 8 de la trad.

(2) Il s'agit de la grotte de l'Īgīllīz des Harġa, dont il a été question plus haut. Cf. *supra*, p. 60 et note 2.

de Yūsuf b. Wānūdīn (1); puis par Tīfnaut des Īzakkār; puis par le Ǧumu'ā (marché du vendredi) des Āmmazīn, qu'il prêcha avec succès; puis par Tadrārt Āġbār, chez Abū Ṣāliḥ 'Abd al-Ḥalīm, le fils d'Abū 'Abd as-Salām P. vr Yaṣaltan, [futur] membre * des « Cinquante »; il bâtit une mosquée en cet endroit. Il continua ensuite sa route vers [le territoire des] Banū Wāwazgīt et Dār Wāḫlīf, où il prêcha avec succès les gens; puis vers les Īn Mazāl, qu'il réunit [pour leur parler] chez Wāllāl b. Yamġī; puis vers Tīnfītīn; puis vers Īzād; puis vers Tākūšt des Gadmīwa où il descendit chez Yūsuf b. Ḥammū. Il passa ensuite par Tīnmallal; le territoire des Īn Māġūs; celui des Ṣauda, où il descendit chez 'Alī aṣ-Ṣaudī et 'Abd ar-Raḥmān aṣ-Ṣaudī; Tākṭūšt-an-yansān; le territoire des Īn Gafīs, qu'il prêcha avec succès : là, il convoqua les Banū Maḥmūd qui refusèrent de venir l'entendre. Il gagna ensuite le pays des Banū Wāggās, où il s'arrêta chez 'Abd ar-Raḥmān b. Zaggū (2); puis Tākṭūšt-an-īmaḍġāl; puis le rivage de l'Atlantique, au lieu dit Īmasaggīnā; puis Timantīn, où il

sans doute l'ethnique berbère de sa tribu, les Hintāta. Nous savons par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301, trad., II, p. 168, qu'il reçut fort bien Ibn Tūmart chez lui. On va désormais voir intervenir à chaque page cet important personnage. Sur le nom de Faskāt, cf. l'hypothèse d'Henri Basset et Henri Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, in *Hespéris*, t. IV, 1924, p. 27, note 4 : « il faut y voir vraisemblablement le mot *faska*, dérivé de *pascha*, et qui, chez les Berbères de ces régions, sert encore à désigner le 'Īd Kbīr, la grande fête musulmane où l'on sacrifie un mouton ».

(1) Ce personnage, qui appartenait aux Hintāta, devait représenter cette tribu au « Conseil des Cinquante ». Il sera encore question de lui dans la suite du récit.

(2) Futur membre du « Conseil des Cinquante » pour les Ganfīsa : cf. *supra*, p. 52. Il joua par la suite un rôle important dans l'organisation almohade.

P. VI *DÉPART DE L'IMPECCABLE D'ĀĠMĀT ŪRĪKA.

Il se dirigea d'abord vers [le territoire des] Īgalwān (1). Là, Ismā'īl Īgīg (2) dit à l'Imām de séjourner jusqu'à ce que lui-même revînt. Les gens d'Āġmāt avaient envoyé quelqu'un à 'Alī b. Yūsuf pour l'avertir que l'Impeccable avait quitté leur ville et était parti en voyage. En effet, en sortant d'Āġmāt, il avait pris la direction du [territoire des] Īgalwān, où arriva en même temps un messager de la part de 'Alī b. Yūsuf avec l'ordre qu'on ramenât le Mahdī. C'est alors qu'Ismā'īl Īgīg lui dit: « O faḳīh, ne vas pas plus loin et attends mon retour ! » Il partit, puis revint, accompagné de deux cents de ses contribules porteurs de boucliers. Avec cette escorte, il nous conduisit ainsi que l'Imām, d'abord à Īsamnāi des Hazraġa ; puis à un autre endroit que l'on nomme Ātīfrā des Īmasfīwa, où une mosquée fut édifiée ; puis à Ānsā des Ūrīka, près de la demeure d'Ibn Zakarīyā al-Ūrīkī ; puis à Ārmaṭ, chez 'Abd ar-Raḥmān Ākassīṭ : l'Imām, en cet endroit, construisit une mosquée dite Tīynītaīn et y passa l'hiver. Il poursuivit ensuite sa route et passa par Tīfnaut des Hintāta ; puis par le Ḥad (marché du dimanche) des Īmlīl ; puis par la demeure de Faskāt b. Yaḥyā (3), surnommé 'Umar Īntī ; puis par celle

(1) Sans doute les mêmes que les Īgalwān (Glāwa) d'aujourd'hui, mais qui ne constituaient alors qu'un groupement assez peu important.

(2) L'un des futurs membres du « Conseil des Dix ». Chez les autres historiens, et ici-même, *supra*, p. 49 et note 2, il est désigné sous le nom d'Abū Ibrāhīm Ismā'īl al-Hazraġī, ou plus simplement sous sa *kunya* d'Abū Ibrāhīm. Il devait, par la suite, jouer un rôle de tout premier plan sous le règne de 'Abd al-Mu'min. Il sera souvent question de lui dans les pages qui vont suivre.

(3) C'est le vrai nom du célèbre Abū Ḥafṣ 'Umar, la clef de voûte de l'édifice almohade à ses débuts. Son surnom d'Īntī est

DÉPART DE L'IMĀM IMPECCABLE D'ĀĜMĀT AN-WAILĀN POUR ĀĜMĀT ŪRĪKA.

Il s'installa en un point de cette ville dit Īġīl (1). Il enseignait les ṭālibs à la mosquée de Wāṭṭās b. Yaḥyā, dans la partie occidentale, non loin du patio (*ṣaḥn*). 'Abd al-Ḥaḳḳ b. Ibrāhīm, qui y donnait également des cours, faisait de l'opposition à l'Imām et lui portait envie pour la science et l'intelligence qu'Allāh lui avait données. Il s'approcha de l'Imām pour discuter avec lui, mais celui-ci le réduisit au silence. Āġmāt alors se partagea en deux camps : croyants et infidèles. Parmi les disciples de l'Imām Impeccable se trouvaient alors Sulaimān b. al-Baḳḳāl (2) et Ismā'īl Īgīg. Après qu'il eut réduit au silence les ṭālibs de l'endroit en matière de sciences et rétorqué leurs arguments généraux et particuliers, il quitta Āġmāt, sans être inquiété (3).

(1) C'était sans doute le nom d'un faubourg de la ville. On en trouve une autre mention sensiblement à la même époque, dans le *Kitāb at-Tašawwuf*, à propos d'Abu 'ṭ-Ṭaiyīb, Muḥriz et Muḥammad de Sfax (ms. Michaux-Bellaire, p. 181).

(2) C'est-à-dire Sulaimān Āḥaḍrī. Cf. *supra*, p. 42 et 49.

(3) Bien que notre auteur n'en dise rien, il est probable que si Ibn Tūmart ne fit pas à Āġmāt un plus long séjour, ce fut sur le conseil de son nouveau disciple Ismā'īl Īgīg. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 300 ; trad., II, p. 168, dit d'ailleurs qu'il fut dénoncé par les gens d'Āġmāt au prince almoravide et qu'il dut s'en aller chez les Masfīwa avec les deux cents guerriers convoqués par Ismā'īl Īgīg. L'auteur d'*al-Ḥulal al-mawšīya*, p. 74, dit que le gouverneur *(ṣāḥib)* d'Āġmāt l'expulsa de la ville et l'exila dans le Sūs (en 510 H.). — D'après Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, t. II, p. 51, c'est chez ce 'Abd al-Ḥaḳḳ b. Ibrāhīm, qui est représenté ici comme un adversaire d'Ibn Tūmart, que celui-ci descendit à Āġmāt : c'était un faḳīh des Maṣmūda et c'est lui qui conseilla au Mahdī et à ses compagnons de quitter Āġmāt pour Tīnmallal, où ils trouveraient un abri plus sûr.

et nous dit : « Préparez-vous au départ pour demain, s'il plaît à Allāh (1) ».

P. v·

* DÉPART DE L'IMĀM IMPECCABLE POUR ĀĠMĀT-AN-WAILĀN.

Sache que lorsque l'Imām Impeccable quitta Marrakech pour Āġmāt-ān-wailān [et que nous arrivâmes en ce lieu], nous descendîmes chez 'Uṯmān al-Mu'allim (le maître d'école), chez qui nous restâmes trois jours. Pendant ce séjour, nous entendîmes des you-yous. « Va, me dit l'Imām, te renseigner sur la cause de ces signes de joie. » A ma demande, on répondit que c'était une femme qui venait de donner le jour à un garçon. L'Imām, que je mis au courant, me dit : « Cette femme a droit à neuf you-yous, trois au moment de la naissance de son fils, trois au moment de sa circoncision et trois au moment de son mariage. Ce serait une marque d'hérésie que d'en faire entendre d'autres. » Puis, le vendredi, nous allâmes nous installer à Āġmāt Ūrīka.

(1) L'épisode dont le récit précède est seulement rapporté, avec des variantes dans l'affabulation, par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 112-113. Le chroniqueur ne fait pas intervenir le vizir Yīntān b. 'Umar, mais un des adeptes du Mahdī (Ismā'īl al-Hazraǧī, d'après 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 167, trad. p. 201), qui le prévient que 'Alī b. Yūsuf a décidé de le faire mettre à mort, en lui récitant seulement le verset 19 de la sūrate XXVIII du Coran : « O Moïse, les grands délibèrent pour te faire mourir. Quitte la ville, je te le conseille en ami ! » A ces mots, Ibn Tūmart s'en alla et arriva le jour même à Tīnmallal *(sic)*. D'après le même historien, Ibn Tūmart quitta Marrakech en šauwāl 514 (janvier 1121).

moi, ainsi que tes compagnons ! » Quand nous fûmes arrivés chez lui, il nous laissa et alla retrouver 'Alī b. Yūsuf : « O émir des Musulmans, lui dit-il, comment peux-tu à la fois être émir des Musulmans et faire preuve d'injus-
P. ١٩
tice * à l'égard d'un savant musulman? — O Yīntān, lui répondit le prince, les faḳīhs m'ont dit que la ruine de notre dynastie serait son œuvre ! — O émir, lui répondit-il, s'il doit en être ainsi, la dynastie n'était-elle pas déjà ruinée avant que nous ne le vissions? — Que dois-je faire de lui? dit alors 'Alī b. Yūsuf. — O émir des Musulmans, laisse-le à ta cour nous enseigner la science et qu'il ait la liberté de circuler dans ton pays ! » Mais le prince lui dit : « Ordonne-lui de quitter notre territoire ! »

Yīntān b. 'Umar vint trouver l'Imām Impeccable et lui dit : « O faḳīh, 'Alī b. Yūsuf t'ordonne de quitter son pays. — Bien ! lui répondit-il, nous sortirons de son territoire. » Et il nous invita immédiatement à nous rendre au cimetière d'Ibn Ḥaidūs, où il se livra à l'étude pendant de nombreux jours.

Mais 'Alī b. Yūsuf finit par être renseigné sur son compte. Alors, il lui dépêcha un messager qui lui dit : « Le roi ne t'a-t-il pas interdit son territoire? — Je ne suis pas sur une terre qui est sienne, mais seulement avec les morts ! » Le messager revint rendre compte au roi du refus de l'Imām et lui rapporta ses paroles : « Allons auprès de lui, dit alors 'Alī b. Yūsuf. » Une fois auprès de lui, ce dernier lui dit : « Ne t'ai-je point interdit mon pays? — Je ne suis pas sur une terre qui est tienne, mais seulement avec les morts ! » Le prince alors s'en alla et Yīntān b. 'Umar vint peu après trouver l'Imām et lui dit : « O faḳīh, va-t-en où tu voudras, où Allāh t'ordonnera d'aller, et ne sois pas la cause de notre perte ! » Alors l'Imām vint nous trouver

faḳīh Ibn Wuhaib (1) dit à 'Alī b. Yūsuf : « Mets-le en prison, ô émir des Musulmans : c'est lui, l'homme au dirham carré ! Fais-lui mettre des fers aux pieds, pour qu'il ne te fasse pas entendre un tambour ! Je l'affirme, il répond bien au signalement de l'homme au dirham carré ! (2) » L'émir ordonna alors à Abū Bakr b. Taizamt de le conduire en prison.

Mais Allāh très-Haut en décida autrement : en effet, Yīntān b. 'Umar (3) et Sīr b. Ūrībal se levèrent et dirent à 'Alī b. Yūsuf : « O émir des Musulmans, que va-t-on dire de toi dans le pays? Que tu emprisonnes un homme qui connaît Allāh, et qui est sur la terre celui qui le connaît le mieux ! » Le prince alors, plein de colère, quitta l'assistance. Yīntān b. 'Umar rejoignit l'Imām et le conduisit à sa demeure en lui disant : « O faḳīh, accompagne-moi chez

docteurs, Ibn Tūmart ne dut son salut qu'à l'intervention du vizir almoravide Intīyān b. 'Umar (*lisez* Yīntān). Le chroniqueur a certainement utilisé, directement ou indirectement, al-Baidaḳ dans ce passage. Ibn Ḫaldūn met à ce sujet dans la bouche d'Ibn Wuhaib (d'un assistant non nommé, dans *al-Ḥulal*), le dicton populaire donné également ici : « Mets-lui les fers aux pieds, etc... ». Cf. aussi Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 402 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 529-530.

(1) De son nom complet, Abū 'Abd Allāh Mālik b. Wuhaib, à la fois philosophe et astronome, originaire de Séville, sur lequel cf. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 132-133, trad., p. 160-161 ; Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, trad. de Slane, II, p. 265 et références citées ; al-Maḳḳarī, *Analectes*, II, p. 322-323 ; R. Dozy, *Histoire des Musulmans d'Espagne*, IV, p. 252.

(2) Cf. la même expression dans Ibn Ḫaldūn, *loc. cit.* et la note de Slane, II, p. 169, n. 2. On sait que les pièces d'or almohades portent inscrit à l'avers comme au revers un carré, au lieu du cercle ordinaire. Les pièces d'argent étaient même le plus souvent carrées.

(3) On verra plus loin que la fille de ce vizir, devenue prisonnière des Almohades, rappela la conduite de son père vis-à-vis du Mahdī, grâce à quoi elle obtint de 'Abd al-Mu'min sa libération et celle de ses compagnes de captivité.

imām de justice, ne t'assieds pas sur ce manteau noir! » L'émir le retira de dessous lui et le rendit à celui à qui il appartenait, et il dit au Mahdī : « Qu'a donc sa teinture? — C'est qu'elle a été mêlée, quand on l'a employée, à des déjections! (1) »

Puis l'Imām gagna la porte de la mosquée et attendit la sortie des fidèles. Alors il y entra de nouveau pour discuter avec les faḳīhs, sur qui il l'emporta d'une manière totale. Il se rendit ensuite à la mosquée de 'Arafa (2), où il resta un certain temps, dans les circonstances suivantes :

'Alī b. Yūsuf avait convoqué de partout les savants pour engager une discussion avec l'Imām : mais celui-ci rétorqua leurs arguments et les réduisit au silence (3). Alors le

(1) L'entrevue à la mosquée avec le sultan almoravide 'Alī b. Yūsuf est également rapportée, mais sans grands détails, par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 300, trad., II, p. 167 (cet historien ajoute qu'Ibn Tūmart réprimanda aṣ-Ṣūra, la propre sœur du prince, parce qu'elle circulait dans la ville sans voile, de même que toutes les femmes almoravides), et par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 73.

(2) Cette mosquée semble n'avoir laissé aucun souvenir à Marrakech.

(3) La discussion avec les docteurs de Marrakech est rapportée par tous les historiens du Mahdī. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǵib*, texte, p. 132-33, trad., p. 160-61, la relate en détail, avec l'intervention d'Ibn Wuhaib. — D'après Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 111-112, le souverain almoravide reconnut la justesse des reproches que lui adressait Ibn Tūmart et convoqua sans retard les uléma au palais. L'historien fournit un long récit de la discussion, à la suite de laquelle Ibn Tūmart fut, d'après lui, convaincu de fourberie. — Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 207, 300-301; trad., II, p. 84 et 167-69, prétend au contraire qu'Ibn Tūmart réduisit ses adversaires au silence et que ce ne fut que plus tard qu'Ibn Wuhaib demanda à 'Alī b. Yūsuf de le faire périr. — Enfin, l'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya*, p. 73-74, dit au contraire qu'à la suite du conseil des

tention est illicite d'après la loi religieuse ! (1) » Puis il pressa notre marche et nous arrivâmes à Marrakech, avec l'assistance de Celui qui veille, l'Éternel, Celui qui n'a pris ni compagne ni enfants (2).

ENTRÉE DE L'IMPECCABLE A MARRAKECH.

Une fois à Marrakech, l'Imām descendit au Masǧid Ṣauma'at aṭ-ṭūb (la Mosquée au minaret de briques de terre). Nous y restâmes jusqu'au vendredi (3). Alors, il se rendit à la mosquée-cathédrale de 'Alī b. Yūsuf. Il y trouva ce dernier assis sur le manteau d'Ibn Taizamt. Les vizirs se tenaient debout près de lui. Ils dirent à l'Imām : P. ٦٨ « Salue l'émir de son titre de calife ! * — Où est donc l'émir? répondit-il. Je ne vois que des femmes voilées. » A ces paroles, 'Alī b. Yūsuf retira le voile qui couvrait son visage et dit à sa suite : « Il a raison ! » Quand il vit l'émir le visage découvert, l'Impeccable lui dit : « Le califat appartient à Allāh et non à toi, ô 'Alī b. Yūsuf ! » Et il continua : « Lève-toi de dessus cette étoffe teinte, si tu veux être un

(1) 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 161, trad., p. 193-194, se fait l'écho d'une légende qui a peut-être son origine dans l'épisode relaté ici par al-Baiḏaḳ : comme, après son séjour à Gibraltar, 'Abd al-Mu'min rejoignait Marrakech, il arriva à Salé et là franchit le Wādī Bū-ragrag avec ses troupes. A cette occasion, il aurait rappelé à son entourage qu'il était jadis arrivé à Salé avec le Mahdī et 'Abd al-Wāḥid aš-Šarḳī, tous les trois n'ayant pour viatique qu'une seule galette. Celle-ci servit à payer le passage en bac de deux des voyageurs seulement ; le troisième dut franchir la rivière à la nage.

(2) Allusion au *Coran*, sūr. VI, vers. 101.

(3) Cet oratoire de Marrakech semble ne plus exister. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 111, dit qu'Ibn Tūmart s'installa avec 'Abd al-Mu'min dans une mosquée de la ville, où, au début, il ne fut pas remarqué ; mais il attira sur lui l'attention de l'autorité quand il prétendit exercer son rôle de censeur sur les places et sur les marchés.

'*ilm*,[۲] et il leur ordonnait d'exercer la censure des mœurs sur la population. Il séjourna assez longtemps à Salé, puis nous ordonna le départ pour Marrakech. Nous quittâmes la ville sous la bénédiction d'Allāh très-Haut.

P. ٦٧ *DÉPART DE L'IMPECCABLE DE SALÉ.

Sache — Allāh nous favorise ainsi que toi ! — que notre Maître l'Impeccable, une fois sorti de Salé, pressa notre marche jusqu'à Tābarandūst, où nous fîmes halte. Pendant la nuit, la bête qui transportait nos hardes fut volée ; on nous apprit que les auteurs du vol étaient des noirs, connus sous le nom d'Aulād Tabarzūft.

Puis l'Imām pressa notre marche et nous atteignîmes le Wādī Umm Rabī' (1). Nous ne savions pas que l'Imām parlait la langue du Ġarb (le berbère) (2). Or, voulant traverser le fleuve, nous en fûmes empêchés, et l'on nous demanda de payer le droit de péage, c'est-à-dire le prix du passage en bac : « Vous avez, nous dit-on, à payer tant et tant par tête ! » L'Imām, à ces mots, dit avec violence : « *aumāuran mallūlnīn ān sūs ādāwan nāk !* » et nous passâmes. Il leur avait notamment dit : « Le chemin appartient aux Musulmans et vous êtes des coupeurs de route ! Votre pré-

que le Ḥassūn dont il est question ici) Abu 'l-Ḥasan 'Alī b. al-Ḳāsim Ibn 'Ašara, qui fut ḳāḍī de Salé, et qui a fait l'objet d'une notice d'aḍ-Ḍabbī, *Buġyat al-multamis*, p. 414, nº 1235. — C'est chez un Ibn 'Ašara que 'Abd al-Mu'min, au témoignage d'Ibn Ḫaldūn, descendit quand il s'empara de Salé.

(1) Sans doute à hauteur de l'actuel gué dit Mašra' Ibn 'Abbū (Mechra Ben Abbou) car si ce passage avait eu lieu devant Azemmour, l'auteur n'aurait probablement pas manqué de signaler cette ville.

(2) L'historien est ici en contradiction formelle avec lui-même, puisqu'il a rapporté plus haut, p. 88, qu'Ibn Tūmart conversa en berbère à Mallāla avec les deux pèlerins venus de l'Atlas.

as-Salām Ibn 'Aišūš et Ūlgūṭ b. Maimūn ; puis, de là, nous gagnâmes Salé, trouvant sur notre route sécurité et bon accueil.

ARRIVÉE DE L'IMPECCABLE A SALÉ.

Sache que l'Imām, à Salé, descendit chez le faḳīh Aḥmad Ibn 'Ašara. Il y recevait la visite d'aš-Šublair, de Muḥammad b. al-Ḫair al-Wakkāṣī (1), d'as-Sulṭān b. Ḳailū et du ḳāḍī Ḥassūn Ibn 'Ašara (2) : ils étudiaient sous lui le

mūr, sur la route de Salé à Meknès. Cf. sur le nom de Fanzāra, L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI[e] siècle*, p. 213.

(1) Il reste à Rabat un quartier qui porte le nom correspondant à cet ethnique : celui de Waḳḳāṣa, au nord de la ville indigène et à proximité du quartier juif. Il s'y trouve une vieille mosquée dite Masǧid Umm al-Ḳāḍī.

(2) Ce personnage, de même que le faḳīh Aḥmad Ibn 'Ašara cité un peu plus haut et chez qui l'Imām descendit à Salé, appartenait à une vieille famille salétine, sur laquelle mon savant ami Sī Muḥammad b. 'Alī ad-Dukkālī as-Salāwī, historiographe de S. M. Chérifienne, remarquablement averti de tout ce qui touche à l'histoire de Salé, a bien voulu me fournir des renseignements dont voici le résumé :

Il est question de la famille des Banū 'Ašara en termes élogieux dans al-Fatḥ, *Ḳalā'id al-'iḳyān*, Būlāḳ, 1283 h., p. 131, *in fine* (dans la biographie du vizir Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. al-Ḳāsim) ; dans Ibn al-Abbār, *A'tāb al-kuttāb*, biographie d'Abu' l-Wakīl al-Yābirī ; dans le *Kitāb al-Istibṣār*, texte, p. 26, trad., p. 52. Le 'Ašara, ancêtre éponyme de la famille, fut un émir umaiyade du Maġrib central, mentionné par Abū Bakr Ibn al-Lubbāna ad-Dānī dans son *Kitāb saḳiṭ ad-durar wa-laḳiṭ az-zuhar* (cf. al-Maḳḳarī, *Nafḥ aṭ-ṭīb (Analectes...)*, t. II, p. 414). Cf. aussi aḍ-Ḍabbī, *Buġyat al-multamis*, p. 414, n° 1235 (dans la notice sur 'Alī Ibn 'Ašara).

Parmi les principaux membres de cette famille, on peut citer : 1° Abu 'l-'Abbās Aḥmad b. al-Ḳāsim Ibn 'Ašara, chez qui descendit le Mahdī en 515/1121-22, et qui mourut sans doute avant la prise de Salé par 'Abd al-Mu'min ; il est question de lui dans al-Fatḥ, *Ḳalā'id al-'iḳyān*, p. 210, l. 18 *sqq.* ; 2° son frère, Yūsuf b. al-Ḳāsim Ibn 'Ašara ; 3° son autre frère (sans doute le même

P. ١٦ d'Abū Tamīm, chez al-Ḥasan Ibn 'Ašara. * Les ṭālibs de Meknès — entre autres Abū Bakr Ibn Ḥarzūz et son frère Aḥmad, Aḥmad Ibn az-Zarhūnī et son frère 'Alī, Bakkār b. Ismā'īl, 'Abd ar-Raḥmān b. Muǧāhid, 'Abd ar-Raḥmān b. 'Aryūš, Marwān, al-Ḥāǧǧ Manṣūr, al-Ḥāǧǧ Ḥammū, Yaḥyā Ibn Gundāf et Muḥammad Ibn Zaġbūš (1) — venaient trouver l'Imām, étudiaient sous lui et s'entretenaient avec lui de leurs connaissances et de leurs interprétations. Il leur expliquait ce qu'ils ignoraient et leur exposait ce qu'ils ne savaient pas. Il séjourna quelque temps à Meknès, puis quitta cette ville dans une période de félicité et de sécurité.

DÉPART DE L'IMPECCABLE DE MEKNÈS.

Sache que notre Maître l'Impeccable, une fois sorti de Meknès, pressa notre marche jusqu'au Ḫamīs (marché du jeudi) des Fanzāra (2), où nous descendîmes chez 'Abd

Funaidaḳ (*vulg.* el-Fnīdeḳ = « le petit caravansérail »). Peut-être pourrait-on aussi placer cet ancien marché sur l'emplacement de l'actuelle *rauḍa* de Maulāi 'Abd Allāh b. Aḥmad. » Il est fait une autre mention de ce *sūḳ ḳadīm* de Meknès au XIIe siècle par l'auteur anonyme du *Kitāb al-istibṣār fī 'aǧā'ib al-amṣār*, éd. A. von Kremer, p. 76, trad. E. Fagnan, p. 137 : c'était l'un des neuf endroits de Meknès où l'on prononçait la *ḫuṭba* au moment où écrivait l'auteur, c'est-à-dire en 587 (1191).

(1) Tous ces personnages sont inconnus, mais parmi eux deux portent des patronymes que l'on retrouve souvent dans l'histoire de Meknès : Ibn Ḥarzūz et Ibn Zaġbūš. Voir l'opuscule intitulé *ar-Rauḍ al-hatūn* attribué à Ibn Ġāzī, éd. lith. de Fès, 1326, p. 13, trad. partielle de Houdas, *Monographie de Méquinez*, dans le *Journal Asiatique*, 1885, I, pp. 101-147. Cf. aussi mes *Historiens des Chorfa, Essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle*, Paris, 1922, p. 160, note 1 et p. 229 et note 2.

(2) Aujourd'hui al-Ḫumaisāt (orthographe officielle Khemisset), marché et chef-lieu de contrôle civil, dans la tribu des Zem-

ENTRÉE DE L'IMPECCABLE A MEKNÈS (1).

Sache que, lorsque sur l'ordre d'Allāh très-Haut, l'Impeccable eut quitté Fès, nous nous arrêtâmes en route à Maġīla (2), chez Yūsuf b. Muḥammad et 'Abd ar-Raḥmān b. Ǧa'far; de ce point, nous gagnâmes Meknès en une seule étape. Quand nous fûmes en vue d'al-Kudyat al-baiḍā' (3), l'Impeccable jeta les yeux sur ce mamelon et y vit, sous un amandier, un groupe nombreux de femmes et d'hommes. Avec notre aide, l'Imām les dispersa à droite et à gauche. Puis, il gagna le quartier de l'ancien marché (*as-sūḳ al-ḳadīm*) (4), où nous descendîmes dans la mosquée

(1) A part al-Baiḏaḳ, il n'y a qu'Ibn Ḫaldūn qui signale le passage d'Ibn Tūmart à Meknès. D'après cet historien, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 300; trad., II, p. 166-67, « il y déploya tant d'ardeur dans la répression des scandales et des abus, que les gens du peuple s'émeutèrent contre lui et lui donnèrent des coups de bâton ».

(2) C'était une forteresse à mi-distance de Fès à Meknès. Son nom est attesté par al-Idrīsī et al-Bakrī. Cf. aussi L. Massignon, *Le Maroc...*, p. 218.

(3) Il ne faut pas confondre cet endroit avec celui du même nom, situé sur la côte des Marnīsa, et dont il a été question plus haut, p. 39 et note 1.

(4) Sur cet endroit, le šarīf 'Abd al-Kabīr Ibn Zaidān al-'Alawī, le savant marocain le plus compétent sur l'histoire de la ville de Meknès, a bien voulu rédiger à mon intention une note dont voici la traduction : « *As-sūḳ al-ḳadīm*, qu'on appelait aussi *sūḳ ġubār* et *as-sūr al-ḳadīm* (le vieux rempart). Mais aujourd'hui on emploie de préférence la première de ces trois expressions, et il en fut de même jadis. Ce marché avait lieu tous les jeudis et était fréquenté par les gens des tribus voisines de Meknès. On ne sait exactement où il se tenait au moyen âge et Ibn Ġāzī, dans sa monographie de la ville, *ar-Rauḍ al-hatūn*, ne fournit pas d'indication précise à ce sujet. Il est possible que son emplacement corresponde au lieu dit aujourd'hui Ḏra' al-lauz, situé à l'extérieur de la porte dite Bāb al-Baraḏ'īyīn, à l'ouest de Burǧ al-'arīfa : cet endroit domine le faubourg de Taurā et celui des Banū Mūsā et on y trouve des ruines connues aujourd'hui sous le nom d'al-

ment de Fès, et al-Ǧaiyānī (1), prévôt de la population : auparavant celui-ci avait été le chef de la corporation des chaufourniers. Au moment dont nous parlons, il jouissait d'une haute situation et personne à l'époque des Ḥašam ne fut plus considéré : quand Allāh décrétait une chose, elle ne se faisait que par lui. Quand al-Ǧaiyānī partit pour al-Ḳaṣr, l'Impeccable quitta Fès, se dirigeant vers le pays du Sūs, et se mit en route un matin pour Meknès. C'est Allāh qui fait prendre des décisions judicieuses !

le sbire qui l'avait amené en prison. Voici ce qu'il avait écrit :

« Corrompez az-Zanatī le faḳīh en lui donnant un œuf ! Il témoignera que Muḍaffar a deux œufs ! [on saisit le jeu de mots à l'adresse de l'eunuque].

« Faites-lui cadeau d'une poule, et il vous jurera que 'Abd Allāh [c'est-à-dire al-Ǧaiyānī] n'a pas forniqué avec l'épouse d'Abu 'l-Ḥusain ! »

Ce Muḍaffar était probablement un Slave andalou (*ṣaḳlabī*) d'origine, passé au service des Almoravides. Alors qu'Īnālū avait le gouvernement de toute la province dépendant de Fès, il ne commandait sans doute qu'à la ville, avec l'aide d'al-Ǧaiyānī comme *mušrif*. Au moment du siège de Fès, par les Almohades, il n'en sera plus question, ainsi que d'Īnālū. Le représentant de la dynastie almoravide dans cette capitale ne sera plus alors qu'aṣ-Ṣaḥrāwī, que le *mušrif* trahira, le soir même de ses noces avec une femme almoravide.

(1) Ce personnage, qui s'appelait exactement Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. Ḫiyār al-Ǧaiyānī a fait l'objet d'une notice dans *al-Ḥullal as-siyarā* d'Ibn al-Abbār (reproduite in M. J. Müller, *Beiträge zur Geschichte der westlichen Araber*, München, 1866-78, pp. 315-318). J'ai cru utile d'en republier le texte (cf. appendice II, pp. ١٤٦-١٤٨ du texte arabe, 223-226 de la trad.). On verra plus loin l'intervention de ce personnage au siège de Fès par les Almohades, dont il devait être l'une des premières et principales recrues. Il semble, d'après le texte, que le Mahdī trouva auprès de lui bon accueil et qu'il fut pris sous sa protection, puisqu'il ne voulut pas rester à Fès après son départ.

ville des] Banū Tāwudā. Pendant que nous étions à Fès, il était parti chez les Ġumāra, qui essayaient d'échapper à son autorité, et il avait tué trois de leurs šaiḫs : Yagassās, Ḥaiyān et Suḥnūn. Puis il fit périr des gens des Luǧāya (1), apporta leurs têtes à Fès et les fit suspendre à la porte dite Bāb as-Silsila (2) ; et il revint avec le butin qu'il leur avait pris. Muḍaffar (3) était alors préposé au gouverne-

Léon l'Africain, p. 238 et G. Marçais, *Manuel d'art musulman*, Paris, 1926, t. I, p. 347.

(1) Aujourd'hui al-Ǧāya (par confusion inconsciente du *l* initial avec l'article), tribu du groupe des Ǧbāla, située sur la rive droite du Wādī Warġa. Cf. notamment A. Mouliéras, *le Maroc Inconnu*, t. II, *Exploration des Djebala*, Paris, 1899, p. 33 sqq. et mes *Textes arabes de l'Ouargha*, Paris, 1922.

(2) Cette porte était percée dans le rempart qui encerclait à Fès toute la « rive » d'al-Ḳarawīyīn. Elle porta primitivement le nom de Bāb al-Faraǧ et se trouvait sur le bord du Wādī Fās. Cf. L. Massignon, *Le Maroc...*, plan de Fès, face à p. 220 ; al-Ǧaznā'ī, *Zahrat al-ās*, éd. et trad. A. Bel, p. 55 et 123.

(3) L'existence de ce fonctionnaire almoravide n'est attestée par aucun des historiens proprement dits du Maroc à cette époque. Et c'est l'œuvre d'al-Baidaḳ qui en aurait révélé l'existence, si une mention ne s'en trouvait faite, à propos du poète satirique al-Yakkī (ou al-Bakkī, sur lequel voir *infra*, Appendice II, p. 228, n. 2) par al-Maḳḳarī dans son *Nafḥ aṭ-ṭīb*. Voici en effet la traduction du passage que l'on trouve in *Analectes*, t. II, p. 219 : « Lorsque Abū Yaḥyā al-Yakkī eut dépassé les bornes dans ses satires des gens de Fès, ceux-ci se liguèrent contre lui ; et ils furent secondés dans ce dessein par leur gouverneur Muḍaffar l'eunuque (*al-ḫaṣīy*), représentant dans leur ville l'autorité de l'émir des Musulmans 'Alī b. Yūsuf, et le ḳā'id 'Abd Allāh b. Ḥiyār al-Ǧaiyānī, qui était chargé à Fès de certaines affaires gouvernementales. Aussi mirent-ils en avant un personnage qui prétendit être le créancier d'al-Yakkī ; et deux šaiḫs de la ville, un faḳīh connu sous le nom d'az-Zanatī et un autre homme portant la *kunya* d'Abu 'l-Ḥusain témoignèrent contre lui en faveur du prétendu créancier. Dans ces conditions, ses torts furent établis et on le condamna à la prison. Il y fut donc dirigé et on l'y traîna brutalement. Arrivé à la porte, il demanda au secrétaire de la prison une feuille de papier, sur laquelle il traça quelques lignes, et il l'envoya à Muḍaffar par

allait. Quand nous fûmes à la rue de Bazḳāla, où se trouvaient des boutiques pleines de tambours de basque, de castagnettes, de flûtes, de luths, de rotes, de *rabābs*, de guitares et de toutes sortes d'instruments de musique, P. ٦٥ l'Imām nous dit : « Dispersez-vous * parmi les boutiques et brisez tous les instruments de musique que vous y trouverez ! » Les marchands, nous voyant faire, se mirent à pousser des cris et allèrent se plaindre à leur magistrat Ibn Ma'īša (1), qui était alors ḳāḍī de la ville. Celui-ci leur dit : « Si cet homme n'avait pas trouvé dans la Sunna [de quoi justifier son acte], il n'aurait point fait briser et mettre en pièces vos instruments de musique ! Allez-vous-en ; car vous êtes en désaccord avec le droit ! »

Īnālū était alors « sultan » du Ġarb (2) : il habitait [la

(1) On trouve une mention de ce magistrat, avec le nom de 'Abd al-Ḥaḳḳ Ibn Ma'īša, dans la *Zahrat al-ās* d'al-Ǧaznā'ī (éd. et trad. Alfred Bel, *Publ. de la Faculté des Lettres d'Alger*, t. LIX, Alger, 1923, texte, p. 32, trad., p. 78), comme ḳāḍī de Fès sous le règne du sultan almoravide 'Alī b. Yūsuf, d'après l'auteur du livre intitulé *al-Miḳbās*.

(2) On ne possède aucun renseignement sur cet Īnālū, « sultan » du Ġarb, c'est-à-dire vraisemblablement gouverneur du Nord du Maroc à autorité illimitée pour le compte du sultan almoravide 'Alī b. Yūsuf. On ne connaît les noms des gouverneurs almoravides de Fès sous le règne de ce souverain que jusqu'à l'année 502 h. : ce fut d'abord son frère Tamīm, puis le ḳā'id Abū 'Abd Allāh b. al-Ḥāǧǧ (cf. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 103). Mais ce sobriquet, sans doute berbère, le seul connu de la populace et relevé soigneusement par al-Baiḏaḳ, recouvre peut-être un nom connu. Il est en tout cas intéressant de voir que ce « sultan du Ġarb » avait sa résidence à Banū Tāwudā. J'ai signalé il y y a quelques années l'importance des ruines de cette ancienne ville, aujourd'hui appelée Fās al-Bālī, sur la rive gauche et au bord du Wādī Warġa (Ouergha), dans l'actuelle tribu des Fištāla : elle était défendue par la forteresse d'Āmargū, dont il subsiste encore d'importants vestiges. Cf. mon article sur les *Ruines almoravides du pays de l'Ouargha*, in *Bulletin Archéologique*, Paris, 1918, p. 194-200 et pl. XXIV. Cf. aussi L. Massignon, *Le Maroc d'après*

ar-Raḥmān Ibn aš-Šakka, Aḥmad Ibn Baiḍā, Ibn Aḥmad, 'Abd ar-Raḥmān aš-Šarīf, Ibn Massūla, Ibn Barḳūka, 'Abd ar-Raḥmān Ibn Zakkūr, Ibn al-Ġardīs, Yūsuf Ibn al-Maǧīlī, Aḥmad Ibn Ya'bed rāso : ceux-ci étaient les plus assidus auprès de l'Imām pour l'étude de la science religieuse ; ils l'entretenaient des textes qu'ils connaissaient par cœur. L'Imām les mettait à bout d'arguments et leur faisait comprendre [ce qui leur échappait].

Quand il sortait, il rencontrait des enfants qui, en le voyant, s'accrochaient à ses pas. Il passait sa main bénie sur leurs têtes et leur disait : « Allāh vous favorise ! A quelle époque n'allez-vous point parvenir, ô mes enfants ! »

Un jour, l'Imām vint nous trouver et nous dit : « Où sont les disciples? — Nous sommes présents ! — Personne ne manque parmi vous? — Nous sommes tous ici ! » Alors il ajouta : « Allez couper des baguettes à ceux des figuiers du bord de la rivière qui ne donnent pas de fruits et revenez vite ! » Nous étions sept, d'abord le [futur] Calife 'Abd al-Mu'min b. 'Alī, 'Abd al-Wāḥid, al-Ḥāǧǧ 'Abd ar-Raḥmān, al-Ḥāǧǧ Yūsuf ad-Dukkālī, l'esclave humble Abū Bakr b. 'Alī aṣ-Ṣanhāǧī surnommé al-Baidaḳ, 'Umar b. 'Alī et 'Abd al-Ḥaḳḳ b. 'Abd Allāh, qui tous étudiions auprès de l'Imām (1). Nous partîmes tous les sept et revînmes avec sept verges prises à des figuiers mâles. L'Imām nous dit de dissimuler ces baguettes sous nos vêtements et nous l'accompagnâmes sans savoir où il

(1) La caravane du Mahdī s'est accrue : en plus d'Ibn Tūmart, elle compte maintenant sept personnages ; aux trois voyageurs présents à Tunis : al-Baidaḳ, Yūsuf ad-Dukkālī et al-Ḥāǧǧ 'Abd ar-Raḥmān, et aux deux recrues de Mallāla : 'Abd al-Mu'min et 'Abd al-Wāḥid aš-Šarḳī, se sont joints deux nouveaux individus, 'Umar b. 'Alī (est-ce 'Umar Āṣnāg?) et 'Abd al-Ḥaḳḳ b. 'Abd Allāh. Quant à al-Bašīr, il n'en est pas question.

ENTRÉE ET SÉJOUR DE L'IMPECCABLE A FÈS (1).

Sache — Allāh te rende fortuné comme ceux qu'il rapproche de lui ! — que l'Impeccable, une fois arrivé à Fès, descendit à la mosquée dite Masǧid Ibn Ġannām (2). Puis nous la quittâmes pour le Masǧid Ibn al-Malǧūm, P. ١٤ puis ce dernier pour une mosquée connue sous le nom de * Ṭaryāna (3), car il s'y trouvait une chambre [vacante], dans le minaret. L'Imām s'y installa et se mit à y enseigner la science religieuse. De tous les points de la ville, les ṭālibs de Fès accoururent vers lui ; ils s'appelaient les uns les autres et disaient : « Allons chez le faḳīh sūsī ! » Parmi eux se trouvaient 'Alī Ibn al-Malǧūm et son frère Aḥmad (4), Ibn Abī Dāwūd, Aḥmad b. Dabbūs, 'Abd

(1) Le séjour d'Ibn Tūmart à Fès est à peine signalé par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 78. D'après 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 132, trad., p. 160, il en fut expulsé par le gouverneur à la suite d'une conférence contradictoire avec les docteurs de la ville. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 111, dit qu'Ibn Tūmart descendit à Fès à la mosquée de Ṭaryāna et qu'il y séjourna jusqu'en 514, se consacrant à l'étude.

(2) Cette mosquée, ainsi que la suivante, ne semble avoir laissé aucun souvenir à Fès. Toutes deux étaient sans doute, comme leurs noms l'indiquent, des oratoires familiaux.

(3) Ce nom s'est conservé pour désigner un quartier de Fès. Il est à rapprocher du nom du principal faubourg de Séville, et fut peut-être donné au quartier qu'il désigne aujourd'hui par une colonie sévillane.

(4) Il est intéressant d'avoir une liste de faḳīhs de Fès à l'époque almoravide. Leur notoriété ne devait pas être fort grande, puisqu'on n'en retrouve guère de mention dans les recueils biographiques consacrés depuis la fin du moyen âge aux célébrités de la capitale savante du Maroc. Il faut toutefois faire une exception en ce qui concerne la famille des Ibn Malǧūm dont la réputation était déjà établie à Fès et dans le Maġrib à la fin du XIe siècle, ainsi qu'en fait foi un passage du *Kitāb al-Istibṣār fī 'aǧā'ib al-amṣār*, texte, p. 72, trad., p. 128-129. On trouve des notices consacrées à des membres de cette famille dans les recueils biographiques andalous, ainsi dans la *Ṣilat aṣ-Ṣila* d'Ibn az-Zubair.

et tous les actes blâmables sont regardés comme des péchés, car ce sont des pratiques du paganisme. N'est-ce pas assez qu'hommes et femmes soient ensemble, sans rien qui les sépare? — C'est ainsi qu'il en va chez nous! » répliquèrent-ils. Nous leur ordonnâmes de faire ce qui est convenable, mais ils n'écoutèrent pas nos paroles; nous leur défendîmes ce qui est blâmable, mais ils ne s'en abstinrent pas. Nous avertîmes l'Imām et nous revînmes leur dire : « Le faḳīh vous ordonne de faire ce qui est convenable! » Ils nous répondirent : « La censure de nos mœurs est notre affaire, comme celle des vôtres est votre affaire! Allez-vous-en, sinon nous vous infligerons un châtiment exemplaire, vous et votre faḳīh! »

Nous vînmes rapporter leur réponse à l'Imām qui me dit : « O Abū Bakr, prépare la bête de somme et charge les livres. Quittons ces gens, de crainte que s'il ne leur arrive malheur, nous ne soyions frappés en même temps! » Nous nous remîmes en route et marchâmes cette nuit-là jusqu'à Maḫaḏ an-nisā'. Quand nous fûmes arrivés au col, l'Imām tourna la tête vers le [futur] Calife et lui dit : « Rappelle-toi cet endroit pour le jour où tu y reviendras! » Et il lui parla en secret. Nous restâmes à ce col jusqu'à l'aube et, après avoir fait la prière du matin, nous gagnâmes al-Maḳarmada (1), où l'Imām descendit chez 'Abd Allāh le faḳīh; puis, 'Ain ar-Ruḳā, chez Ibn Maḏgūd : les ṭālibs accouraient vers lui de tous côtés. Puis nous partîmes pour Fès, où nous arrivâmes sans dommage et sans inquiétude, avec la bénédiction d'Allāh.

(1) Ce point, situé aux deux tiers de l'ancienne route de Fès à Taza, correspondait à la Ḳal'at Ḳarmāṭa d'Ibn Hauḳal et d'al-Idrīsī. Cf. L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI^e siècle*, Alger, 1906, p. 217.

ô faḳīh, lui dit Yaḥyā, je ne connaissais pas cette affaire ! » et il ordonna au vizir de rembourser les sommes qu'il avait injustement prélevées sur la population ; il voulait même le mettre à mort : « Il ne mérite pas la mort, lui dit l'Imām, mais simplement une punition. » Le prince ordonna au vizir de restituer ce qu'il avait pris injustement, ce qu'il fit, et le héraut cria : « Par ordre de Yaḥyā b. Fānnū, que ceux qui ont été opprimés par le vizir se présentent : on leur rendra justice ! Allāh se chargera de châtier le responsable ! » Quand il fut arrivé à l'extrémité de la ville, le héraut cria : « Personne, au sujet de l'autruche, n'aura à payer quoi que ce soit, ni dans ce monde ni dans l'autre ! »

Ayant fait le réformateur parmi la population, l'Imām dit : « Préparez-vous à partir demain, s'il plaît à Allāh ! » Ses compagnons se mirent en route et pressèrent leur marche. Quand ils furent à proximité d'Āmlīl (1), l'Impeccable dit : « Quel est le nom de cet endroit? — Āmlīl, lui répondit-on. » Alors, désignant de la main 'Abd al-Mu'min, le [futur] Calife et Émir des Croyants, il lui dit : « Remarque bien ce lieu, car il t'y faudra camper, s'il plaît à Allāh ! »

Puis, nous atteignîmes le village dit Dašr Ḳallāl et descendîmes à la mosquée. L'Imām, entendant dans la localité de la musique et des cris d'hommes et de femmes, P. ٦٣ nous dit *, en désignant de la main al-Ḥāǧǧ ad-Dukkālī et votre esclave, le faḳīr pour Allāh et pour vous : « Allez mettre fin à ce spectacle honteux et ordonnez aux gens de pratiquer les règles de la vertu ! » Ayant rejoint le rassemblement, nous dîmes au groupe de gens : « La musique

(1) Correspond peut-être à l'actuel Wād Amlīl (Oued-Amelil), dans la tribu des Tsūl, ancien gîte d'étape de la route supérieure de Taza à Fès.

leur sexe et de ne montrer des ornements de leurs corps que ce qui apparaît à l'extérieur, etc., jusqu'à la fin du verset (1)?

L'Imām, après avoir exercé la censure des mœurs, se dirigea vers Āgarsīf, où se trouvaient alors 'Umar b. Tāgarṭāst et al-Ḥāğğ at-Takrūrī (2). Dans cette ville, l'Impeccable descendit chez Ḥallī Ibn Abī Tiğāra et son frère al-Ḥasan, et d'autres, tels que Muḥammad b. Tāskūrt, Daḥmān b. Manīna, 'Alī b. Muḥammad az-Zanātī et Yūsuf al-Mawāsī. L'Imām leur ordonna d'exercer la P. ١٢ censure des mœurs *. Un jour, il entendit dire qu'un homme venait d'être mis en croix encore vivant. Il rejoignit la foule, dispersa le rassemblement, en disant : « Pourquoi donc mettre en croix des vivants? On ne crucifie que des morts ! Si cet homme a mérité la mort, tuez-le, ensuite crucifiez-le ! »

Quand les gens de la basse classe virent que l'Imām Impeccable exerçait la censure des mœurs, ils vinrent le trouver et lui dirent : « O faḳīh, puissions-nous te servir de voile protecteur contre le feu de l'enfer ! — Qu'y a-t-il donc? — On a tué une autruche appartenant au vizir, et il nous a imposé le paiement d'une indemnité de mille miṯḳāls. — Soit ! » leur dit-il. Il alla trouver le prince Yaḥyā b. Fānnū (3) et le mit au courant : « Par Allāh,

(1) *Coran*, sūr. XXIV, vers. 31.

(2) C'étaient sans doute les représentants du gouvernement almoravide dans cette ville, alors assez importante et aujourd'hui déchue (Guercif).

(3) Ce personnage était sans doute le gouverneur-prince de la ville. Son fils Muḥammad b. Yaḥyā b. Fānnū était sous le règne de 'Abd al-Mu'min gouverneur de Tlemcen et fut tué à la tête d'une armée almoravide, composée de contingents Zanāta, sous le règne de Tāšfīn, au cours d'une rencontre avec les généraux almohades Yūsuf b. Wānūdīn et Ibn Yağmūr : cf. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 305, trad., II, p. 176.

tâmes. Dans cette ville, se trouvaient Ibn Sāmġīn et le ḳāḍī Muḥammad b. Fāra, chez lesquels nous descendîmes.
P. ٦١ Les faḳīhs s'empressèrent * de venir trouver l'Imām, entre autres Zaidān, Yaḥyā al-Yarnānī, Yūsuf b. Samġūn et 'Abd al-'Azīz b. Yaḫluftan as-Sūsī (1). L'Impeccable leur commandait d'exercer la censure des mœurs. Le second jour, étant sorti, son regard tomba sur les femmes qui puisaient de l'eau à la fontaine, tandis que les hommes faisaient leurs ablutions. « N'est-ce pas là un spectacle blâmable que ces femmes mêlées aux hommes? Construisez-nous une canalisation et un bassin auprès de la mosquée ! » On lui obéit et, quand ce travail fut exécuté, l'Impeccable nous donna l'ordre de partir. Nous pressâmes notre marche jusqu'à Ṣā' (2).

Arrivé dans cette ville, il vit des femmes parées et attifées, qui vendaient du lait : il les dépassa, se voilant le visage. Le faḳīh Yaḥyā b. Yaṣlītan se trouvait là. « Comment, lui dit l'Imām, laisses-tu les femmes circuler, attifées et parées comme si [elles étaient de jeunes épousées que] l'on vient de conduire à leurs maris? Ne craignez-vous donc pas Allāh, pour ne point faire cesser ces pratiques mauvaises? Les gens n'ont pas le droit de s'y livrer, car ils commettent ainsi des actes de l'antiquité païenne ! Dans leurs méfaits, ces gens sont en opposition avec Allāh ! Pourquoi ne tiennent-ils pas compte de la parole du très-Haut : *Et dis aux croyantes de baisser leurs yeux, de garder*

(1) Ce personnage devait commander plus tard un contingent d'Arabes de l'Est avec le titre de « sultan ». Cf. *infra*, p. 179.

(2) Sur cet endroit, cf. al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 88, trad., p. 204 ; aujourd'hui Taourirt, chef-lieu de contrôle civil. Le nom de Ṣā' ne s'est conservé que pour désigner la rivière qui passe par cette ville (Oued Za).

trouvaient Abu 'l-'Abbās aš-Šarīf, Muḥriz b. Yūsuf at-Tūnisī (1), Alī Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt, Ibn Ǧabal, 'Uṯmān Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt, Yaḥyā b. Yāfitīn al-Gazūlī, 'Abd ar-Raḥmān al-Wartandī, 'Alī b. Sulaimān al-Kūmī, 'Abd ar-Raḥīm et Muḥammad b. 'Abd ar-Raḥmān al-Madyūnī. Et ils virent le Maître faire preuve d'une science dont ils étaient incapables.

Un jour, l'Imām monta entre les « Deux-Rochers » (aṣ-Ṣaḥratān) (2), regarda à droite et à gauche et dit : « Comment s'appellent ces eaux, cette plaine et cet endroit? » On les lui nomma et il ajouta : « Ici même, parmi vous, se trouve un ṭālib qui campera là-bas, parmi ces eaux, avec son armée, et l'on entendra de l'endroit où nous sommes le bruit qu'elle fera ! » Puis il reprit le chemin de la ville et nous dit : « Nous partirons demain, s'il plaît à Allāh et avec la bénédiction du Prophète d'Allāh ! »

DÉPART DE L'IMPECCABLE DE TLEMCEN.

Sache qu'une fois sorti de Tlemcen, l'Imām pressa notre marche et nous gagnâmes Oujda, où nous nous arrê-

Berbères, texte, I, p. 300; trad., II, p. 166, dit qu'à Tlemcen Ibn Tūmart fut conduit devant le ḳāḍī de la ville, Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt, qui lui reprocha sa doctrine et lui adressa une réprimande ; l'autre n'en tint aucun compte et continua sa route.

(1) Peut-être ce personnage est-il le même que celui dont parle le *Kitab al-Tašauwuf ilā riǧāl at-taṣauwuf* (ms. de M. Michaux-Bellaire, p. 86) et qui était originaire de Sfax, en Tunisie. Avec ses deux frères Abu 'ṭ-Ṭaiyib et Muḥammad, il finit par s'installer à Āġmāt des Ūrīka, et tous trois se mirent à enseigner.

(2) Le même toponyme apparaît dans Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 247, 305; trad., II, p. 85, 177. Il s'agit des contreforts rocheux de la montagne qu'al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 77, trad., p. 179, appelle Ǧabal Tārnī (Tīrnī).

Ṣāḥib aṣ-ṣalāt (1). En pénétrant dans la ville, l'Imām rencontra une nouvelle mariée que l'on conduisait à la demeure de son époux : elle était montée sur une selle et précédée d'un cortège de musique et de choses blâmables. Il brisa les tambourins et les instruments de musique, mit fin à ce spectacle immoral et fit descendre la mariée de sa selle.

Les ṭālibs de la ville vinrent assidûment auprès de l'Imām Mahdī s'entretenir avec lui (2) : parmi eux se

(1) Ce personnage dont Ibn Ḫaldūn (voir note suivante) fait le ḳāḍī de Tlemcen à cette époque est difficilement identifiable, de même que le 'Alī et le 'Uṯmān nommés plus bas, encore que sa famille — ou une famille du même nom — ait acquis en Espagne une illustration suffisante pour que plusieurs personnages de ce nom aient fait l'objet de monographies de la part des biographes andalous. Mais il semble que ces différents Banū Ṣāḥib aṣ-ṣalāt n'aient eu entre eux aucun lien familial : l'un était de Palma, un autre de Séville, un troisième de Grenade. Il ne semble même pas qu'un rapport de parenté existe entre les Banū Ṣāḥib aṣ-ṣalāt de Tlemcen et le futur historien de la dynastie almohade, Abū Marwān ou Abū Muḥammad 'Abd al-Malik b. Muḥammad b. Aḥmad b. Muḥammad b. Ibrāhīm al-Bāǧī, connu sous le nom d'Ibn Ṣāḥib aṣ-ṣalāt, qui mourut en 1182. Son œuvre, qui est signalée comme source par la *Chronique anonyme*, texte, p. 4, trad., p. 8 et par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 117, portait le titre de المنّ بالامامة على المستضعفين بان جعلهم الله ايمّة وجعلهم الوارثين وظهور الامام المهدي بالموحّدين. Cf. Ibn al-Abbār, *Takmilat aṣ-Ṣila*, éd. Codera, n° 1726, p. 620 ; Ḥāǧǧī Ḫalīfa, *Kašf aḍ-ḍunūn*, Constantinople, 1310, I, p. 234 ; F. Pons Boigues, *Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles*, n° 199, p. 245-46.

(2) 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 132-33, trad., p. 159-60, donne un long récit d'allure légendaire sur le séjour d'Ibn Tūmart à Tlemcen. D'après lui, il s'installa à la mosquée d'al-'Ubbād et y mena une vie d'ascète, n'ouvrant la bouche qu'à ses cours. Il y aurait, d'après cet auteur, délivré sans aucune intervention l'un de ses disciples qui avait été emprisonné. Il ne quitta la ville « qu'après s'être concilié les principaux habitants et avoir conquis leurs cœurs ». — Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des*

et me dit de l'accompagner jusqu'au troupeau; il choisit un bélier couleur de miel, aux longues cornes. Le lendemain, notre hôte nous dit : « Au nom d'Allāh le Magnifique, choisissez votre bélier ! » Sur l'ordre de l'Imām, nous l'accompagnâmes au troupeau et prîmes un bélier aux yeux et aux pieds de derrière noirs. Je ramenai la bête qui fut égorgée. Le troisième jour, j'accompagnai de nouveau ʿAbd al-Mu'min et fis choix d'un bélier couleur de miel comme le premier. Ce jour-là, l'Imām Impeccable dit : « Avez-vous jamais vu quelqu'un de plus généreux que cet homme? O šaiḫ, quel est ton nom, et celui de ton père? » Il le lui apprit, et le Maître lui écrivit une lettre de sa main. Et il lui demanda un morceau de peau. L'hôte lui remit un morceau de peau d'un *mizwad* (1); l'Imām le prit, lui en fit un talisman et lui dit : « O šaiḫ, conserve-le chez toi, et quand tu mourras, qu'il passe à tes fils ! Car il te portera bonheur, ainsi qu'à ta postérité, jusqu'à ce qu'un souverain arrive ici avec une armée. Il faudra remettre alors au roi la lettre que je t'ai donnée, directement, de la main à la main et ne la donner à nul autre que lui ! » Notre hôte le lui promit. Puis, nous nous mîmes en route et gagnâmes rapidement Tlemcen, sans encombre.

P. ١٠ *ENTRÉE DE L'IMPECCABLE A TLEMCEN.

Apprends, ô mon frère, qu'une fois entrés à Tlemcen, nous descendîmes [au faubourg] d'Āgādīr (2), chez Ibn

t. I, p. 374-76 (p. 376, l. 8 : « C'est avec une visible complaisance que les voyageurs maghribins relatent les hécatombes de bétail dont leur arrivée a été l'occasion »).

(1) C'est-à-dire d'un sac à provisions fait de la peau d'un agneau ou d'un chevreau.

(2) C'est le faubourg à l'ouest de Tlemcen, où fut enterré le célèbre saint Abū Madyan Šuʿaib b. al-Ḥasan.

De là, nous gagnâmes al-Baṭḥā' (1). Arrivés en vue de cet endroit, un homme du nom de Yūsuf b. 'Abd al-'Azīz nous empêcha d'aller plus loin et nous dit : « Salut à vous, avec la miséricorde d'Allāh et ses bénédictions ! Je vous en prie, par Allāh le Magnifique, venez avec moi, car mon cœur se réjouit de vous ! — Accompagnez-le, nous dit l'Imām, ne contrariez pas son désir ! » Une fois que nous fûmes descendus chez lui, l'homme nous dit : « Je vous demande, par Allāh le Magnifique, de ne pas contrarier notre coutume, [qui veut que les hôtes choisissent eux-mêmes la nourriture qui leur sera servie]. Donnez-nous quelqu'un pour venir choisir dans le troupeau le mouton destiné à votre repas (2). » L'Imām désigna 'Abd al-Mu'min

(1) Point situé au nord de Relizane, près du confluent du Chélif et de la Mina. C'est là que 'Abd al-Mu'min fit bâtir une ville à son retour d'Ifrīḳīya, en 555 / 1160, au témoignage d'Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 130. Mais cet auteur, qui accueille tant de légendes souvent invraisemblables dans son récit de l'histoire des Almohades, lie la fondation de cette ville au martyre volontaire d'Ismā'īl al-Hazraǧī. Ce dernier, ayant eu vent d'un complot tramé contre le souverain, prit sa place dans sa tente et fut tué à sa place. En reconnaissance, 'Abd al-Mu'min aurait chargé lui-même le cadavre sur une chamelle, qui, sans être conduite, s'arrêta à un endroit où l'on enterra la victime ; une ville fut construite sur cet emplacement : ce fut al-Baṭḥā'. On retrouve d'analogues légendes au Maroc (cf. la tête du muǧāhid al-'Aiyāšī enterrée près du mausolée de Maulāi Abu 'š-šitā', in *Revue de l'Histoire des Religions*, 1917, p. 206-217). Voir également, à propos d'un saint tunisien, W. Marçais et 'Abderraḥmân Guigâ, *Textes Arabes de Takroûna*, t. I, p. 209, note 5 et 216-17, note 21. Mais on pourrait aussi bien penser, sans sortir des bornes de l'imagination, que ce fut en reconnaissance de l'accueil magnifique que Yūsuf b. 'Abd al-'Azīz réserva à la pauvre caravane et pour en perpétuer le souvenir, que 'Abd al-Mu'min dota de monuments la bourgade d'al-Baṭḥā', quand il fut parvenu au faîte de la fortune. Cf. également, E. Fagnan, trad. d'*al-Mu'ǧib*, p. 198, note 1.

(2) Sur l'hospitalité offerte au passant au Maǧrib, voir la note exhaustive de W. Marçais et 'A. Guigâ, *Textes Arabes de Takroûna*,

pied. Entendant ces paroles, 'Abd al-Mu'min demeura interdit; mais, l'Imām, tournant la tête vers lui, lui enjoignit de monter. Et il fut mis sur la bête par 'Abd al-Wāḥid. Celui-ci baissait la tête. L'Imām lui dit : « Console-toi, 'Abd al-Wāḥid ! Un jour viendra où il te récompensera de ce service : il te donnera alors des palais élevés, des captives bien parées et des chevaux de prix ! (1) » Nous avions passé la nuit à Mattīǧa chez Ǧubāra b. Muḥammad, à qui l'Imām donna un écrit de sa main, et chez le faḳīh Abū Zakarīyā. Puis nous partîmes de chez ce dernier, nous dirigeant vers al-Aḫmās. Quand nous arrivâmes à cet endroit, l'Imām y trouva une mosquée en ruines : il ordonna qu'on la restaurât, ce qui fut fait.

Puis, nous passâmes par Gassās an-ūmarmūr : l'Imām y trouva une mosquée désaffectée qui, sur son ordre, fut rendue au culte. De là, nous gagnâmes Milyāna (Miliana); puis Wānšarīš (l'Ouarsenis), où nous descendîmes à P. ٥٩ la maison de réunion (?) : * nous y trouvâmes 'Abd Allāh b. Muḥsin al-Wānšarīšī, surnommé al-Bašīr (2); puis, de là, nous nous dirigeâmes vers Tīnmalt des Banū Īznāsan habitée par des Banū Īznātan de Tūnas : l'Impeccable y ordonna la construction d'une mosquée. Puis, nous quittâmes cet endroit et allâmes passer la nuit au bord du [Wādī] Šalaf (Chélif), chez le faḳīh Abu 'r-Rabī', à qui l'Imām laissa un écrit de sa main ; nous fûmes reçus par les habitants de cette localité de la façon la plus généreuse.

(1) A rapprocher d'Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 162 ; trad., I, p. 253-54. Cf. aussi *Chronique almohade anonyme*, texte, p. 18 ; trad., p. 29 et note 3.

(2) L'auteur n'insiste pas sur les circonstances de la rencontre d'Ibn Tūmart et d'al-Bašīr. Elle est signalée par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 300 ; trad., II, p. 166 et *al-Ḥulal al-mauširiya*, p. 78, sans détails également.

DÉPART DE MALLĀLA ET VOYAGE DE L'IMPECCABLE VERS LE MAĠRIB.

Sache que l'Imām, quand il désira partir pour le Maġrib, appela Rāḥil, la mère de Yazrīğan b. 'Umar, surnommé 'Abd al-Wāḥid aš-Šarḳī et lui dit : « Rāḥil, veux-tu laisser P. ٥٨ ton fils 'Abd * al-Wāḥid venir avec nous? — Faḳīh, lui répondit-elle, il est avec toi ! S'il désire partir, qu'il parte ! » Son fils lui dit alors : « Mère, je les accompagnerai ! » et l'Imām ajouta : « A son gré ! » A quoi elle répondit : « Qu'il aille partout où tu l'emmèneras ! »

L'Imām lui dit ensuite : « Rāḥil, laisse-nous la bête de somme pour le transport de nos bagages ! » Elle nous donna une pouliche grise, au ventre blanc, et quand on l'amena, l'Impeccable me dit : « O Abū Bakr, prends-la ! » Je la pris, et c'est moi qui la pansais (1).

Nous partîmes et atteignîmes Mattīğa. Quand nous y fûmes descendus, 'Abd al-Mu'min b. 'Alī, le [futur] Émir des Croyants et Calife, me dit : « Connais-tu un remède contre les blessures occasionnées par la marche? — Non, Maître ! lui répondis-je. Par Allāh, je n'en connais point contre ce mal ! » Au matin, nous poursuivîmes notre chemin. Le Calife restait en arrière et l'Imām lui disait : « Marche, 'Abd al-Mu'min ! » Je finis par dire à l'Imām : « Il est blessé aux cuisses ! » Alors il dit à 'Abd al-Wāḥid de faire monter son « frère » ('Abd al-Mu'min) et d'aller lui-même à

(1) Le chroniqueur pousse à l'extrême le souci du détail. Le voilà devenu palefrenier, et il semble presque en tirer gloire. Rien de ces détails pittoresques chez tous les autres historiens. La générosité de Rāḥil montre que 'Abd al-Wāḥid aš-Šarḳī ne manquait pas d'une certaine aisance matérielle, mais que le goût de l'aventure l'emporta chez lui, puisqu'il chargea Ibn Tūmart de demander à sa mère de l'autoriser à suivre la caravane.

La science qu'il se proposait d'acquérir en Orient, répondit le Maître, voilà qu'elle est venue le trouver au Maġrib ! Remets-t'en donc à la volonté d'Allāh et de l'Imām ! »

'Abd al-Mu'min étudiait sous sa direction ; c'était le plus intelligent des ṭālibs. Quand il voulait dormir, l'Impeccable lui disait : « Comment pourrait-il dormir, celui que le monde attend? » Plusieurs mois se passèrent ainsi (1).

Un jour, arrivèrent deux hommes en route vers l'Orient : l'un se nommait 'Abd Allāh b. 'Abd al-'Azīz, l'autre 'Abd aṣ-Ṣamad b. 'Abd al-Ḥalīm. A une question de l'Imām, ils répondirent qu'ils venaient du Maġrib. Et ils restèrent, depuis le moment de leur arrivée, complètement interdits. Il leur dit : « Qu'avez-vous à ne point parler? — Nous ne comprenons pas l'arabe ! » lui répondirent-ils dans leur langue. Et ils ajoutèrent : « O fakīh, nous venons du pays de l'Atlas (Daran), de Tīnmallal ! » Il les interrogea sur cette déclaration [*ou* dans leur parler], invoqua Dieu en leur faveur, et ils partirent.

Quand le soir fut venu (2), le Maître nous dit : « Préparez-vous à partir vers le Maġrib, s'il plaît à Allāh ! Il n'y a de force et de puissance qu'en Allāh ! »

(1) 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 130, trad., p. 157 signale également que le séjour d'Ibn Tūmart à Mallāla dura plusieurs mois.

(2) On peut penser que c'est à la suite des renseignements que les deux voyageurs donnèrent en berbère à Ibn Tūmart sur la situation politique du Grand-Atlas marocain et le gouvernement almoravide, qu'il prit la décision de regagner sans retard son pays, jugeant sans doute le moment venu pour sa prédication. Mais l'auteur laisse volontiers planer ici un peu de mystère, de même d'ailleurs chaque fois qu'il rapporte un ordre de départ donné par Ibn Tūmart. Celui-ci en général, au cours de sa randonnée, ne quitte une ville que lorsqu'il ne s'y sent plus en sécurité ; et ses départs sont souvent plutôt des fuites.

qui devait être Calife après lui, et, tandis que je tenais la lampe, je l'entendis qui disait : « La mission sur quoi repose la vie de la religion ne triomphera que par 'Abd al-Mu'min b. 'Alī, le flambeau des Almohades ! (1) » Le futur calife, entendant ces paroles, se mit à pleurer et dit : « O faḳīh, je n'étais nullement qualifié pour ce rôle ; je ne suis qu'un homme qui recherche ce qui pourra le purifier de ses péchés !
— Ce qui te purifiera de tes péchés, répartit l'Impeccable, ce sera le rôle que tu joueras dans la réforme de ce bas-monde. » Et il lui remit le livre en lui disant : « Heureux les peuples dont tu seras le chef, et malheur à ceux qui s'opposeront à toi, du premier au dernier ! Répète fréquemment le nom d'Allāh : qu'Il te bénisse pendant ta vie, te dirige dans la bonne voie, te préserve de tout ce qui pourrait te causer crainte et appréhension ! »

Puis l'Impeccable me dit : « Abū Bakr, appelle les disciples pour le *wird* ! Qu'ils se lèvent et se mettent à réciter leur *ḥizb* ! » Quand ils furent arrivés, il les harangua en ces termes : « Certes, Allāh seul est dieu unique ! Le Prophète est vérité, le Mahdī est vérité et le Calife est vérité ! Lisez le *ḥadīṯ* d'Abū Dāwūd (2), vous saurez ce qui en est ! Vous devez à votre Seigneur obéissance et soumission ! Salut ! » * Ils se mirent à dire leur *wird* et à réciter leur *ḥizb*.

P. ٢٧

Au matin, Ya'lū, l'oncle du [futur] Calife, Émir des Croyants, arriva et dit à son neveu : « 'Abd al-Mu'min, vas-tu nous retarder, et laisser les bateaux partir? (3) —

(1) Ce titre est également appliqué à 'Abd al-Mu'min, *op. cit., loc. cit.*

(2) Il s'agit sans doute d'un ḥadīṯ des *Sunan* d'Abū Dāwūd.

(3) 'Abd al-Mu'min et son oncle avaient donc gagné Bougie pour y trouver place à bord d'un bateau en partance pour l'Orient, vraisemblablement Alexandrie.

de la mosquée. L'Impeccable leva la tête ; 'Abd al-Mu'min se trouvait debout devant lui ; il lui dit : « Entre, jeune homme ! » Celui-ci entra et se disposait à s'asseoir au milieu des gens, mais l'Imām Impeccable l'invita plusieurs fois à s'approcher ; de sorte qu'à la fin il se trouva près de lui. L'Imām lui dit : « Quel est ton nom, jeune homme? — 'Abd al-Mu'min. — Et ton père est bien 'Alī? — Oui ! » Les assistants furent pris d'étonnement. Il continua : « D'où viens-tu? — Du district de Tlemcen, de la région côtière du pays des Kūmya. — * De Tāǧrā (1), n'est-ce pas? dit l'Imām. — Oui ! » L'étonnement de l'assistance allait croissant. Il reprit : « Où vas-tu, jeune homme? — En Orient, Maître, pour y rechercher la science ! — Cette science que tu veux acquérir en Orient, tu viens de la trouver en Occident ! » (2)

P. ٥٦

Après la séance, les gens s'en allèrent ; le [futur] Calife voulut partir également ; mais l'Imām lui dit : « Tu vas passer la nuit chez nous, jeune homme ! » et il accepta l'invitation du faḳīh. Il passa donc la nuit chez nous. Quand le soir tomba, l'Imām prit par la main 'Abd al-Mu'min et ils s'en allèrent. Au milieu de la nuit, l'Impeccable m'appela : « Abū Bakr, donne-moi le livre qui se trouve dans l'étui rouge ! » Je le lui remis, et il ajouta : « Allume-nous une lampe ! » Il se mit à lire ce livre à celui

(1) D'après al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 80, trad., p. 186 et le *Kitāb al-istibṣār*, trad., p. 43, Tāǧrā ou Tāgrā était le nom de la montagne qui sépare Nédroma de Hunain.

(2) Cette réponse est rapportée dans les mêmes termes par l'auteur d'*al-Ḥulal al-maušīya, loc. cit.* Cf. aussi Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, t. II, p. 49-50 et le passage de la *Tuḥfat al-mulūk* traduit par E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, p. 182.

l'âge d'homme, ayant passé sa jeunesse à apprendre par cœur et à étudier le Coran. Il était doué d'une vive intelligence (1) : pendant le temps qu'il faut à un homme pour saisir une question, il en comprenait dix. Quand il entendit les paroles de son oncle, il lui dit : « Mon oncle, j'ai envie d'aller avec ces gens voir ce faḳīh du Sūs ! Je lui rapporterai ces songes et ce qui me concerne, et je l'interrogerai sur les principes et les obligations de la religion. J'entends, en effet, les gens s'entretenir de l'originalité de ses discours, de l'intégrité de sa foi, de l'étendue de sa science et de son intelligence du Livre et de la Sunna. — Va le voir, lui dit son oncle, mais fais vite, car nous devons poursuivre notre voyage ! »

RENCONTRE DU [FUTUR] CALIFE
ET DE L'IMÂM MAHDĪ (2).

Sache, ô mon frère, que 'Abd al-Mu'min partit en toute hâte vers l'Imām. Il se joignit en route à des ṭālibs, chemina en leur compagnie et finit par arriver à la porte

(1) L'intelligence de 'Abd al-Mu'min est attestée par tous les historiens. Sur le portrait moral du souverain, cf. notamment Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 133-34.

(2) Les circonstances dans lesquelles se produisit la rencontre d'Ibn Tūmart et de 'Abd al-Mu'min sont rapportées avec plus ou moins de détails par 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 129-130, trad. p. 156-157 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 161, 300, trad., I, p. 252-53 et II, p. 166 ; *al-Ḥulal al-maušiya*, p. 76 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 401 = *Annales*, p. 528 ; Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, II, p. 49-50. Mais le récit d'al-Baiḏaḳ est le plus complet. — 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *ibid.*, texte, p. 130-31, trad., p. 157-59, se fait l'écho d'une légende d'après laquelle la rencontre aurait eu lieu non pas à Mallāla, mais à Fanzāra, où 'Abd al-Mu'min était alors maître d'école. Rappelons enfin qu'Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 111, place la rencontre à Tāǧrā, la patrie même de 'Abd al-Mu'min.

encore dans son ventre, vinrent se poser sur toi. Puis la troupe d'abeilles te laissa et se dispersa de deux côtés, une partie vers l'Orient, l'autre vers l'Occident. 'Alī dit alors : « Allāh est le plus grand ! C'est bien ce qu'avait dit le faḳīh à Tlemcen ! » A notre retour du champ, il dit à ta mère : « Prends bien soin de cet enfant, car certainement ce qu'annonça le faḳīh interprète des songes à son sujet se réalisera ! » (1)

P. ٥٥ Ses parents restèrent dans cette attente * et il atteignit

(1) Tout ce récit, qui a tout l'aspect d'une légende, n'en est pas moins fort joli. On ne trouve rien d'analogue rapporté par les autres chroniqueurs occidentaux de la dynastie almohade. Mais il faut rapprocher tout cet épisode de celui que l'on trouve relaté au début de la *tarǧama* consacrée à 'Abd al-Mu'min par Ibn Ḫallikān dans ses *Wafayāt al-a'yān*, éd. du Caire, t. I, p. 390. En voici la traduction : « On raconte que 'Abd al-Mu'min, alors qu'il était enfant, dormait en face de son père, qui s'occupait à fabriquer ses poteries. Son père entendit en l'air des bourdonnements. Ayant levé la tête, il vit un nuage noir d'abeilles qui s'abattait entièrement sur la demeure. Toutes ces abeilles se posèrent ensemble sur 'Abd al-Mu'min : elles cachèrent complètement aux regards l'enfant, qui ne s'éveilla pas. A ce spectacle, sa mère cria de frayeur pour son fils. Mais le père de celui-ci la fit taire. « J'ai peur pour lui, s'é« cria-t-elle. — Non, il n'a pas de mal ! Et c'est pour moi un sujet « d'étonnement que la signification qu'il faut donner à cet événe« ment ! » Il lava ses mains [pour les nettoyer] de l'argile [dont elles étaient maculées], revêtit ses vêtements et se mit debout pour épier ce qui allait se passer. La troupe d'abeilles prit son vol, laissant l'enfant qui s'éveilla, sans le moindre mal. Sa mère examina son corps, mais n'y vit pas la moindre marque ; et il ne se plaignit de rien. Près de chez eux se trouvait un homme qui était connu pour sa science divinatoire. Le père de 'Abd al-Mu'min alla le trouver et le mit au courant. Le devin dit alors : « Il y a des « chances pour que cet enfant soit appelé à une haute situation et « qu'il ait sous son autorité toute la population du Maġrib ! » Et il eut en effet la destinée que l'on connaît. » — Comparer aussi le songe de 'Abd al-Mu'min à Fanzāra rapporté par 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 130, trad., p. 157-58 et l'explication de ce songe par un maître du futur calife, Abū Muḥammad 'Abd al-Mun'im Ibn 'Ašīr.

il n'a pas son pareil ! » ʿAbd al-Mu'min dit alors : « Mon oncle, allons auprès de lui, s'il plaît à Allāh ! »

La veille, à son arrivée à Bougie, une fois la nuit tombée, ʿAbd al-Mu'min avait récité son *ḥizb*, prié son *wird* (1), et s'était endormi. Il eut alors le même songe que les précédents, avec cette différence que les gens le saluaient. A son réveil, il en fit le récit à son oncle qui lui dit : « Tiens cela secret ! » Ta mère, en effet, quand elle était enceinte de toi, avait vu comme du feu qui sortait d'elle et qui embrasait l'orient, l'occident, le midi et le nord. Et celui qui interprète les songes, à Tlemcen, lui avait dit, quand elle était allée lui demander la signification de sa vision : « Cette femme aura certainement un enfant dont l'autorité s'étendra à l'est, à l'ouest, au sud et au nord ! » Mais tiens cette révélation secrète et n'en fais part à personne ! De même, ton père ʿAlī avait dit avoir vu à ton sujet un signe avertisseur. Nous étions en train de faire la moisson. Ta mère, alors enceinte de toi, arriva au champ et, s'étant allongée sur le sol, s'endormit : deux essaims d'abeilles vinrent se poser sur elle. Après ta naissance, ta mère retourna au champ et, pour glaner les épis, elle te déposa à terre, endormi. Des abeilles, plus nombreuses que celles qui s'étaient abattues sur ta mère au moment où tu étais

anonyme, texte, p. 10, trad., p. 17 et par Ibn Ḫaldūn, *ʿIbar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 161, trad., II, p. 252.

(1) On sait que le Coran est divisé en soixante parties, appelées *ḥizb* : on en récite une le matin, la suivante le soir, de façon que le texte du Livre soit achevé au bout d'un mois. Quant à l'ensemble des litanies appelé *wird*, il comporte à l'heure actuelle au Maroc la récitation de cent fois la formule استغفر الله العظيم, de cent fois l'une des *taṣliya* et de cent fois la formule لا اله الا الله. Cf. D. B. Macdonald, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. II, p. 343, sub *ḥizb*.

Bougie, accompagné de son oncle paternel Ya'lū. Pendant leur voyage, tous deux passèrent [dans la région de] Mattīǧa (1), où ils descendirent chez le fakīh Abū Zakariyā et son frère Ṣanaǵ. Ils séjournèrent dans ce pays quelques jours, au bout desquels Allāh très-Haut envoya au [futur] calife un songe : il vit sur ses genoux un plat de nourriture, dont tous les gens mangeaient. Au matin, 'Abd al-Mu'min raconta sa vision à son oncle qui lui dit de la tenir secrète. Puis ils se mirent en route et arrivèrent dans le pays des

P. 62 Banū Zaldawī (2). 'Abd al-Mu'min eut * un songe identique, sauf que le plat dont tous mangeaient était sur sa tête. Il avertit encore son oncle de sa vision ; au matin, tous deux se mirent en route. Ils marchèrent rapidement jusqu'à Bougie, où ils descendirent à la Mosquée du Myrte (3).

Après avoir fait la prière du *ṣubḥ*, ils entendirent les gens qui disaient : « Partons tous chez le fakīh ! — Quel est ce fakīh? interrogea 'Abd al-Mu'min. — On l'appelle le Sūsī (4), c'est le savant de l'Orient et de l'Occident et

qui l'accompagna, nous était inconnu, ainsi que le récit des différentes étapes du voyage depuis Tāǧrā et celui du songe renouvelé de 'Abd al-Mu'min.

(1) La Mitidja d'aujourd'hui, ou plaine d'Alger. Le nom est déjà attesté par al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, texte, p. 65, trad., p. 156, 178. Cf. aussi *Kitāb al-Istibṣār*, texte, p. 22-23, trad., p. 38-39. Cette plaine était déjà au moyen âge pleine de cultures et de bourgades.

(2) On désignait au moyen âge sous le nom de Ǧabal Banī Zaldawī (Zandawī, *apud* al-Idrīsī, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, texte, p. 97, trad., p. 114) toute la région montagneuse dite aujourd'hui Petite-Kabylie, entre Constantine, Mila, et la côte méditerranéenne de Collo à Bougie : cf. principalement le *Kitāb al-Istibṣār*, texte, p. 18 et 54, trad., p. 31 et 97. On l'appelait parfois aussi Ǧabal al-'unṣul (Montagne des scilles).

(3) Cf. *supra*, p. 78, *in fine*.

(4) C'est ainsi que le Mahdī était surnommé hors de son pays. On retrouve la même expression employée dans la *Chronique*

ṭālibs étudiaient la science religieuse auprès de lui. Quand la séance était terminée, il venait s'asseoir à la croisée des chemins, sous le « Caroubier de la Vieille », les yeux fixés sur les chemins et remuait les lèvres en récitant le nom d'Allāh. (Cet endroit est toujours connu sous le nom de « Caroubier de la Vieille ».) Un jour qu'il y était assis comme de coutume, nous l'entendîmes qui disait : « Allāh soit loué, qui accomplit sa promesse, accorde son assistance à son esclave et assure le succès de son entreprise ! » Et il se dirigea vers la mosquée, où il fit une prière de deux *rak'a*. Puis il dit : « Allāh soit loué en toute circonstance ! Voici qu'est venu le temps de la victoire ! *Et il n'est point de victoire sans l'assistance d'Allāh le Puissant, le Sage !* (1). Demain viendra près de vous un homme en quête de science : bonheur à qui le reconnaîtra, malheur à qui le désavouera ! » Cette dernière phrase impressionna vivement l'assistance.

En effet, le Dieu véritable, au nom béni et exalté, avait poussé [celui qui devait être] l'Émir des Croyants, le Calife 'Abd al-Mu'min b. 'Alī, à quitter sa résidence pour se rendre en Orient (2). Il se dirigea rapidement vers

et l'Algérien), soit al-Ḥaḍrī (berbérisé en *āḥaḍrī*), le citadin. Ce personnage lettré et élevé à la ville dut en effet faire impression sur les montagnards de l'Atlas qui lui donnèrent ce surnom. Mais son prénom de Yazriğan peut laisser croire qu'il ne se trouva pas trop dépaysé parmi eux. — 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 130, trad., p. 175, signale aussi la rencontre d'Ibn Tūmart et d'aš-Šarkī à Mallāla.

(1) *Coran*, sūr. III, vers. 122.

(2) Le voyage de 'Abd al-Mu'min vers l'Orient, interrompu par sa rencontre avec Ibn Tūmart, était déjà signalé par la plupart des historiens des Almohades : ainsi, 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 129, trad. p. 156 ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar*, *Histoire des Berbères*, texte, I, p. 300, trad., II, p. 166. Mais son oncle Ya'lū,

« O faḳīh, n'ordonne pas à la foule de faire les choses reconnues bonnes, alors qu'elle les ignore : je crains en effet qu'ils ne retournent tes ordres contre toi et te fassent un mauvais parti ; alors tu causerais leur perte ! Un homme de condition libre et généreux ne saurait être mis sur le même pied qu'un Satan lapidé ! »

L'Imām se rendit alors à Mallāla (1). Quand ils l'y virent, les fils d'al-ʿAzīz lui dirent : « O faḳīh, nous désirons édifier ici un oratoire (2) à ton intention ! — Si vous voulez, » leur répondit-il. Ils lui bâtirent donc une mosquée à Mallāla et les étudiants affluèrent vers lui de * partout. P. ٤٢

Un jour, il entra à Bougie. Arrivé à Bāb al-baḥr (la Porte de la Mer), il répandit à terre le vin qu'on y vendait, disant : « Le croyant mange des dattes et l'infidèle boit du vin. » Les esclaves de Sabʿ le frappèrent et lui dirent : « Qui t'a ordonné de faire la police des mœurs? (3) » Il répliqua : « Allāh et son Prophète ! » Puis il s'en retourna à sa mosquée.

Cette mosquée est bâtie proche de la maison de Yarziǧan b. ʿUmar, qui porta la *kunya* d'Abū Muḥammad quand l'Impeccable le nomma ʿAbd al-Wāḥid (4). Les

(1) Petite ville située dans la banlieue de Bougie, au sud-ouest de cette ville.

(2) C'est-à-dire sans doute ce qu'on appelle aujourd'hui une *zāwiya*.

(3) En arabe *ḥisba*. Sur les différents sens de ce mot en droit administratif musulman, cf. E. de Zambaur, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. II, p. 387, s. v.

(4) L'auteur donne ici le véritable nom de ce personnage, qui devait par la suite (cf. *supra*, p. 43) faire partie du *ahl ad-dār* du Mahdī et jouer un rôle assez important au début de l'empire almohade. Les historiens le surnomment soit aš-Šarḳī, c'est-à-dire l'homme originaire du Maǧrib oriental (on sait qu'encore aujourd'hui les expressions *aš-šarḳ* et *aš-šarḳī*, comme *al-wasṭ* et *al-wasṭī* désignent dans les dialectes arabes du Maroc l'Algérie

habitants de porter des sandales aux lanières dorées, les turbans de l'époque du paganisme ; il défendit aux hommes de revêtir les tuniques dites *fatūḥīyāt* (1) et leur dit : « Ne vous parez pas à la manière des femmes, car c'est un acte illicite (2) ! » Aux hommes et aux femmes, il permit l'emploi des parfums (3).

Les faḳīhs, entre autres Muḥriz, Ibrāhīm az-Zadbūwī, Ibrāhīm b. Muḥammad al-Mīlī, Yūsuf Ibn al-Ğazīrī al-Ğarāwī, le ḳāḍī 'Abd ar-Raḥmān b. al-Ḥāğğ aṣ-Ṣanhāğī (4) fréquentèrent l'Imām durant son séjour, qui eut lieu au mois de ramaḍān l'honorable. Le jour de la rupture du jeûne, hommes et femmes se mêlèrent à l'esplanade (*šarī'a*) (5). Témoin de ce spectacle, l'Imām vint se placer au milieu d'eux, donna des coups de bâton à droite et à gauche et les dispersa. Un fils d'al-'Azīz (6), le voyant faire, lui dit :

II, p. 56 et 165-166, dit au contraire qu'Ibn Tūmart provoqua une émeute et prit la fuite par crainte d'al-'Azīz. Le séjour du futur Mahdī à Bougie daterait, d'après lui, de 512/1118-19. Cf. aussi Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 401 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 528. Ici, ce sont les fils d'al-'Azīz eux-mêmes qui prennent le soin de l'avertir du danger qu'il court et l'engagent à rejoindre Mallāla. Ibn Ḫaldūn dit qu'en ce dernier lieu, les Banū Ūriāgul le prirent sous leur protection.

(1) Voir au glossaire *sub* فتح.

(2) Allusion au ḥadīṯ : لعن الله المتشبّهات من النساء بالرجال والمتشبّهين من الرجال بالنساء « Allāh maudisse les femmes qui cherchent à ressembler aux hommes et les hommes qui cherchent à ressembler aux femmes ! » Cf. as-Suyūṭī, *al-Ğāmi' aṣ-ṣaġīr*, t. II, p. 105.

(3) Comme l'avait fait avant lui le Prophète Muḥammad.

(4) Aucun de ces personnages ne semble connu et ne peut avoir sa biographie dans le *'Unwān ad-dirāya* d'al-Ġubrīnī, qui n'étudie que les savants de Bougie au VIIe siècle de l'h.

(5) Sur ce mot, voir au glossaire *sub* شرع.

(6) Sur le souverain ḥammādide al-'Azīz, cf. notamment G. Yver, in *Encyclopédie de l'Islām*, II, p. 268 et les références citées.

vous avez abandonné l'observation de la loi religieuse! La peine qu'il fallait lui appliquer, c'est la main coupée! (1) — O faḳīh, lui répondit-on, que devons-nous lui faire? — La peine du fouet lui tiendra place de l'amputation de la main, à cause de votre ignorance de la Loi, car il n'est pas permis d'infliger deux peines pour un seul crime! » Puis il dit au voleur : « Repens-toi! — O faḳīh, répondit l'autre, j'offre à Allāh très-Haut mon repentir d'un cœur sincère! » Et, par le moyen de l'Imām, qui lui enseigna et lui expliqua les conditions requises pour la pénitence, le voleur revint à Allāh.

P. ٤٣ Puis, l'Imām Impeccable nous dit * de nous préparer à partir le lendemain. Nous quittâmes Constantine au lever du jour et nous gagnâmes d'une marche rapide Bougie; c'est d'Allāh que provient l'assistance.

ENTRÉE DE NOTRE MAITRE L'IMPECCABLE A BOUGIE (2).

A son entrée à Bougie, le Maître s'installa à la « Mosquée du Myrte » (*Masǧid ar-raiḥana*). Il se mit à interdire aux

(1) Sur le châtiment du voleur d'après le *fiḳh*, cf. Heffening, in *Encyclopédie de l'Islām*, livraison D, p. 179, sub *sāriḳ*.

(2) Ce séjour d'un mois à Bougie, interrompu par la conduite d'Ibn Tūmart à l'occasion de la fête de la rupture du jeûne, est relaté de diverses manières par les autres historiens. C'est la *Chronique anonyme*, p. 9-10 du texte et 16-18 de la trad., qui fournit le récit le plus détaillé. Le Mahdī rencontre dans la ville « des jeunes gens accoutrés comme des femmes » et la foule mêlée, sans distinction de sexe; outré, il provoque une bagarre. Le prince ḥammādide de Bougie, al-'Azīz, convoque des ṭālibs pour discuter avec lui et il n'accepte de venir et de prendre part à la controverse que sur l'invitation pressante du secrétaire 'Umar b. Falfūl. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 129, trad., p. 156, dit simplement que la foule accueillit avec faveur ses remontrances, mais qu'il fut expulsé par le prince. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 230 et 299-300, trad.,

auteur de ces lignes, Abū Bakr b. 'Alī aṣ-Ṣanhāǧī, surnommé al-Baidaḳ. Nous fîmes route sans perdre de temps et finîmes par atteindre Constantine, sous la protection d'Allāh et sans nul accident.

ENTRÉE DE NOTRE MAITRE L'IMPECCABLE A CONSTANTINE.

Quand notre Maître l'Impeccable fut entré à Constantine, il descendit chez le faḳīh 'Abd ar-Raḥmān al-Mīlī, Yaḥyā b. al-Ḳāsim et 'Abd al-'Azīz b. Muḥammad. L'émir de la ville était Sab', le fils d'al-'Azīz (1), et le ḳāḍī, Ḳāsim b. 'Abd ar-Raḥmān. Les ṭālibs qui s'y trouvaient venaient auprès de l'Imām Impeccable pour étudier. Un jour, il entendit la voix d'un héraut qui criait : « Voilà quel est le châtiment du bandit ! — Qu'est cet appel? dit le Maître. — Ce bandit, lui répondit-on, s'emparait des biens des gens et pénétrait chez eux pour les assassiner. — Ce n'est pas le fouet, mais la mort qu'il mérite ! s'écria le Mahdī. Mais il sera suffisamment châtié par les coups qu'il reçoit ! » A ce moment, il entendit un autre héraut qui criait : « Voilà le châtiment réservé aux voleurs ! — O gens, dit-il alors,

façon plus générale, et de n'y voir qu'une marque de modestie de l'auteur à l'adresse du lecteur.

(1) Le manuscrit porte ابن سبع. Il s'agit du prince ḥammādide Sab', fils du roi al-'Azīz (mort en 515/1121-22) et frère du sultan Yaḥyā. Ce prince fut, d'abord pour le compte de son père, puis pour celui de son frère, gouverneur de la ville et de la province de Constantine. Plus tard, en 546/1151, quand le sultan almohade 'Abd al-Mu'min marcha sur Bougie, Sab' fut chargé par son frère Yaḥyā du commandement d'une armée destinée à essayer de tenir tête au conquérant ; il dut probablement être, comme son frère, exilé à cette époque au Maroc par le souverain almohade. Cf. notamment Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 209, 231, trad., II, p. 28, 58.

Dès lors, déclara-t-il, vous témoignez qu'il était un croyant ! (1) » Puis, ayant prescrit qu'on disposât les rangées de fidèles (2), il pria sur ce cadavre : nous étions derrière lui. Après quoi, il appela les faḳīhs auprès de lui, les blâma, leur fit connaître les préceptes de la Sunna et leur expliqua le Livre Illustre. Quand ils eurent reconnu la vérité, ils lui dirent : « Nous étions dans l'ignorance, ô faḳīh. » Et ils étudièrent sous lui la science pendant de nombreux jours.

Un jour, l'Imām nous invita à nous préparer au départ et nous dit : « Nous nous dirigerons vers le Maġrib, s'il plaît à Allāh ! » Nous sortîmes de Tunis ; nous étions P. 01 quatre * en tout, comme au moment de notre arrivée dans cette ville : notre Maître l'Impeccable, Yūsuf ad-Dukkālī, al-Ḥāǧǧ 'Abd ar-Raḥmān (3) et votre esclave (4) le faḳīr

(1) C'était donc un pseudo-musulman, et comme tel avait droit à des prières sur son cadavre. La prière des morts peut avoir lieu à la mosquée ou au cimetière. Si le moment de l'inhumation doit coïncider avec celui d'une prière régulière, on fait passer le convoi par la mosquée. Le cadavre est placé dans une salle, dite *ǧāmi' al-ǧanā'iz*, contiguë à la salle de prière et située derrière le miḥrāb. A la fin de la prière, l'imām pénètre dans le *ǧāmi' al-ǧanā'iz*, se met face à la *ḳibla* et prononce quatre fois la formule : *Allāh akbar !...* Puis avec l'assistance, il élève un *du'ā* et l'on emporte le mort. La prière mortuaire n'est pas alors redite au cimetière. On trouve dans tous les livres de *fiḳh* un rituel des cérémonies religieuses précédant l'inhumation.

(2) Dans les mosquées, l'imām ou un fidèle préposé à ce soin demande par intervalles aux assistants de se placer par rangées égales.

(3) Ces deux personnages, si tant est qu'ils aient accompagné le Mahdī jusque dans l'Atlas, ne semblent avoir joué aucun rôle dans l'organisation du parti. C'étaient sans doute deux pèlerins maġribins qui accompagnaient Ibn Tūmart sur la route de leur pays.

(4) Ce titre que se donne ici al-Baidaḳ pourrait être considéré comme une preuve que son livre fut offert à un personnage puissant. Mais il paraît plus simple de considérer cette épithète d'une

TROISIÈME PARTIE

L'*HISTOIRE DES ALMOHADES* D'ABŪ BAKR B. 'ALĪ AṢ-ṢANHĀĞĪ, SURNOMMÉ AL-BAIḎAḲ.

[SÉJOUR DU MAHDĪ A TUNIS.]

P. ٥٠ ...* Les ṭālibs de la ville de Tunis (1) se rendaient auprès de l'Imām Mahdī pour apprendre de lui la science (2). Un vendredi — quinze jours s'étaient écoulés depuis son arrivée — il fit à la mosquée la prière du *ḍuhr*. Quand la prière obligatoire fut dite, on en fit une autre sur les morts. L'Imām, voyant une dépouille mortelle restée derrière les assistants, dit à ces derniers : « Pourquoi ne priez-vous pas sur ce cadavre? — C'est celui d'un juif, mais qui priait comme un musulman, lui répondit-on. — Est-il parmi vous quelqu'un pour attester qu'il accomplissait la prière canonique? — Oui, lui fut-il répondu de tous côtés. —

(1) Cette halte assez longue à Tunis — elle ne fut pas inférieure à quinze jours, si l'on en croit al-Baiḏaḳ — n'est rappelée par aucun historien ou biographe du Mahdī. Par contre, le récit de son séjour à al-Mahdīya, qui manque ici, est rapporté par la *Chronique anonyme almohade*, p. 9 du texte et 16 de la trad. ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 77 ; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, p. 2 du texte et 3 de la trad. ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, X, p. 401 = *Annales du Maghrib et de l'Espagne*, p. 528. Ibn Tūmart causa des désordres dans cette ville et ne dut son salut qu'à l'intervention du jurisconsulte al-Māzarī. D'al-Mahdīya, il gagna Monastir puis probablement Tunis. 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī ne parle pas du tout du séjour du Mahdī en Ifrīḳīya à son retour d'Orient, et, d'après Ibn Ḫaldūn, il aurait de Tripoli gagné directement Bougie.

(2) Le '*ilm*, c'est-à-dire la science religieuse.

ment loué! Et qu'Il bénisse notre Seigneur et Maître Muḥammad, sa famille et ses compagnons pieux, emblêmes de la droiture et de la piété, * et qu'Il les sauve!

P. ٤٩

Cela fut terminé le mercredi 3 du mois de rabī' II de l'année 714/17 juillet 1314, par l'esclave de son Dieu, coupable, fautif et pêcheur Ibrāhīm b. Mūsā b. Muḥammad al-Harġī.

Je t'implore par Allāh le Grand et au nom du Prophète sûr par lequel Adam — sur lui soit le salut — s'est recommandé à son Dieu, qui a répondu à son invocation, a accepté sa supplique et pardonné à ses fautes, d'invoquer Allāh en faveur de celui qui a écrit ces lignes pour la rémission de ses fautes et de ses péchés et afin qu'Il le réunisse au Prophète Élu, Muḥammad — sur lui soit le salut! — : [Mètre *sarī'*]

« Il n'est point d'écrivain qui ne doive un jour disparaître : mais le temps fera durer ce que ses mains auront écrit!

« Ne trace de ta main que des écrits que tu puisses être joyeux de voir au moment de la Résurrection!

« Si c'est du bien que tu as fait, sois-en reconnaissant à Allāh! Si c'est du mal, dis : « C'est mon Maître qui l'a décrété! »

tretien et toute leur nourriture étaient fournis par lui; de même, leurs chevaux et leur équipement. Quand il eut réalisé son projet à leur sujet, il les utilisa pour remplacer les šaiḫs des Maṣmūda au gouvernement des préfectures et aux commandements. Il dit à ces šaiḫs : « Les savants sont plus qualifiés que vous pour ces commandements : cédez-les leur! » Il laissa cependant les šaiḫs à leurs côtés, à titre de conseillers. » Cf. aussi al-Bādisī, *Kitāb al-Maḳṣad*, trad. G.-S. Colin, Paris, 1926, p. 183, n. 151.

treize tribus et ont un ordre de succession. On compte parmi eux les ḥāfiḍs des « gens de la maison », en tête desquels viennent les Harġa, qui se divisent en trois groupes : Augdān, Ait Waġfgammī (c'est-à-dire les gens attachés au vestibule du palais), « combattants de guerre sainte » (*ġuzāt*) ; puis ceux de la tribu de Tīnmallal; ceux des Hintāta ; ceux des Gadmīwa ; ceux des Ganfīsa ; ceux des « Tribus » (*al-Ḳabā'il*); ceux des Haskūra du midi ; ceux des Ṣanhāğa du midi ; ceux des Ṣanhāğa de l'ombre. Il n'y a parmi eux ni Kūmya, ni Haskūra de l'ombre.

Les gens du ḥizb. — Ils sont au nombre de cinquante. Leur ordre de succession est comme il a été dit plus haut.

Les tireurs (*rumāt*) sont pris parmi toutes ces tribus almohades mentionnées plus haut.



Fin de ce qui a été emprunté au Livre des Généalogies (*Kitāb al-ansāb*). Allāh, Maître des Mondes, soit grande-

Mu'min éleva les ḥāfiḍs dans l'étude par cœur du *Kitāb al-Muwaṭṭa'*, c'est-à-dire du Livre [du Mahdī] dit *A'azzu mā yuṭlab* [cf. le *Livre d'Ibn Toumert*, éd. Luciani, p. 1 sqq.] et d'autres ouvrages du Mahdī. Après chaque prière du vendredi, il les faisait pénétrer dans le palais : les ḥāfiḍs s'y trouvaient rassemblés ; leur nombre était d'environ trois mille; tous de même âge et provenant des Maṣmūda et d'autres groupements. Il chercha à leur donner rapidement l'instruction et l'éducation qu'il désirait : un jour, il les faisait travailler à des exercices d'équitation, un autre, à tirer à l'arc, un autre à nager dans le bassin qu'il avait fait construire à l'extérieur de son verger, et qui formait un carré d'environ trois cents brasses de côté ; un autre jour, il les faisait s'entraîner à ramer (?) sur des barques et des canots qu'il leur avait fait construire dans ce bassin [je pense qu'il faut ainsi rétablir ce passage : ويوما يأخذهم بان يقذفوا على قوارب وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة]. Ils reçurent cette éducation, quelquefois récompensés par des cadeaux, quelquefois punis par des châtiments corporels. Leurs frais d'en-

musammi' (1) dans les oratoires de quartier de la ville, P. ٤٨ * séjournent en toutes circonstances à Marrakech.

Glose : L'Émir des Croyants Abū 'Abd Allāh (2) — Allāh lui témoigne son agrément ! — dispensa du port des armes les muezzins qui se déplaçaient avec lui, ainsi que les autres muezzins, leur prescrivit de vendre celles qu'ils détenaient et de s'approprier le prix de la vente. Il donna l'ordre qu'on leur fournît des instruments spéciaux destinés à déterminer les heures de la prière canonique.

Il dispensa de même du port des armes les ṭālibs des Almohades — Allāh les illustre ! — ; il leur donna, au titre du Maḫzan, des gratifications prélevées sur les dîmes, sans compter une distribution annuelle de dons importants et de vêtements, où qu'ils fussent. C'était là sa manière habituelle de les traiter, à l'exclusion des autres ṭālibs des Maṣmūda. Cela fut bien connu chez les émirs almohades — Allāh les illustre !

Les combattants (de guerre sainte) — Allāh les assiste ! — ont aussi un ordre de succession quand on les convoque. Ils appartiennent à onze tribus, à savoir : Harġa, Kūmya, gens de Tīnmallal, Hintāta, Gadmīwa, Ganfīsa, « Tribus » (al-Ḳabā'il), Haskūra du midi, Ṣanhāǧa du midi, Haskūra de l'ombre, Ṣanhāǧa de l'ombre.

Les ḥāfiḍs (3) — Allāh les assiste ! — proviennent de

(1) C'est-à-dire ceux qui enseignent et expliquent les traditions relatives au Prophète.

(2) C'est-à-dire le Calife almohade Abū 'Abd Allāh Muḥammad b. Ya'ḳūb al-Manṣūr, surnommé an-Nāṣir li-dīni 'llāh, qui régna de 595 (1198-99) à 610 (1213-14).

(3) Sur les ḥāfiḍs, il faut comparer le très intéressant passage d'*al-Ḥulal al-mauŝīya*, éd. de Tunis, p. 114, malheureusement fort altéré en plusieurs endroits. En voici la traduction : « 'Abd al-

l'ombre et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs). Et parmi ces muḥtasibs pris dans toutes ces tribus — Allāh les illustre ! — sont les « tireurs ».

Ceux qui dans la hiérarchie suivent les muḥtasibs sont *ceux qui frappent la monnaie* — Allāh les assiste ! — Ils appartiennent aux tribus almohades : l'un d'eux était de celle de Tīnmallal ; deux autres, l'un des Hintāta, l'autre des Ganfīsa, moururent sans postérité.

Après ces batteurs de monnaie des tribus viennent les *gens du « ǧund »* (armée régulière) fournis par les habitants d'Āġmāt et d'autres citadins.

De même, après les batteurs de monnaie, viennent les *muezzins* — Allāh les assiste ! — Ils proviennent de sept tribus : Harġa, Kūmya, gens de Tīnmallal, Hintāta, Gadmīwa, Ganfīsa, les « Tribus » (*al-Ḳabā'il*). Après ces muezzins des tribus, sont ceux des villes, et leur ordre pour la revue est différent : ils ne sont que dans les châteaux-forts et les localités. Il y a d'abord ceux d'ar-Riyāḍ, auxquels se rattachent ceux du Burǧ Dār al-Karāma, ceux du Burǧ Ahl ad-dār, ceux du Burǧ aṭ-Ṭabbāla (1) (qui est la grande porte centrale [du palais]). Ces quatre groupes de muezzins sont ceux qui voyagent avec le Calife. Quatre autres groupes : ceux du Minaret-Neuf, ceux du Minaret-Vieux, ceux du Minaret du Ǧāmi' as-siḳāya, ceux qui servent de

(1) On trouve aujourd'hui à l'intérieur de l'enceinte de la ḳaṣba de Marrakech, près du Dār al-Maḫzen et à proximité immédiate du Ǧāmi' al-Manṣūr un vestige de porte que l'on appelle « Bāb aṭ-ṭubūl » (la porte des tambours) et qui correspond peut-être au Burǧ aṭ-Ṭabbāla (le bastion des Tambourinaires), cité ici. C'est là en tout cas qu'était la porte citée, sous le même nom, par le géographe Ibn Faḍl Allāh al-'Umarī, dans sa description de Marrakech.

La masse des « serfs » ('Abīd) du Maḫzan — Allāh les assiste ! — Ils comprennent huit fractions, y compris les « tireurs » (*rumāt*). Ce sont « les premiers » (al-Ḳidam = Īḳdīman) ; les Banū Yalārazg (Aït Yalārazg) ; les Lamṭa (Īlamṭayan) ; les Gazūla (Augūzūlan) ; les gens de Marrakech (Ahl Marrākuš = Ait Marrākuš) ; les Auġzāfan ; les Banū Wārgalan (Aït Wargalan) ; les « tireurs » (*rumāt*), qui sont pris — Allāh les illustre ! — dans toutes les tribus précitées ; les joueurs de tambourin (aṭ-Ṭabbāla = Īṭabbālan).

Les muḥtasibs (de l'empire) — Allāh les assiste ! — commandent à vingt et une tribus ; chaque tribu a *deux mazwārs, un pour les premiers de la hiérarchie, c'est-à-dire les Almohades de la première heure, et un autre pour ceux qui leur furent rattachés, et qui reçurent le nom de « combattants de guerre sainte » (*al-ġuzāt*), sur l'ordre de l'Émir des Croyants Abū Yūsuf al-Manṣūr. Seuls, les Harġa n'ont qu'un seul mazwār, car personne ne leur est rattaché. C'étaient donc les Harġa ; les Kūmya et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les gens de Tīnmallal et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Hintāta et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Gadmīwa et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Ganfīsa et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les « Tribus » (*al-Ḳabā'il*) et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Haskūra du midi et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Ṣanhāğa du midi et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Haskūra de l'ombre et leurs « combattants de guerre sainte » (deux mazwārs) ; les Ṣanhāğa de

P. ٤٧

Parmi les Ṣanhāǧa du midi sont encore les Sūlīna (Īn Sūlīnat), qui comptent parmi les gens de Dādas et forment un groupe indépendant. De même, les Mazzūgka (Aumazzūgkā) sont également des Ṣanhāǧa du midi. Ils appartiennent aux gens de Dādas et forment un groupe indépendant. Ces derniers comme les premiers ont leur territoire contigu à celui des Īn Gafū. On n'en tient pas compte dans les convocations et les revues ; ils sont (sur le rang) des sujets ordinaires. Chacune des fractions qui précède a un šaiḫ.

P. ٤٦ * *Les Ṣanhāǧa de l'ombre* — Allāh les assiste ! — se divisent en deux groupes : Banū Īn Gafū et Banū Ṣaṭṭaṭ. Les Banū Īn Gafū se subdivisent eux-mêmes en cinq groupes, suivant leur rang de succession dans l'appel, et viennent en tête parmi les Ṣanhāǧa de l'ombre. Ils comprennent les Banū Mazrāwa (Ait Mazrāwat), qui forment un cinquième et se divisent en quatre fractions : Banū Wāstaġ (Ait Wāstaġ) ; Banū Īllīnā (Ait Īllīnā) ; Banū ʿAmīr (Ait ʿAmīr) ; Banū Wīzaggān (Ait Wīzaggān) ; puis le second cinquième est celui des Banū Zaddīga (Ait Zaddīga) ; le troisième, celui des Faštāla (Īfaštālan) ; le quatrième, celui des Banū Yazīd (Ait Yazīd) ; le cinquième, celui des Sawāla (Āssālan).

Les Banū Ṣaṭṭaṭ se divisent également en cinq groupes, suivant leur rang de succession dans l'appel : le premier, celui des Tanāra (Ait Tannār) ; le second, celui des Banū Wanīr (Ait Wanīr) ; le troisième, celui des Harfāla (Ārfālan) ; le quatrième, celui des Banū Lazm (Ait Lazm) ; le cinquième, celui des Banū Kamāz et des Ǧarāwa (Ait Bukmāz et Īgūrāyan). C'est là l'ordre de succession qui est adopté lorsqu'on prescrit la revue.

Warsānan) ; on trouve ensuite les Magūna (Īmagūnan) ; les Banū Muḥammad (Ait Muḥammad) ; les Banū Aḥmad (Ait Aḥmad) ; les Banū Kalā (Ait Kalā) ; les Banū Tuguṭṭā (Ait Taguṭṭā) ; les Banū Wālīl (Ait Wālīl) ; * les Banū Īnsukmā (Īnsukmā). (Fin des Banū Ṣaṭṭaṭ.)

P. 50

Les Hanǧāfa (Īn Gafū) (1), qui se subdivisent ainsi : les Banū Umm 'Īsā (Ait Umm 'Īsā) ; les Banū Tamtar (Ait Tamtar) ; les Banū Ṣāliḥ (Ait Ṣālaḥ) ; les Wartagīna (Ait Wartagīn), les Wasāggāta (Īsāggātan) ; les Banū Tāmmāsa (Ait Tāmmāsat).

Les Faštāla (Īfaštālan), qui sont des Īn Gafū, comprennent les Banū Maṣal (Ait Maṣal) ; les Banū Wāwaṣrīkat (Ait Wāwaṣrīkat) ; les Banū 'Īsā (Ait 'Īsā) ; les Banū 'Umar (Ait 'Umar) ; les Banū Nāṣir (Ait Nāṣar) ; les Banū Muwattad (Ait Mūttad) ; les Banū Aḥmad (Ait Aḥmad) ; les Banū Ziyād (Ait Zīyād) ; les Ġantīyya (Īġantīyyan) ; les Banū Wāyatsāwan (Ait Wāyatsāwan) ; les Banū Ārmaṣaṭṭīn (Ārmaṣaṭṭīn) ; les gens de Tāgrāgrā (Ahl Tāgrāgrā = Ait Tāgrāgrā). (Fin des Īn Gafū.)

Les gens de Taiyārat (Ahl Taiyārat = Ait Taiyārat), qui se subdivisent en gens de Tadġat (Ahl Tadġat = Ait Tadġat), Banū Sanān (Ait Sannān) ; Banū Īzdag (Ait Īzdag) ; Banū Wāuṣīla (Ait Wāuṣīlat) ; Banū Umm Sulaimān (Ait Umm Slīmān) ; Banū Tawāba (Ait Tawābat) ; gens de Karīt (Ahl Karīt = Ait Karīt) ; Ahl Farkarā (Ait Farkarā) ; gens de Ġarīs (Ait Ġarīs) ; Banū Īdrāsan (Ait Yadrāsan) ; Banū Tūššant (Ait Tūššant) ; Malwāna (Īmalwān). (Fin des gens de Taiyārat.)

(1) Ils sont appelés Anǧafa par Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 195, trad., II, p. 3 et comprennent, d'après les généalogistes berbères, les B. Mazwāret, les B. Salīt, les Faštāla et les Malwāna.

Les Haskūra (1) *du midi* — Allāh les assiste ! — Ils comprennent sept fractions : les gens de Tūndūt, qui sont les Banū Wāwārat (Ait Wāwārat) ; quant à Tūndūt, c'est le nom d'un lieu (2) ; les Zamrāwa (Īzamrâwan) ; les Muġrāna (Īmaġrān) ; les Fasfīsa (Īfasfīsan) ; les Karnāna (Īkarnān) ; les Banū Yallaftan (Ait Yallaftan) ; les Wanīla (Yūnīlan).

Les Haskūra de l'ombre — Allāh les assiste ! — Ils comprennent onze fractions : les Māṣūṣa (Īn Māṣūṣ) ; les Lassīda (Īn Lassīd) ; les Maimnūna (Īn Maimnūna) ; les Banū Sakkūr (Ait Sakkūr) ; les Sāyūya (Īsāyūyan) ; les Ġuǧdāma (Īġaǧdāman) ; les Banū Maṣṭāu (Ait Maṣṭāu) ; les Haltāna (Īn Ūltān) ; les Hantīfa (Īntīft) ; les Zamrāwa (Īzamrāwan) ; les Ṣāda (Īṣṣād).

Les Ṣanhāǧa (3) *du midi* — Allāh les assiste ! — Ils comprennent quarante et une fractions, si l'on tient compte de leur hiérarchie dans le *tamyīz*. Ce sont : les Banū Ṣaṭṭaṭ (Ait Ṣaṭṭaṭ), qui viennent en tête des Ṣanhāǧa du midi ; les premiers parmi eux-mêmes sont les Banū Warsānan (Ait

(1) Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, pp. 269-270, trad., II, p. 118-120, s'étend assez longuement sur les Haskūra et cite plusieurs tribus de cette confédération. La liste en concorde assez bien avec celle qui est fournie ici. Ce sont, d'après l'historien : les Maṣṭāwa (ici B. Maṣṭāu) ; les Ġuǧdāma ; les Faṭwāka (non nommés ici) ; les Zamrāwa ; les Īntīft ; les Īnūltāl (ici Īn Ūltān) ; les B. Sakkūr « et plusieurs autres dont il n'a pas les noms présents à la mémoire ». Cette confédération, aujourd'hui connue sous le nom de Skūra, habite le versant sud du Grand-Atlas, au sud de la Ḳaṣba de Telwet, et à l'ouest du Todġa (Tadġat).

(2) C'est aussi, à en croire al-Baidaḳ, le nom d'un personnage éponyme. Voir à l'index des personnes, s. v.

(3) Cf. H. Basset et H. Terrasse, *op. cit.*, p. 20. On trouve encore dans le Grand-Atlas des traces de Ṣanhāǧa (Znāga = Īznāgen) : un Āgādīr n-Īznāgen dans le Ǧabal Kīk et une fraction dite Īznāgen dans la tribu des Mzūda, à l'ouest de l'Āssīf al-Māl.

Les « tribus » (al-Ḳabā'il) (1) — Allāh les sauve ! — Elles comprennent huit fractions : les Harkāka (Īrkākan) ; les Ūrīka (Īwarīkan) ; les Īn Māǧūs (Mauǧūṣa) ; les Hunāya (Aunāyīn) ; les gens de Naffīs (Ahl Naffīs = Ait Naffīs) ; les Ṣāda (Āṣṣādan) (2) ; les Ragrāga (Īragrāgan) ; les Hazraǧa (Īlīzargan).

P. ££ * *Les Kūmya* (3) — Allāh les assiste ! — Ils comprennent vingt-cinq fractions : les Banū Maǧbar ; les Banū ʿĀbid ; les Banū Yazīd ; les Banū Wārsūs ; les Kūmyat al-ḳaṣaba ; les Fantarūsa ; les Nazāra, qui sont deux fractions : les Banū Ḫallād et les Banū ʿImrān ; les Kaznannāya ; les Maḏǧara ; les Zaǧāra de la côte, auxquels se rattachent les Banū Yānǧāsan et les Banū Abī Ḳarār ; les Madyūna, divisés en deux fractions : Takīra et Tāfasrā ; les Banū Farnuk ; les Banū Yallūl ; les Massīfa, qui appartiennent aux Banū Yallūl ; les Banū Mannān al-minšar ; les gens d'al-Ḳarya ; les gens de Nadrūma ; les Walhāṣa de la montagne ; les Walhāṣa de la plaine ; les Banū Massaggan qui sont des Arabes.

(1) Je pense que sous ce nom d' « al-Ḳabā'il » = « les Tribus », il faut entendre toutes les petites tribus almohades du deuxième apport, trop peu importantes pour avoir chacune dans le maḫzen almohade les mêmes attributions que les grandes confédérations : elles formaient comme les « gens de Tīnmallal » un groupement factice ne correspondant à aucune cohésion territoriale.

(2) Cette tribu est signalée par Ibn Ḫaldūn dans le Grand-Atlas, texte, I, p. 296, trad., II, p. 159-160. D'après lui, elle se subdivise en Masfīwa et Māǧūs.

(3) Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 160, trad., I, p. 251, donne d'après les généalogies berbères une division des Kūmya en trois branches : les Nadrūma, les Ṣagāra (ici les Zaǧāra) et les B. Yallūl, chacune comprenant des tribus dont les noms paraissent altérés.

(Ait Ūkmās), qui sont des Farūga. Les Rakūna, qui sont des gens de plaine, comprennent les Madyūla (Īmdī-wīlan) ; les Banū Sa'īd (Ait Sa'īd) ; les Banū Ibrāhīm et les Banū Fatḥ (Ait Ibrāhīm et Ait Ftaḥ) ; les Mağza et les Banū Maimūn (Īn Mazzaut et Ait Maimūn) ; les Maklāda (Īn Maklādat) ; les gens de Tāsrā (Ahl Tāsrā = Ait Tāsrā).

Les Ganfīsa (1) — Allāh les ennoblisse ! — Ils comprennent vingt-deux fractions : les Zuddāġa (Īdā wa-Zaddāġ) ; les Mantāka (Aumantākan) ; les gens de Tūkūkā (Ahl Tūkūkā = Ait Takūkā) ; les Banū Maṣāḍḍuāgaġ (Īdā Wamṣāḍḍuāgaġ) ; les Saksāwa (Īsaksāwan) (2) ; les Madlāwa (Īmadlāwan) ; les Hassāna (Āssānan) ; les Banū Wāggās (Ait Wāggās) ; les Maṣġāla (Īn Maṣġālat).

Ceux qui ont émigré chez les Ganfīsa. — Ce sont les Īsamgān ; les Guzūla (Augūzūlan) ; les Maḥmūda de la montagne (Īdā ū-Maḥmūd) ; les Banū Yazīmar (Ait Īzīmar et Īdā wa-Īzīmar) ; les Maḥmūda de l'ombre (Īdā ū-Maḥmūd) ; les Madaisīra (Īmadaisīran) ; les Banū Wīn Yarān (Ait Wīn Yarān) ; les Banū Wāggaṣuggan (Ait Wāggaṣuggan) ; les Laggūna (Īdā ū-Laggūn) ; les gens d'as-San (Ahl as-San = Ait Yassan) ; les Hargīta (Īrgītan) ; les Masaggīna (Aumasaggīnan).

(1) Sur l'emplacement de cette tribu, cf. H. Basset et H. Terrasse, *op. cit.*, p. 17. Elle occupait sans doute la haute vallée du Wadī Naffīs ; il existe encore aujourd'hui à la source de l'Āġbār (Āssīf-n-ūġbār, nom du haut Naffīs) un point nommé Genfīs (probablement berbère *igg-ˇnfīs*, « au-dessus du Nfīs »).

(2) C'était à l'époque d'Ibn Ḫaldūn la principale fraction des Ganfīsa et elle avait donné son nom à toute la tribu. L'historien l'orthographie Saksīwa : *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 365, trad., II, p. 269.

dāġt (Īn Āswādāġt) de la montagne; les Sawādāġt (Īn Āswādāġt) de la plaine; les Iflīdīyīn (a)n aṣ-Ṣāir, parmi lesquels les Danāsa (Īdnāsan), qui sont des Gadmīwa de la montagne; les Ṣamṣīma (Īṣamṣīman), qui sont des Gadmīwa de la plaine; les gens d'aṣ-Ṣāir (Ahl aṣ-Ṣāir = Ait aṣ-Ṣāir), qui sont des Gadmīwa de la plaine; les Samda (Awūn Samdat) de la montagne; les Ṣauda de la montagne, avec leurs deux fractions : les Ūnġāsa (Aūwanġāsan) et les Banū Taṭṭīt (Ait Taṭṭīt); les Māġūsa (Īn Māġūs), qui ont de nombreuses fractions dont je ne citerai pas les noms, et qui sont des Gadmīwa de la montagne; leurs pâturages de printemps leur sont communs avec les Banū Yalmazdug.

Ceux qui ont émigré chez les Gadmīwa. — Ils comprennent trois tribus, chacune avec un seul mazwār : les Hailāna, les Dukkāla, les Zanāta de Tīfsart. Parmi ces Dukkāla, certains partagent leurs pâturages de printemps avec les Banū Ṣaffāda.

Les Ṣauda (1) *de la plaine.* — Ils comprennent les Laṣīfa (Īn Talṣīfīn); les Banū Wamāūh-s (Ait Wamāūh-s); les Banū Īgam (Ait Yagam); les Banū 'Īsā (Ait 'Īsā); les Warṣīfa (Īnad Warṣīf); les Samda de la plaine (Awūn Samdat); les Fuġrāna (Aufuġrān); les Banū Samkāt (Ait Samkāt); les Banū Kānāt (Ait Kānāt); les Banū Īfgīt (Ait Yafgīt); les Banū Naṣar (Ait Naṣar); les Banū 'Umar (Ait 'Umar), qui sont aussi les Banū Wāġīr; les Banū Abī Ḫarāṣ (Ait Bū(a)ḫrāṣ); les Banū Warārnī (Ait Warārnī); les Banū P. 27 Wīsīlan * (Ait Wīsīlan), qui sont des Farūga; les Kamāsa

(1) C'est aujourd'hui le nom d'une fraction des Gadmīwa, installée dans le *dīr* de cette confédération, sur les premiers contreforts de l'Atlas.

quarante-six fractions, à la tête de chacune desquelles se trouve un *mazwār* : les Banū Lamazdag (Ait Yalmazdug), avec deux mazwārs ; les Banū Masīfū (Ait Masīfū) [= Masīfra], qui passent les premiers dans la revue ; les Banū Ġartīt (Īnad Ġartīt), qui sont des Gadmīwa de la montagne ; les Banū Fanzar (Ait Fanzar), qui constituent une sous-tribu indépendante, suivant dans la hiérarchie les Banū Yalmazdug et comprise avec eux pour le partage du butin et dans d'autres circonstances : ce sont des Gadmīwa de la plaine ; les Flīdīna (Īflīdīnan), qu'on appelle aussi Īnad Āttābgāu et Banū Īttābgāu : ils comprennent cinq fractions avec cinq mazwārs, celle des Banū Īttābgāu (Īnad Āttābgāu) venant en tête ; ce sont des Gadmīwa de la montagne ; les Banū 'Uṯmān (Ait 'Uṯmān) : ce sont des Gadmīwa de la montagne ; les Wartagīna (Īnad Wartagīn) : ce sont des Gadmīwa de la montagne ; les Banū Būrad (Ait Būrad), qui sont des Gadmīwa de la plaine ; les Ṣaffāda (Ait Ṣaffādat), qui sont des Gadmīwa de la montagne et comprennent * des fractions que je ne citerai pas ; les Īnad Lālt, qu'on appelle Ait Tīzgīn, et qui sont des Gadmīwa de la plaine ; les Gatfāwa (Īgadfāwan), qui sont des Gadmīwa de la plaine ; les Banū Maṭāt (Ait Maṭāt), qui sont des Gadmīwa de la plaine ; les Banū Ītlāl (Īndī' ttalāl), qui sont des Gadmīwa de la montagne ; les Damya (Īn Dmīyīt), qui sont des Gadmīwa de la plaine ; les Sawā-

P. ٤٣

d'habitat. Son territoire se trouve compris entre les vallées du Wādī Naffīs (Oued Nfīs) et de l'Āssīf al-Māl. La plupart des noms de fractions donnés ici correspondent à des noms actuels. Les deux grands *leff* de cette confédération sont aujourd'hui les Īmsīfern ou Īnsfāṭen et les Īndġertīt correspondant sans doute à des noms de fractions prédominantes que l'on retrouve au surplus ici : B. Masīfū (= Masīfra, graphie مسيفو < مسيفرا), Ṣaffāda et Īnād Ġartīt.

les Banū Wāwāzgīt (Ait Wāwāzgīt) (1); les Banū Ānsā (Ait Wānsā); les gens de Tīfnaut (Ahl Tīfnaut = Ait Tīfnaut) (2); les gens du sud (Ahl al-ḳibla = Ait al-ḳibla); les gens de Tadrārt (Ahl Tadrārt = Ait Tadrārt) (3); les Ṣanhāǧa (Īṣnāgan); les gens du Sūs (Ahl Sūs = Ait Sūs).

Les Hintāta (4) — Allāh les dirige vers le bien! — Ils comprennent neuf fractions : les Banū Talwūh-rīt (Ait Talūrīt); les Banu Tāgurtant (Ait Tāgurtant); les Banū Tūmsīdīn (Ait Tūmsīdīn); les Banū Lamazdūr (Ait Almazdūr); les Ġaiǧā'iya (Īġaiġāyīn) (5); les Mazāla (Ait Āmzāl) qui sont alliés à la confédération; les Banū Wāwāzgīt (Ait Wāwāzgīt); les Banū Yīġaz (Ait Yīġaz); les Banū Taklāwwūh-tīn (Ait Taklāwwūh-tīn).

Les Gadmīwa (6) — Allāh les guide! — Ils comprennent

(1) Grande confédération ayant aujourd'hui son centre au Sīrwā (Sīrwān), au sud-est de Marrakech, et réclamant comme siennes toutes les fractions du Ǧabal Kīk, de la vallée du Wādī Naffīs et du Tīfnaut.

(2) Le Tīfnaut est une région qui correspond sans doute depuis le moyen âge et encore aujourd'hui à la haute vallée du Wādī Sūs. On y trouve environ dix fractions se rattachant ethniquement à la confédération des Ūzgīta (B. Wawāzgīt). Voir note ci-dessus.

(3) Actuellement tribu de la confédération des Ūzgīta, au sud du Sīrwā.

(4) Sur l'habitat de cette tribu, cf. H. Basset et H. Terrasse, *op. cit.*, p. 18. Cette tribu, avec les fractions dont les noms sont donnés ici, a sans doute disparu complètement. Mais on peut la localiser par le fait qu'elle comprenait les Ġaiǧā'iya, riverains du torrent du même nom.

(5) Cf. *supra*, p. 55, note 2. On aperçoit quelle difficulté il y aurait, étant donnée la place qu'occupe cette fraction dans la classification générale des tribus almohades, à l'identifier aux anciens Harǧa.

(6) Cette grande confédération n'a pas, semble-t-il, changé

tu invoques Allāh en notre faveur ! » Et, ce disant, ils s'inclinaient pour le saluer ; alors, il passait la main sur leurs têtes et invoquait Dieu en leur faveur. Il en fut ainsi de nombreuses fois.

On dit que l'Imām Mahdī, quand il pénétra dans la grotte, dit en berbère : « *yarwal al-ḥaḳḳ āiy al-bāṭal ārdās yakšam īfrī āyāġanā' an al-bāṭal mak fallās yaffaġ al-ḥaḳḳ yawat ārad ākku yaššīġ ādān anas īlazaurīn nā(la)ddūnait* », désignant par *al-bāṭal* (le mal) les *Zarāǧina* (= les Almoravides) et leurs actions.

Les šaiḫs demeurèrent à Īgīllīz, jusqu'au moment où l'Imām « émigra » (*haǧar*) à Tīnmallal — Allāh très-Haut l'ennoblisse ! — et ils l'accompagnèrent quand il y fixa sa résidence. Au bout d'un certain temps, ils subirent le *tamyīz* en même temps que les Harġa.

Il en est d'autres dont je n'ai point cité les noms. Ils seront rapportés de même dans le *Kitāb al-ansāb*.

[*Suite de la liste des fractions des tribus almohades*] : *Les gens de Tīnmallal* (1) — Allāh les agrée ! — Ils comprennent onze fractions dont voici la liste : les Masakkāla (Aumaskālan) (2) ; les Banū Wartānag (Ait Wartānag) ; P. ٤١ les Banū * Almās (Ait Almās) ; les Saktāna (Ausaktān) (3) ;

(1) On voit par la liste des fractions qui composaient ce groupement que celui-ci était tout à fait hétérogène. Les « gens de Tīnmallal », en dehors des habitants de l'agglomération proprement dite et du territoire qui en dépendait, étaient sans doute un véritable ramassis de partisans venus grossir le maḫzen d'Ibn Tūmart et n'appartenaient pas par leur naissance aux tribus purement almohades.

(2) Aujourd'hui les Meskāla, tribu de plaine et de dīr installée à l'est du Wādī Rġāya, au nord du territoire des Ūrīka.

(3) Grande tribu de la partie orientale de l'Anti-Atlas ayant encore aujourd'hui des éléments dispersés au sud de Marrakech.

lait. Pour ces motifs, des fiefs lui furent donnés, sur le territoire des Hunāya, où ils sont connus sous son nom. Il résida à Tīnmallal — Allāh très-Haut la glorifie ! — jusqu'à ce qu'il y mourut de maladie. Il y fut enterré et y laissa des descendants connus sous son nom [les Banū Mallūl]. P. ٤٠ *Son fils Abū Bakr, sous le règne d'al-Manṣūr, était intendant (*amīn*) des fermes [impériales]; son second fils, Ya'ḳūb, était secrétaire du Calife.

Le šaiḫ *Abū Zakarīyā Yaḥyā* b. Abī Bakr *ad-Dara'ī* (1) fut aussi le frère adoptif des Harġa. Il mourut sans descendance.

Tous ces šaiḫs que je viens de citer étaient passés en revue avec les Harġa et participaient aux marques de respect et de considération dont ceux-ci jouissaient. En effet, quand l'Imām pénétra dans la grotte (2) pour y faire une « retraite », à Īgīllīz, le *ribāṭ* des Harġa, les gens de cette tribu se rendaient de bon matin à la grotte, y saluaient l'Imām, qui leur disait, en leur demandant de leurs nouvelles : « De quoi avez-vous besoin? » Ils lui répondaient : « Nous sommes venus pour obtenir ta *baraka* et pour que

le Maġrib, Aḥmad b. Mubārak al-Lamṭī as-Siǧilmāsī, *al-Ibrīz*, le Caire, 1317, p. 120-121; E. Doutté, *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Alger, 1909, p. 120 et 141. La question fait l'objet d'une note détaillée de M. G.-S. Colin, dans son travail sur *Le parler enfantin de Rabat et de Tanger.*

(1) Membre du Conseil des « Cinquante ». Cf. *supra*, p. 60.

(2) C'est la grotte de l'Īgīllīz des Harġa, qui devait être sanctifiée plus tard en souvenir de la « retraite » qu'y accomplit le Mahdī et à laquelle on allait en pèlerinage, comme l'atteste une lettre du Calife 'Abd al-Mu'min écrite le 8 šauwāl 552 (13 novembre 1157) par le secrétaire Abū 'Aḳīl 'Aṭīya Ibn 'Aṭīya (nº 2 du recueil manuscrit acquis par M. Georges S. Colin). A cette époque, le souverain fit placer une porte à l'entrée de cette caverne, qui est appelée dans cette lettre الغار المقدّس, « la grotte sainte ».

fut de même adopté par les Harġa. Il prit dans la suite Marrakech pour résidence et il y demeura jusqu'à ce qu'il mourût de maladie : il fut inhumé à l'extérieur de la ville, au cimetière dit Maḳābir aš-šuyūḫ.

De même manière, le šaiḫ *Abū ʿĪsā al-Guzūlī* (1) eut les Harġa pour tribu d'adoption. On rapporte que l'un des califes lui donna l'ordre d'aller se fixer dans la montagne dite Ǧabal Kasr, dans la région de Tunis (2). Il y resta dans l'abandon jusqu'à ce qu'il mourut de maladie et il fut enterré sur place.

Le šaiḫ *Abū Marwān ʿAbd al-Malik b. Yaḥyā* (3), dont l'Imām Impeccable dit en berbère : « *abū marwān dīzam yalūlān tānabdūt waryūkīl ārașșāș* ». Il résidait à Īgīllīz, le *ribāṭ* des Harġa ; il y vécut en ermite, dans la dévotion, jusqu'à ce qu'il mourut de maladie.

Mallūl b. Ibrāhīm b. Yaḥyā aṣ-Ṣanhāǧī fut de même adopté par les Harġa sur l'ordre de l'Imām Impeccable, qui dit de lui en berbère : « *mallūl an ūh lġū* ». Il était avec Sulaimān Āḥaḍrī le secrétaire de l'Imām ; il était éloquent et comprenait vite les divers langages ; il écrivait en « syriaque » et en caractères secrets (4), etc., et il y excel-

(1) Membre du Conseil des « Cinquante. » Cf. *supra*, p. 51.

(2) Je n'ai pu arriver à identifier cette montagne.

(3) Membre du Conseil des « Cinquante ». Cf. *supra*, p. 51.

(4) Il faut entendre ici par « syriaque », correspondant à l'arabe *as-suryānīya*, la langue secrète employée en magie arabe dans les formules incantatoires, et non, bien entendu, le syriaque des linguistes. Cette langue hermétique — dont il est intéressant de voir déjà attesté ici l'emploi à des fins sans doute politiques — sert dans les rapports de l'homme avec les génies et passe, aux yeux des magiciens pour la langue première de l'humanité. L'écriture chiffrée, ou plutôt conventionnelle, dont il est question à côté du « syriaque » sous le nom d'*ar-rumūzīyāt*, employait des caractères spéciaux pris en dehors de l'alphabet arabe. Cf. pour

tion par sa propre tribu, celle des Harġa. Un certain nombre furent dans ce cas : je vais citer quelques-uns de leurs noms, parmi les « Cinquante » et d'autres. Je les ai déjà cités en détail dans mon livre intitulé *Kitāb al-ansāb fī ma'rifat al-aṣḥāb*, le « Livre des Généalogies pour connaître les Compagnons », c'est-à-dire les Compagnons de l'Imām Mahdī (1).

[*Les autres frères d'adoption des Harġa*]. — Parmi eux, le šaiḫ *Abū Zakarīyā* (2), qui compta parmi les « propagandistes » [de la doctrine almohade] : il eut de même façon les Harġa pour tribu d'adoption. L'Imām Mahdī lui avait prescrit de diriger comme imām la prière des Almohades. Il comptait parmi les serviteurs d'Abū Muḥammad al-Bašīr et assista avec lui à la bataille d'al-Buḥaira. Ce jour-là, une flèche l'atteignit à l'œil, alors qu'il appelait à la prière; mais, malgré sa blessure, il n'interrompit pas son appel et le continua jusqu'au bout : exemple suprême de constance et de fermeté! — Allāh lui en fasse tirer le profit! — * Il continua à être imām à l'époque du Calife ['Abd al-Mu'min] et à celle de l'Émir des Croyants Abū Ya'ḳūb, fils du Calife. Il avait perdu la vue à la suite de cette affaire. Il avait comme résidence Marrakech, jusqu'au moment où il mourut de maladie; il fut enterré à l'extérieur de la ville, à Bāb al-Maḫzan — Allāh lui fasse miséricorde! —

P. ٣٩

Le šaiḫ *Abū Zakarīyā Yaḥyā* b. Ibrāhīm *al-Hazmīrī* (3)

(1) Ce qui précède est la reproduction quasi-littérale de *supra*, texte, p. ٢٧-٢٨; trad., p. 40-41.

(2) Abū Zakarīyā Yaḥyā b. Yūmur, membre du Conseil des « Cinquante ». Cf. *supra*, p. 51.

(3) Membre du Conseil des « Cinquante ». Cf. *supra*, p. 51.

b. ʿAlī avait été adjoint aux Harġa, auxquels l'Imām Mahdī, de son vivant, l'avait attaché par des liens de fra- P. ٢٨ ternité. Sa généalogie a été donnée * plus haut. Après la mort de l'Imām Mahdī, un événement relatif à ces liens de fraternité se déroula chez les Harġa ; ils préparèrent un repas commun et n'avertirent point le [futur] Calife d'avoir à préparer sa part avec eux. Quand il apprit cette nouvelle, il les appela et leur dit en langue occidentale (en berbère) : « *māzkaġ warānaġ tafīsam naġ yūšak wāndī karānaġīdawan yasannalkaman* ». Puis, il les quitta pendant trois jours ; ensuite, il les appela, ordonna que sa part figurât dorénavant (dans les repas communs) et leur interdit de recommencer.

Sa tribu, à laquelle il était uni par des liens d'affinité et de voisinage, était celle des Kūmya. Ces liens d'affinité, la preuve en est dans le nom qui se trouve dans la généalogie de ʿAbd al-Mu'min, Kumya, que l'on appelle Kūmya, avant Muḳātil et après ʿAun Allāh, et ainsi de suite jusqu'à la fin de la chaîne. Quant aux liens de voisinage, ils sont bien connus (1).

Quant au šaiḫ Abū ʿAbd Allāh Muḥammad b. Muḥsin, l'Imām Mahdī l'attacha par des liens de fraternité à la tribu des Harġa, et cela en témoignage d'estime et de bienveillance, obéissant à cette parole du très-Haut : *Ils aimeront qui émigrera vers eux!* De même, tous ceux qui, dans le groupement almohade, faisaient partie de l'entourage particulier du Mahdī et n'étaient point originaires des six tribus sur lesquelles s'étaya le pouvoir almohade, l'Imām Mahdī prescrivait en leur faveur leur adop-

(1) Ce qui précède est la reproduction littérale de *supra*, texte, p. ٢٦, trad., p. 38-39.

Gudāna (Augdān), qui pour les revues et les distributions de butin, etc. étaient placés avec les Banū Ḥamza (Ait Ḥamza); les Banū Tārīkt (Ait Tārīkt) : c'étaient les fils d'aš-Šaiḫ; les Zagzāla (Āzagzālan); les Banū Makzāran (Aumakzāran); les Banū Wānnāmmar (Ait Wānnāmmar), qui, pour la revue et le partage du butin se trouvaient avec les Banū Mallūl (Ait Mallūl); les Banu' l-Malla (Ait al-mallat); les Banū Wāggānt (Ait Wāggānt); les Banū Tāštūlīz (Ait Tāštūlīz); les Banū Īkmītīs (Ait Īkmītīs); les Banū Mazākat (Ait Amzākat); les Banū Tūwīdāġ (Ait Tūwīdāġ); les Banū Īdīkal (Ait Īdīkal); les Banū Yūsuf (Ait Yūsuf), ces derniers formant un groupement indépendant.

Ceux qui étaient adjoints pour la revue aux Harġa étaient les Banū Ūnīṭīf; les Banū Ūlīmīt (Īdā Ūlīmīt); les Banū Wafīnīs (Īdā Ūfīnīs); les Īnad Wazāl (Īndāwazāl); les Banū Zaddūt (Īndā-wa-Zaddūt); les Banū Ūnīṣī (Ait Ūnīṣī); les Banū Zakarīyā (Īdā ū-Zakrī); les Banū Tīn Ṣiddīḳ (Ait Tīn Ṣiddīḳ); les Banū 'Īsā (Ait 'Īsā).

Dès avant cette époque, le [futur] Calife 'Abd al-Mu'min

p. 19 une justification linguistique de Harġa > Rġāya), je suis de l'avis du lieutenant de vaisseau R. Montagne, qu'une connaissance approfondie du Grand-Atlas incite à placer cette tribu au sud du Wādī Sūs. Cette hypothèse est renforcée par trois points : 1° les Rġāya, qui ont donné leur nom à un torrent de montagne affluent du Wādī Tansīft (Wādī Rġāya = *berb.* Assīf-n-Īġīġāyīn), sont déjà attestés à la même place à l'époque almohade avec l'appellation de Ġaiġā < Ġaiġra; 2° il existe actuellement à l'endroit où les Harġa sont supposés avoir habité, c'est-à-dire au sud-est de Tārūdānt, dans l'Anti-Atlas, une tribu du nom d'Ārġen (forme berbère de Harġa); 3° enfin les tribus données ici étant rattachées sous les Almohades à la confédération des Harġa (Īdā Ūnīṭīf, Ūlīmīt, Ūfīnis, Ūzāl, etc.) sont encore aujourd'hui connues sous les mêmes noms et forment les tribus plus proches du territoire actuel des Ārġen.

où le šaiḫ al-Bašīr les assembla pour la revue, ils étaient déjà trop nombreux pour pouvoir être dénombrés !

Puis al-Bašīr commença le « tri » par les gens de la *ǧamā'a*. Il appela ensuite les « Cinquante ». Quand ils furent là, il leur dit : « Quelqu'un manque ! Qu'il se présente pour que votre revue soit complète ; allez à sa recherche ! » Mais ils ne savaient pas de qui il s'agissait. Il leur dit alors : « Il est à la rivière ! » Ils y descendirent et y trouvèrent le šaiḫ Abū 'Abd Allāh ; il venait de laver ses vêtements : son écharpe était sèche, mais il restait son manteau. Quand il fut sec, l'homme partit avec eux. P. ۳۷ Une fois près d'al-Bašīr, celui-ci lui dit : « Qui donc * t'a retardé? Tu les as obligés à attendre ! » Et il les passa en revue.

Immédiatement après, il demanda les Ganfīsa ; mais on ne les trouva pas et on lui dit que leur šaiḫ n'était pas là, mais à la rivière, où il nettoyait son vêtement.

Puis, il appela les Harǧa parmi les autres tribus, car ils avaient un rang de priorité et étaient les « Défenseurs » (*Anṣār*) du Mahdī (1). Il les passa en revue, fraction par fraction et sous-tribu par sous-tribu, les uns après les autres et dans l'ordre adopté pour leur appel. Et il rattacha à eux ceux qui étaient leurs frères adoptifs, comme cela sera relaté plus loin, s'il plaît à Allāh très-Haut.

Voici quelles étaient les *fractions des Harǧa* (2) : les

(1) On voit ainsi qu'à l'exemple du Prophète Muḥammad, qu'il ne se faisait nul scrupule d'imiter servilement, Ibn Tūmart eut aussi ses *Anṣār*, après sa *hiǧra*.

(2) Malgré l'essai de localisation de l'habitat des Harǧa, au XIe siècle, à la vallée supérieure de l'actuel Wādī Rǧāya (Oued Reghaïa) présenté par H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, in *Hespéris*, 1924, p. 19-20 (cf. note 2 de la

P. ٣ mit * à regarder les Almohades et à désigner parmi eux, un par un, les membres de ce conseil. Allāh très-Haut a dit : *Les croyants dont les enfants les ont suivis dans leur foi, nous les réunirons à leurs enfants (dans le Paradis) ; et nous ne diminuerons en rien leur récompense de leurs œuvres ! Tout homme est l'otage de ses actes* ! (1) J'ai déjà expliqué cela en détail dans mon livre intitulé *Kitāb al-ansāb fī ma'rifat al-aṣḥāb.*

Voici ce qui se passa pendant que le šaiḫ Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. Muḥsin al-Bašīr opérait le « tri » (*tamyīz*) parmi les Almohades — Allāh les illustre ! — Le šaiḫ Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. 'Ubaid Allāh al-Haskūrī, de la fraction de cette tribu dite des Banū Sakkūr, qui faisait partie des « Cinquante » et comptait parmi les « propagandistes » (*mubašširūn*) [du mouvement almohade], était endormi quand il vit en songe Iblīs — Allāh le maudisse ! — qui lui dit en berbère : « *mā taḍfārat kīkas* », voulant désigner ainsi l'Imām Mahdī. Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. 'Ubaid Allāh répliqua sur le champ au démon : « *īyakka (a)kkaǧt* ». Le lendemain matin, suivant l'habitude, les Almohades — Allāh les illustre ! — se présentèrent au šaiḫ Abū Muḥammad al-Bašīr pour l'appel : parmi eux se trouvait cet Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. 'Ubaid Allāh. Quand les yeux d'al-Bašīr tombèrent sur lui, il lui dit aussitôt en berbère : « *mānamk ādās tannīṭ yakka (a)kkaǧt* ». Et il informa les Almohades de son histoire et les mit au courant de son rêve. Puis al-Bašīr lui ordonna de passer à droite — que la miséricorde d'Allāh et son agrément s'étendent sur eux tous ! — Au moment

(1) *Coran*, Ṣūrate LII, verset 21.

'Ubaid Allāh; Abū 'Abd Allāh [*Muḥammad*] b. Abī Bakr *Ibn Tūndūt* (1); Abū Ibrāhīm *Isḥāḳ b. Yūnus*; Abū Muḥammad *'Abd al-Ḥaḳḳ b. Mu'ād* az-Zanātī.

Enfin, ceux qui furent *rattachés* au conseil des Cinquante après le « tri » (*tamyīz*) : Abū Sa'īd *Yaḫluf b. al-Ḥasan Ātīggī*; Abū Yaḥyā *Abū Bakr b. al-Ǧabr* aṣ-Ṣanhāǧī; Abū Muḥammad *'Abd Allāh b. Sulaimān* at-Tīnmallī; Abū Muḥammad *'Abd Allāh b. Wānūdīn* al-Hintātī; Abū Muḥammad *'Abd al-Haḳḳ b. Wānūdīn* al-Hintātī; Abu 'ṭ-Ṭāhir *Tamīm b. Wānūdīn* al-Hintātī; Abū 'Abd Allāh *Muḥammad b. Wal'abdān* al-Hintātī al-Mazālī; Abū 'Abd Allāh *Muḥammad* b. 'Abd Allāh *Ibn Wāggāg* at-Tīnmallī; Abū Muḥammad *'Abd al-Wāḥid b. Wāmaggur* al-Hintātī; les fils du šaiḫ mort martyr Abū 'Imrān Mūsā b. Īrrugān, du côté de la mère.

Fin de la liste des « Cinquante » — que la miséricorde et l'agrément d'Allāh s'étendent sur eux !

LE « TRI » (*TAMYĪZ* (2) DES ALMOHADES — ALLĀH LES ILLUSTRE ! — OPÉRÉ PAR LES SOINS DE L'IMĀM MAHDĪ. EXPOSÉ DE LEURS GÉNÉALOGIES, DE LEURS FRACTIONS. LISTE DES GENS QUI LEUR FURENT RATTACHÉS PAR DES LIENS DE FRATERNITÉ, COMPTE TENU DE LEUR ORDRE DE SUCCESSION DANS LA HIÉRARCHIE.

Quand, suivant la volonté d'Allāh très-Haut, l'Imām Mahdī procéda à la désignation des « Cinquante », il se

(1) Ibn Yandūs, d'après une mauvaise graphie fournie par le manuscrit de la *Chronique anonyme, loc. cit.*

(2) Sur ce « tri », cf. aussi *Chronique anonyme*, fragment IV ; Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 302 ; trad., II, p. 72 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, t. X, p. 405-406 = trad. Fagnan, *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 533-535.

Abū Ya'ḳūb *Yūsuf b. Maḫlūf*; Abū Ya'ḳūb *Yūsuf b. Sulaimān*; Abū Ḥafṣ *'Umar b. Tafrāgīn*; Abū Yaḥyā *Abū Bakr b. Īzāmāran*; Abū 'Abd as-Salām *Yaṣlatan*; Abū Zaid *'Abd ar-Raḥmān b. Yūmūr*; Abū 'Abd ar-Raḥmān *al-Ḳāsim b. Muḥammad*; Abū 'Abd Allāh *Muḥammad b. Mūsā*; Abū Ya'ḳūb *Yūsuf b. al-Ḥasan*; Abu'l-Ḥasan *'Alī b. Wamṣāl* b. Nammīr; Abū 'Alī *Yūnus b. Tādrārt*; Abū Mūsā *'Imrān b. Mūsā Āzzugur*; Abū Muḥammad *'Abd Allāh b. Tīssīnt* al-Ḫulāsī; Abu Zakarīyā *Yaḥyā al-Lamṭī Īmadan*; Abū Muḥammad *'Abd Allāh al-Lamṭī*, qui ne laissa pas de descendance; Abū Muḥammad *'Abd al-'Azīz*, connu sous le nom de *Yaz'āṭū*.

Parmi les Hintāta : Abū Ya'ḳub *Yūsuf b. Wānūdīn*; Abū 'Abd Allāh *Muḥammad b. Wīgaldān*. Il en reste quelques-uns : je n'ai pas leurs noms sous la main.

Parmi les Gadmīwa : Abū Muḥammad *al-'Aïš* (1) *b. Tamārā*; Abū 'Alī *Suḥnūn b. Tamārā*; Abū Muḥammad *'Abd al-Karīm b. Tamārā*; Abū Muḥammad *Sa'd Allāh*, le père d'Ibrāhīm.

Parmi les Ganfīsa : Abū Zaid *'Abd ar-Raḥmān b. Zaggū*; *Abū Ismā'īl*, le père d'Ismā'īl b. Abī Ismā'īl (*sic*); Abū Isḥāḳ *Ibrāhīm b. Sulaimān*; Abū Zaid *'Abd ar-Raḥmān*, connu sous le nom d'*Āmāzzar*.

P. ۲ο * *Parmi les Ṣanhāǧa :* Abū Muḥammad *'Abd Allāh al-Ǧarāwī;* Abū Zakarīyā *Yaḥyā b. Wasnār*; Abu 'l-Ḥasan *'Alī b. Nāṣir*.

Parmi les « tribus » (al-Ḳabā'il) : Abū Ibrāhīm *Isḥāḳ b. Abī Zaid*.

Parmi les Haskūra : Abū Muḥammad *'Abd Allāh b.*

(1) Ou Ya'īš b. Tamārā. Il fut tué à la journée d'al-Buḥaira : cf. *supra*, p. 42.

chargeait de porter [son] bouclier de cuir et invoquait en sa faveur la bénédiction divine ;

Abū Mūsā 'Īsā b. Mūsā *aṣ-Ṣaudī ;*

Abū Muḥammad 'Abd al-'Azīz al-Ġaiġā'ī.

[LES « CINQUANTE »]

— Allāh les illustre ! — C'étaient (1) :

Parmi les Harġa : Abū Sulaimān *Wamṣāl b. Wadraġ ;* Abū Zakarīyā *Yaḥyā b. Yūmūr ;* Abū Muḥammad *Ya'azzā* P. ٢٤ *b. Maḫlūf ;* Abū Zaid *'Abd ar-Raḥmān b. * Dāwūd ;* Abū Marwān *'Abd al-Malik b. Yaḥyā ;* Abū Zakarīyā *Yaḥyā ad-Dara'ī ;* Abū Zakarīyā *Yaḥyā al-Hazmīrī ; Abū 'Īsā al-Guzūlī.*

Parmi les gens de Tīnmallal : Abū 'Abd ar-Raḥmān *Suwwāǧǧāt* l'Imām (2) ; Abū 'Imrān *Mūsā b. Sulaimān* l'aveugle (*al-Kafīf*) (3) ; Abū 'l-Ḥasan *Yūgūt b. Wāggāg ;*

plus explicite ; d'après lui, c'était 'Umar b. Yaḥyā b. Muḥammad b. Wānūdīn b. 'Alī, connu sous le nom de 'Umar Īntī ; il était de la famille des Banū Fazkāt, Fazkāt étant le grand-père de Wānūdīn. Sa généalogie est donnée aussi au début du récit de la dynastie ḥafṣide. — Sur le nom de Faṣka ou Fazkāt, cf. Henri Basset et Henri Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, in *Hespéris*, t. IV, 1924, p. 27, note 4.

(1) La liste des « Cinquante » est également donnée par la *Chronique anonyme* d'après Ibn Ṣāḥib aṣ-Ṣalāt, texte, p. 3-4, trad., p. 6-8. On y trouve six hommes des Harġa (huit ici) ; quatorze, de la tribu de Tīnmallal (dix-neuf ici) ; trois, des Hintāta, les deux mêmes qu'ici, plus Dāwūd b. 'Āṣim ; deux des Gadmīwa (quatre ici) ; quatre des Ganfīsa (de même qu'ici) ; trois des Ṣanhāǧa (de même qu'ici) ; un seul d'al-Ḳabā'il (comme ici) ; trois des Haskūra (quatre ici), et en plus cinq étrangers : Abū Bakr b. Ya'ḳūb al-Lamṭī, Abū Zakarīyā Yaḥyā ad-Dara'ī ; 'Ubaid Allāh b. Yūsuf az-Zanātī ; Sulaimān al-Ğazūlī et Ibrāhīm b. Ğāmi'.

(2) Suwwāgāt b. Yaḥyā, précise la *Chronique anonyme, loc. cit.*

(3) La *Chronique anonyme, loc. cit.,* ajoute au nom de ce personnage le titre de ḳāḍī.

Abū Yaḥyā Abū Bakr b. Yīgīt (1). Il mourut en martyr à la journée d'al-Buḥaira ;

Abū 'Abd Allāh Muḥammad b. Sulaimān (2), originaire d'Ānsā. Il avait été désigné par l'Imām Mahdī pour diriger en qualité d'imām les prières obligatoires. Il mourut en martyr à la journée d'al-Buḥaira ;

'Abd Allāh b. Ya'lā az-Zanātī, originaire de Tāzā, connu sous le nom d'*Ibn Malwīya* (3). Après la mort du Mahdī, il se livra à des agissements qui nécessitèrent sa condamnation à mort ;

Abū Muḥammad 'Abd Allāh b. Muḥsin al-Wānšarīšī, connu sous le nom d'al-Bašīr. Il disparut à la journée d'al-Buḥaira. J'ai rapporté plus haut son histoire et sa disparition ;

Abū Ḥafṣ 'Umar b. Yaḥyā *al-Hintātī* (4) : l'Imām le

(1) De la tribu des Hintāta. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301, trad., II, p. 170, le nomme parmi les personnages qui prêtèrent serment au Mahdī en 515 à l'Īgīllīz des Harġa. Ce fut sans doute son fils que l'Abū Zaid Ibn Īgīt qui fut nommé en 549 gouverneur de Cordoue, d'après Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 315, trad., II, p. 192.

(2) 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 139, trad., p. 169, l'appelle 'Abd Allāh au lieu de Muḥammad ; d'après cet historien, il était originaire de la tribu des Massakāla. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301, trad., II, p. 170, lui donne le même nom qu'ici : d'après lui il était de Tīnmallal et prêta en 515 serment au Mahdī à l'Īgīllīz des Harġa.

(3) Cité de même par Ibn Ḫaldūn, *op. cit., loc. cit.* On trouvera dans la troisième partie le récit de sa trahison et de sa mise à mort, au début du règne de 'Abd al-Mu'min.

(4) Le principal des collaborateurs de 'Abd al-Mu'min. Nous sommes surtout renseignés sur ses origines par 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī et Ibn Ḫaldūn. Le premier, in *al-Mu'ǧib*, texte, p. 139, trad., p. 169, dit qu'il s'appelait Faṣka b. Umzal : Ibn Tūmart lui donna le nom de 'Umar et il était connu sous le nom de 'Umar Īntī (= Hintātī, de la tribu des Hintāta). — Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301 ; trad., II, p. 168, est beaucoup

Abu 'r-Rabī' Sulaimān b. Maḫlūf al-Ḥaḍramī (1), connu sous les noms d'*Ibn al-Baḳḳāl* et d'*Ibn Tā'ḍamiyīt* parmi les gens d'Āġmāt, et sous celui de *Sulaimān Āḥaḍrī* chez les Almohades — Allāh les illustre ! — C'était lui qui écrivait les lettres au nom de l'Imām Mahdī. Il mourut en martyr à la journée d'al-Buḥaira — Allāh lui fasse miséricorde ! — ;

Abū Ibrāhīm Ismā'īl b. Īsallālī *al-Ḫazraǧī* (2) — Allāh lui fasse miséricorde ! — Il jugeait des différends, sur l'ordre de l'Imām Mahdī ;

Abū 'Imrān Mūsā b. Tamārā al-Gadmīwī (3), qui était l'*amīn* du groupement almohade. Il mourut en martyr à la journée d'al-Buḥaira ;

Almohades sous le nom de 'Umar Aznāǧ. Ibn Ḫaldūn, *'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 301, trad., II, p. 170, l'appelle de son côté Abū Ḥafṣ 'Umar b. 'Alī Aṣnāg. Son vrai nom sera donné plus loin par al-Baiḏaḳ : Īmallūk b. 'Alī Āṣnāg. — Voir plus haut dans l'Introduction l'hypothèse d'une parenté entre ce personnage et al-Baiḏaḳ.

(1) De même, dans Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās, loc. cit.* — Son surnom d'*āḥaḍrī*, que lui donnèrent les Almohades, est une forme berbérisée de l'arabe حضري, « citadin ». Il était sans doute originaire de la ville d'Āġmāt. On retrouve le féminin de cette forme berbère (*tāḥaḍrīt*) employé comme prénom à l'époque mérinide : cf. mon édition partielle du *Musnad* d'Ibn Marzūḳ, Paris, 1925, p. 48 et note 1.

(2) 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 166-167, trad., p. 200-202, le nomme Abū Ibrāhīm Ismā'īl b. Yaḥyā al-Hazraǧī, en relatant le complot que ce personnage déjoua quand les Banū Āmġār essayèrent, quelques années après la proclamation de 'Abd al-Mu'min comme calife, d'assassiner le souverain. Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 113, le nomme, par confusion, dans son énumération des « Dix », Ibrāhīm b. Ismā'īl al-Hazraǧī. C'est, à n'en pas douter, celui qu'al-Baiḏaḳ appelle toujours dans son récit Abū Ibrāhīm Ismā'īl Īgīg.

(3) De même dans le *Rauḍ al-ḳirṭās, loc. cit.* Trois des frères de ce personnage représentaient la tribu des Gadmīwa au conseil des « Cinquante ».

l'Imām était connu, en Orient comme en Occident : seuls ne firent point cas de lui ceux qui furent éloignés de l'assistance divine et de la foi, ceux que leur mauvaise fortune amena à la perdition et à l'impiété.

[LES COMPAGNONS DU MAHDĪ]

avec qui, comme avec leurs frères, leurs amis et leurs tribus, il combattit tous les gens du monde, orientaux et occidentaux, étrangers et arabes, — d'après le rapport du šaiḫ défunt Abū Sa'īd Yaḫluf b. al-Ḥasan (1) — Allāh fasse briller sa face ! — dans l'ordre de leur hiérarchie et du nom de leurs tribus.

Les gens de la « ğamā'a » (2). — C'étaient : le [futur] Émir des Croyants *Abū Muḥammad 'Abd al-Mu'min* b. 'Alī * al-Ḳaisī ; l'Imām Mahdī le surnommait « l'homme du moment » (*ṣāḥib al-waḳt*) et lui donna le privilège d'être le seul à monter un cheval noir ;

P. ٣٣

Abū Ḥafṣ 'Umar b. 'Alī *aṣ-Ṣanhāğī* (3) ;

(1) L'un de ceux qui furent rattachés au « Conseil des Cinquante » après le *tamyīz*, de son nom complet Abū Sa'īd Yaḫluf b. al-Ḥasan Ātīggī.

(2) On remarquera qu'ici la *ğamā'a*, premier échelon de l'organisation almohade, n'est pas appelée « Conseil des Dix » comme chez les autres historiens. D'ailleurs le nombre des membres de cette ğamā'a est ici de douze. La liste des « Dix » est donnée également par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 113 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 79 ; le *Ta'rīḫ ad-daulatain* attribué à az-Zarkašī, Tunis, 1289, p. 4, trad. E. Fagnan, *Chronique des Almohades et des Hafçides*, Constantine, 1895, p. 5-6 ; Ibn Abī Dīnār al-Ḳairawānī, *Kitāb al-mu'nis*, Tunis, 1286, p. 108 ; an-Nuwairī, *Histoire d'Afrique* dans la *Nihāyat al-arab fī funūn al-adab*, éd. M. Gaspar Remiro, Granada, 1919, texte, p. 194, trad., p. 205.

(3) 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ğib*, texte, p. 139, trad., p. 169, l'appelle 'Umar b. 'Abd Allāh aṣ-Ṣanhāğī, connu chez les

Ṯābit al-Ḳaisī ; ʿAmmār b. Kaṯīr ; Muṭarrif b. Ḥusām al-Marašī ; Bašīr b. Nūbar ; ʿAbd al-Ḳādir al-Afwī ; Bašīr al-Ḳalyūbī ; Madyan b. Šuʿaib ; Tamīm b. ʿAuf al-Iskandarānī ; ʿImrān b. Muʿāfī al-Afwī ; Ḍāhir b. Muḥyī ; Nahbān b. Šams ; ʿAlī b. ʿAbd al-ʿAḍīm ; Yā[illegible] b. Wātila ; Kāmil b. Saʿd ; Māǧid b. Muhallab ; Šuǧāʿ, Hammām et Badr fils d'al-Ǧūlī al-Ḳunāwī ; Ǧibrīl al-ʿĀbidī ; Naǧāḥ b. Muḳbil ; Zaiyān b. Muhīb b. al-Marašī ; Ḏu' n-Nūn b. Mubārak ; ʿAlī b. Nahbān al-Laḫmī ; Ǧābir et Manṣūr fils de Ǧarīr ; ʿUmāra b. Ṯābit al-Yamānī ; Naǧm b. Hilāl ; Šaraf al-Ḥiǧāzī ; ʿAlī b. aṭ-Ṭaffāl ; Hišām al-Asnāwī ; Raǧā' b. Raǧā' ad-Dimyāṭī ; ʿAbd al-ʿĀlim al-Ḳahārī ; Sirāǧ b. Nūbar al-Baǧālī ; Faḫr b. Yasār ; ʿAlī b. Makkī al-Miṣrī ; Dāwūd * b. ʿInān ad-Dimašḳī ; Idrīs et Yūsuf fils de Mūsā al-ʿĀǧī ; Ḳāsim b. ar-Raḳḳām az-Zahrī ; Muḥammad b. Abi 'l-Muṯannā al-Harawī ; Ṣāliḥ b. Mu'aiyad ; Wāḳid al-ʿAnawī ; Ḫāliṣ b. Munǧī. Voilà les personnages qui vinrent avec empressement vers le Mahdī des tribus et des groupements, lui témoignèrent un dévouement total, lui montrèrent une sympathie et une affection cordiales et crurent en lui. Ils comptaient dans leurs pays parmi les notables. »

P. ٢٢

Abu 'l-Ḳāsim ajoute : « Son compagnon et son ami en Allāh très-Haut était le jurisconsulte al-Ḥaḍramī — Allāh lui fasse miséricorde ! — » Il continue : « Ceux qui se mirent au service de l'Imām furent Faḍl b. Rašād, Ḥusain b. Ǧanāḥ al-Ḥalabī et ʿAbd Allāh b. Fatḥ al-Makkī. Tous ces gens dont la liste précède furent ses disciples et ses serviteurs dans le pays d'Égypte et les couvents (*ribāṭ*) syriens. »

Abū Bakr reprend : Si j'ai reproduit cette liste des Compagnons du Mahdī dans ce pays, liste dont j'ai trouvé une partie consignée par écrit, c'est pour montrer à quel point

[LES COMPAGNONS DU MAHDĪ EN ÉGYPTE.]

— Puisse Allāh très-Haut hâter dans ce pays l'établissement de l'illustre pouvoir (almohade) ! — (1)

Abu 'l-Ḳāsim al-Mu'min al-Miṣrī — Allāh lui fasse miséricorde ! — a dit : « Quant à ses compagnons et à ses frères (en ascétisme), ils étaient au nombre de cinquante et un *, habitant le pays d'Égypte ; ces gens se déclarèrent ses frères en Allāh très-Haut et le respectèrent sur toute la terre d'Égypte : ils étaient comme ses membres et son tronc ; ils prêtaient attention à ses paroles, obéissaient à ses ordres, croyaient en lui, préféraient à toute autre sa fréquentation, lui gardaient fidélité et le respectaient au plus haut point. Quand il fut bien persuadé de leur attachement à sa personne, le Mahdī préféra qu'[au lieu de l'accompagner au Maġrib] ils continuassent à séjourner en Orient. »

P. ٣١

Abu 'l-Ḳāsim al-Mu'min dit : « Il importe maintenant de relater leurs noms et de faire connaître quels furent ceux qui crurent en lui. Nous disons donc, et c'est d'Allāh puissant et grand que nous réclamons l'assistance et que nous sollicitons les faveurs : « Le premier qui crut en lui en Égypte fut Muḥammad b. 'Abd aḍ-Ḍāhir al-Iḫmīmī ; puis 'Arafa b. Ǧābir ; Yūnus al-Laḫmī ; Šādī b. Ṯābit ;

(1) Les personnages cités dans ce chapitre semblent tous être inconnus ; mon collègue et ami, M. Gaston Wiet, dont on sait la haute compétence pour tout ce qui a trait à l'Égypte et à la Syrie musulmanes et à qui j'ai communiqué leur liste, ne retrouve pas leur trace. Au reste, malgré le semblant d'authenticité que semble conférer à cette liste la présence de noms et surtout d'ethniques purement orientaux, il est probable qu'elle est apocryphe ; il n'est pas impossible qu'elle ait été fabriquée de toutes pièces par l'un des premiers biographes officiels du Mahdī.

sous le nom de *Tūmart* b. Ūgallīd : en effet, à sa naissance, sa mère, pleine de joie et de satisfaction, dit en berbère : « *ātūmart īnū īssak āyīwī* », c'est-à-dire : « O ma joie par toi, ô mon petit enfant ! » ; et elle répéta cette parole à plusieurs reprises. De même, quand on lui demandait des nouvelles de son fils, alors qu'il était encore enfant, elle disait en berbère : « *yak tūmart* », c'est-à-dire : « Il est devenu joie et satisfaction ! » Aussi ce surnom de Tūmart prévalut-il et l'on cessa de l'appeler du nom de ʿAbd Allāh, qui lui avait été donné au moment de l'imposition du nom (1). Le père du Mahdī fut aussi désigné sous le nom d'*aš-Šaiḫ* (2), en manière de respect. Un jour, il vint trouver le Mahdī, autour duquel ses compagnons étaient assemblés. Quand son père fut à proximité du groupe, le Mahdī dit en berbère à ses compagnons : « *azzaid āmġār annā* », c'est-à-dire : « Faites passer cet *āmġār* (ce šaiḫ) ! » Un autre jour, le Mahdī sortit de sa demeure après la prière du matin, et l'on voyait à ses yeux qu'il avait pleuré. Il dit à ceux de ses compagnons qui se trouvaient à la porte : « Hier soir nous avons reçu la nouvelle de la mort du šaiḫ — que la miséricorde d'Allāh s'étende sur lui ! — » Cette dernière parole fut dite à Tīnmallal, tandis que la première avait été prononcée à Īgīllīz (3).

(1) Une autre explication du nom de *tūmart* est fournie par la *Chronique anonyme*, texte, p. 7, trad., p. 12 et note 2.

(2) Ou plutôt d'Āmġār, équivalent berbère d'aš-Šaiḫ. Cf. *Chronique anonyme, loc. cit.* ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 75 ; Ibn Ḫaldūn, *ʿIbar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 298 ; trad., II, p. 161.

(3) Ce qui précède laisse entendre que le père du Mahdī ne le suivit pas d'Īgīllīz des Harġa à Tīnmallal et qu'il habitait la première de ces localités. Cependant la *Chronique anonyme*, texte, p. 8, trad., p. 14, dit qu'Ibn Tūmart naquit au lieu dit Nūmakrān. ʿAbd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Muʿǧib*, texte, p. 128, trad., p. 155, le fait naître au contraire à l'Igīllīz des Harġa *(īgīlī(z)-an-wārġān)*.

b. Wamǵār al-Harǵī (1); le šaiḫ Abu 'l-Ḥasan *'Alī* b. Mūsā *al-Harǵī*. — Fin de la liste de leurs noms dans cette relation, grâce à Allāh et à sa bonne aide !

Parmi ces compagnons, ceux qui étaient connus pour servir personnellement l'Imām Impeccable étaient Abū Mūsā 'Īsā aṣ-Ṣaudī (2), père de Zainab Umm al-Mu'minīn, qui fut l'épouse du šaiḫ Abū Muḥammad al-Bašīr — Allāh lui fasse miséricorde ! —; Abū Muḥammad Wasnār b. 'Abd Allāh (3); Abū Muḥammad 'Abd al-'Azīz b. 'Abd Allāh al-Ġaiġā'ī.

[*Famille du Mahdī*]. — Il avait trois frères : Abū Mūsā P. ٣٠ *'Īsā;* Abū Muḥammad *'Abd al-'Azīz* * et Abu 'l-'Abbās *Aḥmad* l'aveugle (*al-Kafīf*) ; et une sœur, *Zainab* — qu'Allāh lui fasse miséricorde ! — qui fut la mère d'Abū Bakr (4). Il avait aussi un oncle paternel, nommé Wābūrkan b. Ūgallīd, une tante paternelle, Ḥauwā' bint Ūgallīd, et un cousin germain (... fils) du dit Wābūrkan. Sa mère se nommait *Umm al-Ḥusain;* c'était la fille de Wābūrkan al-Masakkālī, des Banū Yūsuf, fraction de la tribu des Masakkāla (5). Quant à son père, il s'appelait *'Abd Allāh;* mais depuis sa jeunesse jusqu'à sa vieillesse, il fut connu

(1) Ce personnage et les deux précédents étaient les frères de Muḥammad Ibn Tūmart, ainsi qu'on peut le voir quelques lignes plus loin. Ce sont ces Banū Wamǵār qui devaient se révolter plus tard contre le calife 'Abd al-Mu'min.

(2) Membre du « Conseil des Dix »; cf. *infra*, p. 51.

(3) Wasnār b. Muḥammad, dit la *Chronique anonyme*, *loc. cit.*

(4) S'agit-il ici d'Abū Bakr b. 'Alī aṣ-Ṣanhāǧī, surnommé al-Baidaḳ, l'auteur des « Mémoires » qui forment la troisième partie de notre texte? Cf. *supra*, Introduction.

(5) Ce détail est confirmé par la *Chronique anonyme*, texte, p. 7, trad., p. 13, qui précise que la famille maternelle du Mahdī était installée au lieu dit Aṣrū-n-Yasmag.

Šarkī (1) ; le šaiḫ Abū Muḥammad *Wasnār* (2) ; le šaiḫ Abū Yūsuf *Ya'kūb Āfġūr* aṣ-Ṣaudī (3) ; le šaiḫ *Abū Zaid Tawalwā;* le šaiḫ Abū Muḥammad *'Abd al-'Azīz al-Ġaiġā'ī* (4) ; le šaiḫ Abū Isḥāk *Ibrāhīm b. Ǧāmi'* (5) ; le šaiḫ Abū 'Alī *Yūnus b. Tādrārt;* le šaiḫ Abū Zakarīyā *Yaḥyā* b. Umm ūh-Ṣūm *at-Tīnmallī;* le šaiḫ Abū Zakarīyā *Muḥammad al-Harġī;* le šaiḫ Abū Muḥammad *'Abd al-Karīm,* connu sous le nom de *Manaġ Fūdu* (6) ; le šaiḫ *Abū Warzig az-Zanātī* des Banū Wamānnū ; le šaiḫ Abū Mūsā *'Īsā* al-Ḫulāsī *aṣ-Ṣaudī;* le šaiḫ Abū Muḥammad *Wāggutan al-Harġī;* Abū 'Utmān *Sa'īd al-Ḥaiḥā'ī;* le šaiḫ Abu 'r-Rabī' *Sulaimān b. Maimūn;* le šaiḫ Abū Muḥammad *Yaṣlāsan al-Harġī;* le šaiḫ Abū Mūsā *'Īsā b. Wamġār al-Harġī;* le šaiḫ Abū Muḥammad *'Abd al-'Azīz b. Wamġār al-Harġī;* le šaiḫ Abu 'l-'Abbās *Aḥmad*

la *Chronique anonyme* d'après Ibn Ṣāḥib aṣ-Ṣalāt, texte, p. 4-5, trad. p. 8. Six des personnages de cet entourage y sont nommés. — On remarquera que plusieurs des familiers du Mahdī nommés ici appartenaient en même temps soit au « Conseil des Dix », soit à celui des « Cinquante ».

(1) De son vrai nom Yazrīǧan b. 'Umar, et appelé par les Maṣmūda aš-Šarkī (l'Algérien, l'homme du Maġrib de l'Est). Il accompagna le Mahdī depuis Mallāla à son retour d'Orient. Le *Rauḍ al-kirṭās,* p. 113, en fait un membre du Conseil des Dix, mais on verra plus bas qu'il ne figure pas dans la liste de ces membres fournie par notre auteur. Il est également nommé comme faisant partie du *ahl ad-dār* par la *Chronique anonyme, loc. cit.*

(2) Également in *Chronique anonyme, loc. cit.*

(3) Également in *Chronique anonyme, loc. cit.* (il y est appelé Ya'kūb Afġū).

(4) Également in *Chronique anonyme, loc. cit.*

(5) Le père du futur général de 'Abd al-Mu'min, qui fut nommé gouverneur de Fès à la prise de cette ville par les Almohades.

(6) Également in *Chronique anonyme, loc. cit.* (nommé seulement par son prénom).

par dire : « Que ferez-vous et comment agirez-vous, si celui qui vous parle disparaît d'entre vous? » La plupart des assistants ne comprirent pas ce qu'il voulait dire. Mais le šaiḫ Abu 'r-Rabī' Sulaimān b. Maḫlūf al-Ḥauwārī (1), un membre du « Conseil des Dix », qui était présent, répondit : « Nous aurons de la fermeté, nous en donnerons aux nôtres. Allāh nous suffit : quel excellent mandataire ! »

Al-Bašīr demanda à plusieurs reprises des nouvelles d'Abū Muḥammad Ya'īš b. Tamārā al-Gadmīwī (2), l'un des « Cinquante ». On finit par lui dire qu'il avait trouvé la mort au combat : à ce moment les Almohades avaient engagé le combat avec les *Zarāǧina,* (c'est-à-dire les Almoravides). Quand al-Bašīr fut informé de cette mort, il s'écria : « Au nom d'Allāh ! », se dressa, plaça l'une de ses mains sur l'épaule du šaiḫ Abū 'Alī Yūnus et l'autre sur celle d'Abū Zakarīyā Yaḥyā ad-Dara'ī (3). Cependant, un nuage de poussière rouge, qui s'élevait dans le ciel, s'avançait vers eux. Il arriva, grossissant sans cesse. Alors les compagnons du šaiḫ al-Bašīr se tournèrent vers lui, mais il avait disparu; on ne sut pas ce qu'il était devenu et l'on ne trouva aucune trace de lui.

P. ٢٩ [*ENTOURAGE PARTICULIER (*AHL AD-DĀR* : « LES GENS DE LA MAISON ») DU MAHDĪ (4).]

C'étaient le šaiḫ Abū Muḥammad '*Abd al-Wāḥid aš-*

(1) Cf. *infra*, p. 49, où l'auteur lui applique l'ethnique d'al-Ḥaḍramī.

(2) Cf. *infra*, p. 52.

(3) Membre du conseil des « Cinquante » pour la tribu des Harǧa, à laquelle il avait été rattaché : cf. *infra*, p. 51 et 60.

(4) Il est également parlé en détail du *ahl ad-dār* du Mahdī par

P. ۲۸ liens de fraternité fut celle des Harġa, et cela en * témoignage d'estime et de bienveillance, obéissant à cette parole d'Allāh très-Haut : *Ils aimeront qui émigrera vers eux* ! (1) De même, tous ceux qui, dans le groupement almohade, faisaient partie de l'entourage particulier du Mahdī et n'étaient point originaires des six tribus sur lesquelles s'étaya le pouvoir almohade, l'Imām Mahdī prescrivait en leur faveur leur adoption par sa propre tribu, celle des Harġa. Un certain nombre furent dans ce cas : je les ai déjà nommés dans mon livre intitulé *Kitāb al-ansāb fī ma'rifat al-aṣḥāb*, le « Livre des généalogies pour connaître les Compagnons », c'est-à-dire les Compagnons de l'Imām Mahdī.

Mort d'al-Bašīr à al-Buḥaira (2). — Le šaiḫ Abū 'Alī Yūnus (3) a dit : « Nous étions avec 'Abd Allāh b. Muḥsin al-Bašīr à la bataille d'al-Buḥaira. Il était à la tête des troupes ; ce commandement lui avait été confié par l'Imām Mahdī à Tīnmallal — Allāh l'illustre ! — à la suite du « tri » (*tamyīz*). Celui-ci avait duré quarante jours au bout desquels les troupes se mirent en marche pour la bataille d'al-Buḥaira, en dehors de Marrakech. Cela se passait en l'année 524 (15 décembre 1129-3 décembre 1130). Nous étions avec lui, le jour où il disparut, assis auprès de l'entrée d'al-Buḥaira, à proximité du bastion. Il nous exhortait et nous donnait des conseils de prudence ; il finit

(1) *Coran*, sūrate LIX, verset 9.

(2) Sur cette bataille, cf. notamment *Chronique anonyme*, texte p. 16-17, trad., p. 26-27.

(3) Abū 'Alī Yūnus b. Tādrārt, de Tīnmallal, qui fit partie de l'entourage particulier du Mahdī et membre du Conseil des « Cinquante » : cf. *infra*, p. 43 et 52.

Cette continuité de filiation dans la généalogie du Calife a été confirmée par tous les šaiḫs et les notables des Banū Gannūna, consultés à l'occasion d'une visite pieuse qu'ils firent à une certaine époque et selon la coutume (à Tīnmallal). Je l'ai consignée d'après eux. Parmi eux il n'y a eu à ce sujet nul désaccord, sauf de la part de certains membres de la branche des Banū 'Alwī, nommée plus haut parmi les branches du groupe des Banū Gannūna : ils ont répugné, à cause de leurs connaissances précaires et de leur peu de compréhension, à faire remonter leur généalogie à l'ancêtre éponyme de leur tribu (Kūmya), alors qu'ils sont des Banū Gannūna ; mais ils n'ont pris cette attitude qu'à cause des liens de parenté qui les unissent au Calife, ignorant que d'autres personnages sont encore ses plus proches parents : à savoir les Banū Abī Ya'ḳūb. A leur sujet, des problèmes se posent que j'exposerai plus loin, s'il plaît à Allāh très-Haut.

GÉNÉALOGIE DU ŠAIḪ ABŪ MUḤAMMAD 'ABD ALLĀH B. MUḤSIN AL-BAŠĪR.

et relation d'une partie de son histoire et des faits qui s'y rapportent.

C'était Abū Muḥammad 'Abd Allāh, fils de Muḥsin, fils d'Iknīmmān, fils d'al-Ḥasan, fils d'al-Ḥusain, fils de 'Abd al-Malik, fils de Kabbāb, fils de Riyīs. Il faisait partie du « Conseil des Dix ». Ses proches rapportent qu'ils font directement remonter leur généalogie à Ḳais.

La tribu à laquelle l'Imām Mahdī l'attacha par des

« était un homme qui jouissait d'une situation moyenne parmi ses contribules. C'était un artisan qui fabriquait des poteries d'argile et les vendait ».

un repas commun et n'avertirent point le [futur] Calife d'avoir à préparer sa part avec eux. Quand il apprit cette nouvelle, il les appela et leur dit en langue occidentale (en berbère) : « *māzkaġ warānaġ tafīsam naġ yūšak wāndī karānaġīdawan yasannalkaman.* » Puis, il les quitta pendant trois jours ; ensuite, il les appela, ordonna que sa part figurât dorénavant (dans les repas communs) et leur interdit de recommencer.

Sa tribu, à laquelle il était uni par des liens d'affinité et de voisinage, était celle des Kūmya. Ces liens d'affinité, la preuve en est dans le nom qui se trouve dans la généalogie de 'Abd al-Mu'min, Kumya, que l'on appelle Kūmya, avant Muḳātil et après 'Aun Allāh, et ainsi de suite jusqu'à la fin de la chaîne. Quant aux liens de voisi- P. rv nage, ils sont bien connus : car * [son ancêtre] al-Amīr avec son épouse Gannūna fut celui qui, aux temps anciens, vint débarquer à al-Kudyat al-baiḍā' (1), et c'est à partir d'eux que se ramifièrent les branches des Banū Gannūna.

Un dicton disait : « Malheur aux Lamtūna, du fait d'un étalon qui surgira des Banū Gannūna ! (2) » A ces derniers, leurs contemporains ont toujours reconnu de la notoriété et de la science.

Le père du Calife, '*Alī*, fut pendant sa vie ḳāḍī de sa tribu (3).

(1) Sur cet endroit, qui faisait partie du territoire de Nukūr et était habité par la tribu des Marnīsa, cf. al-Bakrī, *Description de l'Afrique septentrionale*, éd. de Slane, p. 90, trad., p. 208.

(2) Cette phrase sera plus loin mise dans la bouche du Mahdī lui-même.

(3) Au contraire, d'après le *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 119, il exerçait simplement la profession de potier. Ce 'Alī, dit de même Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-a'yān*, éd. du Caire, 1299 h., t. I, p. 390,

poignées ; et on ne le voit pas, quand il procède à cette répartition, en faire le compte ! »

P. ٢٦ *Le Calife rejoint encore le Prophète et le Mahdī du côté paternel et du côté maternel par ʿAdnān, en passant par son aïeule paternelle et maternelle Gannūna, comme il a été dit plus haut. Et c'est au sujet de cette ascendance jusqu'à ʿAdnān, que le compositeur de vers *rağaz* cité plus haut — c'est Ibn ʿAbd Rabbihi — a dit : [Mètre *rağaz*]

« Le pouvoir reviendra à (un descendant de) ʿAdnān, à un homme noble, appartenant spécialement à la branche de ʿAilān.

« Maître des conquêtes, homme des combats, il domptera les Arabes et les non-musulmans.

« Il subjuguera la terre jusqu'en ses parties les plus lointaines ; il conquerra le pays de l'est et ceux qu'il touche.

« Dès que le pouvoir lui sera décerné par le destin, l'assistance divine puis le triomphe se dirigeront vers lui.

« La douceur sera sa parure ; il rehaussera le rang des gens de piété et de science.

« Il conquerra le pays de l'Occident point par point ; il n'y laissera nul tyran sans le terrasser dans la poussière.

« Il tuera les Berbères et les Maṣmūda, et tous les oppresseurs infidèles et rebelles ! »

La tribu à laquelle l'Imām Mahdī l'attacha de son vivant par des liens de fraternité fut celle des Harġa (1). Après la mort de l'Imām Mahdī, un événement relatif à ces liens de fraternité se déroula chez les Harġa : ils préparèrent

(1) C'est-à-dire la propre tribu d'Ibn Tūmart.

sont une branche prédestinée à la prophétie, à plus forte raison au califat.

Après Ḳais ʿAilān, la généalogie du Calife redescend à Sulaim. C'est au sujet de la famille de ce personnage que le Prophète a dit : « Je suis le fils des femmes nobles de Sulaim ! », à cause des liens de naissance qui le rattachaient à elles.

D'autre part, le Calife rejoint le Prophète, dans sa chaîne d'ascendance, à Muḍar, et de même le Mahdī, du côté paternel et du côté maternel, comme il a été dit plus haut. Pareillement, il rejoint le Prophète et le Mahdī du côté de son père et du côté de sa mère, à Murra, en passant par son aïeule Gannūna, comme il a été dit précédemment.

C'est à lui que fit allusion Ġāzī b. Ḳais, quand il dit en vers : [Mètre *raǧaz*]

« Il naîtra parmi eux un homme de visage blanc, de stature virile et d'aspect affable.

« Sa physionomie sera pleine d'éclat, et son teint sera aussi brillant que si de l'eau en coulait goutte à goutte.

« Sa noble généalogie remontera à Murra, et il comptera parmi les descendants de ʿAilān, l'homme plein de magnanimité.

« Ce successeur victorieux conquerra tout le pays à partir du (Wādī) Nūl, jusqu'au moment où il recevra des ambassades de ses vassaux. »

De même un autre a dit : [Mètre *ṭawīl*]

« Il est celui qu'Allāh agrée, le descendant de Ḳais ʿAilān dont on tire fierté, et de Murra, (l'ancêtre de) ces gens qui pratiquent sans défaillance ce qui est licite.

« Il est le lieutenant d'un Mahdī Imām, et son sabre ; il commande avec douceur et est revêtu de science.

« Quand il distribue des richesses, il en donne à pleines

[LES PROCHES PARENTS DU CALIFE.]

Ce sont les Banū Gannūna — Allāh les assiste ! — Ils comprennent sept branches : les Banū 'Abd al-Mu'min, les Banū Abī Ya'ḳūb, les Banū 'Alwī, les Banū Ḥasan, les Banū Ḥusain, les Banū 'Īsā et les Banū Mūsā.

L'origine du Calife, de ses frères, de ses proches, les Banū Gannūna, remonte à Muḍar, souche du Prophète ; ainsi, leur origine est la même que celle du Prophète, qui a dit au sujet de cette branche : « Quand les gens seront en désaccord, la justice sera (chez les descendants de) Muḍar ! », ou bien suivant une autre version : « La vérité sera chez (les descendants de) Muḍar ! (1) ».

Cette généalogie continue après Muḍar par les descendants de Ḳais 'Ailān, les chevaliers d'Allāh, au moyen desquels il combat ses ennemis. Le poète a dit : [Mètre *ṭawīl*]

« Ḳuraiš et Ḳais sont comme les deux pieds d'une autruche : quand l'un se pose solidement, l'autre aussi se pose solidement. »

P. ro De même, un autre a dit : [Mètre *ṭawīl*] *

« Allāh dans ses cieux possède des chevaliers : ce sont les anges. Mort à qui veut lutter d'adresse avec lui !

« Et ses chevaliers sur la terre, ce sont les hommes de Ḳais, pareils à une foudre qui frappe ceux qui voudraient se mesurer avec lui. »

Parmi eux fut Ḫālid b. Sinān, le « maître du feu de l'avenir », dont le Prophète a dit : « Celui-là est un prophète que son peuple a dédaigné (2). » Les gens de Ḳais

(1) Ce ḥadīṯ est également cité, à propos de 'Abd al-Mu'min, dans la *Chronique anonyme*, texte, p. 18, trad., p. 30 et note 2.

(2) Cf. I. Goldziher, *Le dogme et la loi de l'Islam*, trad. Arin, p. 4.

fils de Rāǵū, fils de Fāliḫ, fils de ʿAibu, fils de Šāliḥ, fils d'Arfaḫašd, fils de Sām, fils de Nūḥ, fils de Lāmak, fils de Mutaušalaḫ, fils de Ḫanūḫ — c'est-à-dire Idrīs (Enoch), le Prophète — fils de Yard, fils de Mahlīl, fils de Ḳainan, fils de Yānaš, fils de Šīt, fils d'Adam.

[GÉNÉALOGIE DE LA MÈRE DU CALIFE.]

La généalogie de la mère du Calife, Imām, Émir des Croyants ʿAbd al-Mu'min b. ʿAlī remonte également à Gannūna. C'était Taʿlū (1), fille de ʿAṭīya, fils d'al-Ḫair, fils de Ḫalīfa, fils de Mūsā, fils de ʿAlī, fils de Ḥasan, fils de Gannūna, fille d'Idrīs, fils d'Idrīs... [*suit la même généalogie que ci-dessus jusqu'à Adam*] *.

P. rε

[LES FRÈRES DE ʿABD AL-MU'MIN.]

Il avait deux frères : *Yūsuf* et *Muḥammad* (2). Tous trois étaient nés de la même mère. Ils avaient aussi une sœur utérine, *Funda;* leur mère Taʿlū, nommée plus haut, après la mort du père du Calife, ʿAlī, fut épousée par le père d'Abū Muḥammad ʿAbd as-Salām al-Kūmī al-Yazīdī (3), et en eut cette fille.

(1) ʿAbd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Muʿǵib*, texte, p. 141, trad. p. 171, était jusqu'ici le seul historien qui nous renseignât sur la mère de ʿAbd al-Mu'min. C'était d'après lui une femme libre, appartenant à la tribu des Kūmya et originaire du groupe des Banū Muǵbir (Maǵbar).

(2) Le premier de ces deux frères de ʿAbd al-Mu'min ne semble avoir joué aucun rôle auprès du calife. Le second, au contraire, fut sans doute le gouverneur de Jaën dont parle Ibn Ḫaldūn, *ʿIbar, Histoire des Berbères,* texte, I, p. 317, trad., II, p. 194 (à propos de la révolte d'Ibn Mardanīš).

(3) Ce personnage — on le verra plus loin — était vizir de ʿAbd al-Mu'min au moment de la prise de Tunis. Cf. aussi appendice II.

elle comporte une lacune et on ne la connaît pas, bien qu'il ne fasse aucun doute que ʿAun Allāh descende directement de Sulaim. On est en présence d'un cas analogue dans l'interruption de filiation entre ʿAdnān et Ismāʿīl (Ismaël), fils d'Ibrāhīm (Abraham), l'ami d'Allāh, encore qu'on soit certain que ʿAdnān descende directement d'Ismāʿīl.

Le Calife partage avec le Mahdī une généalogie noble (= chérifienne) : en effet, l'une de ses aïeules avait une ascendance remontant à Fāṭima, fille de l'Envoyé d'Allāh. Une autre descendait d'al-ʿAbbās, l'oncle du Prophète. Il entre ainsi dans la catégorie des gens visés par le Prophète, quand celui-ci dit : « Tous, ils seront de Ḳuraiš. » De même façon que ʿĪsā (Jésus), fils de Maryam (Marie), appartient par sa mère à la descendance d'Ibrāhīm (Abraham), de même façon le Mahdī appartient à la descendance du Prophète, par son aïeule Fāṭimat az-Zahrā', sans compter son aïeul ʿAlī.

On rapporte également ainsi la généalogie de ʿAbd al-Mu'min, jusqu'à son aïeule Gannūna : Abū Muḥammad ʿAbd al-Mu'min, fils de ʿAlī, fils de ʿAlwī, fils de Yaʿlā, fils de Marau, fils de ʿAlī, fils de Ḥasan, fils de Gannūna, fille d'Idrīs, fils d'Idrīs, fils de ʿAbd Allāh, fils d'al-Ḳāsim, fils de Muḥammad, fils d'al-Ḥasan, fils de * ʿAlī, fils d'Abū Ṭālib, fils de ʿAbd al-Muṭṭalib, fils de Hāšim, fils de ʿAbd Manāf, fils de Ḳuṣaiy, fils de Kilāb, fils de Murra, fils de Kaʿb, fils de Lū'aiy, fils de Ġālib, fils de Fihr, fils de Mālik, fils d'an-Naḍr, fils de Kināna, fils de Ḫuzaima, fils de Mudrika, fils d'al-Yās, fils de Muḍar, fils de Nizār, fils de Maʿadd, fils de ʿAdnān, fils d'Udad, fils de Muḳauwam, fils de Naḥūr, fils de Tairaḥ, fils de Yaʿrub, fils de Yašḥub, fils de Nābit, fils d'Ismāʿīl, fils d'Ibrāhīm l'ami du Clément, fils d'Azar, fils de Nāḥūr, fils de Sārūḥ,

P. ٢٣

fils de Ḳais, fils de 'Ailān. Cette généalogie n'est authentique que jusqu'à Muḳātil b. Kūmī b. 'Aun Allāh, et dans les noms qui suivent ce dernier jusqu'à Ḳais b. 'Ailān, il y a soit des variations, soit des erreurs de lecture, soit des changements dans l'ordre de filiation, en avant ou en arrière. Que le lecteur voie cette liste dans les généalogies des Maṭmāṭa et des Ṣaṭfūra inscrites dans les deux ouvrages sur la généalogie des Berbères (*Kitāb ansāb al-Barbar*) de Muḥammad b. Yūsuf al-Warrāḳ al-Ḳarawī (1) et de 'Abd al-Ḥaḳḳ b. Ibrāhīm aṣ-Ṣanhāǧī.

En tout cas, il n'y a pas de doute que le Calife descende de Sulaim, fils de Manṣūr, fils de Ḳais, fils de 'Ailān, fils de Muḍar, souche du Prophète — Allāh le bénisse et le sauve ! — L'ancêtre de ses ancêtres vint débarquer sur le littoral de la région de Tlemcen, fuyant une révolte dans le pays d'al-Andalus (2) ; il y devint le voisin d'un clan des Maṭmāṭa, frères des Zanāta. Et ses descendants reçurent leur ethnique, par le jeu des liens de voisinage et d'alliance. Aucun doute n'existe à ce sujet chez les gens compétents en la matière.

Quant à la chaîne de filiation entre 'Aun Allāh et Sulaim,

(1) Sur cet historien, né à Guadalajara en 292/904 et mort à Cordoue en 363 / 973, et qui composa pour le calife al-Ḥakam II des monographies historiques et géographiques sur le Maǵrib, cf. aḍ-Ḍabbī, *Buǵyat al-multamis*, éd. Codera et Ribera (*Bibl. Ar. Hisp.*, III, Madrid, 1885), n° 304, p. 131 ; Ibn al-Abbār, *Takmilat aṣ-Ṣila*, éd. Codera (*Bibl. Ar. Hisp.*, V et VI, Madrid, 1887-89), p. 101, n° 344 et p. 367, n° 1050 ; al-Maḳḳarī, *Nafḥ aṭ-ṭīb*, éd. de Leide (*Analectes sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne*), t. II, pp. 122-113 ; F. Pons Boigues, *Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-españoles*, Madrid, 1898, n° 39, pp. 80-81.

(2) D'après Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, t. X, p. 401 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 528, les Kūmya se seraient installés dans le pays de Tlemcen en 180 (796-97).

GÉNÉALOGIE DU CALIFE 'ABD AL-MU'MIN B. 'ALĪ.

C'était 'Abd al-Mu'min, fils de 'Alī, fils de 'Alwī, fils de Ya'lā, fils de Ḥasan, fils de Gannūna, fille d'Idrīs, fils d'Idrīs, fils de 'Abd Allāh, fils d'al-Ḳāsim, fils de Muḥammad, fils d'al-Ḥasan, fils de 'Alī, fils d'Abū Ṭālib, fils de 'Abd al-Muṭṭalib (1).

On donne aussi la généalogie suivante : 'Abd al-Mu'min, fils de 'Alī, fils de 'Alwī, fils de Ya'lā, fils de 'Alī, fils de Ḥasan, fils de Naṣr, fils de l'émir Abū Naṣr, fils de Muḳātil, P. ٢٢ fils * de Kūmī, fils de 'Aun Allāh, fils de Warǧā'iǵ, fils de Yanfar, fils de Marau, fils de Maṭmāṭ, fils de Ṣaṭfūr, fils de Nafūr, fils de Raǧīk, fils de Yaḥyā, fils de Hazraǧ,

(1) La généalogie de 'Abd al-Mu'min est donnée tout au long, d'une part par Ibn Abī Zar', *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 119 et Ibn al-Ḫaṭīb, *Raḳm al-ḥulal*, p. 54, d'autre part, avec quelques variantes, par *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 107 (qui la donne comme ayant été écrite par le propre petit-fils de 'Abd al-Mu'min, Abū Muḥammad 'Abd al-Wāḥid). Mais il ne s'agit chez ces auteurs que d'une généalogie faisant remonter le souverain à Ḳais 'Ailān et à Muḍar et lui assignant ainsi une origine purement arabe. Cf. dans le même sens 'Abd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Mu'ǧib*, texte, p. 141, trad., p. 171. Ici, en plus, apparaît le souci de faire remonter 'Abd al-Mu'min au Prophète par l'intermédiaire de la fille d'Idrīs II, Gannūna : il faut vraisemblablement faire peu de cas de cette assertion sur laquelle l'auteur insiste tant. Mais il est probable que ces princes almohades durent donner à la généalogie fournie ici une confirmation officielle : elle faisait en effet de leur dynastie l'héritière directe de la dynastie idrīside. Voir d'ailleurs plus bas 'Abd al-Mu'min désigné comme « l'homme des Banū Gannūna » et le dicton rimé : « Malheur aux Lamtūna, par un homme qui comptera parmi les Banū Gannūna ! » — Ibn Ḫaldūn, *Kitāb al-'Ibar, Histoire des Berbères*, texte, I, p. 160-161 ; trad., I, p. 251, donne dans sa notice historique des Kūmya la généalogie qui fait remonter 'Abd al-Mu'min à Ḳais 'Ailān, en faisant remarquer que la prétendue origine arabe du fondateur de la dynastie almohade est une pure fabrication et que sa famille était certainement berbère.

Quant à la généalogie suivante qui lui a été attribuée : Muḥammad, fils de ʿAbd Allāh, fils de ʿAbd ar-Raḥmān, fils de Hūd, fils de Ḫālid, fils de Tammām, fils de ʿAdnān, fils de Ṣafwān, fils de Ğābir, fils de Yaḥyā, fils de Rabāḥ, fils de ʿAṭā', fils de Yasār, fils d'al-ʿAbbās, fils de Muḥammad, fils d'al-Ḥasan, fils de Fāṭima, fille du Prophète d'Allāh, les proches du Mahdī, ainsi que les gens compétents en matière de généalogie, ignorent cette ascendance. Allāh sait mieux que quiconque ce qu'il en est ! (1)

(1) La première des deux généalogies du Mahdī données ci-dessus est la même que celle que l'on trouve en troisième lieu dans la *Chronique anonyme*, p. 6 du texte arabe, 11-12 de la trad. Il y a tout lieu de la croire exacte pour les premiers ascendants. On comprend les motifs qui poussèrent les Almohades (ou moins probablement Ibn Tūmart lui-même), à donner à leur Mahdī une origine chérifienne, par l'intermédiaire des deux Idrīs. Cette prétendue ascendance permettait de rattacher Ibn Tūmart à la première dynastie chérifienne du Maroc et de lui assurer un prétendu lien de parenté avec son successeur ʿAbd al-Mu'min, le premier calife almohade. Quant à l'autre généalogie, qui remonte également au Prophète et essaie de faire d'Ibn Tūmart un pur Arabe, on la retrouve également dans la *Chronique Anonyme* (en premier lieu), *loc. cit.* Sur la généalogie prétendue du Mahdī, cf. également ʿAbd al-Wāḥid al-Marrākušī, *al-Muʿǧib*, texte, p. 128, trad., p. 155 (généalogie ḥasanide, d'après un écrit de la main d'Ibn Tūmart) ; Ibn Abī Zarʿ, *Rauḍ al-ḳirṭās*, p. 110 (d'après quelques historiens tels qu'Ibn Maṭrūḥ al-Ḳaisī) ; Ibn Ḫaldūn, *ʿIbar, Histoire des Berbères*, texte, t. I, p. 298, trad., t. II, pp. 161-162 (deux généalogies berbères et une chérifienne). Cf. aussi Ibn Ḫallikān, *Wafayāt al-aʿyān*, t. III, p. 205, t. IV, p. 97 ; *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 75 (d'après Ibn Rašīḳ et Ibn al-Ḳaṭṭān) ; az-Zarkašī, *Ta'rīḫ ad-daulatain*, texte, p. 1, trad., p. 1 ; Ibn al-Aṯīr, *Kāmil*, t. X, p. 400 = *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, p. 526-27 ; an-Nuwairī, *Histoire d'Afrique*, p. 188. Voir aussi sur cette généalogie I. Goldziher, *Materialen zur Kenntniss der Almohadenbewegung*, in *Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, t. XLI, 1887, p. 30 sqq.—Sur la discussion de l'origine d'Ibn Tūmart, on peut consulter en outre Henri Basset et Henri Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, in *Hespéris*, t. IV, Paris, 1924, p. 21-22.

nous fasse mourir, ainsi que vous, pour sa religion, et qu'Il nous réunisse dans son parti : car Il entend et Il sait !

Réfléchis aux arguments et aux histoires des gens passés que nous venons de rappeler : alors, tu te rendras à l'évidence de la perte à laquelle sont voués ceux qui ambitionnent l'accès du Paradis par leur généalogie, leur élévation terrestre * et les égards qu'ils croient qu'elle leur vaudra dans la vie future. La seule utilité que la généalogie présente, c'est la connaissance réciproque des tribus, en illustration de la parole du très-Haut : *Nous vous avons partagés en familles et en tribus, afin que vous vous connaissiez mutuellement* (1). Cela, les gens sages ne l'ignorent pas. Allāh, par sa bienveillance, nous place de leur nombre ! Il n'est pas de divinité excepté Lui ! (2).

P. ٢١

GÉNÉALOGIE DE L'IMĀM IMPECCABLE, LE MAHDĪ CONNU,

relatée d'après les rapports dignes de foi de ses proches et d'autres personnes :

Muḥammad, fils de 'Abd Allāh, fils d'Ūgallīd, fils de Yāmṣal, fils de Ḥamza, fils de 'Īsā, fils de 'Ubaid Allāh, fils d'Idrīs, fils de 'Abd Allāh, fils d'al-Ḥasan, fils de Fāṭima, fille du Prophète d'Allāh — qu'Allāh le bénisse et le sauve ! — Telle est sa généalogie exacte.

(1) *Coran*, sūr. XLIX, vers. 13.

(2) La lettre qui précède constitue sans doute une réponse almohade à ceux qui reprochaient au Mahdī et à 'Abd al-Mu'min de n'être pas des descendants du Prophète, ou qui contestaient la fausse généalogie chérifienne qu'on essaya plus tard de leur donner.

leurs proches, après qu'ils ont acquis la certitude que ceux-ci sont destinés au feu de l'Enfer (1). — Selon Abū Huraira, le Prophète dit à son oncle Abū Ṭālib : « Dis : « Il n'y a d'autre divinité qu'Allāh », et je témoignerai le jour de la Résurrection que tu as prononcé ces mots. » Il répondit : « Si les Ḳuraišites ne devaient pas m'injurier pour cette parole, j'en aurais rafraîchi ton œil ! » Alors Allāh très-Haut révéla au Prophète ce verset : *Tu ne dirigeras pas qui tu voudras, mais Allāh, lui, dirige qui il lui plaît; et il sait mieux quels sont ceux qui sont bien dirigés* (2). — D'après Ibn ʿAbbās, le Prophète dit : « Celui qui parmi ceux de l'enfer, sera le plus légèrement châtié sera Abū Ṭālib : on lui mettra sous la plante des pieds un charbon ardent qui fera bouillir sa cervelle (3) ». — Al-ʿAbbās b. ʿAbd al-Muṭṭalib a rapporté ce qui suit : « Je dis à l'Envoyé d'Allāh : En quoi as-tu été utile à ton oncle paternel Abū Ṭālib? Car il te protégeait, et te défendait, et faisait, et faisait... ! » Le Prophète dit : « Il est dans le feu jusqu'à la cheville. Or, sans moi, il aurait été dans les bas-fonds de l'enfer ! (4) ».

Si l'accès du Paradis était assuré par la noblesse de la généalogie, ceux que nous venons de citer y seraient certainement entrés. Allāh nous place, ainsi que vous, au nombre de ceux qu'Il dirige et affermit dans sa foi et la Sunna de son Prophète — sur lui soit le salut ! —; qu'Il

(1) *Coran*, sūr. IX, vers. 114.

(2) *Ibid.*, sūr. XXVIII, vers. 56. Cf. al-Buḫārī, *Ṣaḥīḥ*, titre LXV, sūrate XXVIII, chap. I; trad., III, p. 410.

(3) Cf. al-Buḫārī, *Ṣaḥīḥ*, titre LXXXI, (*Des menus faits de la vie*) chap. LI, 13; trad., IV, p. 310.

(4) *Ibid.*, titre LXIII (*Des fastes des Anṣār*), chap. XL, 1; trad., III, p. 36. Cf. aussi, titre LXXXI, chap. LI, 23; trad. IV, p. 313.

dieu aux miens? O Ibrāhīm, si tu ne t'abstiens pas de l'adorer, je te lapiderai! Quitte-moi pour une longue période! (1) Azar périt, alors que son fils était l'ami d'Allāh, et les liens de parenté qui les unissaient ne lui servirent de rien.

P. ٢٠ * Un autre argument est l'histoire d'Abū Ṭālib (2), oncle paternel du Prophète. Sa'īd b. al-Musaiyab (3) a rapporté d'après son père ce qui suit (4) : « Au moment où Abū Ṭālib allait mourir, le Prophète vint le voir. Il y avait là Abū Ǧahl — Allāh le maudisse! — et 'Ubaid Allāh b. Abī Umaiya. « O mon oncle, s'écria le Prophète, prononce ces mots : « Il n'y a pas d'autre divinité que Dieu », et alors je plaiderai ta cause auprès de Dieu. » Mais Abū Ǧahl et 'Ubaid Allāh b. Abī Umaiya, prenant la parole, dirent : « O Abū Ṭālib, vas-tu donc abandonner la foi de 'Abd al-Muṭṭalib? » Il se recueillit un moment et dit : « La fin de toute chose est sur la foi de 'Abd al-Muṭṭalib! » Alors le Prophète ayant dit : « Je ne cesserai d'implorer de Dieu ton pardon, tant qu'on ne m'aura pas interdit de le faire! », le verset suivant fut révélé : *Ce n'est ni au Prophète, ni à ceux qui croient, qu'il appartient de demander le pardon de Dieu en faveur des polythéistes, même s'ils sont*

(1) *Coran*, sūr. XIX, vers. 47.

(2) Sur la mort d'Abū Ṭālib, cf. notamment as-Suhailī, *ar-Rauḍ al-unf*, le Caire, 1332/1914, t. I, p. 258-60 (on y retrouve la plupart des *ḥadīṯ* rapportés ici) et L. Caetani di Teano, *Annali dell' Islām*, t. I, Milan, 1905, p. 307-308.

(3) On trouvera l'exposé sommaire de la biographie de ce personnage et sa bibliographie complète dans M. Ben Cheneb, *Classes des Savants de l'Ifrīqiyya*, trad. française, p. 74, note 1.

(4) Ce *ḥadīṯ* se trouve dans le *Ṣaḥīḥ* d'al-Buḫārī, titre LXVI *(De l'interprétation du Coran)*, sūrate IX, chapitre XVI. La traduction a été empruntée à O. Houdas et W. Marçais, *Les Traditions Islamiques* d'el-Bokhâri, t. III, Paris, 1908, p. 337. Cf. aussi, III, p. 36 et 410.

son fils, rappelée par la parole du très-Haut : *Mon fils, monte avec nous* [sur l'arche] *et ne sois pas avec les infidèles. — Il répondit : Je me retirerai sur une montagne qui me mettra à l'abri de l'eau* (1) — jusqu'aux versets : *Nūḥ invoqua son Seigneur et lui dit : Mon Seigneur, certes mon fils est de ma famille, et sans doute ta promesse est la vérité ; tu es le plus juste parmi les justes! Dieu dit : O Nūḥ, certes, il n'est point de ta famille! Implorer pour lui n'est pas une bonne action!* (2) Il périt, et sa naissance ne lui servit de rien, encore qu'il fût le fils d'un Prophète et d'un Envoyé d'Allāh.

Un autre argument est encore l'histoire de Mūsā (Moïse) avec Ḳārūn (Coré), qui était l'un de ses proches. Elle est rappelée par la parole du très-Haut : *Nous le fîmes alors s'engloutir, lui et sa maison, dans la terre; et nulle troupe de gens ne put le secourir contre Allāh : il ne fut point parmi les secourus* (3).

Un autre argument est encore l'histoire d'Ibrāhīm (Abraham) l'Ami de Dieu avec son père Azar. Elle est rappelée par la parole du très-Haut : *Et* [souviens-toi] *quand Ibrāhīm dit à son père Azar : Prendras-tu des idoles pour divinités? Certainement, je te vois toi et ton peuple dans une erreur manifeste!* (4) Et aussi cette parole : *Et mentionne dans le Livre Ibrāhīm : il était juste, prophète. Quand il dit à son père : O mon père, pourquoi adores-tu ce qui n'entend, ni ne voit, et ne pourra te servir à rien?* (5) — jusqu'à la parole du très-Haut : *Il lui répondit : Préfères-tu donc ton*

(1) *Coran*, sūr. XI, vers. 44-45.
(2) *Ibid.*, sūr. XI, vers. 47-48.
(3) *Ibid.*, sūr. XXVIII, vers. 81.
(4) *Ibid.*, sūr. VI, vers. 74.
(5) *Ibid.*, sūr. XIX, vers. 42-43.

sommes de la même origine, son illustration est notre illustration, sa gloire est notre gloire et sa noblesse est notre noblesse ! Nous entrerons au Paradis par le seul effet de nos ascendances. » Mais quand fut révélé au Prophète ce verset : *Alors* [quand la trompette du Jugement dernier sonnera], *il n'y aura plus de liens de généalogie entre les hommes; ils ne se poseront plus de questions à leur sujet* (1), ils dirent : « Par quel moyen entre-t-on donc au Paradis? » Allāh très-Haut dit alors en manière d'explication : *Ceux dont les plateaux seront les plus lourds sur la balance, ceux-là seront les heureux; et ceux dont les plateaux seront les plus légers, ceux-là se seront perdus eux-mêmes; ils séjourneront éternellement dans la géhenne* (2), etc. Alors les Ḳuraišites apprirent que c'est seulement ce qu'on a exposé plus haut qui permet d'accéder au Paradis.

Un autre argument en faveur de ce que nous avons dit est l'histoire des fils d'Adam, Abel (Hābil) et Caïn (Ḳābil), P. ١٩ tous deux ayant pour père * Adam et pour mère Ève : l'un d'eux alla en enfer et l'autre dans le sein de la miséricorde divine. C'est à leur aventure que fait allusion la parole du très-Haut : *Et récite-leur l'histoire des deux fils d'Adam, avec vérité. Alors qu'ils offraient leurs offrandes, celle de l'un d'eux fut acceptée, celle de l'autre ne le fut pas. Celui-ci dit à son frère : Certes, je te tuerai ! L'autre répondit : Allāh n'accepte que les offrandes de ceux qui le craignent !* (3) — jusqu'au verset : *Et son esprit lui persuada de tuer son frère, et il le tua. Et il fut au nombre des réprouvés* (4).

Un autre argument est l'histoire de Nūḥ (Noé) avec

(1) *Coran*, sūr. XXIII, vers. 103.
(2) *Ibid.*, sūr. XXIII, vers. 104-105.
(3) *Ibid.*, sūr. V, vers. 30.
(4) *Ibid.*, sūr. V, vers. 33.

DEUXIÈME PARTIE

LA GÉNÉALOGIE DES ALMOHADES ET L'ORGANISATION DU PARTI.

EXTRAITS DU *KITĀB AL-ANSĀB FĪ MAʿRIFAT AL-AṢḤĀB*, « LE LIVRE DES GÉNÉALOGIES POUR CONNAITRE LES COMPAGNONS » DU MAHDĪ IBN TŪMART.

P. ١٨ * ... [*citation coranique*]... jusqu'à la fin du verset. Le Livre contient beaucoup d'autres versets relatifs au même point. Je n'ai invoqué ici ces arguments tirés du Livre d'Allāh très-Haut qu'afin que personne ne se fie aux généalogies : car ce n'est point par elles que l'on accède au Paradis, mais seulement, comme nous l'avons dit précédemment, par la piété, les bonnes actions et la grâce d'Allāh très-Haut. On trouve dans les chroniques relatives aux gens du temps passé — Allāh les agrée ! — qu'ils ont dit : « Votre père est Adam, votre mère est Ève et votre Dieu est unique ! » — *Celui qui parmi vous sera le plus honorable auprès d'Allāh sera celui qui le craindra le plus* (1).

Quand Allāh puissant et grand envoya comme prophète Muḥammad, les gens de Ḳuraiš prétendirent qu'ils entreraient au Paradis du seul fait de leur naissance et sans être croyants. Ils disaient : « Si Muḥammad dit la vérité, du moment qu'il est un rejeton de notre famille et que nous

(1) *Coran*, sūr. XLIX, vers. 23.

Le Calife recommande ensuite, à l'exemple d'Ibn Tūmart, une police sévère des mœurs, une surveillance étroite des gens dans leur conduite privée et une guerre à outrance contre le vin et les boissons fermentées. Il faut mettre fin à toutes les pratiques du paganisme et au relâchement de la moralité publique. De même à tous les actes de concussion. Il faut pourchasser les prévaricateurs, ceux qui cherchent des prétextes pour ne pas répondre à l'appel à la guerre sainte. Tous ces méfaits doivent être punis du châtiment suprême.

Au surplus, le Calife envoie en même temps aux ṭālibs la copie d'une lettre qui avait été rédigée à l'instigation du Mahdī, et dans laquelle toutes les prescriptions de la doctrine almohade sont clairement définies et exposées (1). *C'est une sorte de code des mœurs qu'il faut appliquer à la lettre. Les ṭālibs auront à se charger de ce soin sur les territoires qu'ils gouvernent. Ils y devront procéder à des inspections, au moyen de gens sûrs et entièrement dévoués au régime.*

(1) C'est sans doute la première des lettres traduites plus haut à laquelle 'Abd al-Mu'min fait allusion ici.

---

abus et d'ordonner l'observance stricte de la véritable doctrine « unitaire ». D'abord, l'étude du tauḥīd, *qui constitue le fondement de la religion. Il faudra ordonner à ceux des sujets qui comprennent et parlent la langue arabe de se livrer à cette étude d'une manière complète. Les étudiants des villes devront apprendre par cœur et commenter les différentes* 'aḳīda (1) *du Mahdī. Tout le monde, y compris les petites gens et la population des gynécées, devra pouvoir réciter et comprendre la* 'aḳīda *fondamentale qui commence par les mots :* Sache — Allāh nous dirige dans la bonne voie, ainsi que toi !... (2). *Cette obligation s'étendra aux hommes comme aux femmes, aux gens de condition libre comme aux esclaves. Qui ne s'y conformera pas devra être mis à mort.*

L'obligation de faire la prière devra être ensuite l'objet d'un contrôle minutieux de la part des ṭālibs almohades. Le vulgaire et les « gens des maisons » devront savoir par cœur au moins la sūrate initiale du Livre, ainsi qu'une autre (3), *et, autant que possible, d'autres passages du Coran : leur prière pourra alors être considérée comme complète. Qui négligera de s'acquitter de cette obligation sera tué.*

Les sujets de l'empire devront aussi verser avec zèle et régularité l'impôt de la zakāt *: car c'est lui qui alimente le trésor public et le budget de la guerre sainte.*

(1) C'est-à-dire les « actes de foi ». Sur la signification de ce mot et les plus célèbres *'aḳīda* musulmanes, cf. Carra de Vaux, dans l'*Encyclopédie de l'Islām*, I, pp. 239-241, s. v°.

(2) Cette *'aḳīda* a été publiée dans le *Livre d'Ibn Toumert*, éd. Luciani, pp. ٢٤١-٢٤٢. On la trouve également citée dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 87-88. M. Henri Massé en publie une traduction française dans le *Mémorial Henri Basset* (Paris, 1928).

(3) De même dans la lettre du Mahdī traduite plus haut. Cf. *supra*, p. 8.

Après une ḥamdala *et une* taṣliya, *l'une et l'autre fort longues, commence un réquisitoire du régime précédent, sous la dynastie almoravide, et une apologie du Mahdī. Le Calife dit ensuite qu'il envoie ce message du Ribāṭ al-fatḥ, et qu'il tient, de ce camp de rassemblement de guerre sainte, à adresser ses instructions dans le but de réprimer le relâchement des mœurs qui lui est signalé dans différentes parties de son empire. Beaucoup de ses sujets « ne mettent pas fin à leur mauvaise conduite et n'ont pas peur du châtiment qu'elle leur vaudra* (1) *». « Ils ne veulent pas, ajoute plus loin le rédacteur de la lettre, rejeter la honte de l'interdit et du déshonneur, cesser de courir dans les déserts de la vanité et d'y lâcher les rênes, de tournoyer au-dessus des creux de l'égarement et d'y prendre leur vol* (2). »

Aussi le Calife Imām a-t-il décidé de mettre fin à ces

j'ai donné quelques renseignements dans l'introduction qui précède. Cette lettre y est reproduite intégralement et y est donnée comme l'œuvre du vizir de 'Abd al-Mu'min, Abū Ğa'far Ibn 'Aṭīya. C'est la quarante-quatrième du recueil. Elle porte à la fin la date du 3 rabī' I 556 (2 mars 1161). Dans le recueil, elle est adressée aux ṭālibs de Bougie et précédée d'une indication dont voici la traduction : « Et le vizir excellent Abū Ğa'far Ibn 'Aṭīya — Allāh lui fasse miséricorde ! — écrivit de la part de l'Émir des Croyants à la population de Bougie pour lui recommander d'appliquer les peines légales, de conserver les lois religieuses et de faire apparaître la vérité en rendant obligatoire la pratique des devoirs. »

J'ai cru utile de reproduire en appendice (pages ١٣٤-١٤٥) le texte in-extenso de cette missive, qui fut sans doute une lettre circulaire adressée par 'Abd al Mu'min aux principaux ṭālibs almohades « de la première heure » éparpillés dans les différentes régions de son empire. C'est une longue suite de phrases ampoulées et rimées, où les idées sont le plus souvent sacrifiées à l'assonance. Aussi n'ai-je pas cru utile de la traduire. On en trouvera simplement ici une analyse sommaire.

(1) Texte, p. ١٣٨, premier alinéa.

(2) Texte, p. ١٣٩, au début.

***

P. ١٣ * *Basmala* *Taṣliya*

De la part de Muḥammad b. 'Abd Allāh...

... Mettez-nous au courant en nous expliquant ce dont il s'agit et en le tirant au clair, pour que le pervers puisse être reconnu pour sa perversité et le bon pour sa bonne conduite. Faites venir une délégation de chez vous, qui comprenne vos šaiḫs et vos notables doués de perspicacité — Allāh les assiste ! — pour qu'ils aient la preuve des signes en question, qui font l'objet de la lettre que vous m'avez envoyée. Ils se livreront à leur sujet à une enquête approfondie et complète, et ils nous en feront connaître les résultats, pour que nous examinions... [*lacune*]... Qu'Allāh pardonne à qui se repentira, deviendra juste et découvrira la vérité, et qu'il nous aide tous à faire face aux nécessités, par sa grâce et sa générosité ! Salut à vous, avec la miséricorde d'Allāh et ses bénédictions !

***

LETTRE DITE *RISĀLAT AL-FUṢŪL*.

Basmala *Taṣliya*

Lettre du Calife — Allāh l'agrée ! — écrite afin d'avertir, d'enseigner, de conseiller, d'ordonner ce qui est recommandable et de prohiber ce qui est blâmable. Cette lettre est connue sous le nom de *Risālat al-fuṣūl*, la « lettre aux paragraphes » (1).

(1) Le texte arabe de cette lettre (pages ١٣-١٧) était déjà tiré quand j'ai pu, grâce à l'obligeance de mon ami Georges S. Colin qui me l'a communiqué, examiner le recueil manuscrit de lettres almohades officielles qu'il a acquis à Fès en 1926 et sur lequel

s'en sont armés pour couper court à vos attaques, comme furent arrêtées celles des gens de Badr. Ils donneront des coups de leurs sabres, ils frapperont de leurs lances, dans la voie d'Allāh ! A coup sûr, il viendra une armée d'Arabes que l'autorité divine dirigera : elle bouillonnera sur vous comme bouillonne l'eau d'une marmite sur un feu ardent ! Malheur à ceux du Ġarb ! les pires d'entre eux les feront périr ensuite ; malheur à ceux du Sūs, à leurs voisins les Guzūla d'al-Kust et les Lamṭa, à ceux du sud, tous ! Il se peut, s'il plaît à Allāh, que cela soit en 97, 98 ou 99 : alors, il y aura une bataille ; on y verra, au début, de la poussière ; au milieu, l'annonce d'une bonne nouvelle ; à la fin, un grand événement chez les Chrétiens, extraordinaire ! (1) Je demande à Allāh l'infaillibilité [dans cette prédiction], car nul, à part Allāh, ne connaît les choses cachées. Les ordres d'Allāh sont des arrêts auxquels on doit obéir ; et qui agira différemment devra être tué.

Allāh, Maître des Mondes, soit grandement loué ! C'est par sa grâce que se complètent les bonnes œuvres. Que sur vous soit le salut, le salut prescrit par la Sunna (2), non le salut souhaité de bon gré par nous à votre intention !

été des fabricants de lances solides auxquelles ils donnèrent leurs noms. Mais ces deux noms propres semblent plutôt ceux de deux localités, l'une dans l'Éthiopie, l'autre dans le Baḥrain, devenues célèbres pour leurs lances. Cf. 'Alī b. 'Abd ar-Raḥmān Ibn Huḏail, *La parure des cavaliers et l'insigne des preux*, trad. Louis Mercier, Paris, 1924, p. 243.

(1) Cette lettre veut donner au lecteur une impression de mystère. Son ton sybillin rappelle assez celui des prédictions faites par les *wālī* marocains de l'époque moderne. L'allusion à la bataille d'Alarcos aurait pu être formulée par l'illuminé d'une façon un peu moins obscure !

(2) Cf. sur l'obligation sunnite du *salām*, C. van Arendonk, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. III, livr. B., p. 92-95, s. v°.



LETTRE DU MAHDĪ AUX ALMORAVIDES.

Basmala *Taṣliya*

De la part de Muḥammad b. 'Abd Allāh, l'Arabe, le Ḳuraišite, le Hāšimite, le descendant de Muḥammad par Fāṭima et al-Ḥasan (1).

P. ١٢ *A la troupe des injustes, à la horde des impies, *qui oppriment le pays et y font croître le mal* (2), à ceux que Satan a fait glisser, qui ont excité la colère du Clément, à l'ensemble des Voilés (*mulaṯṯimūn*), les *Zarāǧina* (3) qui habitent au Sūs — Allāh les anéantisse !

Ensuite — j'ai trouvé que la plupart d'entre vous sont des pervers ; nous vous voyons éloignés de la vérité ; vous n'avez pas présents à l'esprit les châtiments du Maître des Mondes. Les gens se plaignent de vous, car vous êtes les pires parmi les pires et de ces pires vous suivez évidemment les traces ! Allāh très-Haut a ordonné de réfuter les arguments des pécheurs et de les inviter à suivre la voie droite !

Les Almohades vont venir vers vous, s'il plaît à Allāh ; dans leurs mains sont des sabres tranchants et des lances acérées, de Samhar et de Rudaina (4). Les Almohades

(1) Ce début de lettre est certainement apocryphe, car il est peu probable qu'au début de sa prédication Ibn Tūmart se soit arrogé une généalogie remontant au Prophète et une origine ḳuraišite. On peut rapprocher de cette lettre celle qui est citée dans *al-Ḥulal al-maušīya*, p. 81.

(2) *Coran*, sūr. LXXXIX, vers. 10-11.

(3) *Sic.* — Je ne sais à quoi se rapporte exactement ce surnom donné aux Almoravides par les Almohades. On le verra réapparaître plusieurs fois dans la chronique d'al-Baidaḳ. Voir aussi au glossaire, s. v°.

(4) Une légende veut que Samhar et sa femme Rudaina aient

m'a ordonné de réfuter les arguments des pécheurs, d'inviter les gens à croire avec certitude ; et nous demandons à Allāh de récompenser les bons !

Ne restez pas inattentifs, car les Musulmans [...vont venir vous combattre...]. Il est nécessaire que nous vous fassions la guerre et nous réussirons..., en combattant ceux qui se sont montrés injustes, se sont écartés de la voie droite et ont renié les bienfaits d'Allāh. La parole révélée nous enseigne que vous n'êtes pas des croyants, que vous ne croyez point à la phrase : « Il n'est d'autre dieu qu'Allāh ! » ; vous ne la prononcez que lorsque vous avez peur ou que vous êtes étonnés (1). Celui qui délaisse un ordre de la Sunna est comme s'il la délaissait tout entière. Aussi l'effusion de votre sang est-elle licite, vos biens constituent un butin justifié. Nous vous avons montré et expliqué clairement la voie à suivre. *Mais les signes et les avertissements ne sont d'aucune utilité à des gens qui ne croient pas !* (2) — *Ceux qui ont péché sauront un jour de quelle culbute ils seront culbutés!* (3) Salut à ceux qui suivent la voie droite et craignent le Clément ! (4)

(1) C'est-à-dire en manière d'exclamation craintive ou admirative.

(2) *Coran*, sūr. X, vers. 101.

(3) *Ibid.*, sūr. XXVI, vers. 228.

(4) C'est là, on le sait, la formule de salutation que se contentent d'employer encore aujourd'hui beaucoup de Musulmans maġribins quand ils ont à écrire à des infidèles. La phrase est coranique (XX, 49). Cf. C. van Arendonk, in *Encyclopédie de l'Islām*, sub *salām*, t. III, livr. B., p. 94-95.

s'il plaît à Allāh puissant et grand ! Montrez-vous dignes de l'opinion que nous avons de vous, regardez en vous-mêmes, sachez ce que l'on désire de vous et ne laissez point se perdre votre bonne fortune.

Cette lettre est un message de rappel et de bon conseil. Nous vous invitons à vous souvenir : souvenez-vous ; nous vous avertissons : soyez sur vos gardes ; nous vous adressons des conseils : acceptez-les ; nous vous envoyons un appel : répondez-y ! Allāh nous donne ainsi qu'à vous un viatique de piété et termine tout au mieux pour nous et pour vous ! Salut, avec la miséricorde d'Allāh et ses bénédictions !



LETTRE DU MAHDĪ AU SULTAN ALMORAVIDE
'ALĪ B. YŪSUF.

P. 11 **Basmala* *Taṣliya*

De la part de celui qui se dresse pour la religion d'Allāh, qui agit par la Sunna du Prophète d'Allāh, Muḥammad b. 'Abd Allāh — Allāh l'agrée !

A celui qui est plongé dans les séductions de sa vie terrestre, 'Alī b. Yūsuf.

Ensuite — *nous n'avons trouvé chez la plupart d'entre vous aucun respect du pacte qui nous lie à la divinité. Le plus grand nombre des vôtres sont des pervers* (1). Vous ne craignez pas le châtiment du Maître des Mondes et vous ne pensez pas à [redresser] ceux qui vous entourent et qui ont péché : ils se sont égarés et c'est en vain qu'ils se sont repentis ensuite ; et tous les gens ont suivi leur conduite ! Comme ils sont les plus perdus parmi les perdus, Allāh

(1) *Coran*, sūr. VII, vers. 100.



POST-SCRIPTUM DU CALIFE.

Basmala *Taṣliya*

A la suite de cette épître bénie se trouvent ces paroles du Calife — Allāh l'agrée! — :

Quand cette lettre de nous vous parviendra, réfléchissez à son contenu et attachez-vous à le comprendre. Car la parole du Mahdī — Allāh l'agrée ! — c'est de la lumière, de la clarté, une source de miséricorde et de guérison pour les troubles des cœurs. Elle est tout entière sagesse, science et exhortation. Quand vous y aurez réfléchi et en aurez accepté les termes, Allāh vous en fera tirer le profit et vous en gagnerez la bénédiction, s'il plaît à Allāh puissant et grand ! Remerciez Allāh qui a inspiré ce message, à vous spécialement adressé, et reconnaissez les faveurs dont Il vous dote à cette occasion. Nous vous l'avons spécialement destiné, car nous mettons en vous de grands espoirs, et nous avons eu en vue le parti que vous en tireriez, dans ce bas-monde comme dans l'autre. Nous ne l'avons adressé à personne avant vous. Réfléchissez-y : car il s'y trouve des significations importantes et une sagesse éloquente ! Mettez toute votre intelligence à la comprendre, tous vos cœurs à en saisir la sagesse, et vous ne serez pas déçus en en retirant la bénédiction, s'il plaît à Allāh, par sa grâce et sa miséricorde !

Nous espérons que vous prendrez tout le bien et le profit de ce message. Nous désirons pour vous le bonheur que nous désirons pour nous-mêmes ; nous ne voulons pour vous que le bien, la gloire durable en ce monde et dans la vie future,

nous donne le pouvoir de les anéantir ! — Ils ont déclaré licite ce qui est interdit, et ce qui est interdit est devenu leur nourriture, leur boisson, leurs vêtements, leur habitation, leur façon de monter à cheval. Tout cela, ils l'ont déclaré permis et par là, ils ont accru leur infidélité déjà constituée par leur « anthropomorphisme » (*taǧsīm*).

Sachez — Allāh vous assiste ! — que les combattre est une obligation religieuse pour la plupart d'entre vous, pour ceux qui sont capables de lutter. Appliquez-vous au *ǧihād* des infidèles voilés (*mulaṯṯimūn*) (1), car il est plus important de les combattre que de combattre les Chrétiens (*Rūm*) et tous les infidèles, deux fois ou plus encore ; en effet, ils ont attribué un aspect corporel au Créateur — qu'Il soit glorifié ! —, rejeté le *tauḥīd*, été rebelles à la vérité !...
.........[*lacune*] ....
.... Soyez fermement attachés à votre religion dans le bonheur comme dans l'adversité : car vous êtes dans la vérité [*lacune*] [et vous obtiendrez le succès], car c'est pour elle que vous combattez. Soyez certains qu'Allāh vous récompensera, croyez à l'issue décisive * de la guerre sainte *et attachez-vous fortement à Allāh* (2), votre Maître ! Quel excellent Maître, et quel excellent Défenseur ! Qu'Allāh nous compte ainsi que vous au nombre de ses esclaves parfaits et de ses partisans fortunés ! Salut à vous, avec la miséricorde d'Allāh et ses bénédictions ! C'est Lui qui nous demandera des comptes ; et quel excellent mandataire !

P. ١٠

(1) Les Almoravides, qui portent le *liṯām* sur leurs visages.
(2) *Coran*, sūr. III, vers. 98.

de musique, les lamentations aux funérailles, les imprécations en présence des coups de l'adversité. Ne fréquentez P. ٩ pas * les gens de mauvaise conduite, n'ayez pas de relations avec eux, ne regardez pas leurs visages. Entre vous, liez-vous d'amitié, ne cessez pas vos relations ; aimez-vous les uns les autres et ne vous tournez pas le dos ; mettez-vous d'accord et ne vous désunissez pas ; soyez en pleine entente et ne vous querellez pas. Ne soyez pas séduits par ce bas-monde, car il est vain, et *tous les êtres qui s'y trouvent sont périssables* (1) ; il ressemble aux songes d'un endormi ; ne vous reposez pas sur lui, car il est la source de tout malheur et l'origine de toute faute ! C'est pour lui qu'ont péri les peuples passés, aux siècles révolus ; c'est pour lui qu'ils se sont haïs, pour lui qu'ils se sont entretués ! Prenez garde à ses séductions, à son inconstance : il ne demeure pas dans le même état ; ses biens ternissent, ses délices se troublent. Qu'Allāh ouvre nos yeux et les vôtres sur ses vices et nous préserve de ses tromperies ! Sur cette terre amassez-vous un viatique de piété pour votre voyage vers la vie future, et tenez-vous prêts à l'accomplir par de bonnes actions : ainsi, vous réussirez auprès d'Allāh de la meilleure façon !

Gardez-vous des poisons du monde, car ils sont violents ; prenez garde aux poisons de ceux qui l'habitent, car ils sont comme des flèches meurtrières : soyez attentifs à déjouer leurs tromperies et leurs artifices, renoncez à tout lien fraternel avec eux ; car ils ont abandonné leur foi et fait obstacle à leur vie future ; ils se sont enorgueillis de leur conduite et de leurs actes et se sont adonnés tout entiers à la perte des Musulmans et à leur haine — Allāh

(1) *Coran*, sūr. LV, vers. 26.

***

Basmala *Taṣliya*

AUTRE LETTRE DE L'IMĀM MAHDĪ A L'ASSEMBLÉE DES ALMOHADES.

Allāh les illustre ! — au début de ce pouvoir glorieux — Allāh le fortifie et le rende éternel ! — La voici :

A l'assemblée des Almohades — Allāh les assiste pour ce qu'il désire et approuve ! — Salut à vous, avec la miséricorde d'Allāh et ses bénédictions !

Ensuite — nous louons à votre intention Allāh, Celui dont il n'est point d'autre dieu que Lui, et nous le remercions pour ses faveurs et ses bienfaits. Nous implorons sa bénédiction pour Muḥammad, son Prophète et Envoyé, par qui je vous recommande de craindre Allāh très-Grand, de lui être soumis dans vos actes, de lui demander son aide et son appui, de suivre le Livre et la Sunna et d'apprendre le *tauḥīd* (car c'est la base de votre religion, c'est par lui que vos actes seront valables), d'être assidus à vos prières aux moments prévus, car elles sont le pilier de l'Islām. Invitez à la prière vos familles, vos femmes, vos enfants, vos esclaves et tous ceux qui vous sont attachés. *Recommandez-vous mutuellement la justice et la fermeté* (1) ; aidez-vous pour les bonnes œuvres et la crainte de Dieu, non pour le péché et la haine. Ordonnez-vous ce qui est convenable, défendez-vous ce qui est blâmable. Mettez fin à la tromperie, à la mauvaise conduite, à toutes les pratiques du paganisme : entre autres, les divertissements

(1) Allusion à Coran. Cf. *supra*, p. 9, n. 2.

faveurs tellement nombreuses que nos actions de grâces ne peuvent toutes les rappeler, que nous n'avons pas assez de forces pour lui rendre tout le culte dont Il est digne, que nos esprits et nos langues sont incapables d'énumérer tous les biens dont Il nous comble. Qu'Allāh nous accorde la grâce de rechercher protection dans sa foi, à une époque où partout règnent les troubles ! Qu'Il abreuve nos cœurs de la vérité, dans notre empressement à suivre sa religion, de la certitude que sa promesse sera accomplie, que son appui ne nous fera pas défaut, nous qui croyons à sa sincérité : alors, nous serons à l'abri de ceux qui nous sont hostiles, qui sont en désaccord avec nous, ou nous abandonnent, tant que nos âmes demeureront dans nos corps et tant que dureront les cieux et la terre ! A cela nous croyons fermement ; nous nous y appuyons ; nous n'éprouverons pas d'ennui à l'attendre et n'en désespérerons pas jusqu'au moment où nous rencontrerons notre Dieu, notre foi P. ٨ demeurée intacte * s'il plaît à Allāh ! Nous demandons à Allāh de nous compléter les bienfaits dont Il nous gratifie et d'accroître les biens qu'Il nous procure ! Celui qui partagera les avis de cette lettre sera des nôtres, « et au matin le peuple louera le voyage de nuit ! » (1)

Qu'Allāh vous aide à lui être soumis, qu'Il étende sur nous et sur vous son assistance, qu'Il nous donne ainsi qu'à vous un viatique de piété et qu'Il nous accorde aux uns et aux autres une belle fin ! Salut avec la miséricorde d'Allāh et ses bénédictions !

(1) Sur ce proverbe qui forme le premier hémistiche d'un vers prononcé par Ḫālid b. al-Walīd, cf. al-Maidānī, *Maǧmaʿ al-amṯāl*, éd. du Caire, 1310, t. I, p. 303 ; G. W. Freytag, *Arabum Proverbia*, Bonnae, 1839, t. II, p. 70-71.

de l'autre monde et de la bonne préparation à la vie future.

L'égarement et l'iniquité les ont poussés à faire de la vérité le mensonge et du mensonge la vérité, de l'infidélité la foi et de la foi l'infidélité, de la voie droite l'erreur et de l'erreur la voie droite, de la justice la tyrannie et de la tyrannie la justice. Celui qu'Allāh dirige dans le droit chemin, personne ne peut l'égarer, et *celui qu'Il égare, personne ne peut le placer dans le droit chemin!* (1) Voici qu'Allāh a révélé à ses esclaves, les Croyants, la dissimulation de ces ennemis. Il a mis en lumière leurs artifices ; rien maintenant n'en est caché et Sa voie à lui est claire, et le mensonge n'est réservé qu'à ceux dont la mauvaise fortune a prévalu auprès d'Allāh ! *La bonne direction s'est distinguée de l'égarement. Celui qui répudiera les idoles et croira en Allāh, tiendra l'anse la plus solide, celle qui n'a pas de félure! Allāh entend et sait tout !* (2) — *Et celui qui choisit Satan pour patron au lieu d'Allāh, celui-là s'est perdu d'une perte évidente!* (3)

Qu'Allāh nous soit un refuge contre les écarts de la bonne voie ou les chutes, et qu'Il nous préserve des séductions et des tentations du démon !

Nous vous écrivons cette lettre afin que vous sachiez que la grâce divine s'étend sur nous de plus en plus, que la bienveillance qu'Il nous témoigne va doublant et se renouvelant. Nous ne cessons d'être l'objet de ses faveurs multipliées, de sa protection, de sa miséricorde, de son assistance, des bienfaits qu'il nous prodigue au grand jour et en secret : Il a augmenté notre intelligence et facilité notre compréhension. Nous le voyons nous accorder des

(1) *Coran*, sūr. VII, vers. 185.
(2) *Ibid.*, sūr. IV, vers. 118.
(3) *Ibid.*, sūr. II, vers. 257.

Dieu. Qu'Allāh termine tout au mieux pour nous et pour eux et nous inspire l'éloge de ses bienfaits! Qu'Allāh humilie leurs ennemis, verse dans leurs cœurs l'effroi, fasse trembler leurs pas, tire vengeance de leurs méfaits, les châtie pour leur détestable conduite! Qu'Allāh les saisisse en tout endroit et déjoue toutes leurs ruses! Ils sont confondus, dans une situation critique, pleins d'effroi et livrés à leurs seules ressources, grâce au pouvoir et à la force d'Allāh, non grâce à nous et à nos actes! Leur misère est l'effet de la promesse qu'Allāh n'est pas sans tenir à ses amis, pour la confusion de ses ennemis, qui se sont opposés à lui et à son Prophète. Il a envoyé contre eux des troupes devant lesquelles ils ne peuvent rien, il a révélé à ses amis leurs points vulnérables et leur faiblesse.

Tous ceux qui se déclarent leurs partisans et adoptent leur cause sont du parti de Satan. Pas de doute ni d'hésitation que celui qui cherche protection auprès d'un autre qu'Allāh très-Haut, déploiera de vains efforts; que celui qui place sa confiance en un autre que Lui perdra à la fois sa vie terrestre et sa vie future! Point de défenseur pour celui qu'Allāh désire perdre, point de subterfuge pour celui qu'Allāh désire tenter!

Les gens voient clairement aujourd'hui le changement que les infidèles ont apporté à la religion; ils s'aperçoivent qu'ils ont interverti l'ordre des choses, qu'ils préfèrent l'erreur à la voie droite, qu'ils préfèrent la résistance et l'iniquité à la justice et au bien, qu'ils préfèrent la fierté et l'orgueil à la pleine obéissance aux ordres donnés et à P. ٧ l'exécution * des jugements, qu'ils préfèrent sur la terre pratiquer le mal au lieu du bien, qu'ils ont rompu les prescriptions d'Allāh au sujet des réserves de bien en vue

n'en buvez pas, n'en offrez pas à boire, n'en faites pas en pressant des raisins, n'en vendez pas, n'en achetez pas; car c'est une souillure, œuvre de Satan! Celui qui en boit est maudit : en effet, 'Abd Allāh b. 'Umar a rapporté, d'après le Prophète, ce qui suit : « L'Envoyé d'Allāh a dit : Allāh maudit le vin, celui qui en boit, celui qui en achète, celui qui en fabrique, celui qui en fait fabriquer, celui qui en transporte et celui qui s'en fait apporter! » (1).

P. ٦ * *Recommandez-vous mutuellement la justice, la patience, la clémence* (2)! Ordonnez de faire les choses reconnues bonnes, défendez de faire celles qui sont blâmables! *Aidez-vous à exercer la bienfaisance et la piété, non le mal et l'injustice* (3). — *Soyez fermes dans les épreuves, montrez plus de fermeté au combat que vos ennemis, tenez-vous solidement attachés, et craignez Allāh, afin que vous réussissiez!* (4) — *Cherchez protection auprès d'Allāh, car il est votre maître : quel excellent maître et quel excellent défenseur!* (5)

Sachez — Allāh vous assiste! — que les Almohades sont actuellement en paix et en sécurité et jouissent de l'assistance d'Allāh, par un effet de sa grâce et de sa bonté; pour eux, les bienfaits se succèdent et les faveurs se suivent : Allāh en soit loué! Ils ont mis leurs soins à apprendre ce qu'il leur faut savoir, à être assidus à leur foi, à pratiquer leurs devoirs religieux, à se préparer à la rencontre de leur

(1) Cf. les mêmes termes et leur développement dans le *Livre* d'Ibn Tūmart, p. ٢٦٣. Sur ce *ḥadīṯ*, cf. A. J. Wensinck, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. II, p. 947, col. *b*, sub *khamr* (Abū Dāwūd, Ibn Māǧa, Aḥmad b. Ḥanbal).

(2) Allusion à *Coran*, sūr. XC, vers. 17 et sūr. CIII, vers. 3.

(3) *Coran*, sūr. V, vers. 3.

(4) *Ibid.*, sūr. III, vers. 200.

(5) *Ibid.* sūr. XXII, vers. 78.

Apprenez ce par quoi seulement la prière est valable (1) : ainsi, la *fātiḥa* du Livre, accompagnée d'une sūrate. Appliquez-vous attentivement à faire vos prières aux heures prescrites, fréquentez vos mosquées, invitez à s'y rendre vos enfants, vos esclaves, vos servantes et tous ceux qu'un lien attache à vous ; écartez-vous des actes illicites, repoussez les crimes, absolvez-vous mutuellement, pardonnez-vous vos dissensions : Allāh vous pardonnera à vous-même ! Que l'accord règne parmi vous ; ne commettez pas d'actions criminelles sur la terre ; ne dissipez pas, ne gaspillez pas vos biens ; ne les dépensez pas vainement parmi vous ; ne volez pas ; ne trahissez pas ; ne soyez pas envieux ; ne trompez pas votre prochain ; n'usez pas de châtiments de mutilation ; ne tournez pas le dos en rencontrant l'ennemi : car celui qui agit ainsi *sera chargé de la colère d'Allāh; son séjour sera l'enfer : quelle terrible demeure !* (2)

Gardez-vous de la tromperie au partage du butin, car la tromperie se changera pour qui la pratique en opprobre, en feu infernal et en honte au jour de la Résurrection (3). Partagez ce butin d'accord avec les règles édictées par le Livre et la Sunna. N'en tenez rien caché, ni peu ni beaucoup. Le fantassin aura une part et le cavalier en aura trois, après que le quint aura été prélevé sur l'ensemble ; et le butin n'est dû qu'à ceux qui ont assisté à l'engagement.

Écartez-vous du vin, car c'est la source des turpitudes :

(1) Cf. dans le *Livre* d'Ibn Tūmart les chapitres consacrés à la prière, pp. ٦٣ et suiv.

(2) *Ibid.*, sūr. VIII, vers. 16.

(3) C'est la fin d'une phrase attribuée au Prophète, et que l'on trouve également rapportée dans le *Livre* d'Ibn Tūmart, p. ٣٤٩, ligne 9.

rant dans le mal et la débauche, en sacrifiant sa religion à sa vie matérielle, en s'emparant des biens des gens au nom du mensonge, tous ceux-là, ils les ont appelés des sujets soumis. A la poursuite du vain et des traces de Satan, ils ont donné le nom de soumission, dans leur imposture envers Allāh et son Prophète !

Ne prêtez pas d'attention à leur tromperie, ne jetez pas les yeux sur leur dissimulation : car voici qu'apparaissent au grand jour leurs mensonges, l'appui qu'il se prêtent mutuellement pour éteindre la religion, leur entr'aide pour le crime et l'oppression. *Malheur à eux pour ce que leurs mains ont écrit, malheur à eux pour le profit qu'ils en ont retiré!* (1) *Un jour viendra où ceux qui ont péché sauront de quelle culbute ils seront culbutés !* (2).

Efforcez-vous d'apprendre ce que vous devez savoir de vos obligations religieuses, occupez-vous d'apprendre le *tauḥīd*, car c'est la base de votre religion, afin de repousser loin du Créateur toute comparaison ou toute association, toute idée d'imperfection, de diminution, de limite, de direction ; ne le situez pas en un lieu, ni dans une direction ; car le très-Haut existe avant les lieux * et les directions ! Celui qui le situe en un lieu ou une direction lui donne une forme corporelle ; et celui qui lui donne une forme corporelle en fait une créature ; et celui qui en fait une créature est comme l'adorateur d'une idole. Et celui qui meurt avec ces croyances restera éternellement dans l'enfer ! Mais celui qui apprend son *tauḥīd* sort pur de ses péchés comme au jour où sa mère l'enfanta : s'il meurt en cet état, il séjournera au Paradis !

(1) *Coran*, sūr. II, vers. 73.
(2) *Ibid.*, sūr. XXVI, vers. 228.

votre Dieu, empressez-vous aux œuvres pies, *revenez à Allāh, tous, ô Croyants, afin que vous obteniez le succès!* (1)

P. ٤ * Sachez — Allāh vous assiste! — que les « anthropomorphistes », les fourbes et tous ceux à qui l'on attribue de la science sont encore plus éloignés de la voie d'Allāh qu'Iblīs le maudit. Aussi, ne prêtez pas d'attention à leurs dires, car ce ne sont que mensonges, calomnies et impostures contre Allāh et son Prophète! L'hérésie dans laquelle ils prétendent que vous êtes tombés à l'égard d'Allāh et de son Prophète, c'est de la tromperie et de la fausseté pour les Musulmans, de la perfidie contre Allāh et son Prophète! Allāh et son Prophète se refusent à voir un hérétique dans celui qui se maintient dans la vérité, suit la Sunna du Prophète d'Allāh et revient à Allāh. Au contraire, le révolté contre Allāh et son Prophète est celui qui suit le mensonge et les traces de Satan!

Aussi — Allāh vous assiste! — prenez garde à ces pièges qu'ils tendent à leur existence et à leur vie d'ici-bas : cette conduite les a amenés à inventer des mensonges contre Allāh et son Prophète; ils ont mis les vérités à rebours et les ont retournées, *ils ont interprété les paroles sacrées en les séparant de leur contexte* (2); ils ont accusé d'hérésie celui qui invite les siens à se repentir, à pratiquer le dogme unitaire, à suivre la Sunna; ils l'ont, dans leur iniquité, appelé hérétique. Au contraire, ceux qui suivent le mensonge et les traces de Satan, en se livrant aux pratiques païennes, en usant de dissimulation, en mangeant des mets illicites, en commettant des crimes, en persévé-

(1) *Coran*, sūr. XXIV, vers. 31.

(2) Allusion à une phrase du Coran appliquée aux Juifs : يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (sūr. IV, vers. 48; sūr. V, vers. 16, 45).

vous guidant sur eux, imitez leur conduite — Allāh leur témoigne à tous son agrément !

Sachez — Allāh vous assiste ! — que cette religion pour laquelle ils ont combattu est cette religion qui est la nôtre, qui ne souffrira ni mutation ni changement jusqu'au moment où l'on soufflera dans la trompe [du Jugement dernier] ! Supporter des maux avec constance pour faire revivre cette religion est une obligation pour nous, à leur exemple ; de même, s'efforcer avec zèle d'accomplir le bien. Allāh nous fera prendre la même voie qu'eux et nous réunira à eux ! Purifiez vos intentions et combattez pour que la parole d'Allāh soit la plus haute. Et ne combattez pas pour ce bas-monde périssable et des buts passagers : car celui qui combat pour ces desseins, sa lutte pour la foi est vaine et sa rétribution est perdue. Mais celui qui combat avec fermeté et confiance en Allāh, qui va en avant et ne recule pas, Allāh se chargera de sa rétribution.

Sachez — Allāh vous assiste ! — que ce n'est ni par le nombre des troupes ni par la nature de l'armement que l'on triomphe de l'ennemi : ce qui le vainc, ce sont les bonnes intentions, la crainte d'Allāh, les œuvres pies, la confiance en Allāh. C'est comme a dit Abu 'd-Dardā' (1) : « C'est avec vos actes seuls que vous combattrez », c'est-à-dire que, si les actes sont justes, les ennemis seront mis en déroute et ils ne pourront résister pour s'opposer à la vérité.

Craignez Allāh, hâtez-vous à la recherche du pardon de

(1) Sur ce personnage, Abu 'd-Dardā' ʿUwaimir al-Ḫazraǧī al-Anṣārī, qui fut ḳāḍī et imām de Damas où il mourut vers 31/652, cf. M. Th. Houtsma, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. I, p. 85 et la bibliographie citée, à laquelle on peut ajouter Ibn Ḥaǧar, *al-Iṣāba*, t. III, p. 45-46.

Sachez — Allāh vous assiste ! — qu'en combattant les infidèles, vous êtes dans l'évidente vérité. N'en ayez point le moindre doute, car ce n'est que pour la religion d'Allāh que vous combattrez, celle pour laquelle ont combattu le Prophète et ses Compagnons.

Aussi bien, portez vos efforts à combattre les infidèles et leurs partisans ; guettez jour et nuit leur moindre inattention pour les attaquer. *Mettez sur pied contre eux toutes les forces qu'il vous sera possible, et des contingents de cavalerie : vous jetterez ainsi l'effroi parmi l'ennemi d'Allāh et le vôtre!* (1) Si * les infidèles montrent de la constance à combattre pour l'injustice et le mal, comment n'en montrerions-nous pas à combattre pour notre religion? Forts de notre attachement à la Sunna de notre Prophète, nous tiendrons bon à l'exemple de l'Envoyé et de ses Compagnons ; nous avons un beau modèle à suivre en les imitant et en nous conduisant comme eux, lorsque, au milieu des malheurs et des vicissitudes, ils s'armaient de fermeté et luttaient pour la religion d'Allāh, de leurs biens et de leurs personnes, mettaient en Dieu leur confiance, jusqu'à ce que, par eux, purent s'effacer les traces de l'infidélité et disparaître les vestiges du mensonge et de l'impiété, jusqu'à ce que, par eux, Allāh manifesta la vérité et illustra la religion ! Grâce à quoi, ils obtinrent auprès d'Allāh un bonheur immense, et après eux les louanges les plus belles et les meilleurs éloges ne cessèrent de leur être décernés ! Pour qui vint à leur suite, ils furent comme des astres sur lesquels on se dirige. Dirigez-vous de même en

P. ٢

et particulièrement le chapitre consacré à la « mort en martyr dans la voie d'Allāh », pp. ٣٩٠-٣٩٦.

(1) *Coran*, sūr. VIII, vers. 62.

commettre leurs crimes en répandant le sang des Musulmans et en s'emparant de leurs biens ; de même, tous ceux qui, parmi les habitants des tribus, leur prêtent assistance, invitez-les à se repentir, à faire pénitence, à revenir au Livre et à la Sunna, à ne plus aider ces gens qui donnent à Allāh une forme corporelle (1), ces apostats et ces oppresseurs ! S'ils répondent à votre invitation et reviennent à la Sunna, s'ils vous aident à faire la guerre sainte contre les infidèles, alors laissez-les en paix : ils seront vos frères dans la religion d'Allāh et la Sunna de son Prophète ! Mais s'ils sont rebelles à la vérité et persistent à apporter leur concours aux gens du mensonge et de la corruption, *alors tuez-les partout où vous les trouverez et ne choisissez parmi eux ni compagnon ni allié !* (2) Tous ceux qui refuseront de revenir à la Sunna seront vos ennemis jusqu'à la mort ; tous ceux qui seront tués parmi les infidèles et les « anthropomorphistes » seront assurés du séjour éternel dans le feu de la géhenne : *quelle affreuse couche !* (3)

Mais tous ceux qui, parmi les croyants, seront tués, habiteront le Paradis, suivant la parole du Prophète d'Allāh : « Qui sera tué en défendant sa foi sera martyr ; qui sera tué en défendant son bien sera martyr ! » (4) Il n'y a sur ce point ni doute ni hésitation (5).

(1) En arabe, les *muǧassimūn*. Le *taǧsīm* était l'un des principaux griefs d'Ibn Tūmart à l'encontre des Almoravides. Cf. notamment I. Goldziher, *Mohammed Ibn Toumert et la théologie de l'Islam dans le Maghreb au X*e *siècle*, p. 12 et *passim*.

(2) *Coran*, sūr. IV, vers. 91.

(3) Cette dernière phrase est une réminiscence coranique. On la retrouve dans plusieurs passages du Livre.

(4) Le *ḥadīṯ* cité ici est reproduit par as-Suyūṭī, *al-Ǧāmi' aṣ-ṣaġīr*, t. II, p. 151.

(5) Comparer dans le *Livre* d'Ibn Tūmart, le *Kitāb al-ǧihād*

Mais celui qui ne fréquentera pas leurs demeures, n'ajoutera pas foi à leurs mensonges et ne les aidera pas à commettre leurs injustices, celui-là, il y aura un rapport entre lui et moi, et il boira devant moi au Bassin ! »

P. r * La communauté musulmane tout entière, aux générations passées comme aux générations présentes, est tombée d'accord sur ce point, à savoir que l'injuste ne doit pas être aidé dans son injustice et qu'il est illicite d'obéir à qui se révolte contre Allāh. « Point de soumission envers une créature qui se révolte contre le Créateur ! » (1)

En effet, au rapport de 'Abd Allāh b. 'Umar (2), le Prophète dit à ce dernier : « L'homme musulman doit obéir immédiatement aux ordres qui lui sont donnés, tant qu'il n'en reçoit pas pour des actes contraires à la religion : auquel cas, plus d'obéissance. » On pourrait citer, pour illustrer ce point, d'autres récits authentiques, mais dont la relation serait trop longue. D'ailleurs, l'obéissance de la créature à des ordres donnés par un chef en état de révolte contre Allāh constitue un acte nécessairement illicite au regard de la communauté musulmane, et il n'est point besoin de développer à ce sujet de nouveaux arguments.

Ainsi donc, tous ceux qui obéissent aux Almoravides en dépit de leur état de révolte contre Allāh, qui les aident à

ditions relatives à l'eschatologie musulmane, serait placé au jour du jugement dernier au bout du *ṣirāṭ*. Cf. al-Buḫārī, *Ṣaḥīḥ*, IX, 46 ; D. B. Macdonald, in *Encyclopédie de l'Islām*, t. II, s. v. *Ḳiyāma* et les références citées.

(1) Le *ḥadīṯ* cité ici est reproduit par as-Suyūṭī, *al-Ǧāmi' aṣ-ṣaġīr*, II, p. 176.

(2) Sur ce compagnon du Prophète, cf. la notice bio-bibliographique donnée par M. Ben Cheneb, *Classes des Savants de l'Ifrîqiyya*, Alger, 1920, p. 4, note 1.

TRADUCTION

PREMIÈRE PARTIE

LETTRES D'IBN TŪMART ET DE 'ABD AL-MU'MIN.

[LETTRE DE L'IMĀM MAHDĪ
A LA COMMUNAUTÉ ALMOHADE.]

... Et ces menaces terribles, ce châtiment douloureux seront pour ceux qui leur auront témoigné confiance : quel sera alors le sort des gens qui les auront aidés de leurs personnes et de leurs biens à répandre le sang des Musulmans, à s'emparer de leurs richesses, leur auront prêté leur concours pour les maltraiter, ne fût-ce que par la remise d'un seul dirham?

En effet, au rapport de Ka'b b. 'Uğra (1), le Prophète dit à ce dernier : « Allāh te protège, ô Ka'b b. 'Uğra, des chefs qui existeront après moi : celui qui fréquentera leurs demeures, ajoutera foi à leurs mensonges et les aidera à commettre leurs injustices, il n'y aura nul rapport entre lui et moi, et il ne boira pas devant moi au Bassin (2) !

(1) Sur ce compagnon du Prophète, de son nom complet Ka'b b. 'Uğra b. Umaiya al-Balawī, mort à Médine vers 52/672, cf. Ibn Ḥağar, *al-Iṣāba*, III, p. 297-98, n° 7419 ; Ibn 'Abd al-Barr, *al-Isti'āb*, en marge du précédent, III, p. 291-92.

(2) C'est le Bassin *(ḥauḍ)* de Muḥammad, qui, d'après les tra-

Fac-simile du folio 43 v°.

Fac-simile du folio 20 v°.

Fac-simile du folio 13 v°.

COD. ESCURIALENSIS.

FR. MACARIO SANCHEZ, FOT.
ESCORIAL.

Fac-simile du folio 5 v°.

devient possible quelque jour, permettra souvent d'éclairer le contexte arabe.

J'ai dit plus haut que les seuls historiens maġribins du moyen âge qui, à ma connaissance, aient utilisé l'œuvre d'al-Baiḏaḳ sont Ibn Ḫaldūn, dans un passage de l'*Histoire des Berbères* de son *Kitāb al-ʿIbar* (1) et l'auteur de la chronique *al-Ḥulal al-maušīya* (2) : encore ne fut-ce sans doute que d'une manière indirecte. Il y faut ajouter l'histoire almohade d'Ibn al-Ḳaṭṭān, dans laquelle plusieurs passages se retrouvent cités mot pour mot, avec ou sans l'indication de la source.

Rabat, octobre 1927.

(1) Trad. de Slane, II, p. 281. Le nom a été omis dans l'index qui termine le volume.

(2) Page 104 de l'édition de Tunis (correspondant au f° 46 r° du ms.).

nous éclairer le plus sur son compte, ce serait son propre nom. J'ai pensé qu'étant donnés sa filiation et son ethnique, ce pouvait être un frère du fameux 'Umar Āṣnāg, 'Umar b. 'Alī aṣ-Ṣanhāǧī, d'une manière plus arabe. Mais ce n'est qu'une hypothèse, à laquelle on ne peut sans doute s'arrêter : les personnages ayant un père du nom de 'Alī ne devaient pas manquer parmi les Ṣanhāǧa, et l'on ne voit pas pourquoi, s'il était vraiment le frère de 'Umar Āṣnāg, al-Baiḏaḳ ne se serait pas vanté dans son récit de cette illustre parenté. Quant à son surnom, il n'est pas du tout nécessaire de supposer qu'il le rapporta d'Orient : le terme de *baiḏaḳ*, passé du persan à l'arabe, s'emploie encore chez les Berbères du Sud pour désigner le « pion » du jeu d'échecs (1). Ce qui est certain, c'est qu'al-Baiḏaḳ avait le berbère pour langue maternelle et qu'il savait mal l'arabe. Les vulgarismes dont fourmillent ses « Mémoires » en sont témoins, et aussi les phrases berbères qu'on voit apparaître dans son récit.

Celles-ci et celles que l'on relève, plus nombreuses encore dans les extraits du *Kitāb al-Ansāb* qui forment le second fragment, doivent, à coup sûr, offrir un grand intérêt au point de vue linguistique. Les berbérisants de mon entourage auxquels je les ai montrées sont tous d'accord avec moi sur ce point. Je les livre volontiers à leurs investigations, mais pour l'instant je n'ai pu que les transcrire telles qu'elles se présentent dans le manuscrit et avec les vocalisations qui y sont fournies : leur traduction, si elle

(1) Cf. E. Destaing, *Étude sur la tachelḥît du Sous, I, Vocabulaire français-berbère*, Paris, 1920, p. 221, sub « pion » : *ibīdĕq*.

coup de l'intérêt puissant que doit offrir son œuvre, des informations nouvelles qu'elle va apporter à chaque page et du caractère d'authenticité qu'elle doit presque toujours revêtir.

Ces « Mémoires » débutent par le séjour du Mahdī à Tunis, à l'époque où il rentrait de son fameux voyage d'Orient et qu'il regagnait son pays natal, en s'arrêtant dans chacune des grandes villes de sa route. Trois compagnons suivaient ses pas, dont l'auteur même de la relation, al-Baiḏaḳ. Celui-ci devait ne plus quitter le Madhī jusqu'à sa mort, et faire ensuite partie de l'entourage familier de 'Abd al-Mu'min. C'est ce qu'il a vu et entendu qu'il transcrit dans son ouvrage, et l'on n'y trouve rien de plus. Mais c'est assez pour compléter remarquablement, sinon renouveler du tout ou tout notre connaissance jusqu'ici bien réduite des débuts de l'histoire des Almohades dans l'Afrique du Nord.

L'ouvrage d'al-Baiḏaḳ mériterait une étude détaillée au point de vue historique. Ce n'est point ici sa place, et elle déborderait du cadre limité de cette introduction. Je compte d'ailleurs l'utiliser bientôt, comme la partie almohade du *Naẓm al-ǧumān* d'Ibn al-Ḳaṭṭān, pour une monographie du règne de 'Abd al-Mu'min. En attendant, on trouvera, accompagnant la traduction française du troisième fragment comme celle des deux premiers, un appareil de notes aussi exhaustif que possible.

On ne possède pas, que je sache, d'autres renseignements sur al-Baiḏaḳ que ceux qu'il a donnés sur lui-même dans son œuvre, mais ils ne sont pas assez précis pour fournir les éléments d'une biographie. Et encore, ce qui pourrait

tion desquelles j'ai profité sans mesure de la connaissance approfondie que mon ami le lieutenant de vaisseau R. Montagne possède de la topographie et de la toponymie du Sud-Marocain. C'est également grâce aux renseignements qu'il a bien voulu me fournir que j'ai pu établir une carte de la répartition probable des tribus almohades au XII^e siècle, telle qu'on la trouvera plus loin.



Le troisième fragment est de beaucoup le plus important du *legajo* 1919 de l'Escurial. Il y occupe trente-six feuillets sur les cinquante-huit de l'ensemble et ne présente aucune lacune au cours du texte. Malheureusement, il est, comme les deux autres, privé de son début et l'on n'y trouve ainsi aucune mention de titre. Par contre, l'auteur se nomme à plusieurs reprises dans le récit : Abū Bakr b. 'Alī aṣ-Ṣanhāǧī, connu sous le nom d'al-Baidaḳ.

Il ne faut pas avoir une grande habitude de la manière dont les historiens maġribins conçoivent et écrivent leurs œuvres, pour s'apercevoir au premier coup d'œil que celle d'al-Baidaḳ constitue tout autre chose. Il ne s'agit pas ici d'une chronique de genre et de forme ordinaires, d'une relation de faits établie suivant les procédés classiques de l'historiographie arabe, mais de véritables « mémoires », d'un récit vécu par un personnage qui a exercé un rôle souvent actif dans les événements qu'il consigne, et qui apparaît tout de suite comme l'un de ces Almohades « de la première heure » qui passèrent leur vie dans le sillage du Mahdī et du calife 'Abd al-Mu'min. On juge du même

mière moitié du VII^e/XIII^e siècle. Le choix qu'on en lira plus loin suffit à en prouver l'indiscutable importance. Rien encore de pareil ne nous renseignait de façon si détaillée sur l'organisation de l'empire almohade par son fondateur et les modifications que ses successeurs y apportèrent. Ces « extraits » débutent par un long développement dans lequel l'auteur tend à démontrer que le seul but de la généalogie, cette science qui fut toujours si en honneur chez les Arabes, est la classification des groupements ethniques d'après leurs origines. Cela ne l'empêche pas d'ailleurs de donner immédiatement après une ascendance idrīside, donc chérifienne, à Ibn Tūmart et à ʿAbd al-Mu'min : souci, certainement inspiré d'en haut, de faire de la dynastie almohade l'héritière et la continuatrice de la dynastie idrīside de Fès. Puis, pour la première fois, on trouve dans quelques pages du *Kitāb al-Ansāb* des renseignements précis sur la famille du Mahdī, sur son entourage particulier, les gens de la *ǧamāʿa*, les « Cinquante ». Mais où réside surtout l'intérêt et le caractère nouveau de ce fragment, c'est dans la liste détaillée à l'extrême qu'il fournit de toutes les tribus constitutives du *maḫzen* almohade et de leurs fractions : Harġa, Ahl Tīnmallal, Hintāta, Gadmīwa, Ganfīsa, Kūmya, Haskūra, Ṣanhāǧa. Exception faite bien entendu de celui des Kūmya de la région de Nédroma, incorporé au bloc original almohade comme berceau de la maison mu'minide, ces groupements montagnards du Grand-Atlas existent encore aujourd'hui pour la plupart sous les mêmes noms, et il est peu probable que leur habitat ait depuis notablement varié. J'ai essayé de fixer ce dernier sans trop d'imprécisions dans des notes pour la rédac-

indications historiques inédites qu'on y peut glaner à chaque page, au milieu de toutes les lourdeurs d'une prose rimée rebutante et parfois vide de sens. Mais, dans le fragment de l'Escurial, les lettres, s'il en est quelques-unes au moins d'apocryphes, comme j'ai tout lieu de le présumer, ont cet intérêt notable de se rapporter aux premiers débuts de la communauté almohade. Ce sont de longues épîtres doctrinales adressées aux militants « unitaires » par le Mahdī ou le calife 'Abd al-Mu'min. On y trouve exposé l'essentiel des griefs du censeur berbère vis-à-vis des Almoravides, et aussi, surtout dans la *Risālat al-fuṣūl* — dont le texte se retrouve également dans le recueil de Fès — un long exposé de la doctrine nouvelle, de ce qu'elle recommande, de ce qu'elle blâme, de ce qu'elle prescrit, de ce qu'elle défend, en un mot un *vade-mecum* religieux et un code moral. Les deux courtes lettres adressées par Ibn Tūmart, l'une au sultan 'Alī b. Yūsuf, l'autre aux Almoravides, ne sont pas les moins intéressantes de l'ensemble. Mais ce serait bien s'aventurer que d'essayer d'y voir des messages authentiques.



Le second fragment traite de la généalogie de l'ensemble du groupement almohade et de l'organisation du parti. Il se présente comme un choix résumé d'un autre ouvrage écrit par le même auteur, le *Kitāb al-Ansāb fī ma'rifat al-aṣḥāb*, le « Livre des Généalogies pour la connaissance des Compagnons », c'est-à-dire des Compagnons du Mahdī Ibn Tūmart. Ce livre fut sans doute composé dans la pre-

nage du nom d'Ibrāhīm b. Mūsā b. Muḥammad al-Harġī — un contribule du Mahdī, deux siècles après lui.

On peut se demander pourquoi un manuscrit d'un si grand intérêt est arrivé à échapper aux investigations antérieures. La raison en est simple. C'est que — et cela sans doute depuis plusieurs centaines d'années — il est resté classé au milieu de liasses *(legajos)* comprenant divers documents arabes sans suite : lettres, feuillets détachés d'autres ouvrages, cahiers fragmentaires, autant de pièces manuscrites dont la nature hétéroclite ne se prêtait guère à un classement méthodique. Aussi, quand, au XVIII^e siècle, le syrien Michel Casiri établit sa *Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis*, si précieuse pour l'époque, laissa-t-il délibérément de côté tout cet arrière-fonds. Et c'est simplement le numéro d'ordre donné à la pseudo-liasse, *legajo* 1919, qui est cause de l'oubli dans lequel sont restés ces *Documents inédits d'histoire almohade*, jusqu'à ce qu'un inventaire rigoureux de la totalité de ces liasses de l'Escurial vînt permettre de les remettre définitivement à la lumière.



Des trois fragments, tous acéphales, qui constitue le *legajo* 1919 de l'Escurial, le premier est à la fois le plus court et le plus mutilé, mais c'est aussi, heureusement, celui dont l'intérêt se trouve le moindre. Il semble avoir appartenu à un recueil de lettres almohades officielles, tout comme celui dont une copie a été retrouvée à Fès en 1925 par mon collègue et ami M. Georges S. Colin, et qui mériterait à son tour d'être publié, ne serait-ce qu'à cause des

l'Escurial, l'autre à Fès, dans l'incomparable collection de manuscrits arabes de mon ami le chérif Muḥammad 'Abd al-Ḥaiy al-Kattānī (1). C'est le premier de ces deux ouvrages que je publie ici aujourd'hui, pour ouvrir la collection nouvelle des *Textes arabes relatifs à l'histoire de l'Occident Musulman.*



C'est d'ailleurs tout fortuitement, au cours de recherches bibliographiques entreprises à la bibliothèque royale de San Lorenzo de l'Escurial, au printemps de 1924, que j'ai découvert les fragments manuscrits dont on trouvera plus loin le texte arabe et la traduction annotée. Ils sont réunis en un recueil aujourd'hui relié, et tout entier de la même main (de 24 sur 16 centimètres). L'écriture en est assez fine et, en général, soignée, comme on pourra s'en rendre compte à l'examen des quelques pages données ici en fac-simile. On ne relève, à la dernière page de l'ensemble, ni date de copie ni mention du scribe, mais il y a tout lieu de croire que l'indication portée à la fin du second fragment (p. ٤٩ du texte et 74 de la traduction) vaut pour le reste : la copie, exécutée en 714/1314, serait l'œuvre d'un person-

(1) Cette découverte est toute récente (avril 1927) et il n'a pas été tenu compte des informations inédites qui s'y trouvent dans l'annotation historique des présents *Documents inédits d'histoire almohade.* En attendant le moment prochain où je compte livrer au public la chronique almohade d'Ibn al-Ḳaṭṭān, qu'il me suffise de signaler que les fragments que j'ai publiés dans les *Mélanges René Basset,* en 1925, sous le titre de *Six fragments inédits d'une Chronique anonyme du début des Almohades* (t. II, p. 335-393), appartiennent non seulement à cette chronique, mais aussi au même manuscrit.

l'on a attribué avec quelques chances de vraisemblance à Abū 'Abd Allāh Muḥammad b. Ibrāhīm al-Lu'lu'ī az-Zarkašī. Ce personnage, sur lequel on ne sait rien, a dédié sa chronique aux dynastes ḥafṣides de Tunis. Et son livre qui traite rapidement des Almohades, est surtout consacré à l'histoire de l'Ifrīḳiya au XIIIe siècle. On conçoit qu'elle ne constitue du même coup qu'une source secondaire pour la connaissance de la dynastie mu'minide dans l'Occident maġribin.

Deux histoires postérieures, enfin, sont, au contraire, de tout premier ordre : la chronique faussement attribuée à Lisān ad-dīn Ibn al-Ḫaṭīb (1) et intitulée *al-Ḥulal al-maušīya fi 'l-aḫbār al-marrākušīya* et l'*Histoire des Berbères* du *Kitāb al-'Ibar* d'Ibn Ḫaldūn. On ne pouvait moins attendre de ce dernier historien, toujours si bien renseigné sur l'Afrique du Nord et sachant faire en général un départ suffisant entre les informations sérieuses qu'il allait puiser à bonne source et les transmissions plus ou moins douteuses qui pouvaient lui parvenir. Dans les pages de son ouvrage où il traite des Almohades comme dans celles de la chronique *al-Ḥulal al-maušīya* où il est question de la même dynastie, on trouve au moins des renseignements originaux. Ils ont été recueillis, directement, ou au moyen d'un intermédiaire qui nous échappe, dans deux sources contemporaines, jusqu'ici considérées comme perdues : les chroniques d'al-Baiḏaḳ et d'Ibn al-Ḳaṭṭān. J'ai eu le privilège de les retrouver toutes deux, l'une à la bibliothèque de

(1) Cf. mes *Historiens des Chorfa, Essai sur la littérature historique et biographique du XVIe au XXe siècles*, Paris, 1922, p. 385, n. 4.

dans leurs gigantesques chroniques : Ibn al-Aṯīr, l'auteur du *Kāmil* et an-Nuwairī, le compilateur du *Kitāb Nail al-arab fī funūn al-ʿArab*.

La seule source almohade contemporaine que l'on avait jusqu'ici conservée est l'œuvre d'un lettré de Marrakech, Abū Muḥammad ʿAbd al-Wāḥid b. ʿAlī al-Tamīmī et porte le titre de *Kitāb al-Muʿǧib fī talḫīṣ aḫbār al-Maġrib*. Elle a été publiée par R. Dozy, à Leide, en 1847 et une seconde édition en a paru en 1885. On n'a sur cet auteur d'autres indications biographiques que celles qu'il fournit lui-même dans son ouvrage. Il naquit à Marrakech en 581 /1185, sous le règne d'Abū Yūsuf Yaʿḳūb l'Almohade, alla étudier à Fès et retourna pour un certain temps dans sa ville natale où il fut en relations avec des gens de marque, notamment le célèbre Avenzoar. Il fit ensuite un long voyage en Espagne et en Orient, et à son retour du pèlerinage, vers 1225, il écrivit son histoire pour la dédier au souverain almohade à la cour duquel il était entré et dont il était devenu le familier. On trouve, dès lors, tout naturellement dans son histoire les marques d'un panégyrique à outrance. La vie d'Ibn Tūmart s'y trouve relatée, ainsi que le règne de ʿAbd al-Mu'min, mais le chroniqueur passe de propos délibéré sur tout ce qui ne fut pas succès et victoires de la dynastie à ses débuts. Il aspire à faire œuvre de lettré avant de faire œuvre d'historien et l'on sent qu'il a accueilli sans critique beaucoup de traits légendaires et d'informations erronées ou contradictoires. On voit, dès lors, avec quelle extrême prudence il faut utiliser son livre.

Plus digne de confiance est le *Ta'rīḫ ad-daulatain* que

tard, au Maroc, après l'avènement de l'une ou l'autre dynastie chérifienne.

D'ailleurs, l'époque mérinide marque aussi, pour une raison nouvelle, une date dans l'évolution de la conception de l'histoire au Maġrib : c'est le moment où, pour la première fois, les chroniqueurs, à seule fin de développer leurs œuvres, ajoutent à la relation des faits et gestes du souverain sous le règne duquel ils vivent et de ses prédécesseurs de la même dynastie, le récit des dynasties antérieures. Ainsi s'explique la place prépondérante qu'ont tenue jusqu'ici les chroniques de l'époque mérinide dans la somme des documents dont nous disposions sur l'histoire de l'empire almohade.



La défaveur, voire l'interdit, qui pesèrent sur les Almohades et leur doctrine à leur déclin et après leur chute entachent aussi, il ne faut pas l'oublier, beaucoup de ces sources postérieures d'un caractère de partialité qui invite à la méfiance. C'est le cas du *Rauḍ al-ḳirṭās* d'Ibn Abī Zar' de Fès. On sait que cette précieuse histoire du Maroc qui n'est sans doute, au surplus, qu'une compilation plagiée d'*al-Bayān al-muġrib* d'Ibn 'Iḏārī al-Marrākušī, retrace tous les événements qui se sont déroulés au Maġrib-Extrême jusqu'à l'époque de l'auteur, au début du XIVe siècle, sous le règne du mérinide Abū Sālim. La relation du début des Almohades y est fournie tout au long. Mais à combien de légendes ou de récits absurdes n'y a-t-il pas donné créance? Il en est de même des historiens orientaux qui ont incorporé l'histoire des Almohades

INTRODUCTION

On ne manquait pas, jusqu'ici, quand on examinait les sources de l'histoire de Maroc au moyen âge, de trouver bien parcimonieuse la documentation qui s'offrait aux spécialistes désireux d'étudier les débuts du mouvement almohade dans l'Afrique du Nord, et même la belle période qui suivit, à l'apogée de la dynastie fondée par le calife ʿAbd al-Mu'min. On était loin, si l'on en jugeait par les œuvres dont le texte nous était parvenu, de l'abondante floraison historiographique qui allait suivre au xɪvᵉ siècle, sous les Mérinides à l'Ouest et les Ḥafṣides à l'Est. Floraison qui pouvait au reste fort bien s'expliquer. J'en ai déjà exposé les raisons (1) : la principale, au moins en ce qui concernait le Maġrib-Extrême, fut, sans doute, ce souci de réclame personnelle à quoi semblent avoir tenu si fort les sultans de Fès pour raffermir un pouvoir trop souvent chancelant, avec une solidité et un lustre tout entiers de façade. Ce souci de considérer et de traiter l'historiographie comme un moyen politique ne fut d'ailleurs pas exclusif aux souverains de l'Afrique du Nord au xɪvᵉ siècle ; on en trouverait aisément d'autres exemples en remontant plus haut dans le passé, dans l'Orient musulman, et aussi plus

(1) Introduction au *Kitāb al-Musnad* d'Ibn Marzūḳ, dans *Hespéris*, tome V, 1925, page 1 *sqq*.

TEXTES ARABES

RELATIFS A

L'HISTOIRE DE L'OCCIDENT MUSULMAN

PUBLIÉS SOUS LA DIRECTION D'

E. LÉVI-PROVENÇAL
Directeur de l'Institut des Hautes-Études Marocaines,
Professeur d'Histoire des Arabes et de la Civilisation Musulmane
à la Faculté des Lettres de l'Université d'Alger.

VOLUME I.

DOCUMENTS INÉDITS D'HISTOIRE ALMOHADE

PREMIERS VOLUMES A PARAITRE DANS CETTE COLLECTION :

Volume II. — Ibn ʿIḏārī al-Marrākušī, *al-Bayān al-muġrib* (tome III, Espagne, chronique de la fin du califat et des « reyes de taifas »), texte arabe publié pour la première fois d'après un manuscrit de Fès, avec introduction, indices et glossaire par E. Lévi-Provençal. Suite du texte publié par R. Dozy à Leide en 1848 *(sous presse)*.

Volume III. — Nouveaux documents inédits d'histoire almohade : Le tome treizième du *Naẓm al-ǧumān* d'Ibn al-Ḳaṭṭān (années 500-533 de l'Hégire), texte arabe publié pour la première fois d'après un manuscrit de Fès, par E. Lévi-Provençal.

Volume IV. — Ibn Ḥaiyān, *al-Muḳtabis* (tome III, Chronique du règne du calife umaiyade ʿAbd Allāh à Cordoue), texte arabe publié pour la première fois, d'après le manuscrit de la Bodléienne, avec une introduction en français, par le R. P. Melchor M. Antuña, O. S. A., Directeur de la Bibliothèque royale de San Lorenzo del Escorial *(sous presse)*.

Volume V. — Ibn Marzūḳ al-Ḫaṭīb at-Tilimsānī, *al-Musnad aṣ-ṣaḥīḥ al-ḥasan*, monographie du sultan mérinide de Fès Abu 'l-Ḥasan ʿAlī, texte arabe publié pour la première fois d'après le manuscrit de l'Escurial, par R. Blachère, maître de conférences à l'Institut des Hautes-Études Marocaines, avec une introduction par E. Lévi-Provençal *(sous presse)*.

N. B. — *La transcription employée pour les noms arabes est celle du* Journal Asiatique.

TEXTES ARABES RELATIFS A L'HISTOIRE
DE L'OCCIDENT MUSULMAN, VOLUME I.

DOCUMENTS INÉDITS D'HISTOIRE ALMOHADE

FRAGMENTS MANUSCRITS DU " LEGAJO " 1919 DU FONDS ARABE DE L'ESCURIAL

PUBLIÉS ET TRADUITS AVEC
UNE INTRODUCTION ET DES NOTES

PAR

E. LÉVI-PROVENÇAL





PARIS ... 1928
LIBRAIRIE ORIENTALISTE
PAUL GEUTHNER, 13, RUE JACOB